



۳۷۱

ضِيَاءُ الْعَالَمِينَ

فِي

بَيَانِ إِهَامَةِ الْأُئِمَّةِ الْمُصْطَفِيِّينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تَأَلَّفَ

الْعَلَّامَةُ الْفُتُووِي

الشَّيخُ الْإِسْلَامِيُّ الْحَسَنُ بْنُ مُحَمَّدٍ طَاهِرٍ الْعِيسَاوِي

الْمُتَوَفَّى ١١٣٨ هـ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

تَحْقِيقُ

مُؤَسَّسَةُ الرِّوَايَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالْحَيَاةِ الْفَرَادِيَّةِ



جميع الحقوق محفوظة ومسجلة
لمؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث

مؤسسة آل البيت عليه السلام لإحياء التراث
قم المقدّسة: شارع الشهيد فاطمي (دور شهر) زقاق ٩ رقم ١-٣
ص.ب ٩٩٦/٣٧١٨٥ هاتف: ٥-١-٣٧٧٣٠٠٠ فاكس: ٣٧٧٣٠٠٢٠

(١) بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على خيرته من الخلق أجمعين محمّد وآله الطاهرين الأئمة الاثني عشر المعصومين صلوات الله عليهم إلى يوم الدين .
وبعد فهذا هو المجلّد الثاني وهو أكبر المجلّدات الثلاثة من كتابنا الموسوم بـ : «بضياء العالمين» في بيان فضائل الأئمة المصطفين وإثبات إمامتهم .
وقد تضمّن المجلّد الأوّل منه ذكر خلاصة أصل الدليل وبعض مؤيّداته ، وبيان المقدّمة بأبوابها التي كان لابدّ من معرفتها في تنقيح الدليل ، وفهم أجزائها ، والاطّلاع على وجوه وقوع المخالفين في الشبهة والضلالة ،

(١) من هنا إلى ما تأتي الإشارة إليه سقط في «ن» .

وذكر أسباب ذلك ، وبيان بطلان الاختلاف ، والاعتماد على الآراء ، ونقل المذاهب المختلفة ، وأمثال هذه الأشياء .

وسنذكر في هذا المجلد ما مضى مراراً في المجلد الأول من كتابنا هذا ، وهو بيان تفصيل دلالات أجزاء الدليل المذكور سابقاً ، لكن على نهج ثبت منه سائر أدلة إثبات إمامة الأئمة جميعاً صلوات الله عليهم بالتفصيل والتنقيح والتوضيح ؛ بحيث لا يبقى شك ولا شبهة ولا مجال كلام ، كما هو الواضح على التأمل الصادق .

وعمدة الكلام في فصول المقالات من المقصد المذكور ، وقد صارت المقالات اثني عشرة مقالة ، وفصول الأخير اثنا عشر .

وسيأتي المجلد الأخير أيضاً مشتملاً على ما يستلزمه ما في هذا المجلد من بطلان إمامة سائر من ادّعاها لنفسه ، وأخذها من هؤلاء الأئمة والله الموفق .

المقصد الأول

في بيان تفصيل أجزاء الدليل ، التي ذكرناها في ابتداء الكتاب ، وبسط كل واحد منها ؛ بحيث يتّضح تمام الاتّضاح ، وفيه اثنتا عشرة مقالة ، نوضّح في كلّ مقالة جزءاً .

المقالة الأولى :

في بيان ما هو المسلّم الثابت عند كلّ مسلم من وجوب عبادة الله وطاعته بنحو ما كُلف بذلك ، وأنه هو الأصل في إرسال الرسل ودعوة الأمم إلى الإيمان .
إنّ معنى العبادة والطاعة هو : موافقة أمر الله ونهيه وترك المخالفة ، كما هو مذكور في المقالة الأولى في المجلد الأول ، والمقدمة مركّبة من أجزاء :
أحدها : أصل وجوب هذه العبادة وتحقيق معناها ^(١) .
[ثانيها : عمومها ^(٢)] لكلّ مكلف في جميع مدّة التكليف .
ثالثها : عمومها بالنسبة إلى كلّ ما كُلف به .
رابعها : (رفض كلّ شيءٍ لغيره ، من) ^(٣) إدخال ما ليس منه فيها ،

(١) في «م» و«ن» زيادة : «كما هو مذكور» .

(٢) ما بين المعقوفين إضافة يقتضيها السياق .

(٣) ما بين القوسين بياض في «س» و«ل» . وظاهر العبارة يقتضي إضافة [والامتناع] قبل حرف «من» .

وشدة ارتباط بعضها ببعض ظاهرة ؛ ولهذا خلاصة مآل الكلّ : كون العباد مكلفين بالانتهاز إلى أمر الله في كلّ شيء .

ولا يخفى أنّه أمر بيّن ثبوته ، بل هذه المقدّمة بجملتها ممّا هو واضح على كلّ أهل الملل سيّما كافة أهل الإسلام ؛ بحيث لا حاجة فيها إلى الاستدلال عليها ؛ ضرورة أنّ بعد الإقرار بالدين ، وتصديق النبيّ الأمين ﷺ بما جاء به من الله ربّ العالمين ، لا يبقى مجال شكّ في كون العباد مكلفين من ربّهم بالإيمان ، والالتزام بعبادته وطاعته ، وترك مخالفته ، بمعنى أنّه أوجب عليهم أن يكون ما صدر منهم على وفق أمره وإرادته لا غير ذلك ، وإلاّ لما اعترض على الشيطان ، ولا أوجب العقاب عليه وعلى سائر أهل الأديان الذين قالوا : ربّنا الرحمن ؛ لأجل بعض ما صدر عنهم من المخالفة والعصيان ، وعلى هذا ، فلا شبهة في لزوم قبول الطاعة والاشتغال بما أمر به من العبادة ، وترك ما تكون فيه المخالفة .

وبالجملة : يجب أن لا يتركوا شيئاً ممّا أَرَادَهُ مِنْهُمْ ، ولا يتعرّضوا لشيء ما لم يعلموا عدم المخالفة ، حتّى أنّ كمال الطاعة والعبوديّة يقتضي أن يختاروا من الأمور المخيرة أيضاً ما هو الأولى عنده وأحسن .

ولا يخفى أنّ هذا مع وضوحه . كما قلنا . يحكم به بداهة العقل أيضاً ؛ ضرورة عدم صدور العبث من الحكيم ، ووجوب شكر المنعم الكريم ، ومع هذا كلّّه ، في نصوص الكتاب والسنة تصريحات صريحة من هذا ، لكن نحن نكتفي بذكر لمعة من الآيات وغيرها من باب التنبيه وزيادة التوضيح ؛ إذ لا حاجة . كما بيّنا آنفاً في مباحث إبطال الرأي أيضاً . إلى الإطالة باستقصائها .

قال الله عَزَّجَلَّ : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ ^(١) .
 وقال الله : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾ ^(٢) .
 وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ ^(٣) .

وقد ورد في خطاب كلِّ نبيٍّ لقومه أَنَّهُ قال لهم : يا قوم ، اعبدوا الله ولا تعبدوا إلا الله ، ونحو ذلك ممَّا هو في القرآن كثير ؛ ولهذا قال تعالى : ﴿ وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ ^(٤) .

وقال : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ ^(٥) .
 وقال : ﴿ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ ^(٦) .
 وقال : ﴿ قُلِ اللَّهُ أَعْبُدْ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي ﴾ ^(٧) .
 وقال : ﴿ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ^(٨) .
 وقال سبحانه : ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ﴾ ^(٩) .
 وقال : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ

-
- (١) سورة الذاريات ٥١ : ٥٦ .
 (٢) سورة النحل ١٦ : ٣٦ .
 (٣) سورة الأنبياء ٢١ : ٢٥ .
 (٤) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٥ .
 (٥) سورة هود ١١ : ١٢٣ .
 (٦) سورة البينة ٩٨ : ٥ .
 (٧) سورة الزمر ٣٩ : ١٤ .
 (٨) سورة الحجر ١٥ : ٩٩ .
 (٩) سورة الإسراء ١٧ : ٢٣ .

الْقِيمِ ﴿١﴾

وقال : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ﴾ (٤) ، الآية .

وقال : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾ (٥) .

وقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٦) ، و ﴿ الرَّسُولَ ﴾ (٧) ، عديدة .

وصراحة الجميع فيما نحن فيه من عموم وجوب عبادة الله وطاعته على العباد ، وأنّ الأنبياء لها بُعثوا ، والناس بها كُلفوا واضحة .

وهكذا حال دلالتها على عدم كون المراد بها محض خصوص الإقرار بربوبيّته ، ونفي ألوهيّة غيره ، بل إنّما هي واضحة الدلالة على أنّ الأمر بها كون أعمالهم كلّها في تمام أيّام التكليف على وفق ما أمر الله به وأراد من غير جواز مدخليّة أحد غيره في شيء من ذلك ، كما ينادي بذلك سياق

(١) سورة يوسف ١٢ : ٤٠ .

(٢) سورة البينة ٩٨ : ٥ .

(٣) سورة هود ١١ : ١ و ٢ .

(٤) سورة قريش ١٠٦ : ٣ .

(٥) سورة العنكبوت ٢٩ : ٥٦ .

(٦) سورة الأنفال ٨ : ٢٠ ، و ٤٦ ، سورة المجادلة ٥٨ : ١٣ .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ٣٢ و ١٣٢ ، سورة النساء ٤ : ٥٩ و ٦٩ و ٨٠ ، سورة المائدة ٥ : ٩٢ ، سورة النور

٢٤ : ٥٤ و ٥٦ ، سورة محمد ٤٧ : ٣٣ ، سورة التغابن ٦٤ : ١٢ .

الكلام ، واقتضاء المقام ، وما في نظام العبادة من أنواع الإشعار والإشارة ، كقوله : ﴿إِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ﴾^(١) ، ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾^(٢) و ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾^(٣) وغيرها مما هو ظاهر على المتأمل الماهر .

وإن أردت زيادة التوضيح فعليك بملاحظتها مع غيرها من الآيات المناسبة لها ، كقوله تعالى : ﴿أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾^(٤) إذ لم يجوز أحد عبادة الشيطان ، بل كلُّ يلعبه ، وإنما المراد متابعة أوامره ونواهيه ، فهكذا المراد بمقابله ، ألا ترى أنه خاطب المؤمنين المقرين بالوحيته بقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ﴾^(٥) ، فجعل كلَّ ما لم يكن من طريق السلم من جملة الخطوات ، بل قد ذكر أيضاً في غير موضع ما يدلّ على أنّ تلك الخطوات إنما هي سائر الأشياء التي لم تكن من الله .

وقال أيضاً : ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾^(٦) .

وقال في كلّ المواضع : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾^(٧) .

(١) سورة هود ١١ : ١٢٣ .

(٢) سورة الحجر ١٥ : ٩٩ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٢٩ ، سورة يونس ١٠ : ٢٢ ، سورة العنكبوت ٢٩ : ٦٥ ، سورة لقمان ٣١ : ٣٢ ، سورة غافر ٤٠ : ١٤ ، سورة البينة ٩٨ : ٥ .

(٤) سورة يس ٣٦ : ٦٠ .

(٥) سورة البقرة ٢ : ٢٠٨ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ١١٢ .

(٧) سورة البقرة ٢ : ٢٥ ، ٨٢ ، ٢٧٧ ، سورة آل عمران ٣ : ٥٧ ، سورة النساء ٤ : ٥٧ ، ١٢٢ ، ١٧٣ ، سورة المائدة ٥ : ٩ ، ٩٣ .

وقال : ﴿ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴾ ^(١) .
 وقال : ﴿ وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى * وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى ﴾ ^(٢) .
 وقال : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا ﴾ ^(٣) .
 وقال : ﴿ وَقُلْ اْعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ ﴾ ^(٤) ، الآية .
 وقال : ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَبْلُوكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ^(٥) ومثله كثير .

والآيات من هذا القبيل سيّما في الدلالة على عموم شمول التعبد المكلف به سائر الأعمال ممّا لا تحصى ، وكفى قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا ﴾ ^(٦) ومن الواضحات أنّ الله عزّ وجلّ ليس يرضى بما هو من خطوات الشيطان فما حسنه ، فلا بدّ أن لا يكون إلّا منه ، فافهم .

ثمّ إنّ من الآيات الموضّحة لتمام ما نحن فيه قوله عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(٧) فإنّ قوله : ﴿ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ صريح في اشتراك الجميع في هذا التكليف .

(١) سورة البقرة ٢ : ١٧٢ .

(٢) سورة النجم ٥٣ : ٣٩ و ٤٠ .

(٣) سورة المجادلة ٥٨ : ٦ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ١٠٥ .

(٥) سورة هود ١١ : ٧ .

(٦) سورة الزلزلة ٩٩ : ٧ و ٨ .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ٦٤ .

ثمّ قد بيّن الكلمة التي وقع التكليف بها بأنّها هي : وجوب التزام خلوص العبادة لله ، بحيث يقطع عنه تشريك غيره رأساً ، بأن يقتصر على محض ما هو من الله والله حقاً ، حتّى لا يكون ثمّة شيء من متابعة أحد غير الله ، وهذا هو عين ما نحن فيه ، وإنّما قلنا : مفاد هذه الآية هكذا ؛ لعدم خفاء دلالة كلّ من الفقرات الثلاثة منها على هذا المعنى عند أدنى تأمل ، لاسيّما ^(١) دلالة الأولى على الجزء الأول ، فإنّها صريحة فيه ، كنظائرها التي مرّت ، وكذا الثانية بل ، الثاني ، كما هو صريح قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ ^(٢) مع قوله : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ ^(٣) وغيرهما ممّا مرّ ويأتي ، وهكذا حال دلالة الثالثة على الأخير فإنّها صريحة ناطقة بذلك ، بل بالجزء الثاني أيضاً ؛ ضرورة كون المراد بالتّخاذ الربّ فيها ما ذكرناه من المتابعة ، كما هو مقتضى إفادة التأسيس اللازم حملها عليه ، وصريح قوله تعالى : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَنَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ ^(٤) حيث لم يقل أحد منهم بالوحيّة هؤلاء وربوبيّتهم ، ولا صلّوا لهم ولا صاموا ، بل جعلوهم مقتدئ ومطاعاً فاتّبعوهم فيما دعوهم إليه بدون أمرٍ من الله ، وكذا ما مرّ من معنى عبادة الشيطان ، وأمثال هذا في القرآن كثيرة .

على أنّه لو تنزّلنا عن تخصيص المراد بهذا ، فلا أقلّ من الشمول له ، وهو كافٍ أيضاً ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ

(١) في «م» و«ن» زيادة : «عند» .

(٢) سورة الكهف ١٨ : ١١٠ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٥٤ .

(٤) سورة التوبة ٩ : ٣١ .

أَنذَادًا يُحِبُّوهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ﴿١﴾ وقوله تعالى : ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ ﴿٢﴾ ونحوهما أيضاً كثير ، بل إنّ أكثر الآيات المتعلقة بالتعبّد والتوحيد إمّا صريحة ، أو ظاهرة في الدلالة على لزوم كون عبادة الله بفعل ما أمر الله ، وعدم تحقّقها بدون ذلك ، وإنّ ذلك مصداق حقيقة التوحيد الخالص .

ولنذكر نبذاً منها أيضاً لفهم غيرها ، وإن كان فيما ذكرناه كفاية لما نحن فيه ، لاسيّما بعد إحاطة العلم بما أسلفناه من تبيان بطلان الاستناد إلى الآراء ، وكونها من خطوات الشيطان وضلالة أهل الأهواء ، فإنّه حينئذٍ لا يبقى مجال شبهة أصلاً ، كما هو واضح .

فمن الآيات قوله تعالى : ﴿فَاخْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ ﴿٣﴾ . وقوله : ﴿وَأِنْ اخْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ ﴿٤﴾

وقوله : ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ﴾ ﴿٥﴾ وأمثالها مع قوله سبحانه : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿٦﴾ وفي موضع ثاني : ﴿هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ ﴿٧﴾ وفي ثالث : ﴿هُمُ﴾

(١) سورة البقرة ٢ : ١٦٥ .

(٢) سورة الحجّ ٢٢ : ٧١ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٤٨ .

(٤) سورة المائدة ٥ : ٤٩ .

(٥) سورة النساء ٤ : ١٠٥ .

(٦) سورة المائدة ٥ : ٤٤ .

(٧) سورة المائدة ٥ : ٤٥ .

الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ فَإِنَّ مِنَ الْبَيِّنَاتِ أَنَّ مِنْ حُكْمِ بَشَرِيَّةِ التَّعَبُّدِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ لَمْ يَحْكَمْ حِينَئِذٍ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ .

ومنها ما مرّ من قوله عَزَّجَلَّ : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ﴿٢﴾ وقوله : ﴿ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ﴿٣﴾ إذ المتابعة إنما هي بفعل ما أمر الله به . وقد فسّره أيضاً بقوله : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ ﴾ ﴿٤﴾ . وبقوله : ﴿ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَيْتُ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ ﴾ ﴿٥﴾ .

وقوله : ﴿ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ ﴿٦﴾ وظاهر أنّ النبي ﷺ إذا لم يجوز له غير ما يرد عليه من الله ، فغيره بالطريق الأولى .

ومن الشواهد على هذا قوله تعالى : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ ﴾ ﴿٧﴾ .
وقوله : ﴿ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ ﴾ ﴿٨﴾ .

(١) سورة المائدة ٥ : ٤٧ .

(٢) سورة الأنفال ٨ : ٢٠ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٥٨ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ٣ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ٥٠ .

(٦) سورة الإنسان ٧٦ : ٢٤ .

(٧) سورة الأنعام ٦ : ٥٧ .

(٨) سورة النساء ٤ : ١٧١ .

وقوله : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ ﴾ ^(٣) .

هذا ، مع قوله : ﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى ﴾ .

وقوله : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ ^(٤) .

وقوله : ﴿ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ ^(٥) . وأمثال هذه الآيات كثيرة ، وقد مرّ بعضها

ويأتي أيضاً بعضٌ منها في مواضعها ، ودلالاتها واضحة لاسيّما إذا لوحظ بعضها مع بعض ،

بل كفى في هذا قوله تعالى : ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ

وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ^(٦) وقوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا

﴿ ^(٧) لأنّ مع قطع النظر عن دلالة مضمون الآية في نفسه إذا لوحظت هذه الآية وأمثالها مع

ما مرّ من الأخبار التي ذكرناها سابقاً عن النبي ﷺ في بطلان العمل بالرأي والنهي عن

الاعتماد على ما لم يكن وارداً عن الله ، لا يبقى شكٌ في أنّ العمل بغير ما ورد عن الله ممّا

نهامه النبي ﷺ ، فيدخل تحت مضمون الآية قطعاً ، فعلى هذا من عمل بغير ما ورد عن

الله دخل في قوله

(١) سورة البقرة ٢ : ١٦٩ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٢٠ .

(٣) سورة التوبة ٩ : ٣٣ .

(٤) سورة يونس ١٠ : ٣٢ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ٣ .

(٦) سورة القصص ٢٨ : ٦٨ .

(٧) سورة الحشر ٥٩ : ٧ .

تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾ ^(٣) وأمثالها وإن كان ذلك

العامل من المقرّين بالإسلام ، بل عاملاً بسائر شرائعه .

وكفى شاهداً على هذا ما مدح الله به بعض مطيعيه ، فقال : ﴿ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لَا

يَسْقُوتُهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهٖ يَعْمَلُونَ ﴾ ^(٤) ونهى عن خلاف ذلك صريحاً ، حيث قال : ﴿ يَا

أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ ^(٥) الآية ، أي : لا تقطعوا أمراً دون الله

ورسوله ولا تعجلوا به ، كما صرح به جماعة من المفسرين ^(٦) .

وبالجملة : دلالة هذه الآيات ، وكذا غيرها من الآيات الواردة في بيان العبادات على

عموم لزوم الانتهاء إلى أمر الله عَزَّجَلَّ ، وعدم تحقّق تعبّده بدون ذلك واضحة ، وإن كان في

بعضها نوع إجمال كما عرفته ، وستأتي في المقالات الآتية أيضاً بعض الآيات الموضّحة ، فلا

تغفل .

ولنشر حينئذٍ إلى بعض الموضّحات ممّا سوى الآيات ، فإنّ منها ما هو المعروف

المسلّم عند كافة الأنام الثابت الذي صار من ضروريّات دين الإسلام من أنّ نبينا ﷺ

كان تمام عمره في طاعة الله وعبادته على وفق أمر

(١) سورة آل عمران ٣ : ٨٣ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٨٥ .

(٣) سورة فاطر ٣٥ : ٣٧ .

(٤) سورة الأنبياء ٢١ : ٢٦-٢٧ .

(٥) سورة الحجرات ٤٩ : ١ .

(٦) مجمع البيان ٥ : ١٣٠ ، تفسير الطبري ٢٦ : ٧٤ ، الوسيط ٤ : ١٥٠ .

الله وإرادته ، وأنّ هكذا كان حال أصحابه وأمته المؤمنين به في زمانه ، بحيث لو ارتكب أحد منهم شيئاً ممّا لم يكن على وفق أمره خطّؤه وعنّفوه ، حتى إنّّه قد مرّ في المجلّد الأوّل وسيأتي أيضاً في حديث أنّ عمر ابن الخطّاب كتب عن بعض اليهود شيئاً : [من^(١)] أحوال بني إسرائيل فغضب النبيّ ﷺ وقال : «والذي نفسي بيده ، يابن الخطّاب ، لقد جئتكم بها نقيّة بيضاء ، فوالله لو كان موسى حيّاً لما وسعه إلّا أن يتبعني»^(٢) .

ومن البين الواضح أنّ سنّة النبيّ ﷺ جارية مادام التكليف ، واستصحاب البقاء حجة ما لم يثبت الخلاف ، وقد قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَمَنْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ﴾^(٣) الآية ، وغيرها .

وقد روى الطبراني ، وابن حبان ، وأبو نعيم في حلية الأولياء عن عمر ابن مالك الأنصاري^(٤) عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «أمركم بثلاث: أن تعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً»^(٥) ، الخبر .

(١) ما بين المعقوفين يقتضيه السياق .

(٢) معاني الأخبار : ٢٨٢ ، بحار الأنوار ٢ : ٩٩ ، مصنّف ابن أبي شيبة ٩ : ٤٧ / ٦٤٧٢ ، مسند أحمد ٤ : ٣٧٦ / ١٤٧٣٦ ، غريب الحديث للهروي ٣ : ٢٨ ، الفائق ٤ : ١١٦ ، حلية الأبرار ١ : ١٧٠ ، البداية والنهاية ١ : ١٩٨ ، فتح الباري ١٣ : ٢٨٤ ، عمدة القاري ٢٥ : ٧٤ ، كنز العمال ١ : ٢٠٠ / ١٠٠٩ ، بتفاوت يسير فيها .

(٣) سورة النساء ٤ : ١١٥ .

(٤) لم يُذكر في ترجمته سوى أنّه كان ينزل مصر ، انظر : أسد الغابه ٣ : ٦٨٤ / ٣٨٤١ ، الإصابة في تمييز الصحابة ٢ : ٢٨١ / ٥٧٤٢ ، وفيها أيضاً الحديث المذكور .

(٥) المعجم الكبير ٩ : ٢٨ / ٨٣٠٧ ، بتفاوت فيه ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧ : ٤٤ / ٤٥٤٢ عن أبي هريرة ، وحكاها عن أبي نعيم المتقي الهندي في كنز العمال ١ : ١٠٠ / ٤٤٩ نقلاً عن أبي هريرة .

وروى نحوه البغوي في تفسيره ، ومسلم في صحيحه ، وابن حنبل في مسنده ^(١) كما مرّ سابقاً ، ودلالته على ما نحن فيه واضحة .

وفي روايات أهل البيت عن حبيب السجستاني ^(٢) في قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ﴾ ^(٣) الآية ، قال : سمعت أبا جعفر الباقر عليه السلام يقول : «قال رسول الله ﷺ : إنّ الله عزّ وجلّ أرى آدم ذرّيته من ظهره وهم ذرّ قد ملأوا ^(٤) السماء ، فقال آدم : ياربّ ، ما أكثر ذرّيتي ؛ ولأمرٍ ما خلقتهم ، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ فقال : يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً ويؤمنون برسلي ويتبعونهم» الخبر ، إلى أن قال : «وإنّما خلقت الجنّ والإنس ليعبدون ، وخلقت الجنة لمن عبدني وأطاعني منهم واتبع سبلي ورسلي» ثمّ قال : «وإنّما خلقتك وخلقتهم لأبلوك وأبلوهم أيّكم أحسن عملاً في دار الدنيا ؛ ولذلك خلقت الدنيا والآخرة ، والموت والحياة ، والطاعة والمعصية ، والجنة والنار» ^(٥) ، الخبر .

وفي بعض خطب عليّ عليه السلام : «الحمد لله الذي خلق الخلائق لعبادته ، وأقدرهم على طاعته بما جعل فيهم ، وقطع عذرهم بالحجج ، فعن بيّنة

(١) معالم التنزيل ١ : ٥١٩ ، صحيح مسلم ٣ : ١٣٤٠ / ١٧١٥ ، مسند أحمد ٢ : ٦٢٦ / ٨١٣٤ .

(٢) عدّه الشيخ من أصحاب السجّاد والباقر والصادق صلوات الله عليهم ، وهو كثير الرواية ، ويظهر من رواياته حسنه وكماله .

انظر : رجال الطوسي : ١١٣ / ١١١٧ ، و ١٣٢ / ١٣٥٣ ، و ١٨٥ / ٢٢٦٣ ، وتنقيح المقال ١ : ٢٥٢ / ٢٢٦٨ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٧٢ .

(٤) في الأصل : (ملاً) ، وما أثبتناه من المصدر .

(٥) الكافي ٢ : ٧ / ٢ (باب آخر منه) بتفاوت يسير ، علل الشرائع : ١٠ / ٤ ، الاختصاص (ضمن مصنّفات الشيخ المفيد ، ج ١٢) : ٣٣٢ / ٣٣٣ .

هلك من هلك ، ويمنّ نجا من نجا ، والله الفضل مبتدأ ومعيداً»^(١) ، الخبر .

وقال عليه السلام في بعض خطبه : «لأنسب الإسلام نسبةً لم ينسبه أحد قبلي ، ولا ينسبه أحد بعدي إلاّ بمثل ذلك : إنّ الإسلام هو التسليم ، والتسليم هو اليقين ، واليقين هو التصديق ، والتصديق هو الإقرار ، والإقرار هو العمل ، والعمل هو الأداء ، إنّ المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه ولكن أتاه من ربّه فأخذه ، إنّ المؤمن يرى يقينه في عمله ، والكافر يرى إنكاره في عمله»^(٢) الخبر .

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قيل له : إنّ المرجئة يقولون : كما أنّ الكافر عندنا هو الكافر عند الله ، فكذلك نجد المؤمن أنّه إذا أقرّ بإيمانه أنّه عند الله مؤمن ، فقال : «سبحان الله ، كيف يستوي هذان؟ والكفر إقرار من العبد فلا يكلف بعد إقراره ببينة ، والإيمان دعوى لا تجوز إلاّ ببينة ، ويثبت عمله ونيتّه ، فإذا اتّفقا فالعبد عند الله مؤمن»^(٣) ، الخبر .

وعنه عليه السلام أنّه قال : «إنّ الله تعالى فرض الإيمان على جوارح ابن آدم وقسمه عليها وفرقه فيها ، فليس من جوارحه جارحة إلاّ وقد وُكّلت من الإيمان بغير ما وُكّلت به أختها ، فمنها قلبه الذي به يعقل ويفقه ويفهم ، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلاّ عن رأيه وأمره ، وفرض عليه الإقرار والمعرفة والتصديق والرضا والتسليم بأن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ، وأنّ محمداً عبده ورسوله ، والإقرار بما جاء به من عند الله ،

(١) الكافي ١ : ١٠٩ / ٧ (باب جوامع التوحيد) ضمن الحديث ، التوحيد للصدوق : ٣٢ / ١ .

(٢) المحاسن ١ : ٣٤٩ / ٧٣٣ ، تفسير القميّ ١ : ٩٩ . ١٠٠ ، الكافي ٢ : ٣٨ / ١ (باب نسبة الإسلام) ، معاني الأخبار للصدوق : ١٨٥ ، الأمالي للصدوق : ٤٣٢ / ٥٧٠ ، نهج البلاغة : ٤٩١ قصار الحكم رقم ١٢٥ ، وفيه إلى قوله : (. . . هو الأداء) .

(٣) الكافي ٢ : ٣٣ / ٨ (باب في أنّ الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها) .

فهذا ما فرض الله على القلب وهو عمله ، وهو رأس الإيمان ، وهو قوله عَزَّجَلَّ : ﴿ **إِلَّا مَنْ أَكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ** ﴾ ^(١) وقوله : ﴿ **الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ** ﴾ ^(٢) وذكر آيات أخر .

ثم قال : « وفرض على اللسان القول ، والتعبير عن القلب بما عقد عليه فأقرّ به ، فهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله ، قال الله تعالى : ﴿ **قُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِهْنَأْ وَإِهْنَأْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ** ﴾ ^(٣) وقال : ﴿ **وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا** ﴾ ^(٤) . وفرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما لا يحلّ له » الخبر ، إلى أن قال : « وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما لا يحلّ له ، فقد قال الله تعالى : ﴿ **وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا** ﴾ ^(٥) يُسأل السمع عمّا سمع ، والبصر عمّا نظر إليه ، والفؤاد عمّا عقد عليه » .

ثم ذكر الفرائض التي على اليدين والرجلين والفرج والوجه إلى آخر الخبر .

ثم قال عَلَيْهِ السَّلَامُ : « فمَنْ لَقِيَ اللَّهَ عَزَّجَلَّ مَوْفِيًا لِكُلِّ جَارِحَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهَا لَقِيَ اللَّهَ مُسْتَكْمِلَ الْإِيمَانِ ، وهو من أهل الجنة » الخبر ، إلى أن قال : « فبتمام الإيمان دخل المؤمن الجنة ، وبالزيادة في الإيمان تفاضل المؤمنون بالدرجات عند الله ، وبالنقصان دخل المفرطون النار » .

(١) سورة النحل ١٦ : ١٠٦ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٤١ .

(٣) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٦ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٨٣ .

(٥) سورة الإسراء ١٧ : ٣٦ .

وفيه : «إِنَّ الإيمان عمل كلّه ، والقول بعض ذلك العمل ، بفرض من الله عَزَّجَلْ يشهد به الكتاب ، ويدعو إليه ، وَإِنَّ للإيمان حالاتٍ ودرجاتٍ وطبقاتٍ ومنازل ، يتفاضل المؤمنون فيها عند الله عَزَّجَلْ » (١) .

وفي رواية أخرى عنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : «إِنَّ الله عَزَّجَلْ وضع الإيمان على سبعة أسهم : على البرّ والصدق واليقين والرضا والوفاء والعلم والحلم ، ثمّ قسّم ذلك بين الناس ، فمن كمل فيه هذه السبعة الأسهم فهو الكامل» (٢) الخبر .

والأخبار من هذا القبيل لا سيّما المصرّحات بوجوب التّعبد على نهج ما أمر الله عَزَّجَلْ ممّا لا تحصى ، وقد مرّ بعضها في فاتحة هذا الكتاب وغيرها ، وسيأتي كثير منها خصوصاً في المقالة الآتية ، وكفى هذا لمن أراد تحقيق الحقّ من أرباب البصيرة ، والمعاند لا يفيدته التطويل أيضاً ، والله يهدي من يشاء إلى صراطٍ مستقيم .

المقالة الثانية :

في بيان ما يلزم من سابقه من وجوب معرفة طريق التّعبد ، ولزوم تعلّم أوامر الله تعالى ونواهيه ، وذكر جملة من تلك الأشياء التي لا بدّ من معرفتها وتعلّمها .
لا يخفى أنّه بعدما تبين ما ذكرناه في المقالة السابقة من وجوب عبادة الله وطاعته بنحو ما مرّ ، أي : على وفق أمره وإرادته لا غير ، لا يبقى لأحدٍ شكٌّ في وجوب تحصيل العلم بما يتعلّق بالعبادة والطاعة ، ولزوم معرفة

(١) الكافي ٢ : ٢٨ - ٣٢ / ١ و ٢ و ٧ (باب في أنّ الإيمان مبثوث لجوارح البدن كلّها) نقله بتصريف .

(٢) الكافي ٢ : ٣٥ / ١ (باب درجات الإيمان) ، وباختلاف يسير في الخصال : ٣٥٤ / ٣٥ .

طريق التعبد وما يتوقف عليه بالتعلم والتحقيق ، أي : يجب على المكلفين تشخيص ما أَرَادَهُ اللهُ منهم وأمر به ، وما كرهه لهم ونهى عنه مع شرائطهما وآدابهما وحدودهما ، وسائر ما يتعلّق بذلك من الأشياء التي لا بدّ من معرفتها على ما هي عليه عند الله وفي نفس الأمر ، بحيث يتميّز بعضها عن بعضٍ ، ويتبيّن أنّها على ما هي عليه عند الله ، أي : على وفق إرادته وكرهته ؛ ضرورة لزوم تشخيص ما كلف به على وفق إرادة المكلف الأمر ، حتّى لا يشتبه عليهم المأمور به بالمنهيّ عنه ، ولا الحقّ بالباطل ، والصواب بالخطأ ، وما أَرَادَ اللهُ بما لم يردّه ، فيكونوا على يقين في الأمر وبصيرة في الدين ، غير جاهلين بما هو سلوك نصح إطاعة ربّ العالمين ، وأن لا يقولوا على الله إلّا الحقّ ؛ ضرورة أنّ هذا هو مناط الفرق بين الحقّ والمبطل ، والمؤمن والكافر ، كما ينادي به قوله تعالى : ﴿ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ﴾ (١) .

نعم ، يتفاوت هذا التكليف بحسب قوّة فهم المكلف وضعفه ، وغموض المسألة ووضوحها ، ونحو ذلك على ما سيظهر . وهذا الذي ذكرناه كلّه مع كونه واضحاً في نفسه ، ويبيّن اللزوم بعد بيان ما سبق عليه ، يدلّ عليه كثير من الآيات والروايات ، إلّا أنّنا لا نذكر هاهنا إلّا قليلاً منها حيث تقدّمت سابقاً وتأتي لاحقاً جملة متظافرة منها ، يعرفها من يتفحص لها ، مع أنّ وضوح المسألة لا حاجة فيها إلى الاستدلال .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٢) .

(١) سورة يونس ١٠ : ٣٢ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ١٢٢ .

وقال الله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) .

وقال : ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ ^(٢) .

وقال : ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ ^(٣) .

وقال : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ ^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(٥) .

وقال سبحانه و عزَّجَل : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٦) .

وقال عزَّ من قائل : ﴿ يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ ^(٧) .

وقال عزَّجَل : ﴿ وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^(٨) .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٩) والجزء الأخير قد ورد في مواضع كثيرة ^(١٠) .

(١) سورة النحل ١٦ : ٤٣ .

(٢) سورة طه ٢٠ : ١١٤ .

(٣) سورة الزمر ٣٩ : ١٨ .

(٤) سورة الأنفال ٨ : ٢٤ .

(٥) سورة فاطر ٣٥ : ٢٨ .

(٦) سورة الزمر ٣٩ : ٩ .

(٧) سورة المجادلة ٥٨ : ١١ .

(٨) سورة القمر ٥٤ : ١٧ .

(٩) سورة الأعراف ٧ : ٣٣ .

(١٠) سورة البقرة ٢ : ١٦٩ ، سورة الأعراف ٧ : ٣٣ ، سورة الأعراف ٧ : ٢٨ ، سورة يونس ١٠ : ٦٨ .

وقال عَجَّلَ : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿ (١) .

وقال عَجَّلَ : ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ ﴾ ﴿ (٢) .

وقال عَجَّلَ : ﴿ وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ ﴿ (٣) .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾ ﴿ (٤) .

وقال عَجَّلَ : ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ﴿ (٥) .

وقال عَجَّلَ : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾ ﴿ (٦) .

وقال سبحانه : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ (٧) .

وأمثالها كثيرة سوى ما مرَّ ويأتي ، لا سيَّما في المقالات التالية .

وقد قال رسول الله ﷺ . فيما نقل عنه المخالف والمؤلف متواتراً : « طلب العلم فريضة على كلِّ مسلم » ﴿ (٨) .

(١) سورة الأنفال ٨ : ٢٠ - ٢٢ .

(٢) سورة الأنعام ٦ : ١١٩ .

(٣) سورة الحج ٢٢ : ٣ و ٨ ، سورة لقمان ٣١ : ٢٠ .

(٤) سورة القصص ٢٨ : ٥٠ .

(٥) سورة الإسراء ١٧ : ٣٦ .

(٦) سورة الحج ٢٢ : ٧١ .

(٧) سورة الروم ٣٠ : ٥٩ .

(٨) بصائر الدرجات : ٢٢ - ٢٣ / ١ ، ٣ ، الكافي ١ : ٢٣ / ١ ، ٥ (باب فرض العلم . . .) ، دعائم الإسلام ١ : ٨٣ ، كنز الفوائد ٢ : ١٠٧ ، أمالي المفيد : ٢٩ ، أمالي الطوسي : ٥٢١ / ١١٤٨ ، مشكاة الأنوار ١ : ٢٩٩ / ٦٧٥ ، سنن ابن ماجه ١ : ٨١ / ٢٤٤ ، مسند

حتى إنّ في الفردوس : عن ابن عباس عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «طلب العلم أفضل عند الله من الصلاة والصيام والحجّ والجهد في سبيل الله عزّ وجلّ» ^(١) .

وفي صحيح ابن ماجة : «عليكم بهذا العلم قبل أن يُقبض وقبل أن يُرفع ، العالم والمتعلّم شريكان في الأجر ، ولا خير في سائر الناس بعدُ» ^(٢) .

وفي كتاب الخوارزمي والدارقطني : عن أبي هريرة وأبي الدرداء ، قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إنّما العلم بالتعلّم والحلم بالتحلّم» ^(٣) ، الخبر .

وفي تاريخ الرافعي : عن جابر أنّ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال : «سارعوا في طلب العلم ، فالحديث من صادق خير من الدنيا وما عليها» ^(٤) .

وفي كتاب حلية الأولياء : عن عليّ عليه السلام قال : قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «العلم خزائن ومفتاحها السؤال فاسألوا يرحمكم الله» ^(٥) ، الخبر .

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إنّ العمل لا ينفع مع الجهل» ^(٦) .

(وقال : بالعلم يُطاع الربّ ، العمل لا ينفع مع الجهل) ^(٧) .

أبي يعلى ٥ : ٢٢٣ / ٢٨٣٧ ، المعجم الأوسط للطبراني ١ : ٣٨ / ٩ ، ٢ ، ٢ و ٣٤٢ / ٢٠٢٩ ، مسند الشهاب ١ : ١٣٦ / ١٧٤ ، جامع بيان العلم وفضله ١ : ٢٣ / ١٥ و ١٧ و ١٩ ، تاريخ بغداد ٤ : ٢٠٨ ، وفي بعض المصادر زيادة : «مسلمة» .

(١) فردوس الأخبار ٣ : ١٦ / ٣٧٢٣ .

(٢) سنن ابن ماجة ١ : ٨٣ / ٢٢٨ .

(٣) تاريخ بغداد ٩ : ١٢٧ ضمن ترجمة سعد بن زنبور ، رقم ٤٧٤٤ ، علل الدارقطني ٦ : ٢١٩ - ٢٢٠ ، و ١٠ : ٣٢٦ - ٣٢٧ ، وانظر : كنز العمال ١٠ : ٢٣٩ / ٢٩٢٦٦ ، و ٢٤٧ / ٢٩٣١٧ .

(٤) التدوين في أخبار قزوين ١ : ١٨٨ .

(٥) حلية الأولياء ٣ : ١٩٢ .

(٦) جامع بيان العلم وفضله ١ : ٢٠٣ / ٢١٤ ، كنز العمال ١٠ : ١٥٦ / ٢٨٨٠٠ ، وانظر : إحياء العلوم ١ : ٧ ، الجامع الصغير ٢ : ٢٥٩ / ٦١٥٢ .

(٧) لعلّ ما ورد بين القوسين مكرّر .

وقال : «بالعلم يُطاع الربّ ويُعبد ، وبه تُوصل الأرحام ، ويُعرف الحلال والحرام ، العلم إمام ، والعمل تابعه»^(١) الخير .

وفي كتاب الفردوس : عن ابن مسعود قال : قال النبي ﷺ : «عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة»^(٢) . وذكر مثله الرافعي في كتابه عن أبي هريرة عنه ﷺ^(٣) .
وفي صحيح البخاري : عن ابن عباس قال : قال النبي ﷺ : «إنّ أبغض الناس إلى الله تعالى ثلاثة : منهم مُبتغ في الإسلام سنن الجاهليّة»^(٤) .

وقال ﷺ : «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقرّني إلى الله تعالى ، فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم»^(٥) .

وقال : «اطلبوا العلم ولو بالصين»^(٦) .

وفي مستدرک الحاكم ، وغيره : عن أنس قال : قال النبي ﷺ : «إنّ هذا العلم دينٌ ، فانظروا عمّن تأخذوا دينكم»^(٧) .

(١) الأُمالي للطوسي : ٤٨٧ / ١٠٦٩ ، عدّة الداعي : ٦٤ .

(٢) فردوس الأخبار ٣ : ٦٩ / ٣٩١٦ .

(٣) التدوين في أخبار قزوين ١ : ٢٥٧ ، بتفاوت يسير .

(٤) صحيح البخاري ٩ : ٧ بتفاوت يسير .

(٥) المعجم الأوسط ٧ : ٢٠ / ٦٦٣٦ ، حلية الأولياء ٨ : ١٨٨ ، تاريخ بغداد ٦ : ١٠٠ ، الكامل لابن عدي ٢ : ٢٧٣ ، وفيها بتفاوت يسير .

(٦) مصباح الشريعة : ١٣ ، روضة الواعظين : ١١ ، مشكاة الأنوار : ٢٣٩ / ٦٩٠ ، عوالي اللئالي ٤ : ٧٠ / ٣٧ ، بحار الأنوار ٢ : ٣٢ ، تاريخ بغداد ٩ : ٣٦٤ ، الرحلة في طلب الحديث : ٧٢ ، ذكر أخبار إصبهان ٢ : ١٥٦ ، شعب الإيمان ٢ : ٢٥٤ / ١٦٦٣ ، جامع بيان العلم وفضله ١ : ٢٨ / ٢٠ .

(٧) نقله عن الحاكم ، السيوطي في جامع الأحاديث ٢ : ٤٠٤ / ٦٢٥٧ ، ولم نعثَر عليه في المستدرک ، العلل المتناهية ١ : ١٣١ / ١٨٨ ، تاريخ جرجان : ٤٧٣ / ٩٤٤ .

ومن طريق أهل البيت [عليه السلام] عن أبي إسحاق السبيعي^(١)، عَمَّن حَدَّثَهُ قَالَ : قَالَ
 أمير المؤمنين عليه السلام : «اعلموا أنَّ كمال الدين طلب العلم والعمل به ، ألا وإنَّ طلب العلم
 أوجب عليكم من طلب المال ، إنَّ المال مقسوم مضمون لكم ، قد قسّمه عادل بينكم
 وضمّنه ، وسَيَفِي لكم ، والعلم مخزون عند أهله ، وقد أُمِرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»^(٢) .
 وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن آبائه عن النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ : «من عمل على
 غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح»^(٣) .
 وقال : «العامل على غير بصيرة كالسائر على غير الطريق لا يزيده كثرة السير إلّا
 بُعْدًا»^(٤) .

وقال : «عليكم بالتفقه في دين الله ، ولا تكونوا أعراباً ، فإنّه من لم يتفقه في دين الله
 لم ينظر الله إليه يوم القيامة ، ولم يَزَكْ له عملاً»^(٥) .

(١) أبو إسحاق السبيعي الهمداني عمرو بن عبد الله بن علي ، عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب أمير المؤمنين
 والإمام الحسن المجتبي عليه السلام ، قال صاحب القاموس : وكان عليه عدّه في أصحاب الحسين عليه السلام . انظر :
 رجال الطوسي : ٦٤ / ٢٤ و ٧١ / ٢ ، قاموس الرجال ١١ : ٢٠٦ ، ترجمه ترجمة مفصلة في كتاب : موسوعة
 أمير المؤمنين عليه السلام ١ : ٥٢٠٨ للحسيني .

(٢) الكافي ١ : ٢٣ / ٤ (باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه) ، تحف العقول : ١٩٩ .
 (٣) المحاسن ١ : ٣١٤ / ٦٢١ ، الكافي ١ : ٣٥ / ٣ (باب من عمل بغير علم) ، تحف العقول : ٤٧ .
 (٤) المحاسن ١ : ٣١٥ / ٦٢٢ ، الكافي ١ : ٣٤ / ١ (باب من عمل بغير علم) ، الأمالي للصدوق : ٥٠٧ /
 ٧٠٥ ، الفقيه ٤ : ٤٠١ / ٥٨٦٤ ، تحف العقول : ٣٦٢ ، كنز الفوائد ٢ : ١٠٩ (وفي المصادر : «سرعة
 السير» بدل «كثرة السير») .

(٥) المحاسن ١ : ٣٥٧ / ٧٦٢ ، الكافي ١ : ٢٤ / ٧ (باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه) ، كنز
 الفوائد ٢ : ١٠٩ ، وفي الأخيرين بتفاوت يسير .

وفي رواية أخرى : «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي كِتَابِهِ : ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ﴾
« (١) الآية » (٢) .

وعنه عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال : «وجدت علم الناس كله في أربع : أولها
: أن تعرف ربك ، والثاني : أن تعرف ما صنع بك ، والثالث : أن تعرف ما أراد منك ،
والرابع : أن تعرف ما يخرجك من دينك» (٣) .

وقال صلى الله عليه وآله : « . . . أوحى الله إلى دانيال أن أمقت عبادي إليّ الجاهل المستخفّ
بحقّ أهل العلم التارك للاقتداء بهم» (٤) ، الخبر .

وقال الباقر عليه السلام : «الناس كلّهم بهائم إلا قليل من المؤمنين» (٥) .

أقول : وتصديق ذلك قوله تعالى : ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ
هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٦) .

والأخبار في هذا الباب لا تحصى كثرة ، وقد مرّ ويأتي كثير منها في مواضع عديدة
ولو متفرقة ، حتّى في ذمّ البدعة والعمل بالرأي وأمثال ذلك .

ومن البين الواضح ، كما هو معلوم أنّ هذا التعلّم إنّما ورد لأجل تحصيل العلم بما
يتحقّق به ما مرّ من التّعبد الواجب على المكلف ، وقد

(١) سورة التوبة ٩ : ١٢٢ .

(٢) المحاسن ١ : ٣٥٨ / ٧٦٣ ، الكافي ١ : ٢٣ / ٩ (باب فرض العلم ووجوب طلبه والحثّ عليه) .

(٣) المحاسن ١ : ٣٦٥ / ٧٨٨ ، الكافي ١ : ٤٠ / ١١ (باب النوادر) ، الإرشاد للمفيد ٢ : ٢٠٣ ، الخصال
: ٢٣٩ / ٨٧ ، معاني الأخبار : ٣٩٤ / ٤٩ . الأمايلي للشيخ الطوسي : ٥٨١ ، وفي المصادر عن أبي عبد الله
عليه السلام .

(٤) الكافي ١ : ٢٧ / ٥ (باب ثواب العالم والمتعلّم) ، منية المريد : ١١١ ، وفيهما عن عليّ بن الحسين عليهما السلام .

(٥) الكافي ٢ : ١٨٩ / ٢ (باب في قلّة عدد المؤمنين) .

(٦) سورة الفرقان ٢٥ : ٤٤ .

تبيّن أنّ التعبد المذكور لا بدّ أن لا يكون إلّا على وفق أمر الله وإرادته ، فلا محالة يكون المراد حينئذٍ بالعلم المتعلّق به ، الذي ظهر وجوب تحصيله بالتعلّم ، لتشخيص ما أَراده الله من العباد وأمرهم به ، وما كرهه لهم ونهى عنه ، وظاهر أنّ ذلك على أنواع ؛ إذ منها : ما يتعلّق بأصناف المكلفين ، وعلائم أهل الحقّ والمبطلين ، وأوصاف الحُجج في الدين .
ومنها : ما يتعلّق بمعرفة الله وتوحيده ، كتعلّم ما هو من خصائص ذاته وصفاته وأفعاله ، وسائر ما هو من هذا النوع .

ومنها : ما يتعلّق بأفعال العباد وما أمرهم الله به أو نهاهم عنه ، كتعلّم العبادات والمعاملات والأحكام والأخلاق ، وسائر ما هو من هذا النوع .
ومنها : ما يتعلّق بأحوال المعاد ، والحشر ، والحساب ، والثواب ، والعقاب ، وسائر ما هو من هذا النوع .

فعلى هذا ، لا بدّ من معرفة هذه الأشياء كلّها على ما هي عليه عند الله سبحانه وفي نفس الأمر ، حتّى يمكن الإتيان بحقّ تعبده الذي أوجبه ، وذلك إنّما يكون بالتعلّم من القابل المتعلّم منه ، العالم بذلك ، لا بالخيالات العقلية والاستحسانات الآرائية ، فلا محالة وجب أولاً تفحص هذا المعلّم العالم من الله سبحانه ، كما سيظهر ظهوراً بيّناً ؛ ولهذا قال عزّ وجلّ : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ ^(١) ولم يكلف أحداً بأمرٍ إلّا بعدما أرسل الرسل ، وأوضح السبيل بعد ذلك ، ثمّ كلف العباد بما كلف كلاً منهم على قدر فهمه ، ووصول إدراكه ، وقوّة عقله ، وجودة ذهنه ولو على التفاوت أيضاً بحسب غموض بعض المعارف ووضوحها ، كما قال سبحانه :

(١) سورة الإسراء ١٧ : ١٥ .

﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾^(١) ؛ ولهذا سيأتي ما يظهر منه كفاية العلم إجمالاً في بعض المواضع ، وبالنسبة إلى بعض الأشخاص .

فظهر أنّ الواجب على كلّ مكلف أن يتفحص أولاً عن المعلّم المذكور ، ثمّ يتعلّم منه ولو بالوسائط كلّ ما له مدخلية في التعبّد والتكليف من الأشياء التي أشرنا إليها ؛ ليصلح تعبّده عند الله عزّ وجلّ ، فيخرج بذلك من عداد أهل الكفر والضلال ، ويدخل في زمرة المؤمنين بالله المتعال ، فمن لم يفعل ذلك لم يكن كذلك ، والله الهادي .

المقالة الثالثة :

في بيان ما يلزم أيضاً من السابق عليه من وجوب التعليم ، ولزوم وجود المعلّم المرشد إلى تلك الأشياء التي وقع التكليف بها ، ولزوم تعلّمها ما دون التكليف ووجوب التعلّم .
إعلم أنّه لما ثبت ممّا تقدّم وجوب التعبّد المذكور سابقاً ، واستلزامه لزوم التعلّم ووجوب تحصيل معرفة ما كلف به على ما هو عليه عند الله عزّ وجلّ ، فلا يبقى حينئذٍ مجال شكٍّ أصلاً في استلزام ذلك لزوم التعليم ووجود المعلّم المرشد ؛ ضرورة امتناع التعلّم بدون التعليم الذي لا يتحقّق إلّا بالمعلّم .

فظهر أن لا بدّ في مدّة التكليف وما دام وجوب التعلّم من وجود المعلّم الذي يرشد إلى تلك الأشياء التي وقع التكليف بها على وفق ما وقع به التكليف ، وطبق ما هي عليه عند الله سبحانه ؛ لما تقدّم من أنّ المقصود تلك المعرفة الخاصّة ؛ لئلاّ يعتقدوا بالمكروه عند الله أنّه مأمور به ،

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٨٦ .

وبالمأمور به أنه مكروه ، ولا يزعموا الصواب خطأ والخطأ صواباً ، ونحو ذلك مما هو مناط الفرق بين المسلم وغيره ، والمحقق والمبطل ؛ إذ ما من فرقة إلا ولهم عقائد وأفعال يزعمون صحتها ويتدينون بها .

ومعلوم أنها بأجمعها ليست بحق واجب القبول ، ولا صحيح جاء التعبد به ، بل فيها الباطل الذي تجب مخالفته والكفر به ، ولا يكفي في التمييز الاعتماد على محض إدراك العقل وترجيح الرأي ؛ لأن ذلك هو أصل سبب الاختلاف المذكور ، كما هو ظاهر ، ومرّ توضيحه أيضاً ، فلو لم يكن حينئذٍ عالم ربّاني مفرّق بين صحيحها وسقيمها ، مرشد لمن مرّ وجوب التعلّم عليه ، لزم التكليف بما لا يطاق ، المنفي بالضرورة الدينيّة ، وهذا مع كونه واضحاً في نفسه وبيّناً ، ما ينادي به من أطراد تعيين الأنبياء والأوصياء من بدء الخلقة ، يدلّ عليه صريحاً ما مرّ سابقاً ، وما سيأتي في المقالات الآتية من الآيات وغيرها ، ونذكر هاهنا أيضاً بعض ما يناسب ذكره لزيادة التوضيح :

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلْيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ ﴾ ﴿١﴾ ، الآية .

وقال سبحانه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ ﴿٢﴾ .

وقال : ﴿ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

وقال : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا ﴾ ﴿٤﴾ .

(١) سورة التوبة ٩ : ١٢٢ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٨٧ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ١٤٦ .

(٤) سورة فصلت ٤١ : ٣٣ .

وقال : ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَن تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ .^(١)

وقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ ﴾ .^(٢)

وقال : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾ .^(٣)

وقال : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ .^(٤)

وقال : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ .^(٥) وستأتي الآيات الصريحة المفصلة .

وقال أبو عبدالله الصادق عليه السلام : «قرأت في كتاب علي عليه السلام : إن الله لم يأخذ على الجُّهال عهداً بطلب العلم حتى أخذ على العلماء عهداً ببذل العلم للجُّهال»^(٦) ، الخبر .

وقال الباقر عليه السلام : «زكاة العلم أن تُعلِّمه عباد الله»^(٧) .

وقيل له : ما حق الله على العباد؟ قال : «أن يقولوا ما يعلمون ، ويقفوا عندما لا يعلمون»^(٨) .

وعنه عليه السلام قال : قال النبي ﷺ : «رحم الله عبداً أحيا العلم» ، قيل :

(١) سورة البقرة ٢ : ٣٨ .

(٢) سورة النساء ٤ : ٨٣ .

(٣) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٩ .

(٤) سورة الإسراء ١٧ : ١٥ .

(٥) سورة آل عمران ٣ : ١٠٤ .

(٦) الكافي ١ : ٣٢ / ١ (باب بذل العلم) .

(٧) الكافي ١ : ٣٣ / ٣ (باب بذل العلم) .

(٨) الكافي ١ : ٣٤ / ٧ (باب النهي عن القول بغير علم) .

وما إحياءه؟ قال : «أن يذكر به أهل الدين وأهل الورع»^(١) .
وقال ﷺ : «إن الله عز وجل يقول : تذاكر العلم بين عبادي مما تحيى عليه القلوب الميتة إذا هم انتهوا فيه إلى أمري»^(٢) .
وقال : قال ﷺ : «تذكروا وتلاقوا وتحديثوا ، فإن الحديث جلاء للقلوب»^(٣) ،
الخير .

وقال علي بن أبي طالب : «تذاكر العلم دراسة ، والدراسة صلاة حسنة»^(٤) .
وقال علي بن أبي طالب : «عالم ينتفع بعلمه أفضل من سبعين ألف عابد»^(٥) .
وبأسانيد عديدة أن النبي ﷺ قال : «لا خير في العيش إلا لرجلين : عالم مطاع ،
ومستمع واع»^(٦) .
وفي صحيح الترمذي وغيره : عن النبي ﷺ قال : «إن الله وملائكته وأهل
السموات والأرضين حتى النملة في جحرها يصلون على معلم الناس الخير»^(٧) .

-
- (١) الكافي ١ : ٣٢ / ٧ (باب سؤال العالم وتذاكره) ، منية المريد : ١٦٩ ، وفيهما عن الباقر عليه السلام .
(٢) الكافي ١ : ٣٢ / ٦ (باب سؤال العالم وتذاكره) ، منية المريد : ١٦٩ ، في النسخة : تنبّهوا ، و ما أثبتناه
من المصدر .
(٣) الكافي ١ : ٣٢ / ٨ (باب سؤال العالم وتذاكره) .
(٤) الكافي ١ : ٣٢ / ٩ (باب سؤال العالم وتذاكره) ، منية المريد : ١٦٩ . ١٧٠ .
(٥) الكافي ١ : ٢٥ / ٨ (باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء) ، تحف العقول : ٢٩٤ ، كنز الفوائد ٢ :
١٠٩ .
(٦) الكافي ١ : ٢٥ / ٧ (باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء) ، الخصال : ٤٠ / ٢٨ ، كنز الفوائد ١ :
٥٥ ، معدن الجواهر ورياضة الخواطر : ٢٥ .
(٧) سنن الترمذي ٥ : ٥٠ / ٢٦٨٥ ، المعجم الكبير ٨ : ٢٧٨ / ٧٩١٢ ، جامع بيان العلم ١ : ١٧٤ /
٨٣ ، مجمع الزوائد ١ : ١٢٤ ، الجامع الصغير ٢ : ٢١٣ / ٥٨٥٩ ، في بعض المصادر بتفاوت .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بعض خطبه المشهورة : «بلى ، لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة^(١) ، إمّا ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً مغموراً ، لئلا تبطل حجج الله وبيّاناته» إلى أن قال عليه السلام : «يحفظ الله بهم حججه وبيّاناته ، حتّى يُودّعوها نظراءهم ، ويزرعوها في قلوب أشباههم»^(٢) ، الخطبة .

وفي الأخبار الصحيحة المستفيضة عن الأئمة المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين : «إنّ الأرض لا تخلو من أن تكون فيها حجة عالم ، إنّ الأرض لا يصلحها إلّا ذلك ، ولا يصلح التّاس إلّا ذلك»^(٣) .

وقال أبو عبد الله الحسين عليه السلام في حديث له : «ولولا من على الأرض من حجج الله لنقضت^(٤) الأرض ما فيها ، وألقت ما عليها ، إنّ الأرض لا تخلو ساعةً من الحجة»^(٥) . وقال الباقر عليه السلام فيما رواه عنه جماعة : «إنّ الأرض لا تخلو إلّا وفيها عالم حجة ، فإن زاد الناس ، قال : قد زادوا ، وإن نقصوا ، قال : قد نقصوا»^(٦) ، الخبر .

وقال الصادق عليه السلام في روايات : «لم يترك الله الأرض بغير عالم يحتاج إليه الناس ، ولا يحتاج إليهم يعلم الحلال والحرام»^(٧) ، الخبر .

وعن الأعمش عنه عليه السلام ، قال : «ولم تخل الأرض منذ خلق الله آدم

(١) في «س» و«ل» : «بحجته» بدل «بحجة» .

(٢) نخب البلاغة : ٤٩٧ الحكم ١٤٧ ، تحف العقول : ١٧٠ - ١٧١ .

(٣) المحاسن ١ : ٣٦٦ / ٧٩٣ ، بصائر الدرجات : ٥٠٥ / ٩ ، كمال الدين : ٢٠٣ / ٧ ، وفيها بتفاوت يسير .

(٤) في «س» و«ل» : «لنقضت» بدل : «لنقضت» .

(٥) كمال الدين : ٢٠٢ / ٤ .

(٦) بصائر الدرجات : ٣٥٢ / ٩ ، كمال الدين : ٢٢٨ / ٢١ .

(٧) المحاسن ١ : ٣٦٦ / ٧٩٤ ، كمال الدين : ٢٢٤ / ١٨ .

من حجة فيها ظاهر مشهور ، أو خائف مغمور ، ولا تخلو إلى أن تقوم الساعة من حجة الله فيها ، ولولا ذلك لم يعبد الله» ، فقليل له : وكيف ينتفع الناس بالحجة الغائب المستور ؟ قال عائشة : «كما ينتفعون بالشمس إذا سترها السحاب»^(١) .

والأخبار من هذا القبيل عن النبي ﷺ ، وعن سائر الأئمة عليهم السلام كثيرة جداً : منها : ما ذكره أبو رافع^(٢) عن النبي ﷺ ، قال في حديث له : «إن جبرئيل نزل عليّ بكتاب فيه خبر ملوك الأرض ، وخبر بعث من بُعث قبلي من الأنبياء والرسل» إلى أن قال : «إن الأرض لا تخلو من حجة لله نبي أو وصي»^(٣) ، الخبر . وفي حلية الأولياء ، وغيره : عن أبي هريرة ، قال : قال النبي ﷺ : «إن لله^(٤) تعالى عند كل بدعة كيد بما الإسلام وأهله ولياً صالحاً»^(٥) .

(١) انظر كمال الدين : ٢٠٧ / ٢٢ .

(٢) اسمه أسلم ، أو إبراهيم ، يكنى أبا رافع ، ثقة ، ومن خيار الشيعة ، كان للعباس بن عبدالمطلب ﷺ فوهبه للنبي ﷺ ، فلما بشر النبي ﷺ بإسلام العباس أعتقه ، شهد مع رسول ﷺ مشاهدته ، ولزم أمير المؤمنين ﷺ من بعده ، وكان صاحب بيت ماله بالكوفة ، وله كتب منها : كتاب السنن والأحكام .

انظر : رجال النجاشي : ٤ / ١ ، وخلاصة الأقوال : ٤٧ / ٢ ، وتنقيح المقال ١ : ٩ / ٣٨ .

(٣) كمال الدين : ٢٢٤ / ٢٠ .

(٤) في النسخ : «الله» ، والصحيح ما أثبتناه من المصدر .

(٥) انظر : حلية الأولياء ١٠ : ٤٠٠ ، وحكى نصّه عنه السيوطي في جامع الأحاديث ٢ : ٣٨١ / ٦١٠٥ ، وكذا في طبقات المحدثين لأبي الشيخ الأنصاري ٣ : ٢٤٥-٢٤٦ ، وفردوس الأخبار ١ : ٢٣٠ / ٦٩٥ ، والفتح الكبير ١ : ٤٠٩ .

وفي رواية زيادة قوله : «من أهل بيتي يذبّ عنه ويتكلّم بعلاماته»^(١) الخبر .
وفي كتاب الخوارزمي وغيره : عن عليّ عليه السلام وغيره ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «ألا أدلّكم على الخلفاء مّيّ ومن أصحابي ومن الأنبياء قبلي؟» ، وفي رواية أخرى : «رحم الله خلفائي» ، فقيل : من هم يا رسول الله؟ فقال : «هم حملة القرآن والأحاديث عتيّ وعنهم في الله والله» .^(٢)

وفي رواية أخرى : «هم الذين يحيون سنّي ويعلمونها عباد الله»^(٣) .
وفي الحلية : عن ابن عباس ، قال : قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «من أدّى إلى أمّتي حديثاً لتقام به سنّة ، أو تثلم به بدعة فهو في الجنّة»^(٤) .
وقال لعليّ عليه السلام : «لأن يهدي الله تعالى بك رجلاً واحداً خير لك من الدنيا وما فيها»^(٥) .

وروى جماعة كثيرة من المؤلف والمخالف بأسانيد عن النبيّ صلى الله عليه وآله : أنّه قال : «من حفظ على أمّتي أربعين حديثاً بعثه الله يوم القيامة فقيهاً عالماً»^(٦) .

-
- (١) انظر : المحاسن ١ : ٣٢٩ / ٦٦٩ ، والكافي ١ : ٤٤ / ٥ (باب البدع والرأي والمقائيس) ، وبحار الأنوار ٢ : ٣١٥ / ٧٩ .
(٢) انظر الروايتين في : شرف أصحاب الحديث : ٣٢ ، تاريخ جرجان : ٣٧٢ / ٦٢٢ ، ذكر أخبار إصبهان ٢ : ١٣٤ ، ذمّ الكلام : ١٧٩ .
(٣) منية المريد : ١٠١ . ١٠٢ ، جامع بيان العلم وفضله ١ : ٢٠٧ / ٢٢٠ ، إحياء علوم الدين ١ : ١١ ذمّ الكلام : ١٧٩ .
(٤) حلية الأولياء ١٠ : ٤٤ ، بتفاوت يسير .
(٥) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفيّ ٢ : ٥٠٧ / ١٠٠٧ ، الكافي ٥ : ٢٨ / ٤ (وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله . . .
(٦) صحيفة الرضا عليه السلام : ٢٢٦ ، الأربعون حديثاً في حقوق الأخوان لابن زهرة الحلبيّ : ٤٠ ، الأربعون حديثاً للشهيد الأوّل : ١٩ ، الأربعون الصغرى للبيهقيّ : ٢٢ ، شرف أصحاب الحديث : ١٩ ، جامع الأحاديث ٧ : ١٩٦ / ٢١٨٤٧ وفيها مع زيادة .

وفي رواية : «كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة»^(١) .

وفي صحاح مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم : عن النبي ﷺ قال : «من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه»^(٢) .

وهو مروي عن أهل البيت عليه السلام أيضاً ، وفي آخره : «فتعلموا العلم من حملة العلم ، وعلموه إخوانكم»^(٣) .

وقال ﷺ : «ما تصدق الناس بصدقة مثل علم ينشر»^(٤) .

وقال : «أفضل الصدقة أن يتعلم المرء علماً ثم يعلمه أخاه»^(٥) .

وقال : «الناس رجلان : عالم رباني ، ومتعلم على سبيل نجاة ، وسائر الناس همج رعاع (لا خير فيهم) أتباع كل ناعق»^(٦) .

(١) كتاب الأربعين البلدانية لابن عساكر : ٤٠ ، جامع الأحاديث ٧ : ١٩٦ / ٢١٨٤٦ ، وفيهما بتفاوت يسير وبتقديم وتأخير .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٠٦٠ / ٢٦٧٤ ، سنن الترمذي ٥ : ٤٣ / ٢٦٧٤ ، وحكاها السيوطي في الجامع الصغير ٢ : ٥٩٩ / ٨٦٦٣ ، عن النسائي .

(٣) انظر : كتاب سليم بن قيس ٢ : ٩١٠ ، وبصائر الدرجات : ٢٤ / ٩ ، والكافي ١ : ٢٧ / ٢ (باب ثواب العالم والمتعلم) وتنبيه الخواطر ٢ : ١٢٧ ، ومنية المريد ١٠٢ .

(٤) منية المريد : ١٠٥ ، المعجم الكبير ٧ : ٢٨٠ / ٦٩٦٤ ، الترغيب والترهيب ١ : ١١٩ / ٣ ، مجمع الزوائد ١ : ١٦٦ ، جامع الأحاديث ٦ : ٢٥٢ / ١٨٥٤٤ ، وفي بعضها بتفاوت يسير .

(٥) سنن ابن ماجه ١ : ٨٩ / ٢٤٣ ، الترغيب والترهيب ١ : ٩٨ / ٢١ ، الجامع الصغير ١ : ١٩٠ / ١٢٦٢ .

(٦) كمال الدين : ٢٩٠ / ٢ ، الخصال ١٨٦ / ٢٥٧ ، تحف العقول : ١٦٩ ، الأمالي للمفيد : ٢٤٧ / ٣ ، خصائص الأئمة للرضي : ١٠٥ ، نهج البلاغة : ٤٩٦ ، حكمة ١٤٧ ، الأمالي للطوسي : ٢٠ / ٢٣ ، المناقب للخوارزمي : ٣٦٥ / ٣٨٣ ، وفيها : «الناس ثلاثة : عالم رباني . . .» ، كشف اليقين : ١٨٤ .

وبأسانيد كثيرة أنّ النبي ﷺ قال : «العلماء أمناء الله على خلقه»^(١) ، وفي رواية : «أمناء الرسل ، ومصاييح الأرض»^(٢) .

وقال ﷺ : «قال الله تعالى لموسى عليه السلام ، أعظم الحكمة ؛ فإني لا أجعلها في قلب أحدٍ إلّا وأردتُ أن أغفر له ، فتعلّمها ثمّ اعمل بها ، ثمّ ابذلها كيّ تنال بذلك كرامتي»^(٣) .
وقال عيسى عليه السلام : «من علم و عمل و علّم دُعي عظيماً في ملكوت السماء»^(٤) .
وروى جماعة . من المخالف والمؤلف بأسانيد عديدة وعبارات متعدّدة . عن النبي ﷺ وأهل بيته عليه السلام : «إنّ العالم التارك لعلمه هالك»^(٥) ، «وإنّ الذي لا يحبّ أن يؤخذ منه العلم في النار»^(٦) ، «وإنّ من كتم علمه من غير خوف ومصلحة وتيّة ألجم يوم القيامة بلجام من نار»^(٧) .

والأخبار من هذا القبيل كثيرة تأتي فيما بعُد جملة منها مفصّلة ، والله الهادي .

-
- (١) شهاب الأخبار : ٤٠ / ١٠٢ ، مسند الشهاب ١ : ١٠٠ / ١١٥ ، تاريخ مدينة دمشق ١٤ : ٢٦٧ ، الجامع لأحكام القرآن ٤ : ٤١ ، جامع الأحاديث ٥ : ٢٢٨ / ١٤٥٣٠ .
(٢) جامع الأحاديث ٥ : ٢٢٨ / ١٤٥٢٩ ، و ١٤٥٣٤ .
(٣) منية المريد : ١٢٠ ، التفسير الكبير للرازي ٢ : ١٨٨ .
(٤) الزهد لأحمد بن حنبل : ٩٩ / ٣٣٠ ، جامع بيان العلم وفضله ١ : ٦٩٠ / ١٢١٦ ، حلية الأولياء ٦ : ٩٣ ، إحياء علوم الدين ١ : ١٠ (تفاوت يسير فيها) .
(٥) انظر : الكافي ١ : ٣٥ / ١ (باب استعمال العلم) ، والخصال : ٥١ / ٦٣ ، ومنية المريد : ١٤٦ .
(٦) انظر : الخصال ٢ : ٣٥٢ / ٣٣ ، ومنية المريد : ١٣٩ ، وإحياء علوم الدين ١ : ٦٢ .
(٧) انظر : ذكر أخبار اصبهان ١ : ١١٥ ، والكمال لابن عدي ٥ : ١٤٢ ، وتاريخ بغداد ١٤ : ٣٢٤ / ٧٦٤٧ .

المقالة الرابعة :

في بيان ما هو من لوازم سابقه أيضاً من لزوم كون المعلم عالماً بما يحتاج إليه المتعلم وكُلِّف به على ما هو عليه عند الله ، علماً بيناً ثابتاً غير متزلزل ، لا يتطرق إليه الغلط ، ولا يحتمل الخطأ والاشتباه .

لا يخفى أنّ من البينات الواضحة أنّ الجاهل بالشئ ليس بقابل لأن يُتعلّم ذلك الشئ منه ، بل لا يمكنه تعليمه ، فيجب بالضرورة أن يكون المعلم لشئ عالماً به ، ولا شك أنّ أصل حقيقة مفهوم العلم هو الاعتقاد الجازم المطابق للواقع ، فالعالم بالشئ حقيقة إنّما هو الجازم به جزماً موافقاً لما هو عليه في نفس الأمر ، ضرورة صدق نفي العلم عن الظان به ، والمخطئ فيه دون مثل هذا العالم ، فاليقين ببراء الذمة إنّما يكون فيما إذا كان المتعلم من مثل هذا المعلم .

وقد تبين ممّا تقدّم وجوب التعبد على وفق أمر الله تعالى وإرادته ، وأنّ ذلك موجب للتعلّم والتعليم ووجود المعلم ، فلا محالة لا بُدّ أن يكون هذا المعلم عارفاً بما كلف الله العباد به على سبيل العلم والقطع الذي لا يحتمل الخطأ ؛ ليحصل حينئذٍ اليقين ببراء الذمة من العمل بما أخذ منه .

هذا ، مع ما مرّ سابقاً . لا سيّما في الفصل الثاني من الباب الرابع من المقدمة . من عدم جواز الاعتماد على الآراء والظنون الحاصلة من الخيالات العقلية وأمثالها ، بل بطلان التعبد والتدين بها ، فيأذن لا مجال للشكّ في لزوم كون هذا المعلم كاملاً بحسب الكيفية والكميّة ؛ بحيث لا يكون شيء من فتواه ولو في مسألة واحدة على غير نهج العلم القطعي بكونه حكم الله في حقّه .

وحيث تبين سابقاً ما هو ظاهر في نفسه أيضاً ؛ من دوام التكليف

بالتعبّد المذكور ، ووجوب التعلّم والتعليم ، ووجود المعلّم ما دام هذا التكليف ، ظهر أن لا بُدّ في كلّ زمان طول بقاء التكليف من عالم ربّانيّ يعلم جميع ما يحتاج إليه العباد من المسائل الدينيّة علماً ثابتاً لا يحتمل فيه الخطأ والزلل ؛ بحيث لا يعجز عن حقّ المقال عند كلّ سؤال ، ولا يتشبّث بشيء من نحو الرأي والظنّ والخيال في حال من الأحوال .

وكفى في هذا شاهداً ما مرّ ويأتي مفصّلاً من جريان عادة الله تعالى من بدء خلق عباده بأن خلق هدايتهم رجالاً اصطفاهم بكمال العلم وقام الكمال على هذا النهج الذي بيّنّا أنّه من شروط المعلّم ، فجعل بعضهم الأنبياء ، وبعضاً منهم الأوصياء ، وعلم كلّ منهم من لدنه ما تحتاج إليه رعيّته ؛ بحيث لم يحتج أحد منهم برأي ظنّيّ ، ولا خيال عقليّ ، كما ظهر ممّا مرّ في الفصل المذكور وغيره ، ويتّضح فيما بعد أيضاً حقّ الاتّضاح ، حتّى أنّه جعل أوّل من خلق من المكلفين آدم عليه السلام . الذي هو أوّل المعلّمين . ليشير إلى أنّه لم يترك زماناً خالياً من عالم ربّانيّ موصوف بما قلناه ، كما هو صريح ما مرّ (١) في المقالة السابقة من كلام أمير المؤمنين عليه السلام وغيره ، ويتبيّن واضحاً فيما يأتي من أحوال الأئمّة الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين ، فلولا أنّه لم يجز عند الله ترك الناس وآرائهم وما يدركونه بعقولهم ، أو أخذهم شيئاً من أمر الدين من الذي لم يعلمه من الله تعالى ، بل اتّخذ من الرأي والظنّ دون اليقين ، لما قرّر لكلّ قوم هادياً من المعلومين ، ولما ألزم الناس بمتابعة أولئك المذكورين ، ولما طعن على أهل الظنّ والخرص والتخمين ، ولما عدّهم في مواضع عديدة من

(١) راجع ص ٣٥ .

الجاهلين .

وهذا الذي ذكرناه كله واضح على كل بصير أمعن النظر ، ومن أراد زيادة الكشف فعليه بالرجوع إلى ما سبق ، لاسيما الفصل الذي أشرنا إليه آنفاً مع ملاحظة ما سيأتي ، لاسيما في بيان علوم النبي والأئمة الاثني عشر صلى الله عليهم أجمعين ، ومع هذا نذكر هاهنا أيضاً نبذاً مما يفيد لزوم التمسك بالأعلم والأهدى ، وذم توقع الهداية من الأعمى عن طرق الهدى .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّنْ يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢).

وقال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ ﴾ (٣).

وقال : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴾ (٤).

وقال : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥).

وقال : ﴿ أَفَمَنْ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ (٦).

(١) سورة يونس ١٠ : ٣٥ .

(٢) سورة الملك ٦٧ : ٢٢ .

(٣) سورة الرعد ١٣ : ١٦ .

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ١٩ - ٢٢ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ٩ .

(٦) سورة آل عمران ٣ : ١٦٢ .

وقال : ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ (١) .

وقال : ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ﴾ إلى قوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (٢) .

وقال سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴾ (٣) .

وقال تعالى : ﴿ أَوْ مَنْ كَانَ مِثْنًا فَأَخْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا ﴾ (٤) .

وقال كراراً : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ وَإِنْ كَثِيرًا لِيُضِلُّوا بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ﴾ (٦) .

وقال : ﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ ﴾ (٧) ، الآية . وأمثالها كثيرة جداً .

وهي وإن وردت أكثرها في الكفار ولكن شمولها لكل من يفتي

(١) سورة الزمر ٣٩ : ٢٢ .

(٢) سورة النحل ١٦ : ٧٦ .

(٣) سورة محمد ٤٧ : ١٤ .

(٤) سورة الأنعام ٦ : ١٢٢ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ١٤٤ ، وسورة الأعراف ٧ : ٣٧ ، وسورة يونس ١٠ : ١٧ ، وسورة الكهف ١٨ : ١٥ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ١١٩ .

(٧) سورة النحل ١٦ : ١١٦ .

بشيء من غير أن يكون له علم من الله بأنه هو حكم الله واضح ، كما هو شأن عامة فتاوي أصحاب الرأي ، وقد نادى بالشمول المذكور آيات وروايات ذكرناها في مواضع عديدة مما سبق ، لاسيما في الفصل الذي أشرنا إليه ، وفي الحديث الذي ذكرنا فيه تفسير سورة القدر في فاتحة هذا الكتاب ، وكذا يأتي ، لاسيما في المقالات الآتية ، وفصل بيان علوم النبي ﷺ والأئمة عليهم السلام ما ينادي بكون العالم الرباني هو الذي أخذ جميع علومه من الله دون الرأي ، وأن هؤلاء كلهم كانوا كذلك دون غيرهم إلا من أخذ منهم .

ومنه يظهر أن ما استبعده ، بل استحاله بعض المخالفين من وجود عالم كذلك بعد النبي ﷺ لاسيما في كل زمان ؛ لتوجيه وقوعهم في الرأي باطل سخي ؛ لتصريح أكابر علمائهم بأن هؤلاء عليهم السلام كانوا بهذه المثابة ، مع وجود الآثار الكثيرة الصريحة الدالة عليه ، كما ستأتي مفصلة .

نعم ، لما تركهم الناس والتعلم منهم لم يبق لهم إلا التعلم من شيوخهم الذين لم يعلموا من أحكام الله إلا أقل قليل ، فشرعوا في استفتاء هؤلاء ، وهم شرعوا في الاقتداء بالآراء ، حيث لم يجدوا طريق الوصول إلى الأحكام النازلة من السماء ، ولم يتوجهوا إلى أن ذلك عند الأئمة الأوصياء ، فحسبوا أن لا طريق إلى العلم غير ما عندهم ، وشهروا أن لا عالم قابل للتعليم إلا هم ، كما قال رسول الله ﷺ غير مرة ومرة : «اتخذوا رؤساء جهالاً ، فافتوهم بغير علم فضلوا وأضلوا»^(١) ، ولو أنهم تمسكوا أولاً بعتر

(١) كنز الفوائد ٢ : ١٠٧-١٠٨ ، الأمالي للمفيد : ٢٠ / ١ ، التفسير المنسوب للإمام

النبي ﷺ ، وتجسّسوا عمّن هو الوصي ، وامتحانوا علمه بأنواع الامتحان ، لعلّهم أنّ العالم الربّانيّ الذي ذكرناه كان موجوداً في كلّ زمان ، وأنّ الله لم يكلّف عباده إلّا ما وسعهم ، ولكن الناس لا خير فيهم .

وبالجملة : لا بدّ من عالم ربّانيّ ومعلّم حقّاني مرجع لمن وجب عليه تعلّم أمور الدين في كلّ حين ، واصل إليه ما علمه من الله ربّ العالمين ، غير جاهلٍ بما سُئل من أحكام الدين ، وإلّا لما أمكن عبادة الله ولا طاعته على وفق أمره وإرادته ، كما بيّناه وأوضحناه ، فضلاً عمّا مرّ ويأتي من الآيات والروايات الصريحة في ذمّ الاعتماد على غير العالم ، والإفتاء بغير علم ، حتّى أنّ في صحيح أبي داؤد ، والمستدرك للحاكم عن أبي هريرة ، وفي كتاب ابن عساكر ، وغيره : عن عليّ عليه السلام قال : قال رسول ﷺ : «من أفقى بغير علم لعنته ملائكة السماوات والأرض»^(١) ، الخبر .

وقد بيّنا بما لا مزيد عليه أنّ العلم ما هو مأخوذ من الله عزّ وجلّ ، لا كلّ أمر ظنيّ مستفاد من الآراء والأهواء ، وسيأتي في المقالة الآتية توجيه فتاوي بعض العلماء الإماميّة ، ولقد كفى هاهنا ما ذكرناه ؛ لعدم مجال للإنكار عند ملاحظة ما سيأتي مع ما أسلفناه ، والله الهادي .

الحسن العسكري عليه السلام : ٥٣ ، سنن الدارمي ١ : ٧٧ ، صحيح البخاري ١ : ٣٦ ، صحيح مسلم ٤ : ٢٠٥٨ / ٢٦٧٣ .

(١) سنن أبي داؤد ٣ : ٣٢١ / ٣٦٥٧ ، المستدرك للحاكم ١ : ١٠٣ و ١٢٦ ، وفيهما نحوه ، تاريخ مدينة دمشق ٥٢ : ٢٠ ، كمال الدين : ٢٥٧ / ١ ، النوادر للراوندي : ١٥٦ / ٢٣٧ ، الفتح الكبير ٣ : ١٦٧ ، الجامع الصغير ٢ : ٥٧٧ / ٨٤٩١ ، فيض القدير ٦ : ٧٧ / ٨٤٩١ .

المقالة الخامسة :

في بيان ما هو من اللوازم أيضاً من لزوم كون المعلم صدوقاً ، بين الصدق ، موثقاً به في جميع الأقوال والأفعال ، غير مقدوح بالكذب في حال من الأحوال ، وبالجملية : يكون معصوماً من الخطأ والخلل والعتار والزلل .

إعلم أنه من الواضحات البينة أنه لا يحصل العلم بصدق قول صادر من الكاذب ، ولا ممن يحتمل من حاله ذلك بمحض إخباره ؛ ضرورة عدم حصول اليقين بالشيء عند قيام احتمال كونه خلاف الواقع ، وكذا لا يحصل العلم المذكور ولا اليقين بالشيء إذا تطرق إليه احتمال كونه خطأ ولو ناشئاً من التوهم ، فإذا لا محالة حصول العلم واليقين يكون موقوفاً على ثبوت موجب الحكم بالصدق والصحة ، بأن يكون هناك دليل قاطع على كون ذلك القول بخصوصه صدقاً وحققاً ، أو على أنه من شأن قائله أنه لا يكذب ولا يخطئ أبداً ، كالأنبياء مثلاً .

وقد تبين من المقالة السابقة وغيرها لزوم وجود المعلم الذي ذكرناه للمكلفين ، يكون مرجعاً لهم في أمور الدين ، يأخذون عنه ما لا يعلمون ، ويتعلمون منه ما به يتعبدون . فعلى هذا ، لا بد أن يكون ذلك المعلم بحيث لا يحتمل كلامه الكذب ، ولا يتطرق إليه احتمال التوهم والخطأ ، حتى يصح الاعتماد عليه والثوق به ، ويتحقق العلم القطعي بأن تبليغه وإرشاده على وفق أمر الله وإرادته ؛ إذ لولا ذلك لوجب على كل أحد تحقيق حقيقة كل واحد واحد من أقواله من أمر خارج موجب للقطع بذلك ، وهو مما يحكم بديهية العقل بعدم إمكانه ، بل أنه عين الحرج المنفي في الشرع .

ولا يخفى أنّ العلم بوجود هذه الحالة في المعلّم إنّما يحصل عادةً إذا علم منه كمال التقوى والورع ، والاجتناب عن مخالفة الله تعالى من كلّ وجه ؛ بحيث لا يصدر منه ذنب ولا خطيئة ، بل يكون بحيث لا يحتمل فيه ذلك ؛ ضرورة أنّ صدور المخالفة منه . بل تطرّق احتمال ذلك فيه ولو على غير وجه التعمّد وعدم المبالاة . ممّا ينفّث به باب احتمال صدور الكذب والزلل منه في التعليم أيضاً ، وعدم سكّون النفس إلى قبول قوله وثوقاً بمثل ما تطمئنّ إلى قول من لا يجوز عليه شيء من ذلك ، وكأنته لأجل هذا جعل الله أمناءه في الدين كالأنبياء والمرسلين وأوصيائهم الصديقين بهذه المثابة ، كما سيظهر غاية الظهور ، بل سيظهر أنّه عَزَّجَلَ جعلهم بهذه المنزلة في الدرجة القصوى ، بحيث لما صدر من بعض منهم شيء من ترك الأولى عاتبهم بذلك بالمعانة العظمى ، ليظهر عليهم وعلى غيرهم أنّه سبحانه إذا أكمل أحداً بحيث صار عنده في مقام لا يتصوّر في حقّه صدور ما يستحقّ به عذاب النار ، وجب عليه الالتزام بآداب منزلة القرب ودرجة الاعتبار ، بحيث لم يكن يجوز عنده فعل ما يورث العتاب عليه والملام ، وإن لم يكن ممّا عليه الحرام ، بل وإن كان ممّا فيه المصالح المرغوبة ، بل وإن كان بالنسبة إلى غيره من الأمور المطلوبة ، كما قيل : «حسنات الأبرار سيئات المقربين»^(١) ، فتأمل فيه صادقاً حتّى يظهر عليك فساد توهم بعض الجاهلين الذين نزلوا الأنبياء عن مرتبة العصمة ، حتّى أدخلوهم في

(١) كشف الغمّة ٢ : ٢٥٤ ، الأربعون حديثاً للبهائي : ٣١٣ ، بحار الأنوار ٨٩ : ٢٤٢ ، تاريخ بغداد ٤ : ٢٧٧ ، ضمن ترجمة أبي سعيد الخزّاز ، تحت رقم ٢٠٢٥ ، وذكر أنّه كان يقول هذه العبارة ، المقاصد الحسنة : ٢٢٤ / ٤٠٤ ، الشذرة في الأحاديث المشتهرة ١ : ٢٥٤ / ٣٥٧ ، تذكرة الموضوعات : ١٨٨ .

المذنبين ، استناداً إلى بعض المتشابهات التي لم يدركوا ما المراد بها حيث لم يأخذوا من الأئمة الراسخين في العلم تأويلها .

وقد ذكر السيّد المرتضى في كتابه الموسوم بـ «تنزيه الأنبياء» جملة شافية ممّا ورد في بيان المراد بها عن أئمة الهدى ، وسنذكر في مواضع مناسبة من كتابنا هذا نبذاً منها ، ومن أراد التفصيل فليرجع إليه .

وبالجملة : لا مجال للشكّ بعد ملاحظة ما بيّناه هاهنا وفي المقالة السابقة في تحتم كون المعلّم المذكور صحيح العلم دائماً ، صادق القول أبداً ، أي : معصوماً عن زلّة الكذب والفرية رأساً ، وعشرة الخطأ والخيانة مطلقاً ، وكذا لا مجال للشبهة في أنّ المعلّم باتّصافه بهذه الحالة إنّما يحصل عادة بالعلم بكونه منزهاً عمّا ذكرناه من القوادح في عصمته المذكورة .

وهذا ، مع كونه واضحاً بيّن اللزوم كما ظهر ، يدلّ عليه أيضاً ما سيأتي في محلّه ممّا ينادي بعصمة النبي ﷺ والأئمة والأوصياء من آلّه الذين سيظهر أنّهم هم المعلّمون في هذه الأئمة ، حيث لم يخالف أحد من فرق الأئمة في كونهم أعلم الناس وأكملهم وأفضلهم وأصدقهم وأورعهم ، بل كون كلّ واحد منهم بحيث لا نظير له علماً ولا عملاً ، ولا حسباً ولا نسباً ، مع كثرة الآيات والروايات الصريحة الصحيحة والمنقولات عنهم وفي مناقبهم ، حتّى بنقل مخالفينهم ، الواردة كلّها في غزارة علمهم ، وعلوّ فضلهم ، وطهارتهم من الأرجاس والذنوب ، ونزاهتهم من الأدناس والعيوب ، بحيث لم يذكر أحد فيهم شيئاً من الصغائر فضلاً عن الكبائر ، بل هكذا سائر ما نُقل فيهم من الكرامات والمعاجز والمفاخر والفضائل التي تنادي بأنّ حالهم كان فوق مرتبة العصمة التي هي مقصودنا هاهنا .

وكذلك يدلّ عليه ما يظهر من تتبّع ما نقله ثقات الأمم السالفة

وغيرهم ، من أحوال الأنبياء والأوصياء من آدم إلى الخاتم ، وما تبين مما ورد عن الله ورسوله في شأنهم مما ينادي أيضاً بأنهم كانوا جميعاً ولو بالتفاوت متّصفين بكمال العلم والصدق ، والثوق بقولهم ، ممتازين باصطفاء الله إليّهم من بين الخلائق بتركهم مخالفة ربّهم ، منزّهين عن الكذب والخطأ والمسامحة في دينهم ، ونحن وإن تعرّضنا لبعض ذلك فيما مرّ ، ويأتي بعض أيضاً لكن التفصيل في الكتب المصنّفة لذلك .

هذا كلّّه ، مع ما سنذكره من الآيات والروايات الدالّة على الأمر بالتمسك بالصادقين ، وعلى مدحهم ومدح العلماء العاملين ، وذمّ كتمان الحقّ والمغيّرين له والفاسقين ، وأمثال ذلك مما يستفاد منه عدم قابليّة غير من وصفناه بما ذكرناه من العلم والصدق للتعلّم والاعتماد ، فتأمّل فيما ذكرناه صادقاً حتّى تفهم أنّ ما قالت الإماميّة من عصمة الأنبياء والأئمّة والأوصياء ، وكذا علومهم الواصلة إليهم من ربّهم مبنيّ على دلالة هذه الأشياء كلّها بملاحظة بعضها مع بعض واستفادتهم ذلك من الجميع ، بل ومع ادّعاء أئمّتهم المسلمين الصدق في ذلك كما سيأتي مفصّلاً ، بحيث يحصل العلم القطعي بصحّة أصل هذا الأمر الذي ادّعاه الإماميّة الموضّح لما نحن فيه .

ومنه يظهر سقوط إنكار المخالفين ذلك رأساً ، بناءً على عدم ملاحظة جميع ما أشرنا إليه ، بل ومع استدراكهم أنّه ممّا يهدم أساس خلافة خلفائهم ، والاعتماد على أقوال علمائهم ، فافهم .

لا يقال : إذا كان الأمر على ما وصفتم لزم أن يكون المتعلّمون الذين هم الوسائط في إيصال علوم المعلّمين إلى سائر المتعلّمين أيضاً كذلك ، وأنتم ما تقولون به ، بل لم يقل به أحد .

لأننا نقول : الفرق بينهما ظاهر من وجوه تظهر عند التأمل ، وخلاصتها :

أما إجمالاً : فبأن الفرق بينهما على نحو الفرق الذي بين المجتهد وناقلي فتاواه ، فكما أنه لا حاجة إلى تساوي الناقل والمجتهد في جميع الصفات ، فكذا هاهنا .

وأما تفصيلاً : فبأن الواضح الظاهر من هذا المعلم الذي سيوضح عياناً أنه هو حافظ الشريعة الإلهية ، وخازن العلوم الربانية ، ومستودع الأسرار الدينية والأحكام المليية ، أن لا بد أن تكون له قابلية كاملة واستعداد تام ؛ لاستفاضتها من صاحب الشريعة ، وإفاضتها على المحتاجين من الرعية بقدر حاجتهم ، وعلى حسب أهليتهم ، كما هو صريح قول النبي ﷺ :

«نحن نكلم الناس على قدر عقولهم»^(١) .

ولا يخفى أن مثل ذلك إنما يكون في أكمل الناس ذاتاً وصفاتاً ، وأقربهم عند الله منزلةً ، فهو كالكبريت الأحمر في القلة ، بحيث لا يوجد في آلاف من الناس إلا واحد أو اثنان ممن لا يمكن العلم بحاله إلا بدلالة خالقه ، كما هو شأن الأنبياء وأوصيائهم .

وأما نقلة الأخبار والرواة عن المعلم المذكور ، فلا يلزم أن يكونوا بهذه المثابة :

أما أولاً : فلأن الناقل لو لزم فيه ما لزم في المعلم للزم الحرج العظيم من جهات التي منها : أنه يكفي للناس وجود معلم واحد في كل عصر ،

(١) الكافي ١ : ١٨ / ١٥ (كتاب العقل والجهل) ، الأمالي للصدوق : ٥٠٤ / ٦٩٣ ، الأمالي للطوسي : ٤٨١ / ١٠٥٠ ، عوالي اللئالي ٢ : ١٠٣ / ٢٨٤ ، إحياء علوم الدين ١ : ٩٩ ، فردوس الأخبار ١ : ٤٨٣ / ١٦١٤ ، وفيها بتفاوت يسير .

ولا يكفيهم إلا رواية كثيرة ، كما هو ظاهر .

وأما ثانياً : فلأن الناقل إنما هو الحافظ للعبارة ، والحاكي ما سمعه من التعبير ، وذلك لا يستلزم كونه عالماً بتمام إفادة^(١) ذلك الكلام ، فضلاً عن لزوم كمال العلم الذي لا بدّ منه في المعلّم ، كما قال ﷺ : « ربّ حامل فقه ليس بفقيه »^(٢) ، حتّى أنّ الذي يسمع منه الكلام لا لزوم عليه أن يفتش عن كونه صادقاً ، فضلاً عن كونه معصوماً ؛ إذ ربّما أمكنه استفادة صدق ذلك المقال بسائر قرائن الأحوال ، كتعدد الناقلين ، وغيره ممّا قيل في الخبر المحفوف بالقرينة ، وهكذا حال الناقل عن الناقل ، وهلمّ جرّاً .

نعم ، من كان منهم له نباهة في الفهم ، وفقاهة في الدين ، وبصيرة بكلام المعلّم ، بحيث يعرف مواقع خطابه ، ومطارج سؤاله وجوابه ، ويقدر على فهم مراده من ملاحظة بعض كلامه مع بعض ، ويكون مع هذا ثقةً ، ورعاً ، مأموناً عن التجري بالكذب ، والقول بالرأي ، فهذا ممّن ثبت بالضرورة الدينيّة . على وفق ما ورد عن النبيّ والأئمّة عليهم السلام وبقينهم خصوصاً وعموماً ، كما تبين في موضعه . جواز رجوع من لم يمكنه الوصول إلى المعلّم ، ولم تكن له رتبة فهم كلامه إلى مثل هذا الرجل وأخذ معالم دينه منه ، وجواز إفتاء هذا أيضاً ما فهمه ممّا وصل إليه من المعلّم ، لكن على وفق ما وصل منه إليه لا غير ذلك ممّا لم يدخل تحت الواصل من

(١) في حاشية نسخة «م» : إثارة .

(٢) الكافي ١ : ٣٣٢ / ١ (باب ما أمر النبيّ ﷺ بالنصيحة لأئمّة المسلمين واللزوم لجماعتهم ومن هم) ، دعائم الإسلام ١ : ٨٠ ، الخصال ١٤٩ / ١٨٢ ، تحف العقول ٤٢ ، جامع الأحاديث لأبي محمد القمي : ٨٠ ، سنن الدارمي ١ : ٧٥ ، سنن أبي داود ٣ : ٣٢٢ / ٣٦٦٠ ، سنن الترمذي ٥ : ٣٤ / ٢٦٥٦ ، المعجم الكبير ٥ : ١٤٣ / ٤٨٩٠ ، وفي المصادر بتفاوت يسير .

المعلّم ، ومع هذا بعد بذله ما أمكنه وتيسّر له من الجِدّ والجهد في تحقيق كون ذلك كلام المعلّم ومراده وإن لم يعلم كونه كذلك يقيناً ، بل ولو لم يكن مصيباً حقّ الإصابة واقعاً ؛ لأنّ ذلك من باب الرخصة ورفع الحرج عن الناس ، واستخلاصهم من التحير حين لا يمكنهم الوصول إلى المعلّم ، وأخذ الأحكام الواقعيّة منه ، كما مرّ بيان لهذا في الفصل الأخير من الباب الرابع عند ذكر مذهب الإماميّة ومسلّك علمائهم .

وبالجملة : إنّ الواجب على العباد . كما بيّنا آنفاً وسابقاً . أخذ ما يحتاجون إليه من أمور دينهم من المعلّم الذي بيّنا أوصافه ، لا يكون غير ذلك ولا يجوز ، إلّا أنّه لما علم الله تعالى بعلمه الكامل أنّ كلّ أحد لا يتمكّن من الوصول إلى المعلّم ، لاسيّما في كلّ حين ، ولا يقدر على استعلام كلّ شيء منه على اليقين ، لاسيّما في زمن استيلاء دولة الظالمين ، واستخفاء أهل الدين ، فأجاز لأجل ذلك المراجعة حينئذٍ إلى هؤلاء الوسائط المذكورين ، والاكتفاء بما يحصل به نوع من الوثوق بكونه من المعلّمين وإن لم يصل إلى مرتبة اليقين ، تخفيفاً منه للمعدورين ، ودفعاً للزوم الحرج في الدين .

ففي الحقيقة هذا أيضاً نوع من الأخذ من المعلّمين أسقط الله تعالى فيه بعض الشرائط تخفيفاً للمعدورين ، وبيّن لنا خروج هذا عن الضابطة بالنصوص المفيدة لليقين ، بحيث صارت المسألة . كما ذكرنا آنفاً . من ضروريّات الدين ، فتأمّل صادقاً حتّى يتّضح لك توهم من لم يحط علماً بما بيّناه ، فزعم أنّ تجويز الاعتماد على فهم هؤلاء الوسائط مستلزم لجواز العمل بالظنون ولو اضطراراً ، وهو خلاف ما عليه أساس مذهب الإماميّة من عدم جواز الاعتماد على غير ما علم قطعاً وروده من المعلّم المعصوم

الحاكي عن الله عَزَّوَجَلَّ ، ولم يفهم أنَّ هذا التجويز أيضاً ممَّا علم قطعاً وروده من المعلّم المعصوم الحاكي عن الله عَزَّوَجَلَّ ، كما ظهر ممَّا بيّنا أنّه من قبيل رخصة أكل الميتة للمضطرّ ، ونحو ذلك ، حتّى أنّه لو كان ثبت ورود الرخصة بالعمل بالرأي ولو أحياناً كمال الاضطرار مثلاً ، لقلنا به أيضاً ، لكنّه لم يثبت ، بل ثبت خلافه عياناً ، وظهر بطلانه رأساً ، كما مرّ بيانه سابقاً ، فافهم .

وإذ تبين هذا ، فلنذكر حينئذٍ ما وعدناه من ذكر نبذ ممَّا يدلّ على مدح الصادقين ، وأهل العلم العاملين ، وأنّ الاعتماد إنّما هو سائغ عليهم لا على غيرهم ، لاسيّما المذمومين ، ونحو ذلك ممَّا يستفاد منه عدم قابليّة غير من وصفناه للتعلّم والاعتماد .

قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢)

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ (٣) .

وقال سبحانه في حكاية الشيطان ، أنّه قال : ﴿ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ

الْمُخْلِصِينَ ﴾ (٤) .

وأمثال هذه الآيات من المشتملات على حسن حال أصحاب هذه الصفات عديدةٌ

، بل إذا لوحظ بعضها مع بعضٍ لاسيّما التي تضمّنت

(١) سورة التوبة ٩ : ١١٩ .

(٢) سورة فاطر ٣٥ : ٢٨ .

(٣) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣ .

(٤) سورة الحجر ١٥ : ٣٩ و ٤٠ .

توصيف الأنبياء والأوصياء^(١) المنصوصين بأنهم أهل الاصطفاء بهذه الصفات خصوصاً مع ملاحظة بعض ما ورد في تفسيرها ، فرمّا أمكن حينئذ الاستدلال بما على أنّ المراد إظهار نزاهة هؤلاء عن الآثام ، التي هي أصل العصمة ، كما سنشير إلى بعض ذلك في طيّ بيان عصمة النبي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾^(٢) ، فإنّ من سمع حكاية الرجل . وهو بلعم بن باعورا . علم أنّ العلم بدون العصمة لا يحفظ عن الوقوع في الخطأ العظيم .

وقال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾^(٣) .

وقال في حكاية إبراهيم عليه السلام : ﴿ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾^(٤) .

وصدق الظالم على غير المعصوم معلوم ؛ لوجوه تأتي في محلّها ، منها : قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾^(٥) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٦) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٧) .

(١) في «س» و«ل» : «الأولياء» بدل «الأوصياء» .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ١٧٥ .

(٣) سورة هود ١١ : ١١٣ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٥) سورة الطلاق ٦٥ : ١ .

(٦) سورة البقرة ٢ : ٢٢٩ .

(٧) سورة المائدة ٥ : ٤٥ .

وغير المعصوم لا يأمن عن الخطأ في الحكم الذي هو عين تعدي الحد ، بل مطلق المخالفة هو التعدي .

على أن الله تعالى قال : ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ﴾ ^(١) ، وهو شاهد صدق الظالم على صاحب الصغيرة أيضاً .

وقال عَزَّوَجَلَّ لَنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ لَا تُطِيعُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴾ ^(٢) ، فإذا منع النبي ﷺ عن قبول قول الآثم الذي هو يصدر منه الإثم الشامل لكل من لم يكن معصوماً ، فغيره بالطريق الأولى .

وقال عَزَّوَجَلَّ : ﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾ ^(٣) ، وكلّ ذي ذنب مسرف ، كما تدلّ عليه آيات .

منها : قوله حكايةً عن قول المؤمنين : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا ﴾ ^(٤) ، الآية .

ومنها : قوله : ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا ﴾ ^(٥) ، الآية .
وأمثال هذه الآيات كثيرة سوى ما يدلّ على قدح الفاسقين والخائنين ، والكاتمين للحقّ ، والمحرفين ، والمبدلين ، والذين يقولون ما لا يعلمون ، وأمثال ذلك ممّا لا حاجة إلى الإطالة بذكره ، وقد مرّ بعض من ذلك سابقاً

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٣٥ .

(٢) سورة الإنسان ٧٦ : ٢٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢٦ : ١٥١ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ١٤٧ .

(٥) سورة الزمر ٣٩ : ٥٣ .

ويأتي بعضٌ فيما بُعدٌ ، فلا تغفل .

ولقد كفى شاهداً قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴾ * وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ ﴿١﴾ ، فإنَّ المخالفين للشيعة لابدَّ لهم أن يحملوا هذه الآية على ما سوى المعصوم ؛ لأنَّ أبا بكر الذي عندهم من كُمل المؤمنين صرَّح على المنبر بقوله : إنَّ لي شيطاناً يعتريني ^(٢) ، كما سيأتي في ذكر عصمة النبي ﷺ .

هذا كله ، مع ما ورد أيضاً من الآيات المصرَّحة بخيانة كثير من الأخبار والرهبان وأشباههم ، كما مرَّت في المقدمة ، لاسيَّما الباب الثاني منها مع منقولات كثيرة دالة على ما صدر من العلماء والصحابة ممَّا ينادي بعدم الاعتماد على الأغلب منهم ، بل مع روايات دالة على ذلك .

وبالجملة : من تأمل فيما ذكرناه في أكثر أبواب المقدمة ، لا سيَّما في الباب المذكور ، لا تبقى له شبهة في عدم الاعتماد تاماً إلاَّ على المعصوم ، لا سيَّما بعد ملاحظة الأخبار التي ذكرناها في فاتحة الكتاب ، وما سنذكره في أحوال النبيِّ والأئمَّة الاثني عشر المعلومين ، ولأجل هذا طوينا هاهنا عن ذكر الروايات ، بل عن كثيرٍ من الآيات حذراً عن التكرار ، وكفاية ما أشرنا إليه لأهل الاستبصار .

(١) سورة الزخرف ٤٣ : ٣٦ و ٣٧ .

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٢٣٢ / ١ ، الاحتجاج ٢ : ٣١٨ . ٣١٩ ، المصنَّف للصنعاني ١١ : ٣٣٦ / ٢٠٧٠١ ، الطبقات لابن سعد ٣ : ٢١٢ ، الأخبار الموقَّعات ٤٦٤ / ٣٧٩ ، الإمامة والسياسة ١ : ٣٤ ، الكشَّاف للزمخشري ٢ : ٥٤٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٠ : ٣٠٣ ، صفة الصفوة ١ : ٢٦٠ . ٢٦١ ، المنتظم ٤ : ٦٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٢٠ ، تفسير النسفي ١ : ٤٥٧ ، تاريخ الخلفاء : ٥٤ .

هذا ، مع ما سيأتي في المطلب الثاني من الفصل الثاني من المقالة الأخيرة من سائر دلائل العصمة ، فافهم ، والله الهادي .

المقالة السادسة :

في بيان ما هو أيضاً من اللوازم من لزوم كون أصل التعليم في كل شيء طول مدّة التكليف أصولاً وفروعاً وغيرهما من الله عزّ وجلّ ولو بالواسطة الثابتة وساطته .

لا يخفى أنّ بعد ثبوت ما سبق في المقالات السابقة ، لا يبقى مجال شكّ في هذا الأمر ؛ ضرورة أنّه إذا تبين وجوب عبادة الله في جميع مدّة التكليف ، وأنها متوقّفة على ما تبين وجوبه أيضاً من تشخيص ما كلّف الله به ، وتحصيل المعرفة به على ما هو عليه عند الله عزّ وجلّ ، وأنّ ذلك إنّما يحصل كما ظهر أيضاً بالتعلّم من العالم بذلك بنحو ما هو عند الله ، تبين حينئذٍ عياناً أنّ لا بدّ أن يكون أصل تعليم جميع ذلك من الله تعالى ؛ ضرورة أنّ ما عند الله لا يعلمه غير الله إلّا بإعلام من الله ، على أنّ الجزم بموافقة أمر الله لا يحصل إلّا بالأخذ منه وإن كان بالواسطة الثابتة وساطته . كما سيأتي . سواء كان في الأصول أو الفروع أو غيرها ، كالإقرار بالوحيّته وتوحيده ، وسائر ما يتعلّق بذلك إلى غير ذلك ، حتّى أرش الخدش ، بحيث لا تكفي دلالة العقل والرأي في شيء من ذلك بدون الورد منه جلّ شأنه وإن لم يكن العقل عاجزاً عن الاستدلال على بعض منها بحسب النظر أيضاً .

ومّا يدلّ على هذا . مع كمال وضوحه بعد معرفة ما سبق ، لاسيّما مع ملاحظة ما مرّ في الرأي ، وعدم جواز الاعتماد عليه . ما هو معلوم درايةً

. وقد مرّ ويأتي أيضاً . من أنّ مدار الناس كان في جميع زمان النبي ﷺ على أنّه مهما تبين لأحد حقيته بالمعجزات الباهرات فآمن به ، ودخل في الدين اتّبع محض قوله وفعله في جميع الأمور من وجود الباري وتوحيده وصفاته إلى سائر الأعمال والأفعال ، من غير تفتيش دليل ذلك سواء كان أم لم يكن ، حتّى أنّهم لو وجدوا أدلّة لم يعبوا بها ، حيث علموا أنّ أصل ما جاء به ليس إلّا من الله عزّ وجلّ ، كما هو صريح قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴾ (١) الآية ، وأمثالها .

نعم ، قد كان يصدر أحياناً ممّن كان كافراً أو منافقاً أو من في قلبه مرض نوع تعريض في لحن المقال ، أو صريح تشكيك بالمعارضة والجدال ، ومن البين أنّ منشأ ذلك إنّما كان لعدم الاعتماد منهم على كلام الله المتعال ، أو عدم تصديق النبي ﷺ في أنّه قال من الله ما قال ؛ ولهذا كان يرد حينئذٍ من الله ورسوله في جوابهم ما يبيّن الحقّ ، ويقطع ظهور شكوكهم على نهج مسلكهم ، مع ما في ذلك من مزيد توضيح للحقّ على أهله ، وتعليمهم لما يردّون به شكوك الجاهلين بالدين ، وإلّا فلا شكّ في أنّ مناط عمل المؤمنين الموقنين إنّما كان الورود من الله ربّ العالمين ، دون ما سواه ممّا بيّناه سابقاً أنّه كان من شبهات إبليس أولاً ، ثمّ صار معمولاً بين أتباعه إلى أن اشتهر بعد النبي ﷺ في هذه الأئمة أيضاً ، بحيث لم يخلص من الابتلاء به سوى الإماميّة الاثني عشرية خاصة .

ثمّ مع هذا كلّ لا سترة في كون ما نحن فيه ممّا ينادي به آيات بيّنات ، وروايات واضحات ، كما يأتي كثير منها لاسيّما في المقالة الآتية ، ونذكر هاهنا أيضاً ما يكفي لصاحب البصيرة .

(١) سورة النجم ٥٣ : ٣ .

قال الله عَزَّجَلَّ : ﴿ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأْمَرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ^(١) .
وقال سبحانه : ﴿ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ ﴾ ^(٢) .
وقال تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ ^(٣) .
وقال : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ ^(٤) .
وقال : ﴿ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ يَقْضُ الْحَقُّ ﴾ ^(٥) ، الآية .
وقال : ﴿ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ ^(٦) .
وقال مراراً : ﴿ إِنَّ أَتَّبِعْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ ﴾ ^(٧) ، الآيات .
وقال سبحانه وتعالى : ﴿ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ ﴾ ^(٨) .
وقال حكايةً عن الملائكة أَهْمُ ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا ﴾ ^(٩) ، وعن
عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : ﴿ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ ﴾ ^(١٠) .

(١) سورة الأنعام ٦ : ٧١ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٥٤ .

(٣) سورة هود ١١ : ١٢٣ .

(٤) سورة يوسف ١٢ : ٤٠ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ٥٧ .

(٦) سورة الشورى ٤٢ : ١٠ .

(٧) سورة الأنعام ٦ : ٥٠ ، سورة يونس ١٠ : ١٥ ، سورة الأحقاف ٤٦ : ٩ .

(٨) سورة الأعراف ٧ : ١٦٩ .

(٩) سورة البقرة ٢ : ٣٢ .

(١٠) سورة المائدة ٥ : ١١٧ .

وقال : ﴿ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ ﴾ ^(١) .
قال : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى * وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَى ﴾ ^(٢) .
وقال : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ^(٣) .
وقال : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ﴾ ^(٤) .

وأمثال هذه الآيات كثيرة ، والنصّ الصريح ما سيأتي .
وقد روى جماعة عن جعفر بن محمد الصادق ، عن آبائه عليهم السلام ، عن النبي صلى الله عليه وآله :
قال : «ليس لله على خلقه أن يعرفوا ، وللخلق على الله أن يعرفهم ، والله على الخلق إذا عرفهم أن يقبلوا» ^(٥) .
أقول : ومما يشهد لهذا قول الله تعالى : «وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا» ^(٦) .
وعنه عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله : «ما حجب الله عن العباد فهو موضوع عنهم» ^(٧) .
وفي الخبر المشهور عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال في حديث له : «وُضِعَ

-
- (١) سورة الأحقاف ٤٦ : ٢٣ .
(٢) سورة الليل ٩٢ : ١٢ و ١٣ .
(٣) سورة القيامة ٧٥ : ١٧ - ١٩ .
(٤) سورة محمد ٤٧ : ٣ .
(٥) الكافي ١ : ١٢٥ / ١ (باب حجج الله على خلقه) ، التوحيد : ٤١٢ / ٧ ، وفيهما عن الصادق عليه السلام .
(٦) سورة الإسراء ١٧ : ١٥ .
(٧) الكافي ١ : ١٢٦ / ٣ (باب حجج الله على خلقه) ، التوحيد : ٤١٣ / ٩ ، وفيهما عن الصادق عليه السلام .

عن أُمِّي ما لا يعلمون»^(١) .

وقيل للصادق عليه السلام : هل جعل في الناس أداة ينالون بها المعرفة؟ فقال : «لا» قيل : فهل كلّفوا المعرفة؟ قال : «لا ، على الله البيان ، لا يكلف الله نفساً إلاّ وسعها ، ولا يكلف الله نفساً إلاّ ما آتاها» قيل : وما معنى قوله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾^(٢) ؟ قال : «يعني حتّى يُعرّفهم ما يُرضيه وما يُسخطه»^(٣) . وقال عليه السلام : «إنّ الله احتجّ على الناس بما آتاهم وعرفهم»^(٤) .

وفي خطبة لأُمير المؤمنين عليه السلام ، حيث سأله سائل عن معرفة الربّ ، فقال : «الذي عجزت الملائكة على قريهم من غيب ملكوته أن يعلموا من أمره إلاّ ما أعلمهم ، وهم من ملكوت العرش بحيث هم ، ومن معرفته على ما فطرهم عليه أن قالوا : سبحانك لا علم لنا إلاّ ما علّمتنا ، إنّك أنت العلّيم الحكيم ، فما ظنّك أيّها السائل عمّن هو هكذا»^(٥) ، الخبر .

وفي صحيح الترمذي ، وصحيح النسائي ، ومستدرک الحاكم عن سلمان قال : قال النبي ﷺ : «الحلال ما أحلّ الله في كتابه ، والحرام ما حرّم الله في كتابه ، وما سكّت عنه فهو ممّا عفا عنه»^(٦) .

(١) الكافي ٢ : ٣٣٥ / ٢ (باب ما رُفِعَ عن الأُمة) ، الفقيه ١ : ٥٩ / ١٣٢ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ١١٥ .

(٣) المحاسن ١ : ٤٣١ / ٩٩٦ ، وفيه ورد صدر الرواية ، الكافي ١ : ١٢٥ / ٥ (باب البيان والتعريف ولزوم الحجّة) ، التوحيد : ٤١٤ / ١١ .

(٤) الكافي ١ : ١٢٤ / ١ (باب البيان والتعريف ولزوم الحجّة) ، التوحيد : ٤١٠ / ٢ ، ٣ .

(٥) التوحيد : ٤٨ / ١٣ ، ضمن الحديث بتفاوت يسير .

(٦) سنن الترمذي ٤ : ٢٢٠ / ١٧٢٦ ، المستدرک للحاكم ٤ : ١١٥ ، وأورده ابن ماجه في سننه ٢ : ١١١٧ / ٣٣٦٧ ، ولم نعثر عليه في سنن النسائي .

وقال عليّ عليه السلام في بعض خطبه التي نقلها المخالفون أيضاً : «وما كلّفك الشيطان علمه ممّا لم يكن في الكتاب عليك فرضه ، ولا في سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله أثره ، فكُل علمه إلى الله تعالى ، فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك» ، إلى أن قال : «فلا تقدّر عظمة الله على قدر عقلك فتكون من الهالكين»^(١) ، الخبر .

ولا يخفى أنّ وضوح ما نحن فيه بحيث لا حاجة لنا إلى بيان الدليل له ، مع أنّ ما سيأتي في المقالات الآتية كلّ دليل له ، فلنكتف بما ذكرناه ، والله الهادي .

المقالة السابعة :

في بيان ما هو أيضاً . مثل ما سبق عليه . في اللزوم والوضوح من أن الله عزّ وجلّ ، بيّن وعلم لإتمام الحجّة جميع ما يحتاج إليه المكلفون ، بحيث لا يشدّ من ذلك شيء ، وإنّ ذلك إنّما هو بواسطة ما هو ثابت الوساطة من الواسطتين الآتيتين ، أعني : رسول الله صلى الله عليه وآله وكتابه .

إعلم أنّه لا كلام لأحد في أصل بيان الله عزّ وجلّ كثيراً من المعالم لعباده في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله ، وإنّما المراد هاهنا تبيان ما يلزم ممّا سبق من الله عزّ وجلّ ، حيث كان عليه بيان جميع ما يحتاج إليه المكلفون ، وتعليمه ، علم الجميع وبيّن ، ولم يفرط في شيء من ذلك ، بحيث لم يبق لأحد حاجة إلى الأخذ من طريق غير طريق بيانه الذي أوضح كونه طريق بيانه ككتابه ورسوله ، وحيث إنّ لتوضيح هذه المقدمة نفعاً تامّاً

(١) نهج البلاغة : ١٢٥ الخطبة ٩١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٤٠٣ .

لما سبق وبأتي ، بل هي في نفسها أيضاً من أمّهات المسائل التي لا بدّ في توضيحها من مزيد الاهتمام ، حيث خفيت مع وضوحها واقعاً على أقوام حتّى زلّت فيها أقدام لا نبالي بإطلاق عنان القلم في هذا المقام ، وإن انجرّ إلى تطويل في الكلام .

فاعلم أنّه إذا تبين ما حقّقناه سابقاً . لاسيّما في الباب الرابع . من إثبات أنّ الله عزّ وجلّ لم يرض لأحد من عباده أن يعتمد في شيء من أمور الدين على الرأي والظنّ والتخمين ، وأنّه منع صريحاً عن كلّ ما هو في مقابل العلم من جميع ما يدخل تحت خطوات الشيطان ، ومن المعلوم أيضاً أنّه سبحانه بكلّ شيءٍ عليم ، وعلى كلّ شيءٍ قدير ، رؤوف بعباده حكيم خبير ، لا يكلّف نفساً إلّا ما آتاها ، ولا يريد بعبد إلّا يسره ، ولم يأمر أحداً إلّا وسعه ، ومع هذا كلّ صرح بإكماله الدين وإتمامه النعمة ، وأنّ له الحجّة البالغة ، فإذا كيف يمكن أن يتصوّر في حقّه جلّ شأنه أن يترك عباده سدى مهملين ، من غير أن يبيّن لهم كلّ ما يحتاجون إليه من أمر الدين ؟ وقد سدّ عليهم ما سوى باب العلم والإيقان ، الذي لا يمكن الوصول إليه إلّا بالتعليم والبيان .

هذا ، مع أنّه عزّ وجلّ ذكر في كتابه المجيد آياتٍ تدلّ على ما نحن فيه ، بل تنادي بحيث إذا لاحظ أحدٌ بعضها مع بعضٍ . لاسيّما مع ملاحظة ما سنذكر من الروايات ، وما مرّ من دلائل منع الاعتماد على ما يدخل تحت الخطوات . ظهر عليه عياناً أنّ الله عزّ وجلّ لم يسامح في بيان شيء من أمور عباده أصلاً ، بل بيّن كلّ أمر لهم بياناً ، فمن تلك الآيات قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ

لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾ .

أقول : لا خفاء في كون هذه الآية نصّاً صريحاً فيما نحن فيه ، بحيث لو لم يكن غيرها
لكانت هي كافية في إثبات المدعى ، وقد مرّ سابقاً ويأتي في المقالات الآتية ما يتبين منه أنّ
عدم فهمنا أكثر الأشياء من القرآن لا يستلزم عدم البيان ؛ إذ لا مانع من اقتضاء حكمة
الله جلّ جلاله أن يجعل كتابه بحيث لا يتيسر العلم بكلّ ما فيه إلّا لمن اصطفاه الله لذلك ،
وجعله قيماً للكتاب ، وإماماً للناس ، ومرجعاً لهم فيما يحتاجون إليه ، كما كان كذلك النبيّ
ﷺ في زمانه ، وكذا عليّ ﷺ ، والأوصياء من عترتهما على ما سيظهر عياناً .

ألا ترى إلى عبدالله بن عباس حيث كان من تلامذة عليّ ﷺ كيف كان يعلم من
القرآن ما لم يتيسر لغيره من العلماء ؟

ألا تنظر إلى قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ (٢) ، وقوله
: ﴿ لَعَلَّهُمُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (٣) وأمثالهما من الآيات الآتية في محلّها ؟

وكفى ما هو الثابت المسلم من حديث الثقلين ، وقول عليّ ﷺ : «لو ثنيت لي
الوسادة لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم ، وأهل الإنجيل بإنجيلهم ، وأهل الفرقان بفرقانهم» (٤) ،
وسياقي في المقالات الآتية لاسيّما الأخيرتين ما يوضّح هذا غاية التوضيح ، وإنّما المقصود هنا
ذكر ما يدلّ على أصل

(١) سورة النحل ١٦ : ٨٩ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٧ .

(٣) سورة النساء ٤ : ٨٣ .

(٤) بصائر الدرجات : ١٥٣ / ٤ ، التوحيد : ٣٠٥ / ١ ، الاختصاص : ٢٣٥ ، الطرائف ١ : ٢٠٥ / ٢١٥ .

، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ١٣٦ ، وفيها بتفاوت يسير .

بيان الله تعالى جميع ما يحتاج إليه المكلفون من أمور الدين .

وأما تشخيص مَنْ بَيَّنَّ الله ذلك له ، فمِمَّا سيأتي ، وصراحة الآية المتقدمة في المقصود واضحة ، وغيرها من الآيات أيضاً كثيرة ، لكنَّ بعضاً منها غير خالية عن نوع إجمال أو خفاء في الدلالة ، بحيث يحتاج في توضيح مدلولها إلى الاستعانة ببعض القرائن ، وتفسيرها بما يوافق تلك الآية الصريحة ؛ لما هو مسلّم من تفسير الآيات بعضها بعضاً لاسيما مع وجود الشواهد منها ومن غيرها ، كما سيظهر .

فمن الآيات قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾^(١) ، أي : أعلمك ، وبَيَّنَّ لك ، كما صرَّح به المفسِّرون^(٢) أيضاً .

ومعلوم أنَّ النَّبِيَّ ﷺ لم يكن يعلم شيئاً دون شيء ، ولم يعجز عن الحكم بين الناس مطلقاً ، كما نُقل عن سيرته أيضاً ، وذلك يستلزم بالضرورة إعلام الله تعالى له جميع ما يكون محتاجاً إليه ، كما هو صريح الآية السابقة .

ومِمَّا يشهد له أيضاً قوله تعالى : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ ﴾^(٣) ، ضرورة أنَّ تمام الامتنان إنما يكون بإتمام التعليم ، كما ينادي به قوله تعالى : ﴿ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ *

(١) سورة النساء ٤ : ١٠٥ .

(٢) مجمع البيان ٢ : ١٠٦ ، معاني القرآن للزجاج ٢ : ١٠١ ، بحر العلوم للسمرقندي ١ : ٣٨٥ ، الكشف والبيان ٣ : ٣٨١ ، النكت والعيون ١ : ٥٢٨ ، الوسيط للواحيدي ٢ : ١١٢ ، معالم التنزيل ٢ : ١٥١ ، زاد المسير ٢ : ١٩١ ، التفسير الكبير ١١ : ٣٣ ، وفيها بتفاوت .

(٣) سورة النساء ٤ : ١١٣ .

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿١﴾ .

ومما يدلّ على أنّ ذلك إنّما هو لرفع الجهل والاختلاف عن الناس ببيان كلّ ما يحتاجون إليه قوله عزّ وجلّ : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ

وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ ﴾ ﴿٢﴾ .

وقوله سبحانه : ﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ

وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٣﴾ .

وقوله تعالى : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿٤﴾ .

وقوله : ﴿ وَعَلَّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ ﴾ ﴿٥﴾ .

وقوله : ﴿ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ ﴿٦﴾ .

وقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ

السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿٧﴾ .

وقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا ﴾ ﴿٨﴾ ،

(١) سورة النجم ٥٣ : ٥٣ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢١٣ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ١٥١ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ٢٣٩ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ٩١ .

(٦) سورة العلق ٩٦ : ٥ .

(٧) سورة المائدة ٥ : ١٥ و ١٦ .

(٨) سورة النساء ٤ : ١٧٤ .

الآية .

وقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ ^(١) ، الآية .

وقوله : ﴿ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ

بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ ﴾ ^(٣) ، وأمثالها كثيرة .

ومن المعلوم البين أيضاً أنّ زوال نقص الاختلاف إنّما يكون بزوال الاختلاف رأساً ،

وهو إنّما يكون ببيان الأحكام تماماً .

وكذا لا شبهة في أنّ ذكر الكريم المتّان بعض جلائل نعمه في مقام الامتنان إنّما

يقتضي أن يكون على الوجه التام ، فلا يتحقّق تمام الإنعام ما لم يكن ما ذكره سبحانه في

هذه الآيات من رفع الاختلاف ، وتعليم المجهولات ، وهداية سبل السلام ، وغيرها على نهج

التمام . هذا ، مع ما في إيهام كلمة «ما» وجمعيّة السبل ، والبصائر ، وأمثال ذلك من

التلويح والإشعار ما لا يخفى ، لاسيّما عند ملاحظة ما هو صريح الآية السابقة ، وما هو

مفاد قوله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا ﴾ ^(٤) ، وقوله : ﴿ حَمِّمْ * تَنْزِيلٌ

مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ

أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ

(١) سورة الأنعام ٦ : ١٠٤ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٧٦ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ١٩ .

(٤) سورة الأنعام ٦ : ١١٤ .

(٥) سورة فصلت ٤١ : ٣٠١ .

الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ ، وقوله : ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَاهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ ﴿٢﴾ مع ملاحظة قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ﴿٣﴾ ، بل الأخيرتان صريحتان في أنَّ هكذا كان عادة الله بالنسبة إلى كلِّ أمة ، وتمام أزمته التكليف ، كما هو أيضاً ممَّا نحن فيه ، وينادي به آيات .

كقوله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالتَّيِّينِ ﴾ الآية ، إلى قوله : ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ ﴿٤﴾ ؛ ضرورة أنَّ الحجَّة إنما تتم ببيان جميع ما كُلفوا به .

وكقوله سبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ ﴿٥﴾ ؛ ضرورة أنَّ المراد القيام بالقسط في كلِّ أمرٍ ، لا في شيءٍ دون شيء .
وكقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا ﴾ الآية ، إلى قوله : ﴿ عَلَّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ﴾ ﴿٦﴾ .

وقوله : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا ﴾ ﴿٧﴾ إلى آخر الآية .

وقوله : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبينَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ

(١) سورة يونس ١٠ : ٣٧ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٥٢ .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ١٥٤ .

(٤) سورة النساء ٤ : ١٦٣ - ١٦٥ .

(٥) سورة الحديد ٥٧ : ٢٥ .

(٦) سورة النمل ٢٧ : ١٥ و ١٦ .

(٧) سورة الشورى ٤٢ : ١٣ .

قَبِيلُكُمْ ﴿١﴾ ، والآيات من هذا القبيل كثيرة .

لا يقال : لعلّ مراده عزّ شأنه بما ذكره ونبّه عليه . فيما مرّ ويأتي من الآيات . من تبيان كلّ شيء ، وإكمال التعليم ، وإتمام الحجّة ، وأمثال ذلك ما يشمل القواعد الكلّية والأصول التي اعتبرها المجتهدون ، بل ربّما تكون هي المرادة بالحكمة والبرهان ، وأمثالهما .

لأنّ نقول : هذا محض تمويه وإجمال في الكلام ؛ لخلط ما هو الباطل بالحق ؛ لأنّ المراد إن كان خصوص القواعد والأصول المتلقّاة من الشارع ، المقطوعة الأخذ من كتاب الله وسنّة رسوله ، كأصالة الطهارة مثلاً ، وبعض أنواع الاستصحاب أيضاً ، وأمثال ذلك ممّا ثبت في محله أنّه ممّا أتاه ، ووضح وروده في الكتاب والسنّة ، فلا شكّ في أنّ مثل هذا ممّا لا يتطرّق إليه الإنكار ، ولم ينكره أحد ؛ لوضوح كونه ممّا علّمه الله ، وأورده في كتابه من غير حاجة إلى التكلّف في إدخاله ؛ ضرورة أنّ الله عزّ وجلّ كما ذكر الأحكام الجزئية ذكر القواعد الكلّية ، بل . كما يأتي فيما بعد . أكثر ما في ظاهر القرآن من هذا القبيل ولو على نهج الإجمال والإطلاق ، بحيث لا تُعرف الخصوصيّات إلّا بالسنّة الواردة من النبي ﷺ وآله الأئمة علماء الكتاب ، كما سيأتي .

وأما إن كان المراد سائر القواعد أيضاً ، بحيث تدخل فيها القوانين التي قنّنها أرباب الرأي وأتباع نتائج الخيال ، والأصول التي قرّرها أهل الكلام ، وأصحاب القيل والقال ، من المقدمات الخياليّة ، والقياسات الظنيّة ، والأمور الاعتباريّة التي بيّنا سابقاً حالها ومنشأها وسائر ما فيها ، فمن

(١) سورة النساء ٤ : ٢٦ .

الواضحات أنّها ليست من الله قطعاً بوجه من الوجوه :

أما أولاً : فلاّنه لو كانت تلك القوانين أيضاً من الله ، أو بحيث أجاز الله استعمالها في الدين ، والاعتماد عليها في الشريعة لكانت كغيرها ممّا ثبت بالكتاب والسنة حجّيته ، كما هو مقتضى ما نحن فيه من التصريح بالامتنان بالتعليم والتبيان ونحوهما ، ولا أقلّ من وجدان آية محكمة ، أو سنة ثابتة ، تدعو أو تحوج إلى التكلّف في إدخالها ، مع أنّ الأمر بالعكس .

وأما ثانياً : فلاّنه قد أشبعنا الكلام سابقاً ، لاسيّما في فصول الباب الرابع من المقدمة في أنّ الله عزّ وجلّ لم يرض لعباده بالتفرّق والاختلاف مطلقاً ، وأنّه لرفع ذلك أرسل الرسل ، وأنزل الكتب ، وبيّن كلّ شيء تبيّناً .

ومن أوضح الواضحات . كما بيّنا أيضاً . أنّ عمدة منشأ الاختلاف ومادّة التفرّق إنّما هي الاعتماد على تلك القوانين المذكورة ، فكيف يمكن حينئذٍ احتمال دخولها فيما علّمه الله ، أو أجازها ، فضلاً عن التكلّف في إدخالها ؟

وأما ثالثاً : فلاّنه قد بيّنا في الباب المذكور ما هو مسلّم أيضاً من كون إفادات تلك القواعد ظنيّة ومحمّلة الخطأ والغلط ، وأنّ نصوص الكتاب والسنة صريحة في ذم الاستناد إلى الظن والاعتماد عليه ، وأنّه من علامة الجهالة ، ومن أعمال أهل الكفر والضلالة ، فكيف يتصوّر مع هذا احتمال كونها مصداق ما سمّاه الله في الكتاب بالنور والحكمة والهدى والحق والصواب ؟

وأما رابعاً : فلاّنه قد بيّنا في الباب المذكور أيضاً ، لاسيّما في ثاني فصوله دلالة الآيات المتظافرة ، وصراحة الروايات المتكاثرة ، وتصريحات من أعيان الصحابة ، والعترة الطاهرة ، واعترافات من أكثر علماء الأئمة بما

يُحصل به العلم القطعيّ عند ملاحظة بعضها مع بعضٍ بعدم جواز العمل بالأقيسة والآراء ، وسائر ما هو من أقسام متابعة الأهواء ، وكونها ضلالة وجهالة مخالفة للهدى ، موجبة للغواية والخطأ ، فكيف يمكن إذن أن يتصوّر كونها ممّا يرضى به الله ، فضلاً عن تعليمها وتجويز استعمالها؟

وأما خامساً : فلاّته قد بيّنا أيضاً أنّ ترويج الأخذ بتلك القوانين ، وتشهير استعمالها في الدين كان من بدع غيلان الدمشقي ، وربيعة الرأي ، وأشباههما من المتكلمين ، وأنّها لم تكن معروفة في الصدر الأوّل من عهد سيّد المرسلين ، وإنّما كان صدر ما صدر نادراً على سبيل الغفلة أو التغافل من بعض المقصّرين ، حتى إنّنا أوضحنا ورود التصريح من جماعة بذلك ، بل إقرار أنفسهم بأنّ الضرورة دعتهم إلى إحداث ذلك ، وكلّ هذا ينادي بعدم كونها ممّا علّمه الله ورسوله ، مع ما ذكرنا أيضاً من قول النبيّ ﷺ : « شرّ الأمور محدثاتها »^(١) ، وقوله : « كلّ بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة سبيلها إلى النار »^(٢) ، وأمثالهما .

وأما سادساً : فلاّته قد أوضحنا أيضاً ما صرّح به المحقّقون . كما نقل الشهرستاني ، وغيره . من أنّ مبدأ استعمال الرأي والقياس كان من الشيطان لما أمر بالسجود لآدم^(٣) ، وأنّه هو منشأ شيوع جميع الشبهات في العالم ، حيث إنّّه فاتح أبواب الخيالات الآرائيّة ، ومزجّين متابعة الاستحسانات

(١) الكافي ٨ : ٨١ / ٣٩ (باب وصيّة النبيّ لأُمير المؤمنين) ، الفقيه ٤ : ٤٠٣ / ٥٨٦٨ ، الأمالي للصدوق : ٥٧٧ / ٧٨٨ ، الأمالي للمفيد : ٢١١ / ١ ، الأمالي للطوسي : ٣٣٧ / ٦٨٦ ، مسند أحمد ٤ : ٢٦٣ / ١٤٠٢٢ ، سنن ابن ماجه ١ : ١٨ / ٤٦ ، وفيها ضمن الحديث ، مسند الشهاب ٢ : ٢٦٤ / ١٣٢٥ .
(٢) كمال الدين ١ : ٢٥٦ / ١ ، الفقيه ٢ : ١٣٧ / ١٩٦٤ ، وفيهما ضمن الحديث .
(٣) انظر : الملل والنحل للشهرستاني ١ : ١٦ . ٢٠ .

الأنهائية ، كما ينادي بذلك أيضاً أمثال قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾^(١) ، وعلى هذا فصریح ظاهر كون المنع من تلك الأشياء في القرآن ، وكونها من تعليم الشيطان دون الرحمن .

وأما سابقاً : فلأنه قد تبين مما أوضحناه سابقاً أيضاً أنّ مبنى أعمال أهل الكفر والجهالة ، ومن طعن الله عليه بالغواية والضلالة ، حتّى في الأزمنة السابقة والمثل السالفة كان على وفق تلك الأشياء التي تبين أنّها من الشيطان ، ممّا يرجع إلى الاستناد إلى أمثال الرأي ، والقياس ، والاستحسان ، وأنّ الطعن عليهم إنّما هو لذلك ، حيث إنّهم كفروا وضلّوا بذلك . ومن أوضح الواضحات أنّ الله تعالى كيف يرضى لأمة حبيبه الذي أرسله رحمةً للعالمين ما لم يكن يرضى به [من^(٢)] الضلالة لأحدٍ من سائر المخلوقين فضلاً عن التعليم بذلك؟ فتأمل جدّاً ، حتّى لا تبقى لك شبهة رأساً .

ولنرجع حينئذٍ إلى ما كنّا بصدده من بيان الآيات الدالة على ما نحن فيه .
فمنها أيضاً : قوله عزّ وجلّ : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٣) فإنّ المراد بالكتاب هو القرآن ، كما صرح به أكثر المفسرين^(٤) أيضاً ، بل وكذا الظاهر أنّه هو المراد به أيضاً في قوله تعالى : ﴿ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ ﴾

(١) سورة البقرة ٢ : ٢٠٨ .

(٢) إضافة يقتضيها السياق .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٣٨ .

(٤) التبيان ٤ : ١٢٨ ، مجمع البيان ٢ : ٢٩٨ ، جوامع الجامع ١ : ٣٧٧ ، النكت والعيون للماوردي ٢ : ١١٢ ، زاد المسير ٣ : ٣٥ ، التفسير الكبير ١٢ : ٢١٥ .

إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ وقوله سبحانه : ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٢﴾ .

وكذا غيرهما من الآيات العديدة التي مثلهما في تضمّن مضمونهما وإن اقتصر أكثر المفسّرين بحسب ظاهر مناسبة المقام على ذكر كون المراد اللوح المحفوظ ﴿٣﴾ .

[و]مّا يشهد لنا . ما سوى ما مرّ ، لاسيّما الآية الأولى ، وما يستفاد من بعض روايات أهل البيت عليه السلام ﴿٤﴾ . ما ورد من التعبير عن القرآن بالكتاب المبين صريحاً في مواضع : كقوله تعالى : ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ﴿٥﴾ .

وقوله : ﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾ ﴿٦﴾ .

وقوله : ﴿طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ * هُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٧﴾ .

وكغيرها من فواتح بعض السور وغيرها التي منها ما مرّ في الآيات

(١) سورة الأنعام ٦ : ٥٩ .

(٢) سورة النمل ٢٧ : ٧٥ .

(٣) مجمع البيان ٢ : ٢٩٨ ، الكشف والبيان ٧ : ٢٢٢ ، النكت والعيون ٢ : ١٢٢ ، و ٤ : ٢٢٥ ، الوسيط

٢ : ٢٦٨ ، و ٣ : ٣٨٤ ، معالم التنزيل ٢ : ٣٦٨ ، و ٤ : ٣١٧ ، التفسير الكبير ١٣ : ١١ .

(٤) انظر : بصائر الدرجات : ٦٧ / ١ ، الكافي ١ : ١٧٦ / ٧ (باب أنّ الأئمة ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء .

٠ .

(٥) سورة يوسف ١٢ : ١ و ٢ .

(٦) سورة الحجر ١٥ : ١ .

(٧) سورة النمل ٢٧ : ١ و ٢ .

المتقدمة آنفاً .

ولا يبعد كون المراد كليهما ، بل الأظهر ذلك ، على أنّ كون المراد اللوح أيضاً ممّا يمكنه أن يستدلّ به على ما نحن فيه من اشتغال القرآن على جميع الأحكام ؛ ضرورة كونه متنسخاً منه وعلى وفقه ، فيجب أن يكون مثله ، كما دلّ عليه صريحاً قوله عزّ وجلّ في الآية السابقة الصريحة فيه : ﴿ تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ ^(١) ، وكذا أمثاله ، فتأمل .

ثمّ إنّ من تلك الآيات قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾ ^(٣) .

وقوله : ﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ ﴾ ^(٤) الآية .

وقوله : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٥) .

وقوله : ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَآمُ الْغُيُوبِ ﴾ ^(٦) .

وقوله : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ ^(٧) .

وقوله : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ

(١) سورة النحل ١٦ : ٨٩ .

(٢) سورة الروم ٣٠ : ٥٨ ، سورة الزمر ٣٩ : ٢٧ .

(٣) سورة القمر ٥٤ : ١٧ .

(٤) سورة الزخرف ٤٣ : ٤٤ .

(٥) سورة الجاثية ٤٥ : ٢٩ .

(٦) سورة سبأ ٣٤ : ٤٨ .

(٧) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

وَأَيَّاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

وقوله تعالى في مواضع : ﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ﴾ (٢) .

وكذا سائر الآيات التي من هذا القبيل ، فإن صدق مضامينها من كل جهة وتمام الامتنان بما فيها إنما يكون ببيان جميع الأشياء ، بحيث لا يحتاجون إلى غيره في شيء مسّت حاجتهم إليه ، كما يشهد لهذا ما هو دليل ما نحن فيه أيضاً من قوله عزّ وجلّ : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّى يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ﴾ (٣) .

وقوله سبحانه : ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾ (٤) .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (٥) .

وقوله : ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (٦) .

وقوله : ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾ (٧) .

وقوله : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾ (٨) ، وأمثال ذلك ؛ إذ لا يخفى أنّ بعد ملاحظة كلّ

آية مع غيرها من المذكورات لا سيّما مع ملاحظة ما في سورة القدر والدخان من قوله تعالى :

﴿تَنْزِيلُ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾

(١) سورة الجاثية ٤٥ : ٦ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٤٢ ، سورة آل عمران ٣ : ١٠٣ ، سورة المائدة ٥ : ٨٩ ، سورة النور ٢٤ : ٥٩ .

(٣) سورة التوبة ٩ : ١١٥ .

(٤) سورة الطلاق ٦٥ : ٧ .

(٥) سورة الإنسان ٧٦ : ٣ .

(٦) سورة البلد ٩٠ : ١٠ .

(٧) سورة الشمس ٩١ : ٧ و ٨ .

(٨) سورة الليل ٩٢ : ١٢ .

مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴿١﴾ ، وقوله : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ * أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾
 (٢) وملاحظة أمثال قوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ﴾ (٣) ،
 وقوله تعالى : ﴿ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ ﴾ (٤) يتضح كون ما نحن فيه مفاد الآيات وإن كفى
 في أصل إثباته ما يدلّ منها عليه صريحاً كآلية الأولى مثلاً ، فلنذكر إذن نبداً من الروايات
 أيضاً :

روى جماعة ، منهم : محمد بن يعقوب الكليني رحمته الله في كتاب الكافي بإسناد متصل
 عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال : «إنّ الله تبارك وتعالى أنزل في
 القرآن تبيان كل شيء ، حتّى والله ما ترك شيئاً يحتاج إليه العباد حتّى لا يستطيع عبد يقول :
 لو كان هذا أنزل في القرآن إلّا وقد أنزله الله فيه» (٥) .

وإسناد آخر عن الباقر عليه السلام : أنه قال : «إنّ الله تبارك وتعالى لم يدع شيئاً يحتاج
 إليه الأئمة إلّا أنزله في كتابه وبينه لرسوله صلّى الله عليه وآله» (٦) ، الخبر .

وإسناد آخر عن الصادق عليه السلام أيضاً ، أنه قال : «قد ولدني رسول الله صلّى الله عليه وآله وأنا
 أعلم كتاب الله وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وفيه خبر السماء وخبر الأرض
 ، وخبر الجنة وخبر النار ، وخبر ما كان وما هو كائن ، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي ، إنّ
 الله عزّ وجلّ يقول : فيه تبيان

(١) سورة القدر ٩٧ : ٤ .

(٢) سورة الدخان ٤٤ : ٤ و ٥ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٣ .

(٤) سورة الأنعام ٦ : ١٤٩ .

(٥) الكافي ١ : ٤٨ / ١ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة وأنه ليس . . .) .

(٦) الكافي ١ : ٤٨ / ٢ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة وأنه ليس . . .) .

كلّ شيء^(١)»^(٢) .

وياسناد آخر عنه عليه السلام أيضاً ، قال : «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، ونحن نعلمه»^(٣) .

وياسناد آخر عنه عليه السلام أيضاً ، أنّه قال : «ما من أمر يختلف فيه اثنان إلّا وله أصل في كتاب الله ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال»^(٤) .

وياسناد آخر عن أبي الحسن موسى الكاظم عليه السلام أنّ رجلاً قال له : أكلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله أو تقولون فيه؟ قال : «بل كلّ شيء في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله»^(٥) .

وروى أيضاً جماعة ، منهم : محمد بن بابويه في عيون أخبار الرضا عليه السلام ياسناد متصل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام ، أنّه قال في حديث له : «إنّ الله لم يقبض نبيه حتّى أكمل له الدين وأنزل عليه القرآن ، فيه تبيان كلّ شيء ، بيّن فيه الحلال والحرام والحدود والأحكام وجميع ما تحتاج إليه الناس كمالاً ، فقال عزّ وجلّ : ﴿ مَا قَرَأْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾»^(٦) ، الخبر .

وقد مرّ في الفاتحة ، وفيه : «فمن زعم أنّ الله لم يكمل دينه فقد ردّ

(١) إشارة إلى الآية (٨٩) من سورة النحل (١٦) : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ ﴾ .

(٢) الكافي ١ : ٥٠ / ٨ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة وأنه ليس . . .) .

(٣) الكافي ١ : ٥٠ / ٩ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة وأنه ليس . . .) .

(٤) الكافي ١ : ٤٩ / ٦ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة وأنه ليس . . .) .

(٥) الكافي ١ : ٥٠ / ١٠ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة وأنه ليس . . .) .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ٣٨ .

(٧) الكافي ١ : ١٥٤ / ١ (باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته) ، كتاب الغيبة للنعماني : ٢١٦ / ٦ ،

كمال الدين ٢ : ٦٧٥ / ٣١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢١٦ / ١ ، تحف العقول : ٤٣٦ - ٤٣٧ ،

الاحتجاج ٢ : ٤٣٩ / ٣١٠ ، وفيها بتفاوت يسير .

كتاب الله ، وكان كافراً به»^(١) .

ومن كلام أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له ذكر فيها بعثة النبي صلى الله عليه وآله حيث قال :
«فجاءهم بنسخة ما في الصحف الأولى ، وتصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الحلال من
ريب الحرام ، وذلك القرآن فاستنطقوه ، ولن ينطق لكم ، أخبركم عنه أنّ فيه علم ما مضى ،
وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة ، وحكم ما بينكم ، وبيان ما أصبحت فيه مختلفين ، فلو
سألتموني عنه لعلمتكم»^(٢) .

والله سبحانه يقول : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٣) وفيه تبيان كل شيء .
وأمثال هذه الروايات عن أئمة أهل البيت عليهم السلام كثيرة متواترة ، وسيأتي بعضها فيما
بعُد ، لا سيما عند بيان علومهم .

وقد روى الخوارزمي ، وكذا أحمد بن حنبل في مسنده بإسنادهما عن علي عليه السلام ، قال
: «قال النبي صلى الله عليه وآله أتاني جبرئيل ، فقال : إنّ الأمة مفتونة بعدك ، قلت له : فما المخرج ؟
فقال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم . إلى أن قال . وإنّ
هذا القرآن لا يليه من جبار فيعمل بغيره إلّا قصمه الله ، ولا ينتغي أحد علماً سواه إلّا أضلّه
الله»^(٤) ،

(١) الكافي ١ : ١٥٤ / ١ (باب نادر جامع في فضل الإمام وصفاته) ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢١٧ /
١ .

(٢) تفسير القمي ١ : ٣ ، الكافي ١ : ٤٩ / ٧ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة . .) ، بحار الأنوار ٩٢ : ٨٢ ،
وفيهاما بتفاوت يسير .

(٣) سورة الأنعام ٦ : ٣٨ .

(٤) تاريخ بغداد ٨ : ٣٢١-٣٢٢ ، وانظر : مسند أحمد ١ : ١٤٧ / ٧٠٦ ، وحكاه عن مسند أحمد ،
السيوطي في جامع الأحاديث ١ : ٥٣ / ٢٢٠ .

الخبر .

وروى الشافعي في مسنده عن ابن عيينة^(١) أنه روى بإسناد له أن النبي ﷺ قال :
«لا يُمسكن الناس عليّ شيئاً ، فيأتي لا أحلل لهم إلا ما أحله الله لهم ، ولا أحرّم عليهم إلا ما
حرّم الله عليهم»^(٢) .

وروى مثله ابن سعد^(٣) في كتابه عن عائشة عنه ﷺ^(٤) .

وروى الطبراني في كتابه الكبير عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله ﷺ : «إن الله
أعطى كل ذي حقّ حقه ، إلا إن الله قد فرض فرائض ، وسنّ سنناً ، وحدّد حدوداً ، وأحلّ
حلالاً ، وحرّم حراماً ، وشرع الدين»^(٥) ، الخبر .

وروى الغزالي في كتاب الإحياء عن ابن مسعود عن النبي ﷺ أنه قال : «ثوروا
القرآن والتمسوا غرائبه ففيه علم الأولين والآخرين»^(٦) .

وفيه عنه ﷺ أنه قال : «من لم يستغن بآيات الله فلا أغناه الله»^(٧) .

وعن عليّ رضي الله عنه أنه قال : «إن القرآن ظاهره أنيق ، وباطنه عميق ، لا تفنى عجائبه
، ولا تنكشف الظلمات إلاّ به»^(٨) .

وفي كتاب أبي يعلى : عن أنس ، قال : قال النبي ﷺ : «القرآن غني لا فقر بعده
، ولا غنيّ دونه»^(٩) .

(١) في الأصل : (أبو عيينة) ، وما أثبتناه من المصدر .

(٢) مسند الشافعي : ٥٢٢ / ١٥٢٠ ، بتفاوت يسير .

(٣) في الأصل : (ابن سعيد) .

(٤) انظر : الطبقات لابن سعد ٢ : ٢٥٦ .

(٥) المعجم الكبير ١١ : ٢١٣ / ١١٥٣٢ .

(٦) إحياء علوم الدين ٤ : ٣٤٣ .

(٧) إحياء علوم الدين ٤ : ١٢٥ .

(٨) نهج البلاغة : ٦١ الخطبة ١٨ .

(٩) مسند أبي يعلى الموصلي ٥ : ١٥٩ . ١٦٠ / ٢٧٧٣ مع زيادة .

وفي مستدرك الحاكم : عن حذيفة ، قال : قال النبي ﷺ : «دوروا مع القرآن حيث ما دار»^(١) .

وفي الإحياء أيضاً أنه حُكي لعليّ عليه السلام عن عهد موسى عليه السلام أن شرح كتابه كان أربعين حملاً ، فقال عليّ عليه السلام : «لو أذن الله ورسوله لأشرح في شرح الفاتحة حتى يبلغ أربعين وقراً»^(٢) .

وعن ابن عباس ، أنه قال : حدّثني عليّ بن أبي طالب عليه السلام في باء «بسم الله الرحمن الرحيم» من أول الليل إلى الفجر ولم يتمّ^(٣) .

وقال الغزالي : إن قول عليّ عليه السلام : «لو تُثِّيت لي الوسادة لأفثيت» إلى قوله : «وأهل القرآن بقرآنهم»^(٤) أدلّ دليل على اشتغال القرآن على كلّ شيء وأنّ علمه كان عنده ، ولا تخفى متانته^(٥) .

وفي كتاب الكبير للطبراني وغيره : عن ابن عباس ، قال : قال النبي ﷺ : «كلّ شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن كان مائة شرط»^(٦) .

وفي كتاب البيهقي : عن رجل ، عن النبي ﷺ قال : «القرآن هو النور المبين ، والذكر الحكيم ، والصراط المستقيم»^(٧) .

(١) المستدرك للحاكم ٢ : ١٤٨ ، بتفاوت يسير .

(٢) وجدناه في الرسالة اللدنيّة (ضمن مجموعة رسائل الغزالي) : ١٠٦ .

(٣) انظر : مشارق أنوار اليقين : ٧٩ ، وبحار الأنوار ٤٠ : ١٨٦ / ٧١ ، بتفاوت يسير .

(٤) بصائر الدرجات : ١٥٣ / ٤ ، التوحيد : ٣٠٥ / ١ ، الاختصاص : ٢٣٥ ، وقد مرّ تخريجه في ص ٦٤ هامش ٤ .

(٥) الرسالة اللدنيّة (ضمن مجموعة رسائل الغزالي) : ١٠٦ .

(٦) المعجم الكبير ١١ : ١١ / ١٠٨٦٩ ، سنن النسائي ٦ : ١٦٥ ، سنن ابن ماجه ٢ : ٨٤٣ / ٢٥٢١ ، وفي الأخيرين عن عائشة .

(٧) شعب الإيمان ٢ : ٣٢٦ / ١٩٣٧ .

وفي صحيح الترمذي والنسائي ، ومستدرك الحاكم : عن سلمان الفارسي ، قال :
قال النبي ﷺ : «الحلال ما أحلّ الله في كتابه ، والحرام ما حرّم الله في كتابه»^(١) ، الخبر .
وفي صحيح الترمذي ، ومسند ابن حنبل : عن جبير^(٢) مرسلاً عن النبي ﷺ قال :
«إنّكم لا ترجعون إلى الله بشيءٍ أفضل ممّا خرج منه»^(٣) ، يعني : القرآن .
وفي صحيح أبي داؤد عن زياد بن الحارث^(٤) عن النبي ﷺ أنّه قال : «إنّ الله لم
يرض بحكم نبي ولا غيره ، حتّى في الصدقات ، حتّى حكم هو فيها فجزأها ثمانية أجزاء»^(٥) .
أقول : فإذا كان الله لم يرض بحكم الأنبياء فكيف يرضى بحكم من

-
- (١) سنن الترمذي ٤ : ٢٢٠ / ١٧٢٦ ، المستدرك للحاكم ٤ : ١١٥ ، ولم نعث عليه في سنن النسائي .
(٢) هو جبير بن نفير ، يكنى أبا عبد الرحمن ، أسلم في حياة النبي ﷺ وهو باليمن ، ولم يره ، وقدم المدينة ، ثمّ
انتقل إلى الشام فسكن حمص ، وروى عن أبي بكر ، وعمر ، وأبي ذر وغيرهم ، وروى عنه ابنه ، وخالد بن
معدان وغيرهما .
مات سنة ٧٥ هـ ، وقيل : سنة ٨٠ .
انظر : الاستيعاب ١ : ٢٣٤ / ٣١٤ ، وأسد الغابة ١ : ٣٢٤ / ٧٠٠ ، وسير أعلام النبلاء ٤ : ٧٦ /
٢٣ ، وتاريخ الإسلام (حوادث ٦١ - ٨٠) : ٣٨١ / ١٤٩ .
(٣) سنن الترمذي ٥ : ١٧٧ / ٢٩١٢ ، ووجدناه في الزهد لابن حنبل : ٦٢ / ١٩٠ ، بتفاوت يسير .
(٤) هو زياد بن الحارث الصدائي ، بايع النبي ﷺ ، له صحبة ، قدم على النبي ﷺ ، وأذن له في سفره ،
فأراد بلال أن يقيم ، فقال رسول الله ﷺ : «إنّ أخا صداء أذن ومن أذن فهو يقيم» . روى عنه زياد بن نعيم
الحضرمي .
انظر : أسد الغابة ٢ : ١١٧ / ١٧٩٣ ، وتهذيب التهذيب ٣ : ٣١٠ - ٣١٢ ، والإصابة ١ : ٥٥٧ /
٢٨٥٠ .
(٥) سنن أبي داؤد ٢ : ١١٧ / ١٦٣٠ .

سواهم؟ ألا ترى أنّ كثيراً من الجزئيات ذكرها في كتابه فكيف يترك الكلّيات؟ فافهم .

وفي صحيح البخاري : عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ أنّه قال : «ما من الأنبياء نبيّ إلا أُعطي من الآيات ما مثله أومن أو آمن عليه البشر ، وإنّما كان الذي أُوتيت وحياً أوحاه الله إليّ ، فأرجو أنّي أكثرهم تابِعاً يوم القيامة»^(١) .

وفي صحيح المذكور عن طارق بن شهاب^(٢) قال : قال اليهود لعمر ابن الخطّاب : لو أنّ علينا نزلت هذه الآية : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٣) لَأَتَّخِذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيداً^(٤) ، الخبر .

وفي كتاب الطبراني وغيره : عن جماعة من الصحابة ، منهم : عوف ابن مالك ، قال : قال النبي ﷺ في خطبة له وهو موعوك^(٥) كأنّه يودّعنا : «أطيعوني ما كنت بين أظهركم ، وعليكم بكتاب الله أحلّوا حلاله وحزّموا

(١) صحيح البخاري ٦ : ٢٢٤ ، بتفاوت .

(٢) هو طارق بن شهاب بن عبد شمس بن سلّمة ، يكنّى أبا عبدالله ، رأى النبي ﷺ وغزا في حكومة أبي بكر غير مرّة ، وروى عن : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان وغيرهم ، وحّدث عنه : قيس بن مسلم ، وسمّاك بن حرب ، وغيرهما .

مات سنة ٨٣ هـ ، وقيل : سنة ٨٢ .

انظر : الاستيعاب ٢ : ٧٥٥ / ١٢٦٧ ، أسد الغابة ٢ : ٤٥٢ / ٢٥٩٢ ، سير أعلام النبلاء ٣ :

٤٨٦ / ١٠٩ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٤ .

(٣) سورة الأنعام ٥ : ٣ .

(٤) انظر : صحيح البخاري ٦ : ٦٣ .

(٥) الوعك : الحمّى ، والموعوك : الحموم ، ووعكته الحمّى فهو موعوك .

انظر : صحاح اللغة ٤ : ١٦١٥ . وعك . مجمع البحرين ٥ : ٢٩٨ .

حرامه»^(١) .

وروى بعضهم أنّ ابن مسعود قال : ما لي لا ألعن من لعنه الله في كتابه ، يعني :
الواشمة والمستوشمة ، فقرأت امرأة لما سمعت ذلك منه جميع القرآن ، ثم أتته ، وقالت : يا بن أمّ
عبد ، تلوت البارحة ما بين الدفتين فلم أجد فيه لعن الواشمة والمستوشمة ، فقال : لو تلوتيه
لوجدتيه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(٢) وأنه مما
أتانا النبي ﷺ أن قال : «لعن الله الواشمة والمستوشمة»^(٣) .

وستأتي أخبار أمر النبي ﷺ بالتمسك بكتاب الله وعترته ؛ لكي لا يضلوا .
وفي كتاب المستدرک ، وغيره : عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال : «تركت فيكم
شيئين لن تضلوا بعدهما كتاب الله وسنتي ، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٤) .
ومنه يظهر أنّ ضبط سنته عند عترته ، وأنّ جميع الأمور فيها ، وإلا لأحتاجوا أيضاً
إلى غيرهما .

وروى جماعة في كتبهم . كما مرّ ويأتي . أنّ النبي ﷺ قال : «إنّ العلم ثلاثة : كتاب
ناطق ، وسنة متّي ماضية ، ولا أدري»^(٥) .

(١) المعجم الكبير ١٨ : ٣٨ / ٥٦ ، علل الحديث لابن أبي حاتم ١ : ٤٧٠ / ١٤١٠ ، مسند الشاميين ٢ :
١٩٢ / ١١٧٠ ، تاريخ مدينة دمشق ٥٩ : ٥٤ ، وفيها بتفاوت يسير .

(٢) سورة الحشر ٥٩ : ٧ .

(٣) مجمع البيان ٢ : ٢٩٨ ، وانظر : مسند أبي يعلى ٩ : ٧٣-٧٤ ، تفسير القرآن لابن كثير ٤ : ٣٦٠ .

(٤) المستدرک للحاكم ١ : ٩٣ ، العلل لأحمد بن حنبل ١ : ٩ .

(٥) المعجم الأوسط ١ : ٣٩٨ / ١٠٠٥ ، تاريخ مدينة دمشق ١٧ : ٣١٨ ، جامع الأحاديث ٦ : ٢٢٦ /
١٤٥١٦ ، وفيها بتفاوت يسير .

وفي كبير الطبراني ، وحلية الأولياء ، وغيرهما : عن عائشة عن النبي ﷺ قال : «إذا أتى عليّ يوم لا أزداد فيه علماً يقربني إلى الله ، فلا بورك في طلوع شمس ذلك اليوم»^(١) .

وعن ابن عمر ، قال : قال النبي ﷺ : «أوتيت مفاتيح كل شيء إلاّ الخمس» ، ثم قرأ قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ إلى آخر الآية^(٢) (٣) .

وفي مناقب ابن مردويه بإسناده عن أم سلمة قالت في حديث لها : إنّ النبي ﷺ قال لها : «إنّ جبرئيل أتاني من الله بما هو كائن بعدي»^(٤) ، الخبر .

وفي صحيح ابن ماجة ، والمستدرک ، ومسند ابن حنبل : عن عرياض^(٥) ، عن النبي ﷺ أنّه قال : «قد تركتم على البيضاء ليلها كنهارها

-
- (١) وجدناه في المعجم الأوسط ٧ : ٢٠ / ٦٦٣٦ ، حلية الأولياء ٨ : ١٨٨ ، المجروحين لابن حبان ١ : ٣٣٥ ، الكامل لابن عدي ٢ : ٢٧٣ ، تاريخ بغداد ٦ : ١٠٠ / ٣١٣٦ ، جامع بيان العلم وفضله ١ : ٢٥٩ / ٣١٨ ، إحياء علوم الدين ١ : ٦ ، بتفاوت في بعضها .
- (٢) سورة لقمان ٣١ : ٣٤ .
- (٣) مسند أحمد ٢ : ٢١٠ / ٥٥٥٤ ، المعجم الكبير ١٢ : ٣٦٠ / ٣٣٤٤ ، جامع الأحاديث ٣ : ٢٩٠ / ٨٧٠٠ .
- (٤) أوردته ابن طائوس في الطرائف ١ : ٤١ / ٢٢ ، والموفق الخوارزمي في المناقب ١٤٦ / ١٧١ ، وإبراهيم بن محمد في فرائد السمطين ١ : ٢٧٠ / ٢١١ ، وفيها في ضمن الحديث .
- (٥) هو عرياض بن سارية السلميّ ، يكنى أبا نجيح ، من أعيان أهل الصّفة ، سكن حمص ، روى عنه : عبد الرحمن بن عمرو ، وجبير بن نفير ، وخالد بن معدان وغيرهم .
- مات سنة ٧٥ هـ .
- انظر : أسد الغابة ٣ : ٥١٦ / ٣٦٢٤ ، وسير أعلام النبلاء ٣ : ٤١٩ / ٧١ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ١٥٧ / ٣٤١ ، وشذرات الذهب ١ : ٨٢ .

لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك»^(١) ، الخبر .

وقد مرّ ويأتي ما رواه السيوطي وغيره أنّ عمر بن الخطّاب كتب عن بعض اليهود شيئاً من التي في كتبهم ، فغضب النبي ﷺ وقال : «والذي نفسي بيده يابن الخطّاب ، لقد جئتكم بما نقيّة بيضاء ، فوالله لو كان موسى حيّاً لما وسعه إلاّ متابعتي»^(٢) .

وستأتي بقيّة الأخبار فيما بعد ، وكفى ما ذكرناه هاهنا ؛ لأنّ وضوح المقصود بحيث لا حاجة إلى ما ذكرناه أيضاً ، ومن أراد زيادة التوضيح فعليه بما سيأتي ، والله الهادي .

المقالة الثامنة :

في بيان ما هو كالسابق في الزوم من كون القرآن ورسول الله ﷺ واسطتين ثابتتين ، وحجتين قائمتين ، ومعلّمين متعيّنين من طرف الله عزّ وجلّ ، وأنّ الواجب الرجوع إليهما أبداً ، والأخذ منهما مطلقاً ، وترك ما لم يكن منهما رأساً ما لم يثبت كونه حجّة من الله أيضاً .

لا يخفى أنّه لما ظهر سابقاً أنّ الله عزّ وجلّ لم يرض من عباده إلاّ بالتعبّد على وفق تعليمه ، وأنّه علّم وبين ولم يسامح في شيء ، وصار معلوماً أيضاً أنّ بيانه إنّما كان لرسوله ﷺ وفي كتابه .

(١) مسند أحمد ٥ : ١٠٩ / ١٦٦٩٢ ، سنن ابن ماجه ١ : ١٦ / ٤٣ ، المستدرک للحاکم ١ : ٩٦ ، بتفاوت يسير .

(٢) انظر : المصنّف لابن أبي شيبة ٩ : ٤٧ ، مسند أحمد ٤ : ٣٧٦ / ١٤٧٣٦ ، جامع بيان العلم وفضله ٢ : ٨٠٥ / ١٤٩٧ ، مجمع الزوائد ٨ : ٢٦٢ ، الدرّ المنثور ٦ : ٤٧٣ ، جامع الأحاديث ٢ : ١٧٣ / ٤٦٥٢ ، بتفاوت يسير .

وقد مرَّ^(١) أيضاً في أوّل أحاديث الفاتحة من هذا الكتاب أنّ عادة الله جرت وكمال حكمته اقتضت أن يختار في جميع الأزمنة من خلقه وسائط وسفراء وهُداة وأمناء من الرسل والأنبياء ، والكتب ، والأوصياء لإيصال ما أراد وصوله منه إلى الخلائق ممّا يحتاجون إليه في تكاليفهم ، بحيث لا يحتاجون في شيء من ذلك إلى الغير ، متممّاً لهم الحجّة على الخلق بالمعجز والفضائل ، وسائر أقسام البرهان التي أعظمها وأبينها كمال العلم والعرفان .

ومن المعلوم أيضاً أنّ أفضلهم وأعظمهم وأكملهم كان نبينا ﷺ الذي أرسله الله على كافة الإنس والجان إلى آخر الزمان ، وأنزل عليه القرآن هدىً للناس وبيّنات من الهدى والفرقان ، فباليقين رسول الله ﷺ والقرآن واسطتان ثابتان ، وحجّتان قائمتان ، ومعلّمان مبلّغان من طرف الله عزّ وجلّ . وبأمره واختياره بالبيان والعلم والبرهان ، فيجب الرجوع إليهما مطلقاً ، وترك مخالفتهما رأساً ، وعدم الاعتماد على ما لم يكن منهما أصلاً ما لم يثبت كونه حجّة من الله بأمره أيضاً .

وهذا كلّ مع كونه من البيّنات تدلّ عليه آيات وروايات سوى ما مرّ ويأتي ممّا لا يبقى بعد ملاحظتها شكّ لصاحب الإنصاف ، ولا مجال مجادلة لمن أراد المعاندة والاعتساف ، وإنّما نذكر هاهنا شذمة قليلة من الآيات والروايات وإن لم يحتج إليها ؛ لإكمال مزيد التوضيح :

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ ﴾^(٢) ، الآية .

(١) راجع : ج ١ ، ص ٩ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٣٦ .

وقال سبحانه : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴾ ^(١) ،
الآية .

وقال : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ ^(٢) .
وقال : ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ
وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) .
وقال تبارك وتعالى : ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾
^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا ﴾ ^(٥) الآية .
وقال : ﴿ هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾
^(٦) .

وقال عزّ وعلا : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ ^(٧) ،
الآية .

وقال : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ ^(٨) .

(١) سورة الأعراف ٧ : ٣ .

(٢) سورة التغابن ٦٤ : ٨ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٥٧ .

(٤) سورة الفرقان ٢٥ : ١ .

(٥) سورة ص ٣٨ : ٢٩ .

(٦) سورة الحديد ٥٧ : ٩ .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ١٠١ .

(٨) سورة آل عمران ٣ : ١٠٣ .

وقال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ^(١) .
 وقال : ﴿ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال : ﴿ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ ﴾ ^(٣) .
 وقال : ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ ﴾ ^(٤) .
 وقال : ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٥) .
 وقال : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ ^(٦) .

وستأتي أيضاً آيات سوى ما مرّ .

وروى السيوطي من صحيح مسلم ، ومسند ابن حنبل ، وحلية الأولياء ، ومن عدة كتب ، منها : صحيح البخاري عن أبي هريرة ، وعمرو بن مالك الأنصاري ، وغيرهما عن النبي ﷺ قال : «إِنَّ اللَّهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا» ^(٧) .

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٠٥ .

(٢) سورة الجاثية ٤٥ : ٦ .

(٣) سورة الجاثية ٤٥ : ٢٩ .

(٤) سورة الإسراء ١٧ : ٩ .

(٥) سورة الإسراء ١٧ : ٨٢ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ١٥٣ .

(٧) صحيح مسلم ٣ : ١٣٤٠ / ١٧١٥ ، مسند أحمد ٣ : ٥٦ / ٨٥٨١ ، الأدب المفرد : ١٥٧ / ٤٤٢ ، جامع الأحاديث ٢ : ٣٠٩ / ٥٦١٣ ، وفي جميع المصادر ورد عن أبي هريرة .

وفي بعض الروايات : «أمركم بثلاثٍ وأنهاكم عن ثلاثٍ : أمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، وأن تناصحوا من ولّاه الله أمركم»^(١) ، الخبر .

وفي مستدرك الحاكم : عن ابن عمر ، قال : قال النبي ﷺ : «العلم ثلاثة : آية محكمة ، أو سنة قائمة ، أو فريضة عادلة»^(٢) .

وقد مرّ^(٣) قوله ﷺ : «العلم ثلاثة : كتاب ناطق ، وسنة ماضية ، ولا أدري» .

وفي صحيح البخاري : عن ابن عباس ، قال : قال النبي ﷺ : «أبغض الناس إلى الله تعالى ثلاثة» منهم : «مبتغ في الإسلام سنن الجاهلية»^(٤) ، الخبر .
ولا يخفى أنّ كلّ ما لم يكن في الكتاب أو سنة الرسول يدخل في سنن الجاهلية ، كما هو ظاهر .

وقد قال ﷺ : «كما في كتاب ابن المغازلي : . . . إته لم تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها»^(٥) ، الخبر .

وفي صحيح مسلم : عن ابن عمر ، قال : قال النبي ﷺ : «إنما هلك

(١) المعجم الكبير ٩ : ٢٨ / ٨٣٠٧ ، حلية الأولياء ٨ : ٣٢٩ ، جامع الأحاديث ١ : ٢٨ / ٤٤ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧ : ٤٤ / ٤٥٤٢ ، بتفاوت يسير .

(٢) المستدرك للحاكم ٤ : ٣٣٢ ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص .

(٣) في ص ٨٤ .

(٤) صحيح البخاري ٩ : ٧ ، بتفاوت يسير .

(٥) المناقب لابن المغازلي : ١٨ / ٢٣ ، ضمن الحديث ، وفيه : «إنها» و«تدين» بدل «إنه» و«تدين» .

من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب»^(١).

وفي رواية أخرى : «باختلافهم على أنبيائهم»^(٢).

وفي الثالثة : «ضربوا كتاب الله بعضه ببعض ، وإنما نزل كتاب الله يصدق بعضه بعضاً ، ولا يكذب بعضه بعضاً ، ما علمتم منه فقولوا ، وما جهلتم فكُلوه إلى علمه»^(٣).
وفي كتاب المستدرک وغيره : عن ابن مسعود ، قال : قال النبي ﷺ : «إنّ هذا القرآن مآدبة الله فاقبلوا مآدبته ما استطعتم»^(٤).

وفي كتاب شعب الإيمان للبيهقي : عن أبي هريرة ، قال : قال النبي ﷺ : «أعربوا القرآن وأتبعوا غرائبه وفرائضه وحدوده ، فإنّ القرآن أنزل على خمسة أوجه : حلال ، وحرام ، ومحكم ، ومتشابه ، وأمثال ، فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، وأتبعوا المحكم ، وآمنوا بالمتشابه ، واعتبروا بالأمثال»^(٥).

وفي صحيح ابن ماجة ، وغيره من كتب عديدة : عن جابر وغيره ، قالوا : قال رسول الله ﷺ : «إنّ أصدق الحديث كتاب الله ، وإنّ أفضل الهدي هدي محمد ﷺ ، وشرّ الأمور محدثاتها ، وكلّ محدثة بدعة ، وكلّ

(١) صحيح مسلم ٤ : ٢٠٥٣ / ٢٦٦٦ عن عبد الله بن عمرو .

(٢) كتاب السنّة لابن أبي عاصم ١ : ٦١ / ١٣٣ ، مسند أحمد ٣ : ٥٠٧ / ٧٤٤٩ .

(٣) مسند أحمد ٢ : ٣٨٤ / ٦٧٠٢ ، المصنّف للصنعاني ١١ : ٢١٧ / ٢٠٣٦٧ ، شعب الإيمان ٢ : ٤١٧ / ٢٢٥٨ ، وفي المصادر ورد : «فلا تكذبوا بعضه ببعض» .

(٤) فضائل القرآن لأبي عبيد : ٢١ / ٧ ، شعب الإيمان ٢ : ٣٢٤ / ١٩٣٣ ، بتفاوت يسير ، الإنصاف للباقلاني : ١٣٠ ، المستدرک للحاكم ١ : ٥٥٥ .

(٥) شعب الإيمان ٢ : ٤٢٧ / ٢٢٩٣ .

بدعة ضلالة ، وكلّ ضلالة إلى النار»^(١) .

وفي رواية أخرى : «إنّما هما اثنتان^(٢) : الكلام والهدّي ، فأحسن الكلام كلام الله ، وأحسن الهدّي هديّ محمد ﷺ ، ألا وإياكم محدثات الأمور ، فإنّ شرّ الأمور»^(٣) ، إلى آخر الخبر .

وفي صحيح مسلم والبخاري والترمذي ، وغيرهم ، وفي غيرها أيضاً من الكتب الكثيرة : عن أبي هريرة وثوبان وغيرهما قالوا : قال النبي ﷺ : «إنّ الدين»^(٤) ، وفي رواية : «رأس الدين النصيحة لله ولكتابه ولدينه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(٥) .

وفي القرآن : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾^(٦) ، والإسلام هو التسليم ، كما قال تعالى : ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾^(٧) ، وقال : ﴿وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾^(٨) ، وأمثالهما .

والتسليم إنّما يكون بقبول كلام الله ورسوله لا غير ذلك ممّا يدخل تحت خطوات الشيطان من جميع أقسام الرأي والقياس والاستحسان ، حتّى

(١) انظر : سنن ابن ماجه ١ : ١٧ / ٤٥ ، مسند أحمد ٤ : ٢٤٨ / ١٣٩٢٤ ، سنن النسائي ٣ : ١٨٨ .

١٨٩ ، المعجم الكبير ٩ : ٩٧ / ٨٥٢١ .

(٢) في الأصل : «هو اثنتان» .

(٣) سنن ابن ماجه ١ : ١٨ / ٤٦ .

(٤) مسند أحمد ٥ : ٧١ / ١٦٤٩٣ و ١٦٤٩٩ ، سنن الدارمي ٢ : ٣١١ ، صحيح البخاري ١ : ٢٢ ،

التأريخ الكبير للبخاري ٢ : ١٠ ، صحيح مسلم ١ : ٧٤ / ٩٥ ، سنن أبي داؤد ٤ : ٢٨٦ / ٤٩٤٤ ، سنن

الترمذي ٤ : ٣٢٤ / ١٩٢٦ ، سنن النسائي ٧ : ١٥٦ ، مسند أبي يعلى الموصلي ٤ : ٢٥٩ / ٢٣٦٢ ،

مسند الشهاب ١ : ٤٤ / ١٧ .

(٥) كتاب السنّة لابن أبي عاصم ٢ : ٥٠٧ / ١٠٩٥ ، علل الحديث لابن أبي حاتم ٢ : ١٧٦ .

(٦) سورة آل عمران ٣ : ١٩ .

(٧) سورة البقرة ٢ : ٢٠٨ .

(٨) سورة النساء ٤ : ٦٥ .

قال رسول الله ﷺ . كما في المستدرك . : «الجدال في القرآن كفر»^(١) .
وقال ﷺ . كما في صحيح الترمذي والنسائي ، وغيرهما . : «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»^(٢) .
وقال ﷺ . كما في صحيح الترمذي . : «من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»^(٣) .
وقال ﷺ : «أكثر ما أتخوف على أمتي من بعدي رجل يتأول القرآن ، يضعه حيث شاء على غير موضعه»^(٤) .
وقال ﷺ . كما في كتاب الشفاء للقاضي عياض ، وفي غيره أيضاً . : «إنّ القرآن صعب مستصعب على من كرهه ، وهو الحكم ، فمن استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ، ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة»^(٥) .
وفي كتاب الاستيعاب لابن عبد البر : عن عمر بن الخطاب ، قال : السُّنَّةُ سُنَّةُ اللَّهِ ورسوله ، ولا تجعلوا خطأ الرأي سُنَّةً للأُمَّة^(٦) .
والأخبار فيما نحن فيه ممّا لا تخصي ما سوى ما مرّ ويأتي ، والمسألة أيضاً ممّا لم يخالف فيه أحد من أهل الإسلام ، فلنكتف بما ذكرناه من كتب القوم ؛ لوضوح المسألة عندنا ، والله الهادي .

(١) المستدرك للحاكم ٢ : ٢٢٣ .

(٢) سنن الترمذي ٥ : ٢٠٠ / ٢٩٥٢ ، فضائل القرآن للنسائي : ٧٨ / ١١١ ، مسند أبي يعلى الموصلي ٣ : ٩٠ / ١٥٢٠ ، شعب الإيمان ٢ : ٤٢٣ / ٢٢٧٧ .

(٣) سنن الترمذي ٥ : ١٩٩ / ٢٩٥٠ .

(٤) المعجم الأوسط ٢ : ٢٨٥ / ١٨٨٦ ، بتفاوت يسير .

(٥) الشفاء للقاضي عياض ٢ : ٢٥ ، كنز العمال ١ : ٥٥٠ / ٢٤٦٧ .

(٦) وجدناه في جامع بيان العلم وفضله ٢ : ١٠٤٧ / ٢٠١٤ .

المقالة التاسعة :

في بيان ما هو بين الزوم أيضاً على سابقه ، من أنّ النبي ﷺ حيث كان واضحاً معلوماً كونه قيماً للقرآن . الذي هو شريكه ودليله والمنزل عليه . بحيث كان عالماً من هذه الجهة بجميع ما فيه تأويلاً وتفسيراً ، كان هو المعلم الحقيقي من الله عزّ وجلّ قطعاً ، وحجّة على الأئمة قاطبة ، ومفروض الطاعة عليهم كافة بنصّ من الله تعالى في كلّ شيء ، لا تجوز لهم مخالفته ، ولا التمسك بما لم يكن منه ، بل يجب عليهم الرجوع في كلّ شيء إليه ، والتسليم له ، وأخذ ما احتاجوا إليه منه ولو بالواسطة الثابتة وساطته ، وأنّه لأجل هذا جعله الله حاكماً أيضاً ، حيث أعطاه الله الحكم^(١) والنبوة جميعاً .

وتوضيح هذا : هو أنّه لما تبين أنّ رسول الله ﷺ وكتابه واسطتان في بيان ما يحتاج إليه العباد من طرف الله عزّ وجلّ ، ولا شبهة في عجز الناس عن فهم جميع ما في القرآن ؛ ضرورة أنّ له ظهراً وبطناً ، وتفسيراً وتأويلاً ، وفيه الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والنصوص ، وغيرها ممّا لا يدرك معناه ، ولا يحاط بعلمه وإدراك ما فيه إلّا من الله ، وكفى شاهداً كونه مشتملاً على تبيان كلّ شيء ، وقد عجز عن استنباط أقلّ قليل من ذلك فحول العلماء .

وقد قال رسول الله ﷺ . كما في كتاب الطبراني ، وغيره . : «إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف لكلّ حرف منها ظهر وبطن ، ولكلّ حرف منها حدّ ، ولكلّ حدّ مطلع»^(٢) .

(١) في «ل» و «م» : «الحكمة» بدل : «الحكم» .

(٢) المصنّف لعبد الرزّاق ٣ : ٣٥٨ / ٥٩٦٥ ، غريب الحديث لابن سلام ٢ : ١١ ،

وقال أيضاً. كما في كتاب الإبانة . : «أنزل القرآن على عشرة أحرف : بشير ، ونذير ، وناسخ ، ومنسوخ ، وعظة ، ومثل ، ومحكم ، ومتشابه ، وحلال ، وحرام»^(١) ، وقد مرّ غيرهما أيضاً .

وكفى أيضاً قوله تعالى : ﴿ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾^(٢) ، وقد مرّ في فاتحة هذا الكتاب أيضاً أخبار شاهدة لما نحن فيه .

ومن المعلوم أنّه ليس من شأن الربّ الحكيم المتّمّ للنعمة والحجّة أن ينزل شيئاً لأجل انتفاع العباد به ، ويمنّ عليهم بجعله واسطة في بيان ما يحتاجون إليه ، ولا يبيّن لأحد منهم خفايا ما منّ به عليهم ، حتّى لمن أنزله عليه وجعله قيماً له ، وترجمانه ، وشريكه في البيان ، لا سيّما مع تصريحه بأنّه علّمه إياه وبيّنه له ، كما مرّ ويأتي .

فإذن لا محالة كان رسول الله ﷺ عالماً بجميع ما فيه بتعليم من الله عزّ وجلّ وبيانه ، وكان مختصّاً بعلم كلّ ما فيه ، وأمّا إفهام غيره لا تدانيه ، فباليقين كان هو المعلم من الله تعالى حقيقةً ، وحجّةً على جميع الأُمّة كافّةً ، ومفروض الطاعة بنحو ما ذكرنا آنفاً .

وهذا كلّ مع وضوحه في نفسه ، سيّما بعد ظهور ما سبق تنادي به نصوص من الآيات والروايات وغيرها ، وقد مرّ كثير منها ويأتي كثير ،

تفسير الطبريّ ١ : ٢٥ ، المعجم الكبير ١٠ : ١٢٩ / ١٠١٠٧ ، المعجم الأوسط ١ : ٤٣٣ / ٧٧٧ ، الإحكام لابن حزم ٣ : ٢٨٠ و ٢٨١ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٠ : ٢٣٥ ، البرهان للزركشي ٢ : ١٦٩ ، جامع الأحاديث للسيوطي ٢ : ١٩٧ / ٤٨٢٠ .

(١) حكاه عنه السيوطي في جامع الأحاديث ٢ : ١٩٨ / ٤٨٢١ ، والجامع الصغير ١ : ٤١٨ / ٢٧٣٠ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٧ .

ونذكر هنا أيضاً نبذاً منها :

قال الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ إلى قوله : ﴿ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ ^(١) .

وقال سبحانه : ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ ^(٣) .

ومثله آية سورة الجمعة مع زيادة قوله : ﴿ وَآخِرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ ﴾ ^(٤) ، الصريح في بقاء دينه إلى آخر الزمان ، الذي هو صريح آيات كثيرة ، كقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٥) ، وقوله : ﴿ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ ﴾ ^(٦) ، وقوله : ﴿ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﴾ ^(٧) ، وأمثالها .

وقال تعالى : ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ ^(٨) .

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٥٨ .

(٢) سورة الأعراف ٧ : ٦١ و ٦٢ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٦٤ .

(٤) سورة الجمعة ٦٢ : ٣ .

(٥) سورة الأنبياء ٢١ : ١٠٧ .

(٦) سورة سبأ ٣٤ : ٢٨ .

(٧) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٠ .

(٨) سورة النحل ١٦ : ٤٤ .

وقال سبحانه : ﴿ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (١).

وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ ﴾ (٢).
وقال : ﴿ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ﴾ (٣).

وقال : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ (٤).
وقال : ﴿ قُلْ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ (٥).
وقال : ﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٦).
وقال : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَأَمَتُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ (٧).

وقال : ﴿ اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ (٨).
وقال : ﴿ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ

(١) سورة النحل ١٦ : ٦٤ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١٠٥ .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ٢٧ .

(٤) سورة يوسف ١٢ : ١٠٨ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ١٩ .

(٦) سورة الأنعام ٦ : ١٢٤ .

(٧) سورة آل عمران ٣ : ١٧٩ .

(٨) سورة الأنفال ٨ : ٢٤ .

تُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ .

وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٢) .

وقال : ﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (٣) .

وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ (٤) .

وقال : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ (٥) .

وقال : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٦) .

وقال : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٧) .

وقال : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ (٨) .

وقال : ﴿ وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا

(١) سورة النساء ٤ : ٥٩ .

(٢) سورة النساء ٤ : ٦٤ ، ٦٥ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٥١ .

(٤) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٦ .

(٥) سورة الأنعام ٦ : ١٥٩ .

(٦) سورة الحشر ٥٩ : ٧ .

(٧) سورة النساء ٤ : ٨٠ .

(٨) سورة آل عمران ٣ : ٣١ .

فِيهَا ﴿١﴾ .

وقال : ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ﴾ ﴿٢﴾ الآية .

ومعلوم أنّ سبيل المؤمنين إنّما كان الأخذ من الرسول ، كما ظهر مع تصريح قوله سبحانه : ﴿ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ ﴿٣﴾ ، الآية .
وآيات قوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾ ﴿٤﴾ كثيرة ، وقد مرّت أيضاً آيات فلا تغفل .

روى الحكيم في كتابه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنّه قال : «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ بِمَا عَلَّمَنِي وَأَنْ أُؤَدِّبَكُمْ ، [وإنّما أنا لكم بمنزلة الوالد أعلمكم]» ﴿٥﴾ ، ثمّ ذكر لهم بعض الآداب ، حتّى آداب الاستنجاء .

وفي صحيح مسلم : عن عائشة أنّ النبي ﷺ قال : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَبْعَثْ مُعْتَبّاً وَلَا مُتَعْتَباً وَلَكِنْ بَعَثَنِي مُعَلِّماً مَيَسَّراً» ﴿٦﴾ .

وفي جامع السيوطي : عن النبي ﷺ أنّه قال : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ بَعَثَنِي رَحْمَةً لِلنَّاسِ كَافَّةً فَأَدِّوْا عَنِّي رَحِمَكُمْ اللَّهُ وَلَا تَخْتَلَفُوا» ﴿٧﴾ ، الخبر .

(١) سورة النساء ٤ : ١٤ .

(٢) سورة النساء ٤ : ١١٥ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٠٨ .

(٤) سورة آل عمران ٣ : ٣٢ ، ١٣٢ ، سورة النساء ٤ : ٥٩ ، سورة المائدة ٥ : ٩٢ ، سورة الأنفال ٨ : ١ ، ٢٠ ، ٤٦ ، سورة النور ٢٤ : ٥٤ ، سورة محمد (عليه وآله السلام) ٤٧ : ٣٣ ، سورة المجادلة ٥٨ : ١٣ ، سورة التغابن ٦٤ : ١٢ .

(٥) سنن أبي داود ١ : ٣ / ٨ ، نوادر الأصول ١ : ٣٨٥ ، تفسير ابن كثير ٣ : ٤٧٧ ، جامع الأحاديث للسيوطي ٢ : ٢٦٢ / ٥٢٧٥ .

(٦) صحيح مسلم ٢ : ١١٠٤ / ١٤٧٨ في ذيل الحديث ، عن جابر بن عبد الله .

(٧) المعجم الكبير للطبراني ٢٠ : ٨ / ١٢ ، جامع الأحاديث للسيوطي ٢ : ٤٧٢ / ٦٧٠٠ .

وفي صحيح البخاري : عن أبي هريرة ، قال : قال النبي ﷺ : «كلُّ أُمّتي يدخلون الجنة إلا مَنْ أْبى ، مَنْ أطاعني دخل الجنة ، ومن عصاني فقد أْبى» (١) .

وفي كتاب الفردوس : عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال : «ليس منّا من عمل بسنة غيرنا» (٢) .

وفي كتاب ابن عساكر : عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ قال : «من أخذ بسُنّتي فهو مِنّي ، ومن رغب عن سنّتي فليس مِنّي» (٣) .

وفي صحيح مسلم ، ومُسند ابن حنبل عن عائشة عن النبي ﷺ أنّه قال : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو ردّ» (٤) .

وفي كتاب الكبير للطبراني : عن ابن عباس أنّ النبي ﷺ قال في حديث له : «ألا لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ومن نكث ذمّتي خاصمته ومن خاصمته فلجت عليه ، ومن نكث ذمّتي لم ينل شفاعتي ولم يرد عليّ الحوض ، ألا هل بلغت؟» (٥) ، الخبر .

والأخبار من هذا القبيل ممّا لا تحصى سوى ما مرّ ، وسيأتي نبذ منها

(١) صحيح البخاري ٩ : ١١٤ بتفاوت ، وفي «م» و«ن» الحديث ورد هكذا : «ليس كلّ أُمّتي يدخلون الجنة ، إلا مَنْ أطاعني ، ومن عصاني فقد أْبى» ، وما في المصدر موافق لما أثبتناه من نسخة «س» و«ل» .

(٢) فردوس الأخبار ٣ : ٤١٥ / ٥٢٦٨ ، المعجم الكبير للطبراني ١١ : ٣٩٠ / ١٢٠٩٠ ، فيض القدير ٥ : ٣٨٦ .

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٣٨ : ١٢٧ / ٤٤٩٦ .

(٤) صحيح مسلم ٣ : ١٣٤٤ / ١٧١٨ ، مسند أحمد ٧ : ٢٠٩ / ٢٤٦٠٤ ، ٢٥٨ / ٢٤٩٤٤ ، ٣٦٥ / ٢٥٦٥٩ .

(٥) المعجم الكبير ١١ : ٢١٣ / ١١٥٣٢ ، مجمع الزوائد ١ : ١٧٢ ، كنز العمال ١٥ : ٩٤٠ / ٤٣٦١٧ .

في المقالة الآتية ، مع كون أصل المسألة ضروريّة ، فلنكتف هاهنا بما ذكرناه ، والله الهادي .

المقالة العاشرة :

في بيان ما هو أيضاً نظير ما سبق عليه من أنّ النبي ﷺ حيث كان بتلك المثابة التي تبَيَّنَت كان عالماً من الله ، بيّن العلم بجميع الأشياء يقيناً ، بحيث لم يعجز عن سؤال أصلاً ولم يكن في حكمه اختلاف وخطأ أبداً ؛ إذ لم يحتج إلى شيء من شقوق الاجتهاد بالرأي رأساً ، وكان أيضاً صدوقاً ثابت الصدق مسلّم التوثيق معصوماً عن الخطأ والزلل ، متعيّناً من الله عزّ وجلّ ، فائق الكمالات من جميع الجهات ، مبلّغاً عن الله ما لا بدّ منه ويحتاج إليه بلا مسامحة ولا إهمال ؛ ولهذا كان بحيث لا قدح فيه ولا نقص يعتريه .

ولا يخفى أنّ هذا المطلب وإن كان واضحاً أيضاً لا سيّما بعد وضوح ما مرّ لكنّا نذكر هاهنا بعض الشواهد مع نبذ من مناقبه حسباً ونسباً وعلماً وعملاً ؛ بحيث ينكشف ما نحن فيه في ضمنها انكشافاً لا يبقى معه مجال شبهة ، حتّى للمعاند أيضاً ، مع أنّنا نكتفي بأقلّ قليل من مناقبه ، فإنّ كثرتها بحيث لا يمكن حصرها أصلاً ، ووضوحها بحيث لا يحتاج إلى ما نذكره أيضاً ، فهنا فصول :

الفصل الأول

في بيان نبدّمّا يتعلّق بغزارة علمه وعرفانه ، وإحاطته بما لم يحط به غيره من عند الله عزّوجلّ وحيّاً وإلهاماً ، أو ما يقول إليهما مرجعاً ، بحيث لم يحتج إلى ما سوى ذلك أصلاً ، بل لم يكن يتكلّم بغير هذا الوجه أبداً ، حتّى أنّه لم يكن يطمع أن يجنح في ساحة علمٍ من علومه طائر وهم الخيال ، ولا أن يدنو إلى حكم من أحكامه زلل الخطأ والجهل .

لا يخفى أنّه يكفي في تبیان هذا المدّعى ما هو واضح معلوم على كلّ أحد من شريعته الغرّاء التي وضعها وقرّرها وقنّنها من أقسام العبادات ، وأنواع الأحكام في المعاملات ، والمعاملات ، والأخلاق ، والقضايا ، والحدود ، والموارث ، وغيرها من أمور الشريعة ، وكذا الكتاب الذي جاء به ، والإخبارات التي أخبر بها ، والاحتجاجات التي أفحم بها سائر أهل الملل ، ومن يقدر على التشكيك في علم مَنْ كان يفتخر بتلمّذه ؟ مَنْ كان ينادي الناس على المنابر : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عمّا في السماوات وما في الأرض ، وما كان وما يكون . هذا ، مع قوله ﷺ : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»^(١) وأمثاله ، لكننا نذكر أيضاً بعض ما نُقل فيه تيمّناً

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٣٣ / ١ ، الخصال : ٥٧٤ / ١ ، تحف العقول : ٤٣٠ ، كفاية الأثر : ١٨٤ ، المعجم الكبير ١١ : ٦٦ / ١١٠٦١ ، المستدرک للحاكم ٣ : ١٢٧ ، تاريخ بغداد ٢ : ٣٧٧ ، ٤ : ٣٤٨ ، ٧ : ١٧٣ ، ١١ : ٤٨ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٢ ، المناقب لابن المغازلي : ٨٠ . ٨٤ ، مناقب الخوارزمي : ٨٣ / ٦٩ ، تاريخ مدينة

وتبركاً .

روى السيوطي في جامعه من كتاب الطبراني ، وغيره : عن ابن عمر ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أُوتِيَتْ مَفَاتِيحُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا الْخَمْسَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ ﴾» (١) « الآية (٢) .

وفي رواية ذكرها هو وجماعة كثيرة : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال : «أُوتِيَتْ جَوَامِعُ الْكَلِمِ» (٣) .
وفي مناظرة الرضا عليه السلام في مجلس المأمون مع الجاثليق ، أَنَّهُ قال له : «يا نصراني ، هل تعرف في الإنجيل قول عيسى عليه السلام : إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى أَبِي ذَاهِبٍ إِلَى رَبِّي وَرَبِّكُمْ وَالْبَارَقْلِيْطَا جَاءَ ، وَهُوَ الَّذِي يَشْهَدُ لِي بِالْحَقِّ كَمَا شَهِدْتَ لَهُ ، وَهُوَ الَّذِي يَفْسِّرُ لَكُمْ كُلَّ شَيْءٍ ، وَهُوَ الَّذِي يَبْدِي لَكُمْ فُضَائِحَ الْأُمَمِ ، وَهُوَ الَّذِي يُكْسِرُ عَمُودَ الْكُفْرِ؟» فقال الجاثليق : نعم ، نجد هذا ثابتاً في الإنجيل (٤) .

وفي كتاب الفضائل : عن عبد الملك بن سليمان (٥) رفعه : إِنَّ مُوسَى وَالْخَضِرَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ كانا على شاطئ البحر إذ أقبل طائر ، فأخذ بمنقاره ماءً ورمى به . إلى أن قال . : إذ بعث الله ملكاً ، فقال : ليعتزن الله نبياً اسمه محمد ﷺ

دمشق ٤٢ : ٣٧٨-٣٨٣ ، مطالب السؤل : ٦٩-٩٨ ، تهذيب الكمال ١٨ : ٧٧ / ٣٤٢١ ، مجمع الزوائد ٩ : ١١٤ .

(١) سورة لقمان ٣١ : ٣٤ .

(٢) جامع الأحاديث ٣ : ٢٩٠ / ٨٧٠٠ ، المعجم الكبير ١٢ : ٣٦٠ / ١٣٣٤٤ ، مسند أحمد ٢ : ٢١٠ / ٥٥٥٤ .

(٣) جامع الأحاديث للسيوطي ٣ : ٣٠٤ / ٨٧٩٥ ، سنن سعيد بن منصور ٢ : ٣١٠ / ٢٨٦٢ ، مسند أحمد ٢ : ٤٩٣ / ٧٣٥٥ ، و ٣ : ١٨٨ / ٩٤١٢ ، صحيح مسلم ١ : ٣٧٢ / ٥٢٣ ، مسند أبي يعلى الموصلي ١١ : ١٧٦ / ٦٢٨٧ ، شرح السنّة للبعوي ٧ : ٤٠٨ / ٣٦١٧ .

(٤) التوحيد : ٤٢٤-٤٢٥ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٦٢ ، الاحتجاج ٢ : ٤١١ .

(٥) في الأصل : «عبد الملك بن سلمان» ، وما أثبتناه من المصدر .

له وصي اسمه عليّ ، علمكما جميعاً في علمه مثل هذه القطرة في هذا البحر ^(١) .
وفي حكاية يوحنا . كما نقلها جمع . أنّه قال : قال المسيح ﷺ : «الفارقليط لا
يجيئكم ما لم أذهب ، يسوسكم بالحق ويخبركم بالغيوب» ^(٢) .
وفي الإنجيل أيضاً : قال المسيح ﷺ للحواريين : «أنا أذهب وسيأتيكم الفارقليط
روح الحق الذي لا يتكلم من قبل نفسه ، إنّما يقول كما يقال له» ^(٣) .

وفي روايات عن جمع ، منهم : حوشب ^(٤) ، ومنهم : أنس ، ومنهم : ثوبان ، ومنهم
: عبدالله بن عباس ، ومنهم : الحسن بن عليّ ﷺ وغيرهم ، ونحن نذكر خلاصة ما في
رواية ابن عباس ؛ لما فيها من كثرة المسائل وبسط الحكاية ، قال : لما بعث الله النبيّ ﷺ
أمره جبرئيل ﷺ أن يكتب إلى أهل الكتاب . يعني : اليهود والنصارى . يدعوهم إلى
الإسلام ، فكتب إلى أهل خير كتاباً وأرسله إليهم ، فلما وصل إليهم الكتاب حملوه وأتوا به

(١) الروضة في فضائل أمير المؤمنين ﷺ : ١٤٣ ، ١٤٤ ، الفضائل لشاذان بن جبرئيل : ٥٥٧ / ٢٤١ ،
بحار الأنوار ٤٠ : ١٧٧ / ٦٠ .

(٢) الخرائج والجرائح ١ : ٧٧ ، الصراط المستقيم ١ : ٥٦ .

(٣) الخرائج والجرائح ١ : ٧٦ ، الصراط المستقيم ١ : ٥٦ .

(٤) لعلة حوشب بن طخمة ذو ظليم (بالتصغير) الألهانيّ الحميريّ : تابعي ، يمنيّ . كان رئيس بني ألهان في
الجاهليّة ، أدرك النبيّ ﷺ ولم يره ، وقدم إلى الحجاز في أيام أبي بكر ، وكان أميراً على كردوس في وقعة اليرموك .
مات سنة ٣٧ هـ .

انظر : تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ١٧ ، أسد الغابة ١ : ٥٤٧ / ١٢٩٨ ، الأعلام للزركليّ ٢ : ٢٨٨ .

رئيساً لهم يقال له : عبدالله بن سلام^(١) ، فقال لهم : ما ترون في هذا الكتاب؟ فقالوا له . ما معناه . : إنّ دينهم أحبّ إليهم ، فتكلّم هو عليهم بأنّ هذا هو اختيار الدنيا على الآخرة ، والعذاب على الرحمة . إلى أن قالوا . : ما علمنا أنّ محمّداً صادق فيما يقول ، وأنّه هو الذي بشرّ به موسى وداؤد وعيسى عليهما السلام .

قال : فيأذن نسأله عن الكائن والمكُون ، والناسخ والمنسوخ ، والمسائل المعلومة في كتبنا ، فإن كان نبياً كما يزعم فإنّه سيبيّن كما بيّن الأنبياء من قبل ، فقالوا : فسر أنت وجمع معك إلى محمّد حتّى تنقض كلامه ، وتنظر كيف يردّ عليك الجواب .

فقال : إنّكم قوم تجهلون إن كان هذا هو محمّد الذي بشرّ به موسى وداؤد وعيسى ، وكان خاتم النبيّين ، فلو اجتمع الثقلان الجنّ والإنس على أن يردّوا عليه حرفاً واحداً أو آية واحدة ما استطاعوا بإذن الله .

قالوا : فما الحيلة؟

قال : عليّ في التوراة ، فحُمِلت التوراة إليه فاستنسخ منها ألف مسألة وأربع مسائل ، ثمّ جاء بها إلى النبيّ ﷺ . وفي رواية : ومعه زهاء أربعين رجلاً . فقال : السلام عليك يا محمّد ، فقال النبيّ ﷺ : «وعلى من اتّبع الهدى ورحمة الله وبركاته ، من أنت؟» قال : أنا عبدالله بن سلام من رؤساء

(١) هو عبدالله بن سلام بن الحارث ، يكتّى أبا يوسف ، وهو أحد الأحناف ، قيل : إنّّه من نسل يوسف بن يعقوب عليهما السلام ، وكان من بني قينقاع ، كان اسمه الحصين ، فغيّره النبيّ ﷺ .

مات سنة ٤٣ هـ بالمدينة في حكومة معاوية .

انظر : الاستيعاب ٣ : ٩٢١ / ١٥٦١ ، أسد الغابة ٣ : ١٦٠ / ٢٩٨٤ ، سير أعلام النبلاء ٢ :

٤١٣ / ٨٤ ، الإصابة ٤ : ٨٠ / ٤٧١٦ .

بني إسرائيل ، ومَن قرأ التوراة ، وأنا رسول اليهود إليك مع آيات من التوراة تبين لنا ما فيها ، نراك من المحسنين .

فقال النبي ﷺ : «الحمد لله على نعمائه ، يابن سلام ، جئتني سائلاً أو متعتناً؟»

قال : بل سائلاً يا محمد .

قال : «على الضلالة أم على الهدى؟» .

قال : بل على الهدى .

فقال النبي ﷺ : «فسل عما تشاء» .

قال : أنصفت يا محمد ، فأخبرني . . . ، وسأل مسأله كلَّها واحدة واحدة وأجابه

النبي ﷺ فيها جميعاً بحيث صدَّقه وآمن به ، طوينا عن ذكر تلك المسائل لطولها ، من أراد ذلك فليرجع إلى كتاب الاختصاص^(١) .

ثم إنَّ أنواع احتجاجاته وإفاضات علومه . سوى ما مرَّ من صريح الآيات ، وما مضى ممَّا مرَّ ويأتي في ضمن الروايات من مناديات كمال علومه . أكثر من أن تحصى ، ولا حاجة إلى التعرُّض لها ؛ لوضوح المدَّعى عند كلِّ المسلمين ، فافهم .

(١) الاختصاص : ٤٢ . ٤٨ ، التفسير للإمام العسكري عليه السلام : ٤٦٠ ، بحار الأنوار ٩ : ٣٣٥ / ٢٠ ، السيرة لابن هشام ٢ : ١٦٣ ، دلائل النبوة لأبي نعيم ٢ : ٤٢٧ ، دلائل النبوة للبيهقي ٦ : ٢٦٠ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٤١٤ . ٤١٦ ، تفسير ابن كثير ٤ : ٤٢٧ ، ٤٢٨ ، الإصابة ٤ : ٨١ / ٤٧١٦ .

الفصل الثاني

في بيان نبد مما يتعلّق بدوام صدقه في المقالات ، وسداده في جميع الحالات ، وبذله كمال الجهد في لوازم التبليغ ، وأداء المأمورات ، ونزاهة ساحة جنابه عن التوسّخ بشيءٍ من دنس المنهيات .

إعلم أنّه يكفي في كمال صدقه وما هو من لوازم ذلك ما كان مشتهراً ، بل مسلم الثبوت عند جميع قريش قبل إظهار بعثته وإجهاره بالنبوة من كونه صدوقاً أميناً ، بحيث كان ملقباً عندهم محمد الصادق الأمين ، حتّى أنّهم كانوا يودعون عنده أمانتهم ، ولم يكونوا يُكذّبونه أبداً في شيءٍ مما كان يُخبرهم به .

وقد صرّحوا بذلك أيضاً حين دعاهم إلى الإسلام ، كما نقل جماعة أنّه لما أمره الله بالتبليغ صعد الصفا فنادى : «يا صباحاه» ، فاجتمعت إليه قريش ، فقالوا : ما لك يا محمد؟ قال : «أرأيتمكم إن أخبرتكم أنّ العدوّ يصبحكم أو يمسيكم ما كنتم تصدّقوني؟» قالوا : بلى فإنّك الصادق الأمين ، قال : «فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد» ، فقال أبو لهب : تبّاً لك ألهذا دعوتنا؟^(١) الخبر .

وفي بعض ما نُقل : أنّهم كانوا يقولون له : إنّنا نصدّقك في كلّ شيءٍ

(١) مجمع البيان ٤ : ٢٠٦ ، المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٧٤ ، صحيح البخاري ٦ : ١٤٠ ، صحيح مسلم ١ : ١٩٤ / ٣٥٥ ، تفسير الهواريّ ٣ : ٢٤٢ ، الوسيط للواحديّ ٣ : ٣٦٤ ، معالم التنزيل ٤ : ٢٧٩ .

سوى دعوتك هذه ، حتّى أنّه لأجل هذا قال بعضهم : إنّهُ ليس بكذوب ، بل ولا يكذب ، لكنّه متوهّم مجنون ! حدثت به جنة .

وسياقي في ذكر أحوال أبي طالب كلمات منه غير مرّة صريحة في كون النبي ﷺ صادقاً ، بل مسلم الصدق عندهم . وتأتي في ذكر أحوال فاطمة عليها السلام أخبار ، منها : عن عائشة : أنّ أحداً لم يكن أصدق منها إلّا أبوها^(١) .

وفي بعض فصول المقدمة من كتاب الملل والنحل في حكاية أهل الملل السابقة ما ينادي بوجود النبي وصدقه في كتبهم^(٢) .

وفي الحديث القدسي الذي وعظ الله فيه عيسى بن مريم عليه السلام : «ثم أوصيك يا بن مريم البتول بسيد المرسلين وحبيبي أحمد صاحب الجمل الأحمر والوجه الأقمر» الخبر ، إلى أن قال : «يوافق سرّه علانيته ، وقوله فعله ، لا يأمر الناس إلّا بما يبدأهم» إلى أن قال : «ويخشع لي قلبه ورأسه ، النور في صدره ، والحقّ على لسانه ، وهو الحقّ حيثما كان»^(٣) ، الخبر .

وفي كتاب روضة الواعظين لمحمد بن أحمد الفتال^(٤) في حديث

(١) انظر : المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٣٨٩ ، مسند أبي يعلى الموصلي ٨ : ١٥٣ / ٤٧٠٠ ، المستدرک للحاكم ٣ : ١٦٠ ، حلية الأولياء ٢ : ٤١ - ٤٢ ، مجمع الزوائد ٩ : ٢٠١ ، المطالب العالية ٤ : ٧٠ .

(٢) الملل والنحل ١ : ٢٠٩ ، ٢١٢ .

(٣) الكافي ٨ : ١٣٩ - ١٤٠ ، قطعة من حديث ١٠٣ ، الأمالي للصدوق : ٦١١ - ٦١٢ ، قطعة من حديث ٨٤٢ ، الجواهر السنّية : ٨٩ - ٩٠ .

(٤) هو محمد بن أحمد بن عليّ الفتال النيسابوري ، يكتي أباً عليّ ، المعروف بابن الفارسيّ ، متكلم جليل القدر فقيه عالم زاهد ورع ، قتله أبو المحاسن عبد الرزاق رئيس نيشابور الملقب بشهاب الإسلام لعنه الله .

طويل : أنّ أبا طالب جمع قريشاً ، ثمّ قال لهم : إنّ ابن أخي نبيّ كما يقول ، أخبرنا آباؤنا وعلمائنا أنّ ابن أخي نبيّ صادق وأمين ناطق ، وأنّ شأنه أعظم ، ومكانه من ربّه أعلى مكان ، الخبر ، ورواه مقاتل وغيره^(١) أيضاً .

وروى الطبراني في كتابه الكبير : عن أبي سعيد الخدري عن النبيّ ﷺ أنّه قال يوم حنين : «أنا النبيّ لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب ، أنا أعرب العرب»^(٢) .

وفي كتاب ابن سعد : بإسناد له عن عمرو بن جبلة الكلبيّ^(٣) أنّ النبيّ ﷺ قال : «أنا النبيّ الأميّ الصادق الركيّ ، الويل كلّ الويل لمن كذّبني»^(٤) ، الخبر .

وفي رواية ليث بن أبي نعيم عن أبيه ، عن جدّه ، إلى أن بلغ أبا طالب أنّه قال في وصف النبيّ ﷺ : لم أر منه كذبة قطّ ، ولا رأيته يضحك في غير موضع الضحك ، ولا وقف مع صبيان في لعب ، ولا التفت

استشهد رحمه الله سنة ٥١٥ هـ وقيل : ٥٠٨ .

انظر : الرجال لابن داؤد : ١٦٣ / ١٢٩٨ ، رياض العلماء ٥ : ٢٧ ، روضات الجنّات ٦ : ٢٥٣ /

٥٨٢ ، تنقيح المقال ٢ : ٧٣ / ١٠٣٣٣ .

(١) روضة الواعظين : ٥٥ ، وعن مقاتل في المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٩٢ . ٩٣ ، والدّرّ التنظيم : ٢١٧ .

(٢) المعجم الكبير ٦ : ٣٦ / ٥٤٣٧ .

(٣) هو عمرو بن جبلة بن وائل بن قيس الكلبيّ ، ممّن وفد على النبيّ ﷺ ، واستدرّكه ابن الدبّاغ وغيره ، من ولده سعيد بن الأبرش الكلبيّ صاحب هشام بن عبد الملك .

انظر : أسد الغابة ٣ : ٧٠٣ / ٣٨٨٢ ، الإصابة ٤ : ٢٨٩ / ٥٧٨٦ ، وفي الأصل ورد : (عمر بن

جبلة) ، وما أثبتناه هو الموافق لمصادر الترجمة .

(٤) الطبقات لابن سعد ١ : ٣٣٤ ، وحكاها عنه المتّقّي الهنديّ في كنز العمال ١١ : ٤٠٢ / ٣١٨٧٥ .

إليهم ، وكانت الوحدة أحب الأشياء إليه والتواضع^(١) ، الخبر .

وروى جماعة ، منهم : أحمد بن حنبل في مسنده عن قيس بن أبي حازم^(٢) ، قال : إنَّ أبا بكر صعد المنبر بعد وفاة النبي ﷺ ، ثم قال : يا أيها الناس ، لوددتُ أن هذا كفانيه غيري ، ولئن اتَّخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها أنَّه كان لمعصوماً من الشيطان ، وأنَّه كان ينزل عليه الوحي من السماء^(٣) .

وبمعناه حديث آخر من أبي بكر أيضاً يأتي في الخاتمة .

وستأتي في فصل الآيات آية التطهير وغيرها ممَّا ينادي بعصمته ﷺ ، وكذا يأتي في الفصل الثاني من المقالة الأخيرة عند ذكر دلائل عصمة الأئمة عليهم السلام ما يدلُّ على ذلك ، حتَّى على طريق الأولوية أيضاً .

وبالجملة : ثبوت صدقه وعصمته ، وكمال زهده ، وصلاحه ، وتقواه ، وعبادته ، وسائر أخلاقه الحسنة ممَّا لا شكَّ فيه ، ولا ريب يعتريه ، ولا مجال لكلام فيه ، بل ممَّا نقله كلٌّ من رآه ، أو رأى من رآه وهلمَّ جرّاً ، من أراد التفصيل فعليه بمراجعة الكتب المشتملة على مفصل نقل

(١) الدرّ النظيم : ٩١ ، ٩٢ ، العدد القويّة ١٤٦ / ٦١ ، بحار الأنوار ١٥ : ٣٦٠ ، ٣٦١ / ١٦ .

(٢) هو قيس بن أبي حازم البجليّ الأحمسيّ ، واسم أبيه . أبي حازم . عوف بن الحارث ، وقيل : عبد عوف بن الحارث ، يكتنّى أبا عبدالله ، وهو جاهليّ إسلاميّ إلا أنَّه لم ير النبي ﷺ وكان عثمانياً ، روى عن : أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وغيرهم ، وروى عنه : الحكم بن عتيبة ، وأبو إسحاق ، وطارق بن عبد الرحمن ، وغيرهم . مات سنة ٩٨ هـ ، أو ٩٧ هـ .

الاستيعاب ٣ : ١٢٨٥ / ٢١٢٦ ، المنتظم ٧ : ١٠ / ٥٣٦ ، أسد الغابة ٤ : ١١٧ / ٤٣٣١ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٨١ - ١٠٠) : ٤٥٧ / ٣٨٠ .
(٣) مسند أحمد ١ : ٢٤ / ٨١ .

أحواله ﷺ ، بل كفاه ما اشتهر من ذلك بين العالم ، وشاع ، وذاع ، وبلغ الأسماع في كل الأصقاع من الأشياء التي تظهر آثار صحتها إلى هذه الأزمنة يوماً فيوماً ، وحيناً فحيناً ، فتأمل .

وروى جمع وكذا أئمة أهل البيت عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال في حديث له : «إنَّ يهودياً كان له على النبي ﷺ دنانير فتقاضاه ، فقال له : ما عندي ما أقضيك ، فقال له : لا أفارقك يا محمد ، حتى تقضيني ، فقال : إذن أجلس معك ، فجلس معه حتى صلى في ذلك الموضع الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة والغداة ، فلما علا النهار قال اليهودي : ما جئتكَ إلاَّ لأنظر إلى نعتك في التوراة ، فإني قرأت نعتك في التوراة محمد ابن عبدالله ، مولده بمكة ، مهاجرته بطيبة ، وليس بفظ ، ولا غليظ ، ولا صحَّاب^(١) ، ولا مترن^(٢) بالفحش ولا قول الخنا^(٣) ، وأنا أشهد أن لا إله إلاَّ الله وأنتَ رسول الله»^(٤) .

وقد نقل جماعة ، منهم : الشعبي وغيره ما يستفاد أكثره من كلام أئمة أهل البيت عليه السلام أيضاً من أنه كان لبعثته ﷺ درجات ولم يماهن أبداً في شيء منها :

(١) الصَّحْبُ : الصباح والجلبة .

انظر : مجمع البحرين ٢ : ٩٩ ، والصحاح ١ : ١٦٢ ، مادة . صخب . .

(٢) المترن بنونين من الرنة بالفتح والتشديد ، يعني : الصوت .

انظر : كتاب العين ٨ : ٢٥٤ ، النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٧١ ، معجم مقاييس اللغة ٢ : ٣٨٠

، مجمع البحرين ٢ : ٢٣٠ ، مادة . رن . .

(٣) الخنا : الفحش من القول .

انظر : مجمع البحرين ١ : ١٣٢ . خناً . ، والصحاح ٦ : ٢٣٣٢ ، مادة . خنى . .

(٤) الأمالي للصدوق : ٥٥١ / ٧٣٧ ، ونقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ١٦ : ٢١٦ / ٥ ، وفيهما بتفاوت

يسير ، الجواهر السنوية : ٥٨ .

فأولها : كانت الرؤيا الصادقة .

والثانية : ما رواه الشعبي وداؤد بن عامر^(١) أنّ الله تعالى قرن جبرئيل بنبوة رسوله ثلاث سنين ، يسمع حسّه ولا يرى شخصه ، ويعلمه الشيء بعد الشيء ولا ينزل عليه القرآن ، فكان في هذه المدّة مبشّراً بالنبوة غير مبعوث إلى الأُمّة^(٢) .

والثالثة : حديث خديجة^(٣) وورقاء بن نوفل^(٤) إذ قالت عائشة وغيرها : إنّ أوّل ما بدأ به النبي ﷺ بعد الرؤيا الصادقة وسماع الحسن أنّه كان في غارٍ بحراء فسمع نداءً ، ثمّ رأى شخصاً وكرسيّاً من ياقوتة حمراء مرقاة من زبرجد ومرقاة من لؤلؤ فأقعده عليه فغشي عليه فأخبر خديجة ،

(١) هو داؤد بن عامر بن سعد بن أبي وقاص المدني ، روى عن أبيه ، وروى عنه يزيد بن أبي حبيب ، ويزيد بن قسيط ، وابن إسحاق ، وغيرهم .

انظر : تهذيب التهذيب ٣ : ١٦٤ / ٣٦٢ ، وتقريب التهذيب ١ : ٢٣٢ / ٢١ .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٧٠ ، الدرّ النظيم : ٩٧ ، العدد القويّة : ٣٤٢ ، بحار الأنوار ١٨ : ١٩٣ / ٢٩ .

(٣) هي بنت خويلد بن أسد بن عبد العزّي ، تكّى بأُمّ هند ، أمّها فاطمة بنت زائدة ، قرشيّة من بني عامر ، زوج النبي ﷺ ، وأوّل امرأة تزوّجها ، وكانت إذ تزوّجها رسول الله ﷺ بنت أربعين سنة ، وكانت قبله عند أبي هالة هند بن زرارة بن نباش ، وعند عتيق بن عائذ بن عبد الله بن عمرو ، وأوّل خلق أسلم بإجماع المسلمين ، وكانت من بيت مجد وسؤدد ورئاسة ، ونشأت على التخلّق بالأخلاق الحميدة ، وما كان في نساء مكّة أجمل منها ، وردت روايات كثيرة من الخاصّة والعامة في فضلها .

ولدت سنة ٦٨ قبل الهجرة ، وتوفّيت سنة ٣ قبل الهجرة بمكّة .

انظر : سفينة البحار ٢ : ٥٦٧ (خدج) ، الاستيعاب ٤ : ١٨١٧ / ٣٣١١ ، أسد الغابة ٦ : ٧٨ /

٦٨٦٧ ، الإصابة ٨ : ٦٠ / ٣٣٣ ، أعلام النساء ١ : ٣٢٦ .

(٤) هو ورقة بن نوفل بن عبد العزّي ، ابن عمّ خديجة ، وكان قد قرأ الكتب وطلب العلم ، ورغب عن عبادة الأصنام وأخبر خديجة أنّ رسول الله ﷺ نبيّ هذه الأُمّة .

انظر : مروج الذهب ١ : ٨٧ ، المنتظم ٢ : ٣٧٣ ، أسد الغابة ٤ : ٦٧١ / ٥٤٥٨ .

فأتت خديجة ورقاء بن نوفل وحكت له ، فقال : هذا والله ، الناموس الذي أنزل الله على موسى وعيسى ، الخبر ^(١) ، قالوا : وحينئذٍ أذن له في ذكره دون إنذاره كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ ^(٢) أي : بما جاءك من النبوة ^(٣) .

والرابعة : حين نزل عليه القرآن بالأمر والنهي ، فصار به مبعوثاً ولم يؤمر بالجهر ، ونزل : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾ ^(٤) فأسلم عليّ وخديجة ، ثم زيد ^(٥) ، ثم جعفر ^(٦) .

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٧٢ ، الدرّ النظيم : ٩٥ ، العدد القويّة : ٣٤١ .

(٢) سورة الضحى ٩٣ : ١١ .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٧٠ ، العدد القويّة : ٣٤٢ .

(٤) سورة المدثر ٧٤ : ١ .

(٥) هو زيد بن حارثة بن شراحيل ، يكنى أبا أسامة ، من أقدم الصحابة إسلاماً ، وأشهر موالى رسول الله ﷺ ، أصابه سباء في الجاهليّة ، فاشتراه حكيم بن حزام لعنته خديجة بنت خويلد ، فوهبته هي إلى النبي ﷺ حين تزوّجها ، وكان الناس يسمّونه زيد بن محمد ، وكان النبي ﷺ لا يبعثه في سرية إلا أمره عليها ، ويكفي في جلالتة ما قال رسول الله ﷺ : « يا زيد ، أنت مولاي ، ومنيّ وإليّ ، وأحبّ القوم إليّ » .
قُتل سنة ٨ هـ في جمادي الأولى في غزوة مؤتة .

انظر : الاستيعاب ٢ : ٥٤٢ / ٨٤٣ ، وأسد الغابة ٢ : ١٢٩ / ١٨٢٩ ، وسير أعلام النبلاء ١ :

٢٢٠ / ٣٦ .

(٦) هو جعفر بن أبي طالب ، يكنى أبا عبدالله ، الملقّب بجعفر الطيّار ، أسلم بعد عليّ ؑ ، وزيد بن حارثة ، ابن عمّ رسول الله ﷺ ، وأخو عليّ بن أبي طالب لأبويه ، وهو أسنّ من عليّ ؑ بعشر سنين ، كان أشبه الناس برسول الله ﷺ خلقاً وخلقاً ، وكان رسول الله ﷺ يسمّيه أبا المساكين ، ومّن بعثه رسول الله ﷺ إلى النجاشي ، وله هجرتان : هجرة إلى الحبشة ، وهجرة الى المدينة ، ولهذا يقال له : ذو الهجرتين .

ويظهر من أخبار أنّ عليّاً وخديجة أسلما قبل هذا ، كما سيأتي من قول عليّ ﷺ :
«أسلمت قبل الناس بسبع سنين»^(١) .

والخامسة : أمر بأن يعمّ بالإنذار بعد خصوصه ويجهز بذلك ، ونزل : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾^(٢) ، قال ابن إسحاق : وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه ونزل : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣) فنادى : «يا صباحاه» .

والسادسة : العبادات لم يشترع منها مدّة مقامه بمكة إلا الطهارة والصلاة ، وكانت فرضاً عليه وسنة لأئمته ، ثم فرضت الصلوات^(٤) الخمس بعد الإسراء ، ثم أمر بالهجرة ، ثم بالجهاد^(٥) .

وفي جميع تلك المراتب لا سيّما عند صعوبة الأمر ، والتشديد عليه بالجهاد ولو بنفسه وحده ، وبالمداواة مع الناس وأمثال ذلك بذل جُهد غايه البذل ، كما سيظهر جميع ذلك في ضمن ما يأتي من أخبار الفصول الآتية مع ما مرّ سابقاً ، بحيث نزل قوله تعالى : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٦) وقوله عزّ وجلّ : ﴿ طه * مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴾^(٧) من

قُتل سنة ٨ هـ في غزوة مؤتة .

انظر : عمدة الطالب : ٣٥ ، تنقيح المقال ١ : ٢١٢ / ١٧٤٩ ، الاستيعاب ١ : ٢٤٢ / ٣٢٧ ، أسد الغابة ١ : ٣٤١ / ٧٥٩ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٢٠٦ / ٣٤ .
(١) الفصول المختارة : ٢٦١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ١٢ ، فضائل أمير المؤمنين ﷺ لأحمد بن حنبل : ٧٨ / ١١٧ .

(٢) سورة الحجر ١٥ : ٩٤ .

(٣) سورة الشعراء ٢٦ : ٢١٤ .

(٤) في الأصل : «الصلاة» ، وما أثبتناه من المصدر .

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٦٩ - ٧٤ ، الدرّ النظيم : ٩٨ ، العدد القويّة : ٣٤٢ و ٣٤٣ ، بحار الأنوار ١٨ : ١٩٣ / ٢٩ .

(٦) سورة القلم ٦٨ : ٤ .

(٧) سورة طه ٢٠ : ١ و ٢ .

المشقة ، فإنه كان يصلي ، بحيث ورمت قدماه سوى سائر المتاعب ، حتى أنه يجوع نفسه وأهله ، ويطعم ، ويلبس ، ويعطي الناس ، بحيث نزل شفقة عليه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ ^(١) ، وحيث يكفي ما سيأتي لم نطل الكلام هاهنا ، فلا تغفل .

(١) سورة الإسراء ١٧ : ٢٩ .

الفصل الثالث

في بيان نبذ مما يتعلّق بسائر فضائله ، ومناديات نبوّته التي تنادي بتمام قربه ومنزلته عند الخالق ، وكمال امتيازهِ عن سائر الخلق .

روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «صاح إبليس في أبالسته ، فاجتمعوا إليه ، فقال : انظروا لقد حدث الليلة حدث ما حدث مثله منذ رُفع عيسى عليه السلام ، فافترقوا ثمّ اجتمعوا إليه^(١) ، فقالوا : ما وجدنا شيئاً ، فقال إبليس : أنا لهذا الأمر ، ثمّ انغمس في الدنيا ، فجعلها حتّى انتهى إلى الحرم ، فوجد الحرم محفوظاً بالملائكة ، فذهب ليدخل ، فصاحوا به ، فقال له جبرئيل : ما وراءك لعنك الله ؟ قال : حرفاً أسألك عنه ، ما هذا الحدث^(٢) الليلة ؟ فقال : ولد محمد ﷺ ، قال : هل لي فيه نصيب ؟ قال : لا ، قال : ففي أمّته ؟ قال : نعم! قال : رضيت»^(٣) .

وعن أئمة أهل البيت ، وجمع : أنّ أمّ النبي ﷺ حملت به في أيّام التشريق عند جمرّة العقبة الوسطى في منزل عبدالله بن عبد المطلب ، وأنّه ولد يوم الجمعة عند طلوع الفجر من السابع عشر من ربيع الأول بعد خمس وخمسين يوماً من هلاك أصحاب الفيل^(٤) .

(١) في «س» و«ل» : «عليه» بدل «إليه» .

(٢) في «س» : «الحديث» بدل «الحدث» .

(٣) الأمالي للصدوق : ٣٦٠ / ٤٤٤ ، المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٥٧ ، الدرّ النظيم : ٥٧ . ٥٨ .

(٤) أورده الكليني في الكافي ١ : ٣٦٤ (أبواب التاريخ ، باب مولد النبي ﷺ . . .) ،

وقالت العامة : ولد يوم الاثنين ، الثامن أو العاشر أو الثاني عشر من ربيع الأول^(١) لسبع بقين من ملك أنوشيروان ، ويقال : في ملك هرمز بن أنوشيروان^(٢) .
والأول هو الصحيح ؛ لقوله ﷺ : «ولدت في زمن الملك العادل أنوشيروان»^(٣) .
وفي الحديث عن الصادق عليه السلام : «أنه لم يولد يوم الإثنين ، بل كان وفاته فيه»^(٤) .
وقال الكلبي^(٥) والطبري وغيرهما : إن النبي ﷺ ولد في شعب أبي طالب ، في دار .
تُعرف اليوم بدار محمد بن يوسف^(٦) . في الزاوية القصوى عن يسارك وأنت داخل الدار^(٧) .
قالوا كلهم : إنه ولد مختوناً

وابن شهرآشوب في المناقب ١ : ٢٢٢ ، وفي الدرّ النظيم : ٥٨ ، نقله بلفظ : قيل ، العدد القويّة : ١١١ ، بحار الأنوار ١٥ : ٢٥٠ / ١ ، نقلاً عن العدد القويّة .
(١) في «س» و«م» : «الربيع» بدل «الربيع الأول» .
(٢) المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٢٢٢ ، الدرّ النظيم : ٥٨ ، العدد القويّة : ١١١ ، أنساب الأشراف ١ : ١٠٠ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٥٥ ، البدء والتاريخ ٤ : ١٣٢ .
(٣) قصص الأنبياء للراوندي : ٣١٦ ، مناقب ابن شهرآشوب ١ : ٢٢٢ ، الدرّ النظيم : ٥٨ ، العدد القويّة : ١١١ .
(٤) المحاسن للبرقي ٢ : ٨٣ / ١٢١٦ ، مناقب ابن شهرآشوب ١ : ٢٢٦ ، بتفاوت فيه ، بحار الأنوار ٥٩ : ٣٩ / ١٠ ، و٧٦ : ٢٢٥ / ١٠ .
(٥) في «ل» : «الكليني» بدل «الكلبي» .
(٦) هو محمد بن يوسف الثقفي ، أخو الحجاج ، كان أمير اليمن ، كان ظلوماً غشوماً . قيل : جمع المجذومين بصنعاء وجمع لهم الخطب ليحرقهم ! فهلك قبل ذلك .
هلك سنة ٩١ هـ باليمن .
انظر : تاريخ الإسلام (حوادث وفيات ٨١ - ١٠٠) : ٤٧٠ / ٣٩٨ ، تاريخ الخميس ٢ : ٣١٣ ، الأعلام للزركلي ٧ : ١٤٧ .
(٧) الكافي ١ : ٣٦٤ ، (أبواب التاريخ ، باب مولد النبي ﷺ . . .) ، المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٢٢٢ ، الدرّ النظيم : ٥٨ ، تاريخ الطبري ٢ : ١٥٦ .

مسروراً ، وكان القمر يحرك مهده حال صباه .

وقال زيد بن اليمان : سمعت سعد بن هريم يقول : كانت حليلة^(١) تقول : ما نظرت في وجه محمد ﷺ وهو نائم إلا ورأيت عينيه مفتوحتين كأنه يضحك ، وكان لا يصيبه حر ولا برد^(٢) .

وقال رجل : بينا أنا واقف بالبطحاء إذ مرّ محمد ﷺ وهو صغير فسلم عليه كل حجر ومدر ، فتعجبت من أمره ، فلقيت حليلة السعدية فأخبرتها ، فقالت : أتعجب من هذا ؟ والله ، لقد رأيت الأطباء والوحش تجتمع إليه فتسلم عليه ، ولقد كنا نسمع صباحاً ومساءً صوتاً من السماء وهو يقول : سلام على أمين الله ورسوله^(٣) .

وفي خبر آخر أنّها قالت : ما تمّنت شيئاً قطّ لما كان في منزلي إلا أعطيته من الغد ، ولقد أخذ ذئب من الذئاب عنيزة لي ، فداخلي من ذلك حزن شديد ، فرأيت محمداً ﷺ رافعاً رأسه إلى السماء ، فما شعرت إلا والذئب والعنيزة على ظهره قد ردها عليّ ما عقر منها شيئاً^(٤) .

(١) هي حليلة السعدية بنت أبي ذؤيب، اسمه عبدالله بن الحارث بن شجنة بن جابر من أمّهات النبي ﷺ من الرضاعة، كانت زوجة الحارث بن عبد العزى السعدي من بادية الحديبية ، وقدمت مع زوجها بعد النبوة فأسلما . ماتت بعد سنة ٨ هـ .

انظر : الاستيعاب ٤ : ١٨١٢ / ٣٣٠٠ ، أسد الغابة ٦ : ٦٧ / ٦٨٤٨ ، الأعلام للزركلي ٢ : ٢٧١ .

(٢) الدرّ النظيم : ٥٩ ، وأورده عليّ بن يوسف في العدد القويّة : ١٢٢ / ٢٥ ، من دون سند ، وحكاها عن العدد القويّة المجلسي في بحار الأنوار ١٥ : ٣٤١ / ١٢ .

(٣) الدرّ النظيم : ٦٠ . ٥٩ .

(٤) الدرّ النظيم : ٦٠ ، العدد القويّة : ١٢٢ / ٢٦ ، بحار الأنوار ١٥ : ٣٤١ / ١٢ ، نقلاً عن العدد القويّة .

وقالت : ما أخرجته قطّ في شمس إلاّ وسحابة تظّلّه ، ولا في مطر إلاّ وسحابة تكنّه من المطر ، وما زال من خيمتي نورٌ ممدود بين السماء والأرض ، وما هممت بغسل ثوبه إلاّ وقد سُبقت إليه فوجدت عليه ثوباً غيره جديداً^(١) .

وقالت : ما كنت أخرج لمحمّد ثديي إلاّ سمعت له نغمة ، ولا شرب قطّ إلاّ وسمعته ينطق بشيء فتعجّبت منه ، حتّى إذا نطق وعقل كان يقول : «بسم الله ربّ محمّد» إذا أكل وشرب ، وفي آخر ما يفرغ من أكله وشربه يقول : «الحمد لله ربّ محمّد»^(٢) .

وفي حديث أمّ النّبّي ﷺ حيث حكّت ولادته في خبر طويل نذكر نبذاً منه ، أنّها قالت : رأيت عند ولادته نسوة كالنخل طوالاً يحدّثنني ، وسمعت كلاماً لا يشبه كلام آدميين ، وأتيت بشربة بيضاء ، وكنت عطشى فشربتها فأصابني نور عالٍ ، ورأيت رجالاً وقوفاً في الهواء في أيديهم أباريق ، ورأيت كالديباج الأبيض قد ملأ بين السماء والأرض نوراً ، وقائل يقول : خذوه في أعزّ الناس ، ورأيت مشارق الدنيا ومغاربها ، ورأيت علماً من سندس على قضيب من ياقوت قد ضرب بين السماء والأرض على ظهر الكعبة ، فلمّا سقط إلى الأرض اتّقى الأرض بيديه وركبته رافعاً رأسه وإصبعه إلى السماء ، وخرج منه نور أضاء منه ما بين السماء والأرض ، ورأيت قصور الشامات كأثّها نار نوراً ، ورأيت سحابة بيضاء تنزل من السماء حتّى غشّيته^(٣) ، فسمعت نداءً : طوّفوا بمحمّد ﷺ شرق الأرض

(١) الدرّ النظيم : ٦٠ ، العدد القويّة : ١٢٣ / ٢٧ و ٢٨ ، بحار الأنوار ١٥ : ٣٤١ / ١٢ .

(٢) الدرّ النظيم : ٦٠ ، العدد القويّة : ١٢٣ / ٢٧ ، بحار الأنوار ١٥ : ٣٤١ / ١٢ .

(٣) في «س» و«ل» : «غشته» بدل «غشّيته» .

وغربها والبحار ليعرفوه باسمه ونعته وصورته ، ثم انجلت عنه الغمامة فإذا أنا به في ثوب أبيض من اللبن ، وتحتة حريرة خضراء وقد قبض على ثلاث مفاتيح من اللؤلؤ الرطب ، وقائل يقول : قبض محمد مفاتيح النصر والريح والنبوة .

ثم أقبلت سحابة أخرى فغيبتته عن وجهي أطول من المرة الأولى ، وسمعت نداءً : طوفوا بمحمد الشرق والغرب وأعرضوه على روحاني الجن والإنس والطير والسباع ، وأعطوه صفاء آدم ، ورقة نوح ، وخلّة إبراهيم ، ولسان إسماعيل ، وجمال يوسف ، وبشرى يعقوب ، وبهاء موسى ، وصوت داود ، وزهد يحيى ، وكرم عيسى .

ثم انكشفت فإذا أنا به وبيده حريرة بيضاء قد طويت طياً شديداً وقد قبض عليها ، وقائل يقول : قد قبض محمد على الدنيا كلها ، فلم يبق شيء إلا دخل في قبضته .

ثم إن ثلاثة نفر كأن الشمس تطلع من وجوههم ، في يد أحدهم إبريق فضة وناقضة مسك ، وفي يد الثاني طست من زمردة خضراء ، له أربعة جوانب ، من كل جانب لؤلؤة بيضاء ، وقائل يقول : هذه الدنيا فاقبض عليها يا حبيب الله ، فقبض على وسطها ، فقائل يقول : قبض الكعبة ، وفي يد الثالث حريرة بيضاء مطوية ، فنشرها فأخرج منها خاتماً تحار فيه أبصار الناظرين ، فغسل بذلك الماء من الإبريق سبع مرّات ، ثم ضرب الخاتم على كتفيه ، وتفل في فيه واستنطقه فنطق فلم أفهم ما قال إلا أنّ الذي غسله قال : في أمان الله وحفظه وكلاءته ، قد حشوت قلبك إيماناً وعلماً و يقيناً وعقلاً وشجاعةً ، أنت خير البشر ، طوبى لمن اتّبعك ، وويل لمن تخلف عنك ، ثم أدخل بين أجنحتهم ساعة ، قالت : وكان الفاعل به هذا رضوان ، ثم انصرف

وجعل يلتفت إليه ويقول : أبشر يا عزّ الدنيا والآخرة^(١) .

وقال عبدالمطلب : لما انتصفت تلك الليلة إذا أنا ببيت الله قد استمال^(٢) بجوانبه الأربعة وخرّ ساجداً في مقام إبراهيم ، ثم استوى البيت منادياً : الله أكبر ، ربّ محمد المصطفى ، الآن قد طهرني ربّي من أنجاس المشركين وأرجاس الكافرين ، ثم انتقضت الأصنام وخرّت على وجوهها^(٣) ، الخبر ، إلى أن حكى حكاية آمنة عليها السلام .

وقال ابن عباس : لما كانت الليلة التي ولد فيها النبي ﷺ أصبحت الأصنام على وجوهها ، وارتجّ إيوان كسرى ، وسقطت منه أربع عشرة شرافة ، فعظم ذلك على أهل مملكته ، فما كان إلّا أن كتب إليه صاحب خراسان يخبره أنّ بحيرة ساوة غاصت الليلة .

وكتب إليه صاحب الشام يخبره أنّ وادي السماوة انقطع تلك الليلة .

وكتب إليه صاحب طبرية يخبره أنّ الماء لم يجّر من تلك الليلة في بحيرة طبرية .

وكتب إليه صاحب فارس يخبره أنّ بيوت النار خمدت تلك الليلة ولم تخدم قبل ذلك بألف عام ، ولم يبق سرير لملك إلّا أصبح منكوساً ، والملك مخرساً لا يتكلّم يومه ذلك ، وانتزع علم الكهنة ، وبطل سحر السحرة .

(١) المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٥٥ . ٥٣ ، الدرّ النظيم : ٥٤ . ٥٣ ، بحار الأنوار ١٥ : ٢٧٢ / ١٧ ، وفيها بتفاوت في بعض الألفاظ ، وبتقديم وتأخير .

(٢) في المصادر : «اشتمل» بدل «استمال» .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٥٥ ، الدرّ النظيم : ٥٤ ، بحار الأنوار ١٥ : ٢٧٣ ، ٢٧٤ / ١٩ .

فلما تواترت الكتب على كسرى أبرز^(١) سريره وظهر لأهل مملكته وأخبرهم الخبر . فقال الموبدان : أيها الملك ، إني رأيت تلك الليلة رؤياً أهالتي ، قال له : وما رأيت ؟ الخبر . إلى أن قال . : فأرسلوا عبد المسيح الكاهن إلى سطيح . خاله الكاهن المشهور بالشام . فوصل إليه وهو في حال الاحتضار فأخبره بالحكاية ، فقال أشعاراً فيها : أنّ هذه الأشياء كلّها لولادة النبيّ وأنّه يملك ملوك كسرى بعدد تلك الشرافات الساقطة ، ثمّ قال : وكلّ ما هو آتٍ آتٍ ، فأتى عبد المسيح وأخبر كسرى بما قاله سطيح فغمّه ذلك وهاله ، ثمّ قال : إلى أن يملك منّا أربعة عشر ملكاً يدور الزمان ، فهلكوا كلّهم في أربعين سنة^(٢) ، وأمثال هذه كثيرة^(٣) لا نطيل الكلام بذكرها .

وفي كتاب سعد السعود لابن طاؤس الحسني ، قال : وجدت في صحف إدريس النبيّ ﷺ فيما خاطب الله به إبليس حين أنظره إلى يوم الوقت المعلوم . إلى أن قال . : وقد قال سبحانه : «وانتخبت^(٤) لذلك الوقت عبداً لي وامتحنْتُ قلوبهم للإيمان» . إلى أن قال . : «أولئك أوليائي اخترت لهم نبيّاً مصطفى ، وأميناً مرتضى ، فجعلته^(٥) لهم نبيّاً ورسولاً وجعلتهم له أولياء وأنصاراً ، تلك أمة اخترتها لنبيّ المصطفى ، وأميني المرتضى» ، ثمّ

(١) في «س» و«م» و«ن» : «برز» بدل «أبرز» .

(٢) الدرّ النظيم : ٥٧ . ٥٥ ، بتفاوت في بعض الألفاظ .

(٣) انظر : كمال الدين : ١٩١ . ١٩٦ ، الخرائج والجرائح ٢ : ٥١٠ . ٥١٣ ، إعلام الوری ١ : ٥٦ . ٥٨ تاريخ الطبري ٢ : ١٦٦ . ١٦٨ ، دلائل النبوة لأبي نعيم ١ : ١٧٤ . ١٧٧ ، دلائل النبوة للبيهقي ١ : ١٢٦ . ١٢٩ .

(٤) في الأصل : «وانتخب» بدل «وانتخبت» ، وما أثبتناه نسخة بدل من المصدر .

(٥) في «س» و«ل» : «فجعلت» بدل «فجعلته» .

قال : «ونظر آدم إلى طائفة من ذرّيته يتألأ نورهم» .

قال آدم : «يا ربّ ، ما هؤلاء؟»

قال : «هؤلاء الأنبياء من ذرّيتك» .

قال : «يا ربّ ، فما بال نور هذا الأخير ساطعاً على أنوارهم جميعاً؟»

قال : «لفضله عليهم جميعاً» .

قال : «ومنّ هذا النبيّ يا ربّ ، وما اسمه؟»

قال : «هذا محمّد نبيّ ورسولي وأميني ونجيني وخيرتي وصفوتي وخالصتي وحيبي وخليلي ، وأكرم خلقي عليّ ، وأحبّهم إليّ ، وآثرهم عندي ، وأقرّبهم منّي ، وأعرفهم بي ، وأرجحهم علماً وعملاً وإيماناً و يقيناً وصدقاً وبرّاً وعفافاً وعبادةً وخشوعاً وورعاً وسلاماً وإسلاماً ، أخذت له ميثاق حملة عرشي فما دونهم من خلائقي في السماوات والأرض بالإيمان به ، والإقرار بنبوّته ، فأمن به يا آدم ، تزدد منّي قريباً ومنزلة وفضلاً ونوراً ووقاراً» .

قال : «آمنت بالله وبرسوله محمّد ﷺ» .

فقال الله تعالى : «قد أوجبت لك يا آدم الكرامة ، وقد زدتك فضلاً وكرامةً ، وأنت يا آدم أوّل الأنبياء والرسل ، وابنك محمّد خاتم الأنبياء والرسل ، وأوّل من تنشقّ عنه الأرض يوم القيامة ، وأوّل من يكسى ويحمل إلى الموقف ، وأوّل شافع ، وأوّل مشفّع ، وأوّل قارع لأبواب الجنان ، فأنت أبو محمّد ﷺ» ، فقال آدم : «الحمد لله الذي جعل من ذرّيتي من فضّله بهذه الفضائل ، وسبقني إلى الجنّة ولا أحسده»^(١) .

(١) سعد السعود : ٦٧ / ١٧ ، وعنه المجلسي في بحار الأنوار ١٥ : ٢٣٩ / ٥٨ .

قال : ورأيت في السورة السابعة عشر من زبور داود : اسمع يا داود ، ما أقول وأمر سليمان يقول بعدك : «إِنَّ الْأَرْضَ أُورَثَهَا مُحَمَّدًا وَأُمَّتَهُ وَهُمْ خَلَائِكُمْ»^(١) ، الخبر .

وفي كتب ، منها : الخرائج والجرائح عن جمع ، منهم : محمد بن الفضل الهاشمي^(٢) كلهم عن الرضا عليه السلام في حديث : أنه حضر بالبصرة في مجلس عظيم فيه جماعة من العلماء ، وفيه جاثليق النصارى ، ورأس الجالوت ، فالتفت الرضا عليه السلام إلى الجاثليق ، فقال : «هل دلّ الإنجيل على نبوة محمد ﷺ ؟» .

قال : لو دلّ الإنجيل على ذلك لما جحدناه .

فقال عليه السلام : «أخبرني عن السكتة^(٣) التي لكم في السفر الثالث» .

فقال الجاثليق : اسم من أسماء الله لا يجوز لنا أن نظهره .

قال الرضا عليه السلام : «فإن قررتك أنه اسم محمد وذكره ، وإقرار عيسى به ، وأنه بشر بني إسرائيل بمحمد لتقرّ به ولا تنكره ؟» .

فقال الجاثليق : إن فعلت أقررت ، فإني لا أردّ الإنجيل ولا أجحده .

قال الرضا عليه السلام : «فخذ عليّ السفر الثالث الذي فيه ذكر محمد وبشارة عيسى

به» .

(١) سعد السعود : ٩٥ / ٤٨ .

(٢) هو محمد بن الفضل الهاشمي المدني ، من أصحاب الصادق عليه السلام ، ثبت كونه إمامياً إلا أنّ حاله مجهول .
انظر : رجال الطوسي : ٢٩٢ / ٤٢٥٣ ، تنقيح المقال ٣ : ١٧١ / ١١٢٣٨ ، من أبواب الميم ، قاموس الرجال ٩ : ٥١٣ / ٧١٦٤ .

(٣) في «س» و«ل» : «السكّة» بدل «السكتة» ، وفي المصادر نسخة بدل : «السكينة» بدل «السكتة» ، والظاهر أنّه الصحيح .

قال الجاثليق : هات ، فأقبل الرضا عليه السلام يتلو ذلك السفر من الإنجيل حتى بلغ ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله فقرأه عليه ، فقال له : «مَنْ هذا النبي الموصوف؟»

قال الجاثليق : صفه أنت ، قال : «لا أصفه إلا بما وصفه الله ، هو : صاحب الناقة ، والعصاء ، والكساء ، النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم . إلى قوله تعالى . : ﴿ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ﴾^(١) ، هو بهذا الطريق الأفضل ، والمنهاج الأعلى ، والصراط الأقوم ، سألتك يا جاثليق ، بحق عيسى روح الله وكلمته ، هل تجد هذه الصفة في الإنجيل لهذا النبي؟» فأطرق الجاثليق ملياً ثم قال : نعم ، هذه الصفة في الإنجيل .

فقال عليه السلام : «فخذ عليّ في السفر الثاني فيأتي أوجدك ذكره ، وذكر وصيّيه ، وذكر ابنته وذكر سبطيه» ، فقرأه عليه السلام عليه .

فلما سمع الجاثليق ورأس الجالوت علماً أنّ الرضا عليه السلام عالم بالتوراة والإنجيل . فقالا : والله ، لقد أتى بما لا يمكننا ردّه ولا دفعه إلاّ بجحود التوراة والإنجيل والزبور ، وقد بشر به موسى وعيسى جميعاً ، ولكن لم يتقرّر عندنا بالصحة أنّه محمد هذا ، فأما أنّ اسمه محمد فلا يصحّ لنا أن نقرّ لكم بنبوته ، ونحن شاكون أنّه محمدكم [أو غيره^(٢)] .

فقال الرضا عليه السلام : «احتججتم بالشكّ ، فهل بعث الله من قبل أو من بعد من آدم إلى يومنا هذا نبياً اسمه محمد صلى الله عليه وآله أو تجدونه بهذه الصفات

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٥٧ .

(٢) زيادة من المصدر .

(٣) في «س» و«ل» : «و» بدل «أو» .

أو بشيءٍ من هذه الصفات التي في هذه الكتب التي أنزلها الله على جميع الأنبياء غير محمد هذا ؟ » ، فأحجموا عن جوابه . إلى أن قال . : فأقرّ الجاثليق وأسلم .

فقال الرضا عليه السلام لرأس الجالوت : « فاسمع الآن السفر الفلاني من زبور داود » ، وتلا السفر الأول منه حتى انتهى إلى ذكر محمد وعليّ وفاطمة والحسين صلوات الله عليهم أجمعين ، فقال له : « سألتك يا رأس الجالوت ، بحق الله [أ^(١)] هذا في زبور داود ؟ » ، فقال : نعم ، هذا بعينه في الزبور بأسمائهم .

فقال الرضا عليه السلام : « فخذ الآن عليّ سفر كذا من التوراة » ، وأقبل يتلو التوراة ، ورأس الجالوت يتعجب من تلاوته ويبانه ، وفصاحته ولسانه إلى أن بلغ ذكر محمد ﷺ . فقال رأس الجالوت : نعم ، هذا أحمد وبنت أحمد (وأليا وشبر وشبير)^(٢) ، الخبر ، وهو طويل كفى ما ذكرناه ، والأخبار من هذا القبيل ممّا لا تحصى .

وفي كتاب قصص الأنبياء وغيره : عن ابن بطّة^(٤) بإسناد له عن زيد

(١) زيادة من المصدر ، يقتضيها السياق .

(٢) في الأصل : جاء ما بين القوسين هكذا : (وابناه شبراً وشبيراً) ، والأولى ما أثبتناه من المصادر .

(٣) الخرائج والجرائح ١ : ٣٤١ / ٦ ، الثاقب في المناقب : ١٨٦ / ١٧١ ، مدينة المعاجز ٧ : ٢٠٠ / ١٦٣ ، بحار الأنوار ٤٩ : ٧٣ / ١ .

(٤) هو عبيد الله بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ، يكنى أبا عبد الله ، المعروف بابن بطّة ، شيخ العراق ، سافر البلاد البعيدة في طلب العلم ، وله كتب منها : الإبانة ، والسنن ، روى عن أبي القاسم البغوي ، وابن صاعد ، وأبي ذرّ بن الباغنديّ

ابن أسلم ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عمر ، عن النبي ﷺ في حديث له : أنّ آدم قال : «يا ربّ ، لما خلقتني رفعت رأسي إلى عرشك فإذا فيه مكتوب لا إله إلاّ الله ، محمّد رسول الله . إلى أن قال . : فأوحى الله إليه : يا آدم ، إنّ آخر النبيّين من ذرّيتك ولولاه ما خلقتك»^(١) .

وروى جماعة بأسانيدهم عن أبي حمزة الثماليّ ، عن الباقر عليه السلام ، قال : «لما أتى على رسول الله ﷺ اثنان وعشرون شهراً من يوم ولادته رمدت عيناه ، فقال عبدالمطلب لأبي طالب : إذهب بابن أخيك إلى عرّاف الجحفة ، وكان بها راهب طيب في صومعة . قال : فحمّله غلام له في سبط هنديّ ، حتّى أتى به الراهب فوضعه تحت الصومعة ، ثمّ ناداه أبو طالب : يا راهب ، يا راهب ، فأشرف عليه ، فنظر حول الصومعة إلى نور ساطع ، وسمع حفيف أجنحة الملائكة ، فقال له : من أنت ؟ قال : أنا أبو طالب بن عبد المطلب ، جئتُك بابن أخي لتداوي عينيه . فقال : وأين هو ؟ قال : في السبط وقد غطيته من الشمس . قال : اكشف عنه ، فكشف عنه فإذا هو بنور ساطع في وجهه ، فقال له : غطّه ، فغطّاه .

وغيرهم ، وحدّث عنه : أبو الفتح بن أبي الفوارس ، وأبو نعيم الإصبهانيّ ، وعبيد الأزهريّ وغيرهم . ولد سنة ٣٠٤ هـ ، ومات سنة ٣٨٧ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٠ : ٣٧١ / ٥٥٣٦ ، المنتظم ١٤ : ٣٩٠ / ٢٩٣٣ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٥٢٩ / ٣٨٩ ، الأعلام للزركليّ ٤ : ١٩٧ .
(١) قصص الأنبياء للراوندي : ٥١ / ٢٥ ، بحار الأنوار ١١ : ١٨١ / ٣٣ ، و١٦ : ٣٦٧ / ٧٣ .

ثمّ أدخل الراهب رأسه في صومعته ، فقال : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنتك رسوله حقاً حقاً ، وأنتك الذي بشرّ به في التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى عليه السلام .

ثمّ أخرج رأسه ، فقال : يا بنيّ ، انطلق به ، فليس عليه بأس .

فقال له أبو طالب : ويلك يا راهب ، لقد سمعت منك قولاً عظيماً .

فقال : يا بنيّ ، شأن ابن أخيك أعظم ممّا سمعت مني ، وأنت معينه على ذلك ، ومانعه ممّن يريد قتله من قريش .

قال : فأتى أبو طالب عبد المطلب ، فأخبره بذلك ، فقال له عبد المطلب : أسكت يا بنيّ ، لا يسمع هذا الكلام منك أحد ، فوالله ، ما يموت محمد ﷺ حتى يسود العرب والعجم»^(١) .

وفي رواية جماعة ، منهم : الطبريّ ، ومنهم : القطّان^(٢) ، ومحمد بن السائب ، وأبو صالح^(٣) ، وغيرهم ، عن غير واحد ، منهم : عن ابن عباس ، عن أبيه ، عن أبي طالب : أنّه عزم على الخروج إلى الشام تاجراً مع ركب

(١) الدرّ النظيم : ٦١ ، العدد القويّة : ١٢٣ / ٣٠ ، وعن الأخير في بحار الأنوار ١٥ : ٣٥٨ / ١٥ .

(٢) هو أحمد بن الحسن القطّان ، وكان شيخاً لأصحاب الحديث ببلد الري ، المعروف بأبي عليّ بن عبد ربّه ، واستظهر بعضهم كونه من مشايخ الصدوق ، وهو كثير الرواية عنه .

انظر : تنقيح المقال ١ : ٥٦ / ٣٣٣ ، قاموس الرجال ١ : ٤٣٠ / ٣٣٦ .

(٣) يقال له : بإذام مولى أمّ هاني بنت أبي طالب بن عبد المطلب ، حدّث عن مولاته أمّ هاني ، وأخيها عليّ عليه السلام ، وابن عباس ، وروى عنه : سَمَّاك ، ومحمد بن السائب الكلبيّ ، والسديّ ، وغيرهم .

انظر : الطبقات لابن سعد ٥ : ٣٠٢ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٧ / ١١ ، تهذيب التهذيب ١ : ٣٦٤ / ٧٧٠ .

من قريش ، وكان للنبي ﷺ ذلك الوقت ثمان سنين ، وقيل : اثنتا عشرة سنة من ولادته ، فلزم النبي ﷺ زمام ناقته ، وقال : « يا عمّ ، على من تخلفني؟ » فرق أبو طالب له ، وعزم على إخراجه معه ، فقبل له : ما تفعل به في هذا الحرّ وهو غلام صغير ؟

فقال : والله ، لأخرجنّ به ولا أفارقه أبداً ، فكان يسوق البعير الذي كان عليه النبي ﷺ أمامه ولا يفارقه ، وكان بعيده يسبق الركب كلّهم وكانت سحابة بيضاء مثل الثلج تظله ، وربما مطرت أنواع الفواكه .

قال أبو طالب : فلمّا قربنا من بُصرى إذا نحن بصومعة تمشي ، كما تمشي الدابة السريعة ، حتّى إذا قربت ممّا وقفت ، فإذا فيها راهب . مشهور اسمه بَحِيرَاء ^(١) . فلمّا نظر إلى محمّد ﷺ قال : إن كان أحد فأنت أنت .

قال : فنزلنا تحت شجرة عظيمة قليلة الأغصان ليس لها حمل ، فاهتزّت الشجرة ، وألقت أغصانها عليه ، وحملت ثلاثة أنواع من الفواكه ، فاكهتان للصيف ، وفاكهة للشتاء ، فجاء البحيراء بطعام يكفي النبي ﷺ ، وقال : من يتولّى أمر هذا الغلام ؟ فقلت : أنا .

فقال : أيّ شيء تكون منه ؟

قلت : أنا عمّه .

قال : له أعمام كثيرة ، فأيّهم أنت ؟

(١) بَحِيرَاء الراهب ، وكان مؤمناً على دين المسيح عيسى بن مريم ﷺ ، واسمه في النصارى : سرجس ، وكان من عبد القيس ، ولما خرج رسول الله ﷺ مع عمّه أبي طالب إلى الشام في تجارة مرّوا ببَحِيرَاء وهو في صومعته ، فعرف رسول الله ﷺ بصفته ودلائله . . . ، كما أشار إليه المؤلف ﷺ مفصلاً .
انظر : مروج الذهب ١ : ٨٩ .

فقلت : أنا أخو أبيه من أم واحدة .

قال : أشهد أنه هو ، وإلا فلست بحيراء ، فأذن في تقريب الطعام .

فقلت لمحمد : رجل يحب أن يكرمك فكل .

فقال له : «هل هو لي دون أصحابي؟»^(١) .

قال : هو لك خاصة .

فقال : «إني^(٢) لا أكل دون هؤلاء» .

فقال : إنه لم يكن عندي أكثر من هذا .

فقال له : «أفتأذن أن يأكلوا معي؟» .

قال : بلى .

قال : «كلوا بسم الله» ، فأكل وأكلنا معه فوالله ، لقد كنّا مائة وسبعين رجلاً ،

فأكل كل واحد منا حتى شبع وتحشأ ، وبحيراء واقف على رأسه يذب عنه ، ويتعجب من تلك الحال ، وفي كل ساعة يقبل يافوخه ويقول : هو [هو^(٣)] وربّ المسيح ، فقالوا له : إنّ لك لشأناً .

فقال : وإني لأرى ما لا ترون ، وأعلم ما لا تعلمون ، وأنّ تحت هذه الشجرة لغلماً

لو أنتم تعلمون منه ما أعلم لحملتموه على أعناقكم حتى تردّوه إلى وطنه ، ولقد رأيت له وقد أقبل نوراً أمامه ما بين السماء والأرض ، ولقد رأيت رجلاً في أيديهم مراوح الياقوت والزبرجد يروّحونه ، ثمّ هذه السحابة لا تفارقه ، ثمّ صومعتي مشّت إليه ، ثمّ هذه الشجرة لم تنزل يابسة قليلة الأغصان ، وقد كثرت أغصانها واهتزّت

(١) في الأصل : «أصحابه» ، وما أثبتناه من المصدر .

(٢) في «م» و«ن» : «أنا» بدل «إني» .

(٣) زيادة من المصدر يقتضيها السياق .

وحملت .

ثم قال : يا غلام ، أسألك باللات والعزى عن ثلاث ، فقال محمد ﷺ : « ما أبغضت شيئاً كبغضي إياهما » ، فسأله بالله عن نومه ويقظته وأموره ، فوافق ذلك ما عند بحيراء من صفته .

ثم نظر إلى خاتم النبوة فأكب بحيراء على النبي ﷺ يقبل رجله ، ويقول له : يا نبي الله ، ما أطيبك وأطيب ريحك ، يا أكثر النبيين أتباعاً ، يا من بذكره تعمر المساجد ، كأني بك قد قدمت بالأجناد والخيول الجياد ، وتبعك العرب والعجم طوعاً وكرهاً ، وكأني باللات والعزى قد كسرتهما ، وقد صار البيت العتيق لا يملكه غيرك . إلى أن قال . : معك مفاتيح الجنان والنيران ، معك الذبح الأكبر ، وهلاك الأصنام . إلى أن قال . : لأن أدركت زمانك لأضرب بين يديك بالسيف ، أنت سيد ولد آدم ، وسيد المرسلين ، وإمام المتقين ، وخاتم النبيين . إلى أن قال . : أنت دعوة إبراهيم ، وبشارة عيسى ، أنت المقدس المطهر من أنجاس الجاهلية . إلى أن قال لأبي طالب . : إنه كائن لابن أخيك النبوة والرسالة ، ويأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى وعيسى عليهما السلام ، ثم قال : فارجع به إلى بلده واحذر عليه من اليهود ، فإنهم إن عرفوا منه ما عرفته ليقتلنّه ، وأنّ له لشأناً عظيماً .

فقال أبو طالب : إذا كان الأمر على ما وصفت فهو في حصن الله ^(١) .

وقد نقل جمع : أنّ أبا طالب امتنع من إتيان اللات والعزى بعد رجوعه من الشام ، حتّى وقع بينه وبين قريش كلام كثير ، فقال لهم

(١) كمال الدين : ١٨٢ / ٣٥ ، المناقب لابن شهر آشوب ١ : ٦٥ / ٦٦ ، إعلام الوری ١ : ٦٥ ، الدرّ النظيم : ٨٢ - ٨٤ ، العدد القويّة : ١٢٨ / ٤١ ، تاريخ الطبري ٢ : ٢٧٧ .

أبو طالب : إني لا يمكنني أن أفارق هذا الغلام ولا مخالفته ، وإنّه يأبى أن يصير إليهما^(١) ، الخبر .

أقول : أمثال هذه الأشياء ممّا لا تحصى كثرةً ، ثمّ ما نقل من أحوال زمان نبوّته ، وحكاية معراجّه ، وبيان معجزاته ، حتّى قبل النبوّة أيضاً ، وكذا سائر أخلاقه وصفاته ممّا هو مشهور ، متواتر ، مسطور عند كلّ فريق ، معلوم مذكور لا نكير عليه ، حتّى يحتاج إلى الذكر والبيان ؛ ولهذا طوينا عن إطالة الذكر ، وإنّما اكتفينا بما ذكرناه تيمناً وتبرّكاً وإظهاراً بأن لا بدّ من كون حال النبيّ والإمام من هذا القبيل طول عمره ، حتّى يظهر على كلّ خير بصير مشاركة النبيّ والأئمّة الاثني عشر عليهم السلام في ذلك دون غيرهم أبداً ، فهم أهل للإمامة والرئاسة والتعليم ، واستحقاق فرض الطاعة والتقديم ، دون غيرهم ، لاسيّما من عبّد كثيراً من عمره الأصنام ، وكان جاهلاً بأحكام الله بعد الإسلام ، فوازن ما ذكرناه هاهنا مع ما سيأتي في أحوال الإثني عشر عليهم السلام ، حتّى تفهم ما أشرنا إليه والله الهادي .

المقالة الحادية عشرة :

في بيان ما هو أيضاً . كما سبق عليه . في اللزوم من أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله مع ثبوت عدم تقصيره في التبليغ لما لم يبق طول مدّة التكليف ، ولم يبيّن للناس جميع ما يحتاجون إليه تلك المدّة ، مع أنّ القرآن لا يظهر منه غير قليل من الأحكام ، ولم يجز للناس إلّا الأخذ من المعلّم فقط ، ظهر أن لا بدّ له من نائبٍ بعده في كلّ عصر إلى آخر الدهر يقوم مقامه في هذا الأمر ،

(١) الدرّ النظيم : ٨٤ ، العدد القويّة : ١٣١ .

ويكون إماماً لسائر الأمة ، مفروض الطاعة عليهم ، ولو رجلاً بعد رجل متّصف مثل النبي ﷺ بجميع ما مرّ لزومه من صفات المعلم من الله ، لا سيّما العلم والصدق المعهودين ، والتعيين بنصّ من الله ورسوله .

وبالجملة : لا بدّ من تشاركهما فيما سوى مختصّات النبوة ، كنزول الوحي ، ورؤية الملك ، ونحو ذلك ، وكون علم النائب بواسطة الرسول .

وتوضيح هذا وتفصيله : أنّه قد تبينّ ممّا سبق مفصّلاً في المقالات وفصول بطلان الرأي ، وعدم جواز الاعتماد عليه ، وأنّ الله عزّ وجلّ لم يرضَ من عباده في كلّ زمان إلّا أن يعبدوه على وفق أمره وإرادته بمعلّم عالم بذلك بالتعليم منه سبحانه ، وأنّ منهم هذه الأئمة التي بينّا أنّه لم يرضَ منهم أيضاً إلّا أن تكون جميع أعمالهم وأفعالهم ما دام التكليف على وفق ما آتاهم الرسول ﷺ الذي علّمه ما يحتاجون إليه من عنده ، وجعله معلّماً لهم من طرفه لا غير ذلك ، كما أوضحناه واستدللنا له بما لا مزيد عليه .

وقد تبينّ أيضاً ما هو ظاهر في نفسه من أنّ النبي ﷺ قد صدع بالأمر ولم يقصّر في شيء من لوازم التبليغ ، حتّى أنّه وكذا الله عزّ وجلّ أخيراً مع ظهور صدقهما بتبليغ الرسالة ، وإكمال الدين ، وإتمام النعمة ، وعدم بقاء حجة للناس عليهما .

ومن المعلوم الواضح المسلّم عند الكلّ . كما بينّاه أيضاً . أنّ شريعته باقية إلى آخر الزمان ، وأنّه لم يبق في الدنيا إلّا مدّة يسيرة ، وأنّه لم يبيّن لعامة الناس جميع جزئيات ما يحتاجون إليه في كلّ مدّة التكليف ، وأنّ ظاهر كتابه وسنّته المضبوطة لا تفي بذلك ، حتّى أنّ كثيراً من الكلّيات أيضاً غير معلومة ، كما ينادي بذلك الاختلاف الذي بين الناس فيها . ومن أوضح الواضحات أنّ هذا لا يجتمع مع عدم التقصير في

التبليغ ، وإكمال الدين ، وإتمام الحجة إلا بوجود معلّم عالم بجميع ما أتاه الرسول ﷺ في كلّ زمان ، موصوف بما ذكر ، كما سيظهر .

ومع هذا من المعلوم الواضح المسلّم الذي بيّناه أيضاً : أنّ مقتضى لطف الله . الذي لا يريد لعباده العسر ، ولا يرضى لهم الحرج ؛ بحيث لا يكلف نفساً إلاّ وسعها ، وكذا شفقة النبيّ الذي أرسله رحمةً للعالمين ، وجعله حريصاً عليهم ، رؤوفاً بالمؤمنين رحيماً . ليس أنّهما يكونان بحيث لا يرتضيان منهم ، مع الحالة التي بيّنا أنّهم فيها من عدم اطلاعهم على كثير من الأحكام ، إلاّ بالعمل في كلّ شيء وكلّ حين على وفق ما ذكرناه ، أعني : الوارد منهما مصرّحين بأنّ ذلك فقط إنّما هو طريق الهداية ، وأنّ ما سواه من كلّ ما يؤدّي إلى الاختلاف سبيل الضلالة والغواية ، مع تغافلها وسكوتهما عن تعيين معلّم لهم عالم كالنبيّ ﷺ بما يحتاجون إليه فيما بعد من الكتاب والسنة ، ليرشداهم حين الاحتياج إلى ما لم يتبيّن بعد لهم ، تعالى ورسوله عن ذلك علوّاً كبيراً .

ومع هذا كلّّه ، قد تبين أيضاً ممّا مرّ . لاسيّما في نقل الملل السابقة ، وفي الفصل الثالث من الباب الرابع من المقدمة ، وفي بعض أحاديث فاتحة هذا الكتاب لا سيّما السابع والثالث عشر . وممّا سيأتي أيضاً . لا سيّما في الفصل السادس من المقالة الآتية . ما هو واضح أيضاً على من لاحظ كتب سيرة الأنبياء السابقين من أنّ كلّ واحد من الرسل المكرّمين كان دأبه تعيين وصيّ ونائب بأمر الله لأُمّته ؛ ليعلمهم ما يحتاجون إليه بعده من شريعته ، وأنّ كلّ من تبعه كان مهديّاً ، ومن خالفه صار مضلّاً ضالّاً ، ووقع في الاختلاف ، والعمل بالآراء والأهواء ، كما يرشد إليه ما مرّ أيضاً من بعض ما ذكره الله في كتابه .

وقد ظهر أيضاً : لاسيما ممّا مرّ في أخير فصول الباب الثالث من المقدمة أن ليس لسنة الله تبديل ، وأنّ كلّ ما كان من الأمم السالفة يكون مثله في هذه الأمة .

ومن أوضح الواضحات أنّ مقتضى هذا أيضاً لاسيما مع كون أمة نبينا ﷺ أعزّ عند الله وأكرم : لزوم وجود النائب المكلّم في هذه الأمة أيضاً ؛ ليكون حجّةً من الله ، ومفروض الطاعة عليهم وإن لم يكن نبياً ، حيث كان نبينا ﷺ خاتم النبيين ، كما هو معنى قوله ﷺ : «علماء أمتي كأنباء بني إسرائيل»^(١) ، ثمّ مع هذا كلّ قد دلّت على هذا الأمر آيات من الكتاب المبين ، ونصوص صحيحة من سيّد المرسلين عليه وآله السلام ، ومنقولات من عليّ أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن سائر علماء العترة المسلّمين في العلم والصدق عند جميع المسلمين ، بل ومن بعض الصحابة أيضاً ، والمطلّعين ، كما سيأتي كثير منها في فصول المقالة الآتية ، حتّى إنّ سيأتي فيها صريحاً أنّ الأئمة الاثني عشر المعلومين من آل سيّد المرسلين ﷺ ادّعوا لأنفسهم ذلك بالحجج والبراهين التي منها ما هو المسلّم عند المؤلف والمخالف من تفوّق كلّ واحدٍ منهم على جميع أهل عصره كجدّهم النبيّ ﷺ بوفور العلم عند كلّ سؤال ، وتمام الصدق على كلّ حال ، ومزيد الزهد والتقوى ، والحسب والنسب ، وسائر صفات الكمال التي ما اجتمعت إلّا لجدّهم ﷺ ، حتّى يأتي أنّه برز ذلك لبعضهم على

(١) أوائل المقالات : ١٧٩ ، الصراط المستقيم ١ : ١٣١ ، عوالي اللغالي ٤ : ٧٧ / ٦٧ ، منية المرید : ١٨٢ ، بحار الأنوار ٢ : ٢٢ / ٦٧ ، تفسير الفخر الرازي ١٧ : ١١٥ ، تاريخ ابن خلدون ١ : ٥٧٩ ، إمتاع الأسماع ٤ : ٢٠٨ ، المقاصد الحسنة : ٣٤٠ / ٧٠٢ ، تذكرة الموضوعات : ٢٠ .

صغر سنّه ، ولم يتعلّم أحد منهم شيء من غيرهم مع كون كلّ منهم مرجعاً للعلماء عند عجزهم .

ولنذكر هاهنا من تلك الآيات وغيرها نبذاً ممّا كان له مزيد مناسبة لبيانه هاهنا مع الإشارة إلى مجمل من بعض ما سيأتي مفصّلاً .

فمنها : ما قال الله عزّ وجلّ من قول : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) .

ووجه الدلالة أنّه إذا لم يكن أحد بعد النبيّ ﷺ يعلمهم سائر معالم دينهم من الله ورسوله ، فلا محالة يلزم أن لا أقلّ من أن يفوتهم بعضها ، فلا يستقيم إذن ما هو مفاد ظاهر الآية من أنّ رأفة الله ورحمته مانعة من أن يتركهم بحيث يدخل نقص في إيمانهم ولو بفوات بعض ما يتعلّق به ، ضرورة صدق الضياع بذلك أيضاً ، مع أنّ ترك المعلّم مستلزم لفوات كثير من ذلك ، كما ينادي بذلك ما بيّناه سابقاً من الاختلاف العظيم الذي هو موجود بين سائر طوائف الأُمّة في عامّة معالم الدين ؛ حيث لم يعبأوا بالتمسك بالمعلّمين المعيّنين من الله ربّ العالمين ، وسيظهر هذا أيضاً عياناً .

وممّا يشهد لما حرّراه أنّ الله تعالى أخبر بامتنانه هذا بعد ما بيّن لهم أمر القبلة التي هي من جزئيات الصلاة التي هي إحدى الشرائع في الدين وإن كانت عظيمة .

ومن المعلوم أنّ الله تعالى الذي ذكر مثل هذا الكلام في هذا المقام ، وعدّ ترك التعليم حينئذٍ ضياع الإيمان ، لم يرض لهم بفوات أمثاله فضلاً عمّا هو أعظم منه ، لاسيّما ما نتج منه سفك الدماء ، وتكفير بعضهم بعضاً ،

(١) سورة البقرة ٢ : ١٤٣ .

فافهم ولا تغفل عن أمثال هذه الآية التي منها :

قوله سبحانه : ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾^(١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾^(٢) وما بمعناها .

ومنها : ما قال الله عزَّ وجلَّ أيضاً من قوله : ﴿ وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾^(٣) .

ولا يخفى أنَّ الحقَّ هو ما يكون من الله ورسوله ، كما مرَّ مراراً ، فلا محالة إنّما يكون هؤلاء أشخاصاً مختصين بالاطّلاع على كلّ ما هو من الله ورسوله ، كما يشهد لهذا ما ذكر الله تعالى من وجود مثله في قوم موسى عليه السلام حيث قال مرّة : ﴿ وَمِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴾^(٤) ، ومرّة : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ ﴾ يعني : من قوم موسى ﴿ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾^(٥) فبيّن أنّهم كانوا أئمة ، وأنّ الهداية بالحقّ إنّما هي الهداية بأمر الله ، وقد ثبت . كما أشرنا آنفاً . أنّ كلّ ما كان في الأمم السابقة يكون مثله في هذه الأئمة ؛ ولهذا ورد في الحديث : أنّ رسول الله ﷺ لما قرأ قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ خَلَقْنَا ﴾ ، الآية ، قال : «هذه لكم وقد أعطى الله قوم موسى مثلها»^(٦) .

(١) سورة الحجّ ٢٢ : ٥٤ .

(٢) سورة القيامة ٧٥ : ١٨ و ١٩ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ١٨١ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ١٥٩ .

(٥) سورة السجدة ٣٢ : ٢٤ .

(٦) مجمع البيان ٢ : ٤٩٠ ، بحار الأنوار ١٣ : ١٧٣ ، و ٣٦ : ١٨٧ ، و ٥٧ : ٣١٨ ، الكشاف ٢ : ١٣٣ .

، تفسير ابن كثير ٢ : ٢٨٠ .

وفي حديث آخر عن أنس : أنَّ النبي ﷺ قرأ هذه الآية ، ثمَّ قال : «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْماً عَلَى الْحَقِّ [حَتَّى] (١) يَنْزِلُ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ» (٢) .

وقد روي عن عليّ عليه السلام أيضاً أنّه قال : «والذي نفسي بيده لتفترقن هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلّها في النار إلا فرقة واحدة ، كما قال الله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ ، فهذه التي تنجو» (٣) .

وعن أبي جعفر الباقر وأبي عبد الله الصادق عليهما السلام أنّهما قالوا : «نحن هم» (٤) ، فتأمل حتّى تعلم أنّ المراد بهداية الله في الآية السابقة هذا النوع أيضاً ، وأنّه بهذا حفظ إيمان الأمة من الضياع ، وأنّ هذا هو المراد أيضاً بقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ (٥) ، فإنّ أكثر المفسرين على أنّ «هادٍ» مبتدأ ، «ولكلّ قوم» خبره (٦) ، أي : جعل الله تعالى لكلّ قوم هادياً يهديهم إلى الحقّ ، وستأتي أخبار أيضاً في تفسيره كذلك مفصلاً ، وكذا في تفسير قوله تعالى : ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ﴾ (٧) الآية ، وغيرها أيضاً في المقالة الآتية في فصل ذكر الآيات الدالّة على إمامة عليّ عليه السلام

(١) زيادة من المصدر .

(٢) مجمع البيان ٢ : ٥٠٣ ، إحقاق الحقّ ٣ : ٤١٥ ، بحار الأنوار ٣٦ : ١٨٧ / ١٨٧ ، الكشّاف ٢ : ١٣٣ ، تفسير ابن كثير ٢ : ٢٨١ .

(٣) تفسير العيّاشي ٢ : ١٧٧ / ١٦٦٥ ، مجمع البيان ٢ : ٥٠٣ ، الدرّ المنثور ٣ : ٦١٧ .

(٤) تفسير العيّاشي ٢ : ١٧٧ / ١٦٦٤ ، عن الباقر عليه السلام ، مجمع البيان ٢ : ٥٠٣ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٨٩ ، و ٤ : ٤٥٤ .

(٥) سورة الرعد ١٣ : ٧ .

(٦) مجمع البيان ٣ : ٢٧٩ ، مشكل إعراب القرآن ١ : ٤٤١ ، البيان في غريب إعراب القرآن ٢ : ٤٩ .

(٧) سورة الأعراف ٧ : ١٨١ .

والأئمة عليهم السلام .

منها : ما رواه ابن عباس أنه قال : لما نزلت الآية ، قال رسول الله ﷺ : «أنا المنذر ، وعليّ الهادي من بعدي» ، ثم قال : «يا عليّ ، بك يهتدي المهتدون»^(١) .
والظاهر أنّ من هذا القبيل أيضاً قوله تعالى : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأَوْحِي إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرْكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾^(٢) ، حيث قيل : إنّ قوله : «ومن بلغ» في موضع رفع عطفاً على الضمير في «أنذر» .

فعلى هذا ، معناه ما رواه العياشي وغيره عن الباقر والصادق عليهما السلام أنّهما قالوا : «من بلغ أن يكون إماماً من آل محمد . صلوات الله عليهم أجمعين . فهو ينذر بالقرآن كما أنذر به رسول الله ﷺ»^(٣) ، وظاهر أنّ أهل البيت أدركوا بما في البيت ، فتأمل تفهّم .

ومنها أيضاً : ما قال الله عزّ وجلّ من قوله : ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ ﴾ إلى قوله : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ الآية ، إلى قوله : ﴿ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴾^(٤) ، إذ الصحيح المعلوم من العبارة أنّ المراد بالكتاب إنّما هو القرآن ، ومن البين أنّ ذكر إيراثه أهل الاصطفاء لا سيّما من بين الذين عبّر عنهم ﴿ لِعِبَادِنَا ﴾ الدالّ أيضاً

(١) مجمع البيان ٣ : ٢٧٨ ، شواهد التنزيل ١ : ٢٩٥ / ٤٠٠ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٥٩ .

(٢) سورة الأنعام ٦ : ١٩ .

(٣) تفسير العياشي ٢ : ٩٣ / ١٤٠٨ ، الكافي ١ : ٣٤٤ / ٢١ ، و ٣٥١ / ٦١ (باب فيه نكت وتنف من .

..) ، مجمع البيان ٢ : ٢٨٢ .

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٣١ و ٣٢ .

على الجلالة ، سيّما مع التصريح أخيراً بأنّ ذلك الإرث هو الفضل الكبير ، صريح في كونهم جماعة مختصّين بعلم ما كان يعلمه النبيّ ﷺ من الكتاب ؛ ولهذا قيل : إنّ المراد علماء الأئمة^(١) ، كقول النبيّ ﷺ : «العلماء ورثة الأنبياء»^(٢) .

والحقّ أنّ المراد إنّما هو من يعلمه منهم مثل علم النبيّ ﷺ ، كما أشرنا إلى أنّه مفاد ظاهر العبارة ، ويشهد له أيضاً ما سيأتي من حديث الثقلين ، المتواتر المشهور .

وما رواه جماعة عن الباقر والصادق عليهما السلام من قولهما : إنّ هذه الآية «هي لنا خاصّة وإيانا عنى»^(٣) ، حتّى أنّهما قالوا في تفسير ما بعد قوله تعالى : ﴿عِبَادِنَا﴾ من قوله سبحانه : ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ﴾^(٤) : «إنّ الظالم لنفسه من لا يعرف حقّ الإمام عليّ عليه السلام ، والمقتصد منّا العارف بحقّ الإمام ، والسابق بالخيرات هو الإمام ، وهؤلاء كلّهم مغفور لهم»^(٥) .

(١) مجمع البيان ٤ : ٤٠٨ .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٣ / ٢ ، الكافي ١ : ٢٤ / ٢ (باب صفة العلم وفضله وفضل العلماء) ، أمالي الصدوق : ١١٦ / ٩٩ ، ثواب الأعمال : ١٥٩ / ١ ، بحار الأنوار ٢ : ١٥١ / ٣١ ، مسند أحمد ٦ : ٢٥٤ / ٢١٢٠٨ ، سنن ابن ماجه ١ : ٨١ / ٢٢٣ ، سنن أبي داود ٣ : ٣١٧ / ٣٦٤١ ، سنن الترمذي ٥ : ٤٩ / ٢٦٨٢ ، مسند الشاميين ٢ : ٢٢٥ / ١٢٣١ ، مسند الشهاب ٢ : ١٠٣ / ٩٧٥ ، الأريعون الصغرى : ٢١ / ٣ ، جامع بيان العلم وفضله ١ : ١٧٠ / ١٧٧ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ١ : ١٥٢ / ٨٨ .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٤٠٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٤٢ ، بحار الأنوار ٢٣ : ٢١٣ .

(٤) سورة فاطر ٣٥ : ٣٢ .

(٥) الكافي ١ : ١٦٧ / ١ ، و١٦٨ / ٣ ، مجمع البيان ٤ : ٤٠٩ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٤٢ ، بحار الأنوار ٢٣ : ٢١٣ .

وفي رواية أخرى عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال : «أما الظالم لنفسه منا ، فمن عمل عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، وأما المقتصد فهو المتعبّد المجتهد ، وأما السابق بالخيرات فعليّ والحسن والحسين عليهما السلام ، ومن قُتل من آل محمّد شهيداً» ^(١) .

وسياقي . لاسيّما في فصل ذكر الآيات من المقالة الآتية عند ذكر قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢) . صريح رواية ابن مردويه ، وغيره أنّ هذه الآية نزلت في عليّ عليه السلام ، وأنّ عليّاً قال : «نحن أولئك» ^(٣) . ويؤيّد هذا ما رواه المخالفون أيضاً عن عمر بن الخطّاب أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال : «سابقنا سابق ، ومقتصدنا ناج ، وظالمنا مغفور له» ^(٤) .

وكذا من الشواهد ما سياقي في محله في فصل ذكر الآيات من المقالة الآتية من قوله تعالى : ﴿ قُلْ كَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٥) ، حتّى أنّه سياقي أيضاً ما يدلّ من الروايات عن المؤالف والمخالف على أنّ المراد عليّ بن أبي طالب وأئمّة الهدى صلوات الله عليهم .

وكذا من الشواهد ما سياقي أيضاً من قوله تعالى : ﴿ بَلْ هُوَ آيَاتٌ

(١) مجمع البيان ٤ : ٤٠٩ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٤٢ ، بحار الأنوار ٢٣ : ٢١٣ / ٣٤ .

(٢) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ .

(٣) كشف الغمّة ١ : ٣١٤ ، ٣١٧ ، كشف اليقين : ٣٥٥ - ٣٧٢ ، إحقاق الحقّ ٣ : ٣٦٦ ، غاية المرام ٤ : ٣٦ .

(٤) البعث والنشور : ٨٤ / ٦١ ، زاد المسير ٦ : ٤٨٩ ، تفسير القرطبيّ ١٤ : ٣٤٦ .

(٥) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ .

بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴿١﴾ ، وأمثاله ، فافهم .

ومنها : ما قال الله عَزَّجَلَّ من قوله تعالى : ﴿ أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ ^(٢) إذ معلوم أن الصادق الحقيقي لا يتكلم ما يحتمل كونه خطأ عنده ، فلا يتكلم إلا بما يكون من الله ورسوله ، فلا محالة يكون عالماً بذلك نائباً عن الرسول .
وستأتي هذه الآية أيضاً في الفصل المذكور مع تفسيرها مفصلة .

وما قال أيضاً من قوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ ﴾ ^(٣) إذ معلوم من النهي عن التفرق والاختلاف المذكور أنّ الخير والمعروف . الذي هو المراد . ما يكون معلوماً من الله ورسوله ، فلا محالة لابد أن يكون الداعي الأمر عالماً بذلك كله ، حتى يرتفع الاختلاف بالكلية ، وهذا هو المراد بالنائب ، حتى إنّ هذا يدلّ على كونه حاكماً أيضاً ، كما هو ظاهر .

وما قال أيضاً من قوله تعالى : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ^(٤) إذ من البين أنّ المراد بالذكر إمّا القرآن أو الرسول ﷺ ، كما ذكره أكثر المفسرين ^(٥) .
وتأتي أيضاً دلالة الأخبار عليه في الفصل المذكور .

(١) سورة العنكبوت ٢٩ : ٤٩ .

(٢) سورة التوبة ٩ : ١١٩ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٠٤ و ١٠٥ .

(٤) سورة النحل ١٦ : ٤٣ .

(٥) تفسير العياشي ٣ : ١٢ / ٢٣٩٢ ، تفسير فرات الكوفي : ٢٣٥ / ٣١٧ ، التبيان ٦ : ٣٨٤ ، مجمع

البيان ٣ : ٣٦٢ ، تفسير المراغي ١٤ : ٨٧ .

هذا مع ظهور عدم جواز الرجوع إلى غير أهل هذه الملة .
وكذا ظهور عدم فائدة في الرجوع إلى مطلق قراء القرآن ، أو من يعلم منه شيئاً قليلاً .
وكذا ظهور عدم فائدة في الرجوع إلى مطلق ذرية النبي ﷺ ، فلا محالة يكون المراد
إذن جماعة مخصوصين علماء به كعلم النبي ﷺ فهم النّوّاب قطعاً .
ومنها : قوله عزّ وجلّ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(١) ، وقوله سبحانه : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ ^(٢) فإنه صريح في وجود النّوّاب ، بل كونهم حكّاماً أيضاً ، ومن البيّنات الواضحة أنّ الله عزّ وجلّ ذمّ صريحاً في مواضع كلّ من كان جاهلاً أو فاسقاً لا يرضى بحكومته فضلاً من أن يجعل إطاعته مثل إطاعته وإطاعة رسوله ، فلا محالة يجب أن يكون المراد بوليّ الأمر من يكون كالنبي ﷺ في العلم والعمل ، كما سيأتي بيانه مفصّلاً في فضل ذكر الآيات ، والفصل الذي بعده من المقالة الآتية ، وفي آخر المقالة الثالثة من المقصد الثاني .
ومثل قوله عزّ وجلّ : ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ﴾ ^(٣) الآية ، فإنه . كما سيأتي بيانه أيضاً ، لا سيّما في فصل ذكر الآيات من المقالة الآتية . صريح في وجود النّوّاب المختارين من عند الله تعالى ، المؤدّبين بالصدق والصّلاح ، والعلم

(١) و٢) سورة النساء ٤ : ٥٩ ، ٨٣ .

(٢) سورة النور ٢٤ : ٥٥ .

بجميع ما يحتاجون إليه من معالم الدين الواردة من الله ورسوله ؛ ضرورة أنّ ذلك كان صفة الأنبياء والمستخلفين سابقاً ، وأنّ ذلك إنّما هو مقتضى استخلاف الله تعالى ، والتقيد بالإيمان والعمل الصالح ، والتمكين على الدين المرضي عند الله تعالى ، لما اتّضح من أنّ الدين المرضي عنده إنّما هو ما لا اختلاف فيه ولا تفرّق ، فافهم .

ثمّ إنّ من هذا القبيل أيضاً قوله عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(١) ، كما سيأتي أيضاً بيانه مفصّلاً في فصل آيات المقالة الآتية .

وقوله عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(٢) .

وقوله سبحانه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ ﴾ ^(٣) .

وقوله تعالى : ﴿ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ ^(٤) .

وسيأتي في فصول المقالة الآتية لاسيّما فصل الآيات بيان أكثر هذه الآيات ، بل كلّها ، وأنّ المقصود من مصداقها الأئمة من العترة الطاهرة ، مع بيان سائر الآيات وغيرها ، كآية الغدير وأخبار العترة والمنزلة وأشباهاها ممّا ينادي بأنّهم هم النّوّاب والمعلّمون بعد النّبي ﷺ بنصّ من الله ورسوله ، فإنّ ذلك أيضاً من القرائن الموضّحة ، بل الدلائل الواضحة على ما نحن فيه

(١) سورة المائدة ٥ : ٥٥ .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ٧ .

(٤) سورة الأنفال ٨ : ٧٥ .

من عدم وقوع مسامحة من الله ورسوله في تبيان ما ذكرنا لزومه من وجود نائبٍ للرسول في كلِّ عصرٍ مختصّاً من بين الأُمّة كالنبيِّ ﷺ بالتّصاف بالعلم الذي ذكرناه مع سائر الكمالات لاسيّما التنزّه عن جميع الرذائل والخطايا والزّلات ، حتّى لزوم كونه متعيّناً كالنبيِّ من طرف الله أيضاً ، كما ظهر أنّه كان كذلك مفاد ما مرّ في المقالات وبعض ما ذكرناه من الآيات مع ما هو واضح في نفسه من تعذّر الاطّلاع على استجماع كلّ تلك الصفات في شخصٍ إلّا بإعلام من الله العالم بالسرائر ، المطّلع على ما في الضمائر ، كما مرّ تفصيله في الحديث الثاني عشر من أحاديث فاتحة هذا الكتاب ، بل تبين من أكثرها سائر ما يتعلّق بهذا المقام ، حتّى أنّ الذي يظهر من فعل الصحابة حيث تصدّوا من حين وفاة النبيِّ ﷺ لتعيين النائب أنّ هذا الأمر كان واضحاً عليهم أيضاً لكنّهم لما تاهوا عن تعيين المعين من الله ورسوله المستجمع للصفات المذكورة كلّها . كما سيظهر . وقعوا بل أوقعوا غيرهم أيضاً في تيه الاختلاف في الحكّام والأحكام والفتنة والفساد إلى يوم القيام ، فافهم . ولنذكر أيضاً من الروايات نبذاً ممّا له مزيد مناسبة لذكره هاهنا .

روى الخوارزمي والطبراني وغيرهما : عن عليّ بن أبي طالب قال : «قال رسول الله ﷺ : «رحم الله خلفائي» ، فقليل : من هم يا رسول الله ؟ فقال : هم الذين يحيون سنّي ويعلمونها عباد الله» (١) .

وفي حلية الأولياء ، وغيره : عن أبي هريرة أن النبيِّ ﷺ قال : «إنّ لله تعالى عند كلّ بدعة كيد بها الإسلام وأهله وليّاً صالحاً يذبّ عنه ويتكلّم

(١) الرياض النضرة ٢٠١ : ٥٧ ، وفيه باختلاف .

بعلاماته»^(١) الخبر .

وفي رواية أخرى : «إِنَّ كُلَّ بدعة تكون من بعدي يكاد بها الإيمان ولياً من أهل بيتي موثقاً به يذب عنه ينطق بإلهام من الله يعلن الحق وينوره ويرد كيد الكائدين ويعبر عن الضعفاء»^(٢) الخبر .

وفي صواعق ابن حجر ، وكتاب شرف النبي ﷺ : أنه قال : «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ألا وإن أئمتكم مرفدكم إلى الله عز وجل ، فانظروا من تأخذون»^(٣) .

وفي مناقب ابن مردويه : بإسناده عن أم سلمة زوج النبي ﷺ أنه قال لها : «أتاني جبرئيل عليه السلام من الله بما هو كائن بعدي وأمرني أن أوصي به علياً وأعلمه جميع ذلك فعلمته»^(٤) الخبر .

وسياقي أمثال هذا الخبر كثيراً فانتظر .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في خطبة له مشهورة . قد مرّت سابقاً أيضاً . : «بل لا تخلو الأرض من قائم لله بحجة إما ظاهراً مشهوراً ، أو خائفاً مضموراً ؛ لئلا تبطل حجج الله وبيئاته» . إلى أن قال . : يحفظ الله بهم حججه وبيئاته حتى يودعوها نظراءهم ويزرعوها في قلوب أشباحهم»^(٥) .

وقال في خطبة أخرى : «أيها الناس ، عليكم بالطاعة والمعرفة بمن

(١) حلية الأولياء ١٠ : ٤٠٠ ، جامع الصغير ١ : ٣٦٤ / ٣٣٧٣ .

(٢) المحاسن للبرقي : ٢٠٨ / ٧١ ، الكافي ١ : ٤٤ / ٥ (باب البدع والرأي والمقائيس) .

(٣) الأربعين : ٣٧٨ ، وفيه عنهما .

(٤) الطرائف ١ : ٤٢ / ٢٢ ، وفيه باختلاف ، وأيضاً في مناقب الخوارزمي : ١٤٧ / ١٧١ ، وفرائد السمطين

١ : ٢٧١ / ٢١١ .

(٥) نهج البلاغة : ٤٩٧ / ١٤٧ .

لا تعذرون بجهالته ، وإنّ العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضّلت به النبيون إلى خاتمهم في عترة نبيكم ، حيث قال : إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسّكتم بهما لن تضلّوا ، كتاب [الله] وعترتي أهل بيتي»^(١) ، الخبر .

وقال في خطبة أخرى عند ذمّه الناس الاعتماد على آرائهم : «ترد على أحدهم القضية فيحكم فيها برأيه ، ثمّ ترد تلك القضية بعينها على غيره فيحكم فيها بخلاف ذلك ، ثمّ يجتمع القضاة بذلك عند إمامهم الذي استقضاهم ، فيصوّب آراءهم جميعاً ، وإلّهم واحد! ونبيّهم واحد! وكتابهم واحد ، أفأمرهم^(٢) الله بالاختلاف فأطاعوه أم نهاهم عنه فعصوه أم أنزل الله ديناً ناقصاً فتّمّموه أم كانوا شركاء له ، فلمهم أن يقولوا وعليه أن يرضى ؟ أم أنزل الله ديناً تامّاً فقصّر الرسول عن تبليغه وأدائه ؟ والله سبحانه يقول : ﴿ مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ﴾^(٣) وفيه تبيان كلّ شيء ، وذكر أنّ كتابه يصدّق بعضه بعضاً وأنّه لا اختلاف فيه»^(٤) ، الخبر .

وروى القاضي عياض في كتاب الشفا من كتاب البخاري بإسناده عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال : «من أطاعني فقد أطاع الله ، ومن أطاع أميري

(١) بصائر الدرجات : ٤٣٤ / ٦ ، المسترشد : ٥٥٩ / ٢٣٧ ، كفاية الأثر : ١٦٣ ، معاني الأخبار : ٩٠ / ٤ و ٥ ، عيون أخبار الرضا ﷺ : ١ : ٧٥ / ٢٥ ، الإرشاد للمفيد : ٢٢٣ و ٢٣٣ ، الأمالي للطوسي : ١٦٢ / ٢٦٨ و ٥٤٨ / ١١٦٨ ، مسند أحمد : ٣ : ٣٨٨ / ١٠٧٢٠ و ٣٩٤ / ١٠٧٤٧ ، سنن الدارميّ : ٢ : ٤٣٢ ، السنّة لابن أبي عاصم : ٣ : ٦٢٩ / ١٥٤٩ ، سنن الترمذيّ : ٥ : ٦٦٣ / ٣٧٨٨ ، المعجم الكبير للطبرانيّ : ٣ : ٦٣ / ٢٦٧٩ ، زين الفتى : ١ : ٤٣٥ ، المؤلف والمختلف للدارقطنيّ : ٢ : ١٠٤٦ ، و ٤ : ٢٠٦١ ، التدوين في أخبار قزوين : ٣ : ٤٦٥ .

(٢) في الأصل : «فأمرهم» ، وما أثبتناه من المصدر .

(٣) سورة الأنعام : ٦ : ٣٨ .

(٤) نهج البلاغة : ٦٠ - ٦١ الخطبة ١٨ .

فقد أطاعني»^(١) .

وروى هو وابن الأثير وغيرهما عن حذيفة أنه قال : قام فينا النبي ﷺ مقاماً فما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدثه ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء . إلى أن قال . : وما أدري أنسي أصحابي أم تناسوه ؟^(٢) ، الخبر . ولا يخفى أن النبي الذي يعين الأمراء في حياته ، كيف يرضى بغير تعيين الأمير بعد وفاته ؟

وكذا الذي ذكر جلّ الأشياء ، كيف يسكت عن بيان ما تبين أنه اللازم في الدين من النائب الذي وصفناه ؟

وفي الخبر المشهور المسلم أنه قال ﷺ : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ لَا يَنْزِعَ الْعِلْمَ بَعْدَ مَا أَنْزَلَهُ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ الْعُلَمَاءَ فَيَتَّخِذُ النَّاسَ رُؤَسَاءَ جَهَالاً فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا»^(٣) . وسيأتي أمثال قوله ﷺ : «أَنَا مَدِينَةُ الْعِلْمِ وَعَلَيَّ بَاجُهَا ، فَمَنْ أَرَادَ الْعِلْمَ وَالْحِكْمَةَ فليأت الباب»^(٤) . وسيأتي أيضاً في المقالة الآتية وغيرها ،

(١) صحيح البخاري ٩ : ٧٧ ، الشفا للقاضي عياض ٢ : ١٨ .

(٢) صحيح مسلم ٤ : ٢٢١٧ / ٤ ، سنن أبي داود ٤ : ٩٤ / ٤٢٤٠ ، و٩٥ / ٤٢٤٣ ، الشفا للقاضي عياض ١ : ٦٥٠-٦٥١ ، جامع الأصول ١٠ : ٢٩ / ٧٤٨٣ ، و١١ : ٣٢٤ / ٨٨٨٢ .

(٣) صحيح مسلم ٤ : ٢٠٥٩ / ٢٦٧٣-١٤ ، تفسير الثعلبي ٥ : ٣٠١ .

(٤) التوحيد للصدوق ٣٠٧ / ١ ، الخصال : ٥٧٤ / ١ ، الأمالي للطوسي : ٥٥٩ / ١١٧٢ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٢ ، ٣١٣ ، إعلام الوري ١ : ٣١٧-٣١٨ ، العملة : ٣٥٥ / ٥٠٤-٥٠٨ ، المختصر : ١٥ / ١ ، المستدرک للحاكم ٣ : ١٢٦ ، المناقب لابن المغازلي : ٨٠-٨٤ / ١٢٠-١٢٥ ، المناقب للخوارزمي : ٨٣ / ٦٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧ : ٢١٩ ، ٩ : ١٦٥ ، كفاية الطالب : ٢٢١ .

لاسيما في الختام . سوى ما مرّ سابقاً . أخبار كثيرة نافعة لهذا الباب ، وكفى ما ذكرناه لأولي الألباب ، والله الهادي .

المقالة الثانية عشرة :

في بيان أنّ هذا النائب الذي ذكرناه ووصفناه في المقالة السابقة منحصر في عليّ بن أبي طالب عليه السلام وذريّته الأئمة الأحد عشر المعلومين ، أعني : أبا محمّد الحسن بن عليّ الزكي ، وأبا عبدالله الحسين بن عليّ الشهيد ، وأبا محمّد عليّ بن الحسين زين العابدين ، وأبا جعفر محمّد بن عليّ الباقر ، وأبا عبدالله جعفر بن محمّد الصادق ، وأبا إبراهيم موسى بن جعفر الكاظم ، وأبا الحسن عليّ بن موسى الرضا ، وأبا جعفر محمّد بن عليّ التقيّ الجواد ، وأبا الحسن عليّ بن محمّد النقيّ الهادي ، وأبا محمّد الحسن بن عليّ الزكي العسكري ، وأبا القاسم محمّد بن الحسن الحجّة القائم المهديّ المنتظر صاحب العصر والزمان صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، وذلك لوجوه كثيرة ، ونبيّن نبذاً منها في ضمن اثني عشر فصلاً .

واعلم أنّا قد نذكر في بعض الفصول ؛ لضرورة المناسبة ولمصالح أخرى بعض أخبار يقتضي إيضاح ذكره في فصل آخر ؛ لشمول إفادته ، وربما نذكره في كليهما ، فالأحسن لمن أراد الاستقصاء أن يراجع في كلّ فصل إلى ما يحتمل ذكر بعض أخباره فيه ، فلا تغفل .

الفصل الأول

في بيان أنّهم ﷺ خاصّة كانوا أعلم الناس من كلّ باب ، وكانت إحاطتهم تامّة بعلم الكتاب ، حتّى سائر الكتب الإلهيّة ، وكان كلّ واحد منهم أعلم أهل عصره من جميع الجهات بطريق علوم النبي ﷺ ووساطته دون التمسك بالرأي والاجتهاد .

إعلم أنّ كون هؤلاء الأئمّة المذكورين ﷺ أعلم جميع الأئمّة ممّا لا كلام فيه ، ولا خلاف يعتريه ، بحيث وقع التصريح بالاعتراف بذلك من علماء جميع الأعصار والأمصار ، ومن جحدته فإنّما ذلك لتعسف منه وعناد ، ولقد كفى في هذا مناداة عليّ عليه السلام على المنبر : «سلوني قبل أن تفقدوني»^(١) ، وقول عمر : لولا عليّ لهلك عمر^(٢) .

(١) نهج البلاغة : ٢٨٠ / ١٨٩ ، التوحيد : ٣٠٥ ، الأمالي للصدوق : ١٩٦ / ٢٠٧ ، الأمالي للمفيد : ١٥٢ / ٣ ، الإرشاد للمفيد : ٣٥٠ . ٣٥ ، الاختصاص : ٢٣٥ ، الأمالي للطوسي : ٥٨ / ٨٥ ، العمدة : ٣٣٦ / ٥٦١ ، المناقب للخوارزمي : ٩١ / ٨٥ ، فرائد السمطين ١ : ٣٤١ / ٢٦٣ .

(٢) تفسير العياشي ١ : ٧٥ / ١٥٥ ، دعائم الإسلام ١ : ٨٦ ، ٢ : ٤٥٣ ، الكافي ٧ : ٤٢٣ / ٦ ، (باب النوادر) ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٩ / ٤٠٣ ، غرائب القرآن ٦ : ١٢٠ ، تمهيد الأوائل : ٤٧٦ ، ٥٤٧ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٣ / ١٨٥٥ ، تفسير السمعاني ٥ : ١٥٤ ، المناقب للخوارزمي : ٨١ / ٦٥ ، تذكرة الخواص : ١٣٧ ، الأربعين للرازي ٢ : ٣٠٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٨ . ١٤١ ، كفاية الطالب : ٢٢٧ ، ذخائر العقبى : ٨٢ ، فرائد السمطين ١ : ٣٥١ ، جواهر العقدين ١ : ١٢٣ .

ولكن نحن نذكر هاهنا نبذاً يسيراً من آثار علومهم ، واعتراف الناس بذلك توضيحاً وتبييناً ؛ إذ لا حاجة إلى الاستدلال ، ولا يمكن الاستقصاء . وبيانه في ضمن ثلاثة مباحث :
المبحث الأول : في ذكر كلام بعض المعترفين بذلك ، والمصرّحين بكمال علومهم ، لاسيّما عليّ عليه السلام من كلّ وجه ، وبإحاطتهم بالكتاب والسنة ، وبتفوّق كلّ واحد منهم بذلك وبغيره أيضاً من سائر الفضائل الجليلة على أهل عصره .

روى مسلم في صحيحه في تأويل قوله تعالى : ﴿ **حَمْدٌ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ** ﴾ ^(١) عن ابن عباس قال : كان عليّ عليه السلام تعرف به الفتن ^(٢) ، الخبر .

وروى الحميدي في الجمع بين الصحيحين من أفراد البخاريّ من مسند أبي بن كعب . وهو الموجود في الصحيح المذكور في كلّ النسخ . وروى الخوارزمي أيضاً ، وكذا أبو نعيم في الحلية ، وأبو داود والنسائي في صحيحهما كلّهما عن ابن عباس قال : قال عمر : أقرؤنا أبيّ ، وأفضانا عليّ عليه السلام ^(٣) .

وروى الحاكم في مستدرّكه عن ابن مسعود ، قال : كنّا نتحدّث أنّ أفضى أهل المدينة عليّ ، وقال : إنّّه صحيح ، ولم يخرجّه الشيخان . مسلم

(١) سورة غافر ٤٠ : ١ و ٢ .

(٢) حكاه ابن البطريق في العمدة : ٣٣٦ ، والنباطي في الصراط المستقيم ١ : ٢١٦ ، و ٢ : ١١ .

(٣) صحيح البخاريّ ٦ : ٢٣ ، الجمع بين الصحيحين ١ : ٤٠٨ / ٦٤٨ ، المناقب للخوارزميّ : ٩٢ / ٨٦ ، حلية الأولياء ١ : ٦٥ ، سنن النسائي ٦ : ٢٨٩ / ١٠٩٩٥ ، ولم نعثر عليه في سنن أبي داود .

والبخاريّ - ورواه ابن عبد البرّ في الاستيعاب ^(١) .

وكذا روى في الاستيعاب عن أبي فروة ^(٢) ، قال : سمعت عبد الرحمن بن أبي ليلى ^(٣) يقول : قال عمر : عليّ أقضانا ^(٤) .

وعن سعيد بن المسيّب ، قال : كان عمر يتعوّذ بالله تعالى من معضلة ليس لها أبو حسن ، وقال : إنّ عمر أمر برجم المجنونة التي زنت ، فقال له عليّ عليه السلام : « إنّ الله رفع القلم عن المجنون » ، فدرأ عمر عنها الحد ^(٥) .

وأمر أيضاً عمر - وفي رواية : عثمان - برجم امرأة ولدت عند زوجها لستّة أشهر ، فقال له عليّ عليه السلام : « إنّ الله يقول : ﴿ وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا ﴾ ^(٦) » ، وقال أيضاً : « ﴿ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾ ^(٧) » ، فيبقى للحمل ستّة

(١) المستدرک للحاکم ٣ : ١٣٥ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٣ و ١١٠٥ .

(٢) هو عروة بن الحارث ، يکنى أبا فروة الهمدانيّ ، وهو أبو فروة الأكبر ، روى عن : عبد الرحمن بن أبي ليلى ، والشعبيّ ، وأبي الضحى وغيرهم ، وروى عنه : الأعمش ، وسليمان التيميّ ، وجريّر بن عبد الحميد .

انظر : تهذيب الكمال ٢٠ : ٦ / ٣٩٠٣ ، وتهذيب التهذيب ٧ : ١٦١ / ٣٥٠ .

(٣) هو عبد الرحمن بن أبي ليلى - واسم أبيه يسار ، ويقال : بلال ، ويقال : داؤد بن بلال - يکنى أبا عيسى ، فقيه ، واستعمله الحجاج على القضاء ، ثمّ عزله ، ثمّ ضربه ليسبّ أبا تراب أمير المؤمنين عليه السلام .

حدّث عنه : عمرو بن مرّة ، والحکم بن عتيبة ، والأعمش وغيرهم ، وحدّث عن : عمر ، وعليّ عليه السلام ، وأبي ذرّ وغيرهم .

مات سنة ٨٢ هـ ، وقيل : سنة ٨٣ .

انظر : سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٦٢ / ٩٦ ، وتهذيب التهذيب ٦ : ٢٣٤ / ٥١٨ .

(٤) الاستيعاب ٣ : ١١٠٢ .

(٥) الاستيعاب ٣ : ١١٠٢ - ١١٠٣ ، بتفاوت .

(٦) سورة الأحقاف ٤٦ : ١٥ .

(٧) سورة لقمان ٣١ : ١٤ .

أشهر»^(١) .

وقد نقلوا ، كما سيأتي أمثال ذلك كثيراً ، حتّى قول عمر : لولا عليّ لهلك عمر^(٢) ،
وسيأتي في الفصل الآتي سؤال عمر عليّاً عليه السلام عن طلاق الأمة ، وجواب عليّ عليه السلام ،
وذكر عمر حينئذٍ رواية في فضل عليّ عليه السلام .

وفي رواية أبي بكر الأنباري^(٣) في أماليه : إنّ عليّاً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد ،
وعنده ناس ، فلمّا قام عليه السلام عرض واحد بذكره ، ونسبه إلى التيه والعُجب ، فقال عمر :
حقّ لمثله أن يتيه ! والله ، لولا سيفه لما قام عمود الإسلام ، وهو بعدُ أقضى الأُمّة ، وهو ذو
سيفها وذو شرفها^(٤) .

وستأتي أخبار عن النبي صلّى الله عليه وآله في ذلك ، وبعض قضاياها .

وفي مناقب الخوارزمي : عن عائشة قالت : عليّ أعلم الناس بالسُّنة^(٥) ، ورواه ابن
عبد البر أيضاً في الاستيعاب^(٦) .

(١) تفسير ابن أبي حاتم ١٠ : ٣٢٩٣ / ١٨٥٦٦ ، تفسير الفخر الرازي ٢٨ : ١٥ ، الأربعين للرازي ٢ :
٣٠٣ ، تفسير القرطبي ١٦ : ١٩٣ ، تفسير ابن كثير ٤ : ١٦٩ ، الدرّ المنثور ٧ : ٤٤١ .

(٢) الأربعين للرازي ٢ : ٣٠٣ ، ذخائر العقبى : ٨٢ .

(٣) هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشّار بن الحسن ، يكتب أبا بكر ، كان عالماً بالنحو والأدب ، وكثير الحفظ
، وصنّف كتباً كثيرة في علوم القرآن ، وغريب الحديث ، والمشكل ، منها : كتاب الأضداد ، والأمثال ، والمؤنّث
والمذكّر ، وغيرها .

ولد سنة ٢٧١ هـ ، ومات سنة ٣٢٧ هـ ، وقيل : سنة ٣٢٨ .

انظر : تاريخ بغداد ٣ : ١٨١ / ١٢٢٤ ، ووفيات الأعيان ٤ : ٣٤١ / ٦٤٢ ، سير أعلام النبلاء ١٥
: ٢٧٤ / ١٢٢ .

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٢ : ٨٢ ، نهج الحق : ٢٥١ .

(٥) الاستيعاب ٣ : ١١٠٤ .

(٦) المناقب للخوارزمي : ٩١ / ٨٤ .

وفي الاستيعاب : عن عبد الملك بن أبي سليمان ، قال : قلت لعطاء : أكان في أصحاب محمد ﷺ أحد أعلم من عليّ ﷺ ؟ قال : لا والله ، ما أعلمه ^(١) .

وفيه : عن سعيد بن جبير ^(٢) ، عن ابن عباس ، قال : كنّا إذا أتانا الثبت عن عليّ ﷺ لم نعدل به ^(٣) .

وفيه أيضاً بإسناده عن عبدالله بن عباس ، قال : والله ، لقد أُعطي عليّ ابن أبي طالب تسعة أعشار العلم ، وأيم الله ، لقد شاركهم في العُشر العاشر ^(٤) .

وفي مناقب الخوارزمي : عن عديّ بن ثابت الأنصاري ^(٥) ، وغيره عن

(١) الاستيعاب ٣ : ١١٠٤ .

(٢) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسديّ الكوفيّ ، يكتبُ أبا محمّد ، وقيل : أبا عبدالله ، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب السجّاد ﷺ . كان فقيهاً ورعاً ، أحد أعلام التابعين ، ومن كبار العلماء ، ويسمّى جُهبُ العلماء ، وردت روايات في مدحه ، منها : . . . عن أبي عبدالله ﷺ : «إنّ سعيد بن جبير كان يأتّم بعليّ بن الحسين ﷺ وكان عليّ ﷺ يثني عليه ، وما كان سبب قتل الحجاج له إلّا على هذا الأمر ، وكان مستقيماً» .

قتله الحجاج في شعبان سنة ٩٥ هـ .

رجال الكشيّ : ٢٠٢ / ١٩٠ ، رجال الطوسيّ : ١١٤ / ١١٣٢ ، تنقيح المقال ٢ : ٢٥ / ٤٨١٩ ، الطبقات لابن سعد ٦ : ٢٥٦ ، المعارف : ٤٤٥ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٢١ / ١١٦ .

(٣ و ٤) الاستيعاب ٣ : ١١٠٤ .

(٤) هو عديّ بن ثابت الأنصاريّ الكوفيّ ، عمّ خزيمه بن ثابت ، روى عن أبيه ، وجده لأُمّه عبدالله بن يزيد الخطميّ ، والبراء بن عازب وغيرهم ، وروى عنه : أبو إسحاق السبيعيّ ، ويحيى بن سعيد الأنصاريّ ، والأعمش ، وغيرهم .

ابن عباس أنّه قال : العلم ستّة أسداس : لعلّي بن أبي طالب من ذلك خمسة أسداس ، وللناس سدس ، ولقد شاركنا في سدسنا ، حتّى هو أعلم به ممّا^(١) .

ومن كلام ابن عباس أيضاً ، قاله في مدح عليّ عليه السلام في مجلس معاوية وأصحابه ، على ما رواه الجعابي^(٢) ، وغيره : كان أبو الحسن عليه السلام والله علم الهدى ، وكهف التقى ، وعالمًا بما في الصحف الأولى ، قائماً بالتأويل والذكرى ، وأخطب أهل الدنيا ، سوى النبيّ المصطفى^(٣) ، الخبر . وسيأتي في الفصل الخامس .

وروى في الصواعق من كتاب ابن سعد : عن ابن عباس أنّه قال : إذا حدّثنا ثقة عن عليّ عليه السلام الفُتيا فلا نَعُدوها^(٤) .

وفي كتاب الخوارزمي أيضاً ، وكتاب ابن عساكر : عن سعيد بن

مات سنة ١١٦ هـ .

تنقيح المقال ٢ : ٢٥٠ / ٧٨٣١ ، تهذيب الكمال ١٩ : ٥٢٢ / ٣٨٨٣ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٨٨ / ٦٥ ، تهذيب التهذيب ٧ : ١٤٩ / ٣٣٠ .

(١) المناقب للخوارزمي : ٩٢ / ٨٨ ، و ٩٣ / ٨٩ ، فرائد السمطين ١ : ٣٦٩ / ٢٩٨ .

(٢) هو محمد بن عمر بن محمد بن سلّم التميمي ، يكنّى أبا بكر ، المعروف بابن الجعابي قاضي الموصل ، كان أحد الحفاظ الموجودين ، صحب أبا العباس ، وله تصانيف كثيرة في الأبواب والشيوخ ، ومعرفة الإخوة والأخوات ، وتواريخ الأمصار .

ولد سنة ٢٨٤ هـ ، ومات سنة ٣٥٥ هـ .

الفهرست للطوسي : ١٥١ / ٦٥١ ، تنقيح المقال ٣ : ١٦٥ / ١١١٩٠ ، تاريخ بغداد ٣ : ٢٦ /

٩٥٣ ، الأنساب للسمعاني : ٢ : ٦٥ ، المنتظم ١٤ : ١٧٩ / ٢٦٥٢ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ٨٨ / ٦٩ .

(٣) المسترشد : ٣٠٦ / ١١٣ ، الدرّ النظيم : ٢٤٣ . ٢٤٤ ، الطرائف لابن طائوس : ٥٠٧ ، أخبار الدولة

العباسيّة ٧١ ، ذخائر العقبى : ٧٨ ، مجمع الزوائد ٩ : ١٥٩ .

(٤) الطبقات لابن سعد ٢ : ٣٣٨ ، الصواعق المحرقة : ١٩٥ .

وهب^(١) قال : قال عبدالله بن مسعود : أعلم أهل المدينة بالفرائض وأقضاها عليّ بن أبي طالب عليه السلام ^(٢) .

وعن أبي بكر بن عيَّاش ^(٣) ، عن المغيرة ^(٤) ، قال : ليس أحد منهم أقوى قولاً في الفرائض من عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، قال : وكان مغيرة صاحب فرائضي ^(٥) .

(١) هو سعيد بن وهب الهمداني الكوفي، عدّه الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، أسلم في حياة النبي صلى الله عليه وآله ، وكان ملازماً لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فيقال له : الفراد ؛ للزومه إياه ، وله أحاديث . مات سنة ٧٦ هـ ، وقيل : سنة ٨٦ هـ .

رجال الطوسي : ٦٦ / ٥٩٦ ، تنقيح المقال ٢ : ٣٤ / ٤٨٧٦ ، الطبقات لابن سعد ٦ : ١٧٠ ، طبقات خليفة : ٢٥١ / ١٠٧٢ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٨٠ / ٧٠ . وفي النسخ : «سعد بن وهب» ، وما أثبتناه من المصادر .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٩٢ / ٨٧ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٠٥ . (٣) اختلف في اسمه ، فقيل : محمد ، وقيل : عبدالله ، وقيل : سالم وقيل : إنّ اسمه كنيته ، وهو أبو بكر بن عيَّاش بن سالم الأسدي الكوفي ، أخو الحسن بن عيَّاش مولى واصل بن حيان ، وكانت جدّته لسمرة بن جندب الفزاري . روى عن : إسماعيل بن أبي خالد ، وحبيب بن أبي ثابت ، وسليمان الأعمش ، والمغيرة بن زياد وغيرهم ، وروى عنه : ابنه إبراهيم ، وأحمد بن حنبل ، وإسحاق بن حكيم . مات سنة ١٩٤ هـ ، وقيل : سنة ١٩٣ هـ .

انظر : الطبقات لابن سعد ٦ : ٣٨٦ ، تهذيب الكمال ٣٣ : ١٢٩ / ٧٢٥١ . (٤) هو المغيرة بن مقسم الضبيّ ، مولاهم ، أبو هشام الكوفيّ الفقيه الأعمى ، روى عن : أبيه ، وعن أبي وائل ، ومجاهد ، وغيرهم ، وروى عنه : أبو بكر بن عيَّاش ، والثوريّ ، ومحمد بن فضيل ، وغيرهم . مات سنة ١٣٢ هـ ، وقيل : سنة ١٣٤ هـ .

انظر : تهذيب الكمال ٢٨ : ٣٩٧ / ٦١٤٣ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ١٠ / ٥ ، تهذيب التهذيب ١٠ : ٢٤١ / ٤٨٤ .

(٥) الاستيعاب ٣ : ١١٠٥ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٠٥ ، وفيه ورد مختصراً .

وفيه : أنَّ المغيرة كان يحلف بالله : أنَّ عليّاً عليه السلام ما أخطأ في قضاء قضى به قطّ ^(١) .

وفي صحيح مسلم وغيره عن ابن عباس أنه قال : كان عليّ عليه السلام يعرف الفتن ، وكلّ جماعة كانت في الأرض أو تكون فيها ، ومن كلّ قرية كانت أو تكون فيها ^(٢) .

وفي تفسير الثعالبي عن ابن عباس أيضاً قال : ما علمي وعلم أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله في علم عليّ عليه السلام إلاّ كقطرة في سبعة أبحر ^(٣) .

وفي مناقب الخوارزمي عن جماعة عن مسروق قال : شامت أصحاب محمد صلّى الله عليه وآله فوجدت علمهم انتهى إلى عمر ، وعليّ عليه السلام ، وعبدالله ، . يعني ابن عباس . وأبي الدرداء ، ومعاذ بن جبل ، وزيد بن ثابت ، ثمّ شامت الستّة ، فوجدت علمهم انتهى إلى اثنين إلى عليّ عليه السلام وعبدالله ^(٤) .

وروى ابن المغازلي في مناقبه بإسناده عن قيس قال : سألت رجل معاوية ، فقال : سل عنها عليّ بن أبي طالب فإنّه أعلم ، قال : يا أمير المؤمنين ، قولك فيها أحبّ إليّ من قول عليّ . عليه السلام . قال : بئس ما قلت ، ولؤم ما جئت به ، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يغره

(١) الاستيعاب ٣ : ١١٠٢ .

(٢) نقله عنه ابن البطريق في العمدة : ٢٦٤ / ٤١٦ ، و ٣٣٦ ، وابن طائوس في الطرائف ١ : ١١١ / ٨٩ ، ولم نعثر عليه في صحيح مسلم .

(٣) نقله عن النقاش ابن شهر آشوب في المناقب ٢ : ٣٨ ، وعنه البياضيّ في الصراط المستقيم ١ : ٢٢٦ ، وعنه المجلسيّ في بحار الأنوار ٤٠ : ١٤٧ ، ولم نعثر عليه في تفسير الثعالبي .

(٤) الطبقات لابن سعد ٢ : ٣٥١ ، المناقب لابن المغازلي : ٣٤ / ٥٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٣٣ : ١٥٤ ، ١٥٥ .

العلم غرّاً ، ولقد قال رسول الله ﷺ : «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي» ، ولقد كان عمر بن الخطّاب يسأل فيأخذ عنه ، ولقد شهدت عمر إذا أشكل عليه شيء قال : هاهنا عليّ عليه السلام ؟ قم ، لا أقام الله رجلك ، ومحا اسمه من الديوان^(١) .

وفي مناقب الخوارزمي بإسناده عن يحيى بن عقيل^(٢) قال : كان عمر ابن الخطّاب يقول لعليّ عليه السلام فيما كان يسأله عنه فيفرج عنه : لا أبقاني الله بعدك يا عليّ^(٣) .

وفيه عن أبي الدرداء أنّه قال : العلماء ثلاثة : رجل بالشام . يعني : نفسه ! ، ورجل بالكوفة . يعني : عبدالله بن مسعود . ورجل بالمدينة . يعني : علياً . فالذي بالشام يسأل الذي بالكوفة ، والذي بالكوفة يسأل الذي بالمدينة ، والذي بالمدينة لا يسأل أحداً^(٤) .

وفيه وفي غيره ، عن الأصمغ بن نباتة قال : لما أصيب زيد بن صوحان^(٥) يوم الجمل أتاه عليّ عليه السلام وبه رمق ، فوقف عليه ، وهو لما به ،

(١) المناقب لابن المغازلي : ٣٤ / ٥٢ ، الفضائل لأحمد بن حنبل : ١٩٧ / ٢٧٥ ، ذخائر العقبى : ٧٩ .

(٢) هو يحيى بن عُقَيْل الخزاعيّ البصريّ ، نزل مرو ، وروى عن : أنس بن مالك ، وعبدالله أبي أوفى ، وغيرهما ، وروى عنه : الحسين بن واقد ، وأبو رزمة داؤد بن عمران ، وسليمان التيميّ ، وغيرهم .

انظر : الإكمال لابن ماكولا ٦ : ٢٤١ ، تهذيب الكمال ٣١ : ٤٧٣ / ٦٨٨٧ ، تهذيب التهذيب ١١ : ٢٢٦ / ٤١٩ .

(٣) المناقب للخوارزمي : ١٠١ / ١٠٤ ، و ١٠٢ / ١٠٦ .

(٥) هو زيد بن صوحان بن حجر بن الحارث العبديّ ، يكنى أبا سليمان ، وقيل : أبا عائشة ، وأخوه صعصعة أكبر منه ، أسلم في حياة النبي ﷺ ، وعدّه الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وقطعت يده في سبيل الله ، يكفي في جلالتة ما أشار إليه

فقال : «رحمك الله يا زيد ، فوالله ، ما عرفتكَ إلاّ خفيف المؤونة ، وكثير المعونة» ، فرفع زيد رأسه إليه ، فقال : وأنت يرحمك الله ، فوالله ما عرفتكَ إلاّ بالله عالماً ، وبآياته عارفاً ، والله ، ما قاتلت معك من جهل^(١) ، الخبر .

وقال الثعلبيّ في تفسيره : سمعت فلاناً ، عن فلان ، عن فلان إلى أحمد بن حنبل ، قال : ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعليّ عليه السلام^(٢) . وفي مسند أحمد : عن ابن مسعود ، قال : كنّا نتحدّث أنّ أفضل أهل المدينة عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٣) .

وفي الصواعق ، وغيره : عن النسائيّ وأبي يعلى وغيرهما أنّهم قالوا : لم يرد في حقّ أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ممّا جاء في حقّ عليّ عليه السلام^(٤) . وفي رواية الخوارزميّ : عن ابن عبّاس ، أنّ رجلاً قال له : ما أكثر

المؤلّف رحمه الله .

استشهد سنة ٣٦ هـ ، في يوم الجمل .

انظر : رجال الكشيّ : ١٣٩ / ١١٩ ، رجال الطوسي : ٦٤ / ٥٦٦ ، تنقيح المقال ١ : ٤٦٦ / ٤٤٣٠ ، الطبقات لابن سعد ٦ : ١٢٣ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٥٢٥ / ١٣٣ ، الأعلام للزركليّ ٣ : ٥٩ . (١) المناقب للخوارزميّ : ١٧٧ / ٢١٥ ، الطرائف ١ : ١٤٧ / ١٥١ ، نهج الإيمان : ١٩٠ ، كشف اليقين : ٢٣٦ .

(٢) تفسير الثعلبيّ ٤ : ٨١ ، الطرائف ١ : ٢٠٥ / ٢١٥ ، المستدرک للحاكم ٣ : ١٠٧ ، شواهد التنزيل : ١٨ / ٧ ، ١٩ / ٩ .

(٣) الفضائل لأحمد بن حنبل : ١٠٢ ، ١٥٣ / ١٥٥ ، ٢١٩ ، فضائل الصحابة ٢ : ٦٠٤ / ١٠٣٣ ، و٦٤٦ / ١٠٩٧ .

(٤) الصواعق المحرقة : ١٨٦ ، فيض القدير ٤ : ٣٥٥ ، الاستيعاب ٣ : ١١١٥ ، فتح الباري ٧ : ٥٧ .

فضائل عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، إنّي أحسبها ثلاثة آلاف ، فقال : أفلا تقول : إنّها إلى ثلاثين ألف أقرب (١) .

وعن الأعمش أنّه كان يروي في فضائل عليّ عليه السلام أكثر من عشرة آلاف حديث (٢) .
وفي رواية حكيم بن جبير (٣) ، قال : قيل لحبّة العُرَيّ (٤) : ألا تصف لنا أوصاف عليّ عليه السلام وأخلاقه ؟

قال لهم : نعم ، فذكر صفاتاً كثيرة في حديث طويل .
ومنها : أنّه قال : كان كثيراً علمه ، عظيماً حلمه ، لا يحيف في حكمه ، ولا يحول في علمه ، كثير الفضل ، صدوق اللسان ، عالماً ، حازماً ، يحبّ في الله بفهم وعلم ، ويقطع في الله بجزم وعذر ، صفّاه العلم من كلّ كدرٍ كما تصفّي النار حبّث الحديد ، مذاكراً للعالم ، معلّماً للجاهل ، عالماً بالغيب ، خالصاً عن العيب ، لم ير مظلمة إلّا أبصر خلاها ، ولا مبهمة إلّا

(١) المناقب للخوارزمي : ٣٣ / ٣ .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٢٨٦ / ٢٧٩ ، في ضمن الحديث .

(٣) هو حكيم بن جبير الأسديّ ، روى عن إبراهيم النخعيّ ، وسعيد بن جبّير ، وجميع ابن عمير التيميّ ، وغيرهم ، وروى عنه : إسرائيل بن يونس ، وإسماعيل بن شُميع ، وسفيان الثوريّ ، وغيرهم .
انظر : تهذيب الكمال ٧ : ١٦٥ / ١٤٥٢ ، ميزان الاعتدال ١ : ٥٨٣ / ٢٢١٥ .

(٤) هو حبّة بن جُوين بن عليّ بن فهم بن مالك العُرَيّ ، يكنّى أبا قدامة ، تابعيّ ، قيل : إنّهُ رأى النبيّ ﷺ ، حدّث عن : عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وعبدالله بن مسعود ، وحذيفة بن اليمان ، وغيرهم ، وروى عنه : سهل بن كهيل ، وأبو المقدام ثابت بن هرمز ، ومسلم الملائنيّ ، وغيرهم .
مات سنة ٧٦ هـ ، وقيل : ٧٩ هـ .

الطبقات لابن سعد ٦ : ١٧٧ ، تاريخ بغداد ٨ : ٢٧٤ / ٤٣٧٥ ، أسد الغابة ١ : ٤٣٩ / ١٠٣١ ، تهذيب الكمال ٥ : ٣٥١ / ١٠٧٦ .

عرف مداها ، مصباح ظلمات ، دليل فلوات ، كانت الأرض التي هو فيها مشرقة بضياءه ، ساكنة إلى قضائه^(١) ، الخير .

وسياقي بعض صفات أخرى في الفصل الآتي .

وسياقي في رواية توصيف ضرار بن ضمرة^(٢) علياً عليه السلام لمعاوية ، وفيها : يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، فصدقه معاوية^(٣) .

وسياقي في فصل النص على كون عليٍّ عليه السلام أمير المؤمنين ، قول أبي ذرّ فيه عليه السلام : إنّه لربيّ الأرض ، الذي يسكن إليها وتسكن إليه ، وأتّه لربّاني هذه الأمة ، ولو فقدتموه لأنكرتم الأرض ومن عليها^(٤) .

وفي نهاية ابن الأثير : عن أبي ذرّ أيضاً أنّه قال حين كان يصف علياً عليه السلام : وإنّه لعالم الأرض وزرّها الذي تسكن إليه ، ثمّ فسّره بقوله إلى قوامها ، قال : وأصله من زرّ القلب ، وهو عظم صغير يكون قوام القلب به^(٥) .

(١) الدرّ النظيم : ٢٣٦ - ٢٣٧ ، وفيه بتقديم وتأخير .

(٢) هو ضرار بن ضمرة الضبابي ، من خلّص أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، حسن الحال ، فصيح المقال .

انظر : تنقيح المقال ٢ : ١٠٥ / ٥٨٤٧ .

(٣) مناقب أمير المؤمنين عليه السلام للكوفي ٢ : ٥١ / ٥٤٠ ، كنز الفوائد ٢ : ١٦٠ ، إرشاد القلوب : ٢١٨ ، الدرّ النظيم : ٢٣٧ - ٢٣٨ ، كشف اليقين : ٢١٨ ، حلية الأولياء ١ : ٨٤ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٧ ، ربيع الأبرار ١ : ٨٣٥ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨ : ٢٢٥ ، ونقل هذا القول في بعض المصادر عن ضرار بن عمرو ، وضرار ابن الخطّاب ، وضرار الصدائي ، وضرار بن حمزة .

(٤) الإرشاد ١ : ٤٧ - ٤٨ ، نهج الإيمان : ٤٦٢ ، اليقين لابن طاووس : ١٤٥ ، ١٤٦ / ١٣ ، ١٤ ، الأربعين للشيرازي : ٨٦ .

(٥) النهاية ٢ : ٣٠٠ - زرر . .

وقد روى الهروي^(١) هذا الخبر الذي في النهاية عن سلمان^(٢) .
وفي المناقب عن أبي عبد الرحمن السلمي^(٣) قال : والله ، ما رأيت قرشيّاً أقرأ لكتاب
الله من عليّ بن أبي طالب عليه السلام^(٤) ، وسيأتي نحوه من كتاب الاستيعاب^(٥) .
وروى ابن حنبل في مسنده : أنّ الحسن بن عليّ . رضي الله عنهما . خطب بعد وفاة
عليّ ، فقال : «لقد فارقكم رجل بالأمس لم يسبقه الأوّلون بعلم ، ولم يدركه الآخرون»^(٦) ،
الخبر .

وقال الجاحظ في كتابه في جملة كلام له في الإمامة : إنّ الأعمال التي يستحقّ بها
الخير أربعة : التقدّم في الإسلام ، والذبّ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله

(١) هو أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، يكنّى أبا عُبيد الهرويّ ، المؤدّب ، وكان معتمده وشيخه الذي يفخر به
أبا منصور الأزهرّيّ ، وكان الهرويّ من العلماء الكبار ، وله كتب منها : الغريبين ، وولاة هراة .
مات سنة ٤٠١ هـ .

انظر : معجم الأدباء ١ : ٦٤٠ / ١٧٦ ، وفيات الأعيان ١ : ٩٥ / ٣٦ ، سير أعلام النبلاء ١٧ :
١٤٦ / ٨٨ ، بغية الوعاة ١ : ٣٧١ / ٧٢٦ .

(٢) الغريبين في القرآن والحديث ٣ : ٨١٨ . ٨١٩ . زرر .

(٣) هو عبد الله بن حبيب بن زبيعة . بالتصغير . يكنّى أبا عبد الرحمن السلميّ ، مقرئ الكوفة ، أخذ القراءة عرضاً
عن عليّ عليه السلام ، وعثمان ، وزيد ، وأخذ عنه القراءة : عاصم بن أبي النجود ، ويحيى بن وثّاب ، ومحمد بن أبي
أيوب .

ولد في حياة النبيّ صلّى الله عليه وآله ، ومات سنة ٧٤ ، وقيل : ٧٣ ، وقيل : ١٠٥ هـ .

انظر : الطبقات لابن سعد ٦ : ١٧٢ ، تاريخ بغداد ٩ : ٤٣٠ / ٥٠٤٨ ، تهذيب الكمال ١٤ :
٤٠٨ / ٣٢٢٢ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٦٧ / ٩٧ ، طبقات القراء ١ : ٣١ / ١٦ .

(٤) حكاه عنه الحلّيّ في كشف اليقين : ٥٥ .

(٥) الاستيعاب ٣ : ١١٠٩ .

(٦) مسند أحمد ١ : ٣٢٨ / ١٧٢٢ ، الفضائل لأحمد بن حنبل : ٩٠ / ١٣٥ ، فضائل الصحابة لأحمد ٢ :
٥٩٥ / ١٠١٣ .

وعن الدين ، والتفقه في الحلال والحرام ، والزهد في الدنيا ، وهي كلّها محققة في عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؛ متفرقة في الصحابة ، ثمّ ذكر مجمل مراتب الفصاحة والبلاغة والخطب والعلم والفقّه في عليّ وذريّته ^(١) . انتهى كلامه .

وقال في الصواعق : إنّ عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة ^(٢) ، كان يقول لعليّ عليه السلام : ضرس قاطع في العلم ، والفقّه في السنّة ، والجود في المال ، والقّدَم في الإسلام ، والنجدة في الحرب ، والصهر لرسول الله صلّى الله عليه وآله ^(٣) .

وسيّأتي في حكاية السقيفة قول عليّ عليه السلام للصحابة في ادّعاءه الأعلميّة ، وسكوّتهم جميعاً عن الإنكار ، وهذا كلامه عليه السلام : «ليس لكم أن تخرجوا سلطان محمّد صلّى الله عليه وآله من داره ومقرّ بيته إلى دوركم ، ففي بيوتنا نزل القرآن ، ونحن معدن العلم والفقّه والسنّة ، ونحن أعلم بأُمور الخلق منكم ، فلا تتّبِعُوا الهوى» ^(٤) ، الخبر .

ونقل الثعلبي في تفسيره عن ابن مسعود ، قال : إنّ القرآن نزل على سبعة أحرف ، ما منها حرف إلّا وله ظهر وبطن ، وأنّ عليّ بن أبي طالب

(١) رسائل الجاحظ ٤ : ٢٠٧ - ٢١٠ ، و ٣١١ - ٣١٤ ، بتفاوت .

(٢) يكتي أبا الحارث ، وأُمّه أسماء بنت محزّبة بن جندل ، حفظ عن النبيّ صلّى الله عليه وآله .

روى عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وعن عمر وغيره ، وروى عنه : بكر بن محمّد بن عمرو بن حزم ، ونافع مولى ابن عمر ، وغيرهما .

انظر : الاستيعاب ٣ : ٩٦١ / ١٦٢٨ ، أسد الغابة ٣ : ٢٥٦ / ٣١١٣ .

(٣) الصواعق المحرقة : ١٩٦ .

(٤) الاحتجاج ١ : ١٨٣ ، الأربعين للشيرازيّ : ١٨٨ ، بحار الأنوار ٢٨ : ١٨٦ ، و ٣٤٨ ، ٣٤٩ ، كتاب الرّدّة للواقديّ : ٧٩ ، الإمامة والسياسة : ٢٩ ، الفتوح لابن أعثم ١ : ١٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٢ : ٦ .

عنده علم الظاهر والباطن^(١) .

وفي إبانة ابن بطّة : عن عبد الرزاق عن أبيه قال : فضل عليّ عليه السلام أصحاب رسول الله بمائة منقبة وشاركهم في مناقبهم^(٢) .

ونقل أبو البقاء الدميري الشافعي^(٣) في حياة الحيوان : إنّ معاوية بن يزيد بن معاوية^(٤) لما خلع نفسه عن الخلافة بعد أبيه قال في خطبته : أيّها الناس ، ما أنا بالراغب بالانتمار عليكم . إلى [أن] قال . : إنّ جدّي معاوية نازع هذا الأمر من كان أولى منه ومن غيره ؛ لقربته من رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وعظيم فضله وسابقته ، أعظم المهاجرين قدراً ، وأشجعهم قلباً ، وأكثرهم علماً ، وأولهم إيماناً ، وأشرفهم منزلة^(٥) ، الخبر ، ويأتي في محله .

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٥٣ ، نقله عن تفسير النّقاش ، وعن ابن عباس ، ولم نعر عليه في تفسير الثعلبي .

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٦ نقلاً عنه .

(٣) هو محمد بن موسى بن عيسى بن علي الدميري ، يكنّى أبا البقاء ، الشافعي ، أديب ، من أهل دمية (بمصر) ، كان يتكسّب بالخياطة ، ثمّ أقبل على العلم وأفتى ودّرس ، وكانت له في الأزهر حلقة خاصّة ، له كتب منها : حياة الحيوان ، والتذكرة ، والجوهر الفريد ، وغيرها .

ولد سنة ٧٤٢ هـ ، ومات ٨٠٨ هـ .

انظر : الأعلام للزركلي ٧ : ١١٨ ، هدية العارفين ٢ : ١٧٨ .

(٤) هو معاوية بن يزيد بن معاوية ، يكنّى أبا ليلى ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، من حكام بني أميّة في الشام ، بويع بعهد من أبيه في ربيع الأول سنة ٦٤ هـ ، وكانت مدّة خلافته أربعين يوماً ، وقيل : شهرين ، ولم يُعقّب ، وامتنع أن يعهد بالخلافة إلى أحد .

مات سنة ٦٤ هـ .

انظر : المعارف ٣٥٢ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٣٩ / ٤٦ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٦٨ ،

الأعلام للزركلي ٧ : ٢٦٣ .

(٥) حياة الحيوان ١ : ٨٨ .

وكذا يأتي في الفصل الخامس عند ذكر أحواله عليه السلام كلام زيد المجنون^(١) في مجلس المتوكل العباسي^(٢) ، وكذا كلام غيره مشتقاً على كمال علمه عليه السلام ، من ذلك قول ابن عباس لما سئل عن معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : «يا أبا تراب» : معناه أنه صاحب الأرض ، وحجة الله على أهلها بعده ، وبه بقاؤها ، وإليه سكونها^(٣) ، الخبر .

وكذا قولهم في تسميته بعلي عليه السلام : بأنه كان أعلى الناس علماً بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ^(٤) ، حتى قال بعضهم بأن ذلك لأنه كان له علو في كل شيء نسباً ، إسلاماً ، علماً ، زهداً ، سخاءً ، شجاعةً^(٥) ، وهكذا في سائر الأشياء .

وكذا من ذلك قول الحسن البصري على ما رواه عن الطبري حيث قال في كلام له في مدح علي عليه السلام : إنه لأعلم المسلمين علماً ، وأفهمهم

(١) هو زيد بن حارثة البصري ، المشهور بزيد المجنون ، كما أشار إليه المؤلف رحمته الله في الفصل الخامس ، ولم نعثر على ترجمته .

(٢) هو جعفر بن محمد المعتصم ابن هارون الرشيد ، يكنى أبا الفضل ، الملقب بالمتوكل على الله ، استلم الحكم بعد وفاة أخيه الواثق سنة ٢٣٢ هـ ، وكان شديد البغض لعلي بن أبي طالب ولأهل بيته عليهم السلام ، وفي سنة ٢٣٦ هـ أمر بهدم قبر الإمام الحسين عليه السلام ، وفي سنة ٢٤٤ هـ قتل يعقوب بن السكيت ، وقعت في مدة حكمته جنایات كثيرة منه .

ولد سنة ٢٠٥ هـ ، وقيل : ٢٠٧ هـ ، وهلك سنة ٢٤٧ هـ .

انظر : الكنى والألقاب ٣ : ١١٨ ، تاريخ بغداد ٧ : ١٦٥ / ٣٦١٢ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٧٦ ، الأعلام للزركلي ٢ : ١٢٧ .

(٣) علل الشرائع : ١٥٦ / ٣ باب ١٢٥ ، معاني الأخبار : ١٢٠ / ١ ، بشارة المصطفى : ٢٩ / ٣ ، بحار الأنوار ٦٨ : ١٢٣ / ٥٠ .

(٤) معاني الأخبار : ٥٨ / ٩ ، في ذيل الحديث ، بحار الأنوار ٣٥ : ٤٥ / ١ ، في ذيل الحديث .

(٥) انظر : بحار الأنوار ٣٥ : ٥٩ .

فهماً ، لا نظير له في مناقبه ، ولا شبهه له في غرائبه ، قرأ القرآن فوقه ، وأخذ العلم فوقه^(١) ،
الخير ، وسيأتي في الفصل الخامس .

وفي رواية سليمان بن مهران ، عن عباية بن ربعي^(٢) أنه قال : جاء رجل إلى ابن
عبّاس ، فقال له : أخبرني عن الأنزع البطين عليّ بن أبي طالب ، فقد اختلف الناس فيه ،
فقال له ابن عبّاس : أيّها الرجل ، والله ، لقد سألت عن رجل ما وطأ الحصى بعد رسول الله
أفضل منه ، وإنّه لأخو رسول الله ووصيّ وخليفته على أُمّته ، وإنّه لأنزع من الشرك ، بطين
من العلم^(٣) ، الخير .

وفي مسند أحمد : أنّ ابن عبّاس ذكر عنده عليّ بن أبي طالب ، فقال : إنكم لتذكرون رجلاً
كان يسمع وطأ جبرئيل فوق بيته^(٤) .

وروي في الاستيعاب ، وفي مسند أحمد عن سعيد بن المسيّب أنّه قال : ما كان أحد
من الناس يقول : «سلوني قبل أن تفقدوني» غير عليّ بن أبي طالب^(٥) .

(١) رواه عنه الصدوق في الأمالي : ٥١٩ / ٧٠٨ ، ويوسف بن حاتم في الدرّ النظيم : ٢٤١ ، والمجلسيّ في بحار
الأنوار ٤٠ : ١١٧ / ٢ .

(٢) هو عباية بن عمرو بن ربعي ، من خواص أصحاب أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وحسن عقيدته
مسلم ، روى عنه سليمان بن مهران ، وعمران بن ميثم ، وغيرهما .

انظر : رجال الطوسي : ٧١ / ٦٥٦ ، تنقيح المقال ٢ : ١٣١ / ٦٢٥٢ .

(٣) معاني الأخبار : ٦٣ / ١١ ، علل الشرائع ١٥٩ / ٣ باب ١٢٨ ، بحار الأنوار ٣٥ : ٥٣ / ٧ .

(٤) العمدة : ٣٢٤ / ٤٢٦ ، الفضائل لأحمد بن حنبل : ١٦٧ / ٢٣٤ ، فضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٦٥٤ /
١١١٢ ، ذخائر العقبى : ٩٤ .

(٥) الفضائل لأحمد بن حنبل : ١٥٣ / ٢٢٠ ، فضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٦٤٦ / ١٠٩٨ ، الاستيعاب ٣ :
١١٠٣ .

وروي في الاستيعاب أيضاً : أنَّ شريح بن هاني^(١) سأل عائشة عن المسح على الخفين ، فقالت : إيت عليّاً فأسأله^(٢) .

وروي فيه أيضاً : أنَّ معاوية كان يكتب فيما كان ينزل به ليسأل له عليّ بن أبي طالب عن ذلك ، فلمّا بلغه قتله قال : ذهب الفقه والعلم بموت عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فقال له أخوه عتبة : لا يسمع منك هذا أهل الشام ، فقال : دعني عنك^(٣) ، ثمّ روي قول أبي عبد الرحمن السلمي : ما رأيت أحداً أقرأ من عليّ^(٤) ، الخبر .

وفي رواية : أنَّ مسألة مشكلة جاءت في زمان معاوية ، فقال : معضلة ولا أبا الحسن^(٥) .

وفي الصواعق ، أخرج الدارقطني : أنَّ عمر سأل عليّاً عليه السلام عن شيء ، فأجابه ، فقال عمر : أعوذ بالله أن أعيش في قوم لست فيهم أبا الحسن^(٦) .

(١) هو شريح بن هاني بن يزيد بن الحارث بن كعب ، وقيل : شريح بن هاني بن يزيد ابن نحيك بن دُرَيْد بن سفيان ، يكتي أبا المقدام ، أدرك النبي صلى الله عليه وآله ، وكان من أصحابه صلى الله عليه وآله ، ومن أعيان أصحاب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام ، وشهد معه حروبه ، وشهد الحكمين بدومة الجندل ، ولا ريب في جلالته ووثاقته وعدالته . توفي سنة ٧٨ هـ .

انظر : تنقيح المقال ٢ : ٨٣ / ٥٥٤٦ ، أعيان الشيعة ٧ : ٣٣٧-٣٣٨ ، الطبقات لابن سعد ٦ : ١٢٨ ، أسد الغابة ٢ : ٣٦٧ / ٢٤٢٧ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٠٧ / ٣٣ .

(٢) الاستيعاب ٣ : ١١٠٧ ، وأورد نحوه الذهبي في سير أعلام النبلاء ٤ : ١٠٧ .

(٣) الاستيعاب ٣ : ١١٠٨ ، و١١٠٩ .

(٤) الاستيعاب ٣ : ١١٠٨ و١١٠٩ .

(٥) مناقب أهل البيت عليهم السلام للشيرازي : ٢٠١ ، الغريين للهروي ٤ : ١٢٩٤ ، النهاية لابن الأثير ٣ : ٢٥٤ .

(٦) الصواعق المحرقة : ٢٧٢ ، المستدرک للحاكم ١ : ٤٥٧-٤٥٨ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٠٦-٤٠٧ .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه : اعلم أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي ؛ لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم . ومن كلامه . يعني عليّاً عليه السلام . اقتبس ، وعنه نقل ، وإليه انتهى ، ومنه ابتداء ، فإنّ المعتزلة . هم أهل العدل والتوحيد ، وأرباب النظر ، ومنهم تعلّم الناس هذا الفنّ . تلامذته وأصحابه ؛ لأنّ كبيرهم واصل ابن عطاء تلميذ أبي هاشم عبدالله بن محمد بن الحنفية ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبوه تلميذه عليه السلام .

وأما الأشعرية : فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن أبي البشر الأشعري ، وهو تلميذ أبي عليّ الجبائي ، وأبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة ، فالأشعرية ينتهون بالأخرة إلى أستاذ المعتزلة ومعلّمهم ، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام .
وأما الإمامية والزيدية فانتماؤهم إليه ظاهر .
ومن العلوم علم الفقه ، وهو عليه السلام أصله وأساسه ، وكلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه .

وأما أصحاب أبي حنيفة ، كأبي يوسف ، ومحمد ، وغيرهما ، فأخذوا عن أبي حنيفة .
وأما الشافعيّ ، فقرأ على محمد بن الحسن ، فيرجع فقهه إلى أبي حنيفة .
وأما أحمد بن حنبل ، فقرأ على الشافعيّ فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة ، وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمد . عليه السلام . ، وجعفر عليه السلام قرأ على أبيه ، وينتهي الأمر إليه .
وأما مالك بن أنس فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على

عكرمة^(١) ، وقرأ عكرمة على عبدالله بن عباس ، وقرأ عبدالله على عليّ عليه السلام ، وإن شئت رددت إليه فقه الشافعي ؛ لقراءته على مالك كان لك ذلك ، فهؤلاء الفقهاء الأربعة .

وأما فقه الشيعة فرجوعه إليه ظاهر ، وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا : عمر بن الخطّاب ، وعبدالله بن عباس ، وكلاهما أخذوا عن عليّ عليه السلام . أمّا ابن عباس فظاهر ، وأمّا عمر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة .

وقوله غير مرّة : لولا عليّ لهلك عمر^(٢) .

وقوله : لا بقيت لمعضلة ليس لها أبو الحسن^(٣) .

وقوله : لا يُفتنّ أحد في المسجد وعليّ حاضر^(٤) . فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه .

(١) هو عكرمة بن عبدالله المدنيّ ، يكنّى أبا عبدالله ، مولى عبدالله بن عباس ، تابعي ، مفسّر ، أحد فقهاء مكّة ، كان لخصين بن أبي الحرّ العنبري ، فوهبه لابن عباس ، حين وليّ البصرة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ، واجتهد في تعليمه القرآن والسنن ، وسمّاه بأسماء العرب .

حدّث عن : عبدالله بن عباس ، والحسن بن عليّ عليه السلام ، وأبي سعيد الخدري وغيرهم ، وروى عنه : الزهريّ ، وعمر بن دينار ، والشعبي .

مات سنة ١٠٧ هـ ، وقيل : سنة ١٠٦ هـ .

انظر : الطبقات لابن سعد ٥ : ٢٨٧ ، وفيات الأعيان ٣ : ٢٦٥ / ٤٢١ ، سير أعلام النبلاء ٥ :

١٢ / ٩ ، طبقات المفسّرين للداؤديّ ١ : ٣٨٦ / ٣٣١ .

(٢) تقدّم تحرّيجه في ص ١٥١ ، الهامش (٢) .

(٣) أنساب الأشراف ٢ : ٣٥١ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٢-١١٠٣ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٠٦ ، الصواعق المحرقة : ١٩٦ .

(٤) بحار الأنوار ٤١ : ١٤١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٨ .

وقد روت العامة والخاصة قوله عليه السلام : «أفضاكم عليّ»^(١) ، والقضاء هو الفقه ، فهو إذاً أفقهم .

وروى الكل أيضاً أنه عليه السلام قال له وقد بعثه إلى اليمن قاضياً : «اللهم إهد قلبه وثبت لسانه» ، قال عليه السلام : «فما شككت بعدها في قضاء بين اثنين»^(٢) . ثم ساق كلاماً طويلاً ، فقال : من العلوم علم النحو والعربية ، وقد علم الناس كافة أنه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الأسود الدؤلي^(٣) جوامعه وأصوله ، من جملتها : الكلام كله ثلاثة : اسم ، وفعل ، وحرف ، ومن جملتها : تقسيم الكلمة إلى معرفة ، ونكرة ، وتقسيم وجوه

(١) نواذر المعجزات : ١٣٣ ، شرح الأخبار للقاضي نعمان ١ : ٩١ / ٦ ، دعائم الإسلام ١ : ٩٢ ، المسائل العكبرية : ٥٣ ، التعجب للكراچكي : ١٦ ، الاحتجاج للطبرسي ٢ : ٢٥٤ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤١ ، و ٤ : ١٤ ، الطرائف ٢ : ٢٤٥ ، نهج الحق : ٢٣٦ ، تمهيد الأوائل : ٥٤٣ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٢ .

(٢) سنن ابن ماجه ٢ : ٧٧٤ / ٢٣١٠ ، المستدرک للحاکم ٣ : ١٣٥ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٠ .

(٣) هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل بن يعمر . . . بن عدي بن الديل بن بكر الديلي ، ويقال : الدؤلي ، يكتأبأ الأسود الدؤلي ، معروف بكنيته ، وفي اسمه ونسبه ونسبته اختلاف كثير ، كان ممن صحب علياً عليه السلام ، وشهد معه وقعة صفين ، ومن المتحققين بمحبته ومحبة ولده ، وفي ذلك يقول :

يقول الأزدلون بنو قشير طوال الدهر لا تنسى علياً
أحب محمداً حباً شديداً وعباساً وحمزة والوصياً
وهو واضع علم النحو ، ورسم له علي بن أبي طالب عليه السلام شيئاً من أصول النحو ، فكتب فيه أبو الأسود ، وله ديوان .

توفي سنة ٦٩ هـ .

الطبقات لابن سعد ٧ : ٩ ، أخبار النحويين البصريين : ١٣ ، الفهرست لابن النديم : ٤٥ ، أسد الغابة ٢ : ٤٨٥ / ٢٦٥٠ ، وفيات الأعيان ٢ : ٥٣٥ / ٣١٣ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٨١ / ٢٨ ، الأعلام للزركلي ٣ : ٢٣٦ .

الإعراب إلى الرفع ، والنصب ، والجرّ ، والجزم .
وهذا يكاد أن يلحق بالمعجزات ؛ لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بهذا الحصر ، ولا تنهض
بهذا الاستنباط ^(١) . انتهى .

وقال ابن أبي الحديد أيضاً في الشرح : اتّفق الكلّ على أنّه كان يحفظ القرآن على
عهد رسول الله ﷺ ، ولم يكن يحفظه غيره ، ثمّ هو أوّل من جمع القرآن ، نقلوا كلّهم أنّه
تأخّر عن بيعة أبي بكر ، فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنّه تأخّر مخالفةً للبيعة
، بل يقولون : تشاغل بجمع القرآن ، فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع القرآن ؛ لأنّه لو كان
مجموعاً على عهد رسول الله ﷺ لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته ﷺ ، وإذا
رجعت إلى كتب القراءة وجدت أئمة القراء كلّهم يرجعون إليه ، كأبي عمرو بن العلاء ^(٢) ،
وعاصم بن أبي النجود ^(٣) وغيرهم ؛ لأنّهم

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٧ - ٢٠ .
(٢) هو زبّان بن العلاء بن عمّار ، يكتّى أبا عمرو بن العلاء ، معروف بكنيته ، اختلف في اسمه على تسعة عشر
قولاً ، لكن تواتر أنّ اسمه زبّان ، وقيل : اسمه كنيته ، وهو من الأعلام في القراءة .
أخذ القراءة عن أهل الحجاز وأهل البصرة ، وعرض بمكة على مجاهد ، وسعيد ابن جبير ، وعطاء ،
وغيرهم ، قرأ عليه خلق كثير ، منهم : يحيى بن المبارك اليزيدي ، ويونس بن حبيب النحويّ ، وعبد الوارث
التنوري .
مات سنة ١٥٤ هـ بالكوفة .

انظر : أخبار النحويّين البصريّين : ٢٨ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٤٠٧ / ١٦٧ ، طبقات القراء للذهبيّ
١ : ٩١ / ٤٢ ، غاية النهاية ١ : ٢٨٨ / ١٢٨٣ .
(٣) هو عاصم بن أبي النجود ، يكتّى أبا بكر ، واسم أبيه بمذلة ، على الصحيح ، وقيل : هي أمّه ، شيخ الاقراء
بالكوفة ، وأحد القراء السبعة ، انتهت إليه رئاسة الأقرء بالكوفة بعد أبي عبد الرحمن السلميّ .

يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السلمي القارئ ، وأبو عبد الرحمن كان تلميذه ، وعنه أخذ القرآن ، فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً ، مثل كثير مما سبق^(١) .

ثم قال ابن أبي الحديد في موضع من شرحه : إنّ الفلاسفة تسمي عليّاً عليه السلام إمام الأئمة وحكيم العرب^(٢) .

ثم قال : وقال محفن^(٣) بن أبي محفن لمعاوية . لما أتى مفارقاً لعليّ عليه السلام : جئتك من عند أعيان الناس ، فقال له : ويحك ، كيف يكون أعيان الناس ! ؟ فوالله ، ما سنّ الفصاحة لقريش غيره^(٤) .

وقد ذكر التصريح برجوع كلّ علم وعالم إلى عليّ عليه السلام بنحو ما ذكره هذا الرجل غير واحد من سائر أهل العلم ، حتّى قال بعضهم : إنّ كلامه في النهج كان في الدلالة على كمال معرفته في التوحيد والعدل ، وجميع جزئيات علم الكلام والأصول ونحو ذلك .
وروى جماعة عن ابن عباس أنّه قال : حدّثني عليّ عليه السلام في باء بسم

وكان أحسن الناس صوتاً بالقرآن ، وقرأ القرآن على أبي عبد الرحمن السلمي وزرّ ابن حُبَيْش ، وحدّث عنهما ، وحدّث عنه خلق كثير .

مات سنة ١٢٧ هـ ، وقيل : سنة ١٢٨ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ٣ : ٩ / ٣١٥ ، طبقات القراء للذهبي ١ : ٧٥ / ٣٦ ، سير أعلام النبلاء ٥ :

٢٥٦ / ١١٩ ، غاية النهاية ١ : ٣٤٦ / ١٤٩٦ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٣٥ / ٦٧ .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١١ : ٤٨ .

(٣) في «س» و«ل» : «محفن بن أبي محفن» ، وكذا في بعض مصادر علم الرجال .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٤ .

الله الرحمن الرحيم من أول الليل إلى الفجر ، ولم يتم^(١) .
ونقل ابن البطريق في كتاب العمدة : إن بعض العلماء ، قال : إن الناس تعلموا
الفصاحة من عليّ عليه السلام ، وإن كلامه فوق كلام المخلوق ودون كلام الخالق^(٢) .
وروى في العمدة أيضاً عن الأصبغ بن نباتة قال : حفظت من كلام عليّ عليه السلام مائة
خطبة ، ففاضت ثم فاضت^(٣) .
ثم نقل : إن جميع الصحابة رجعوا إليه ، واستفادوا منه ، ولم يرجع هو إلى أحد منهم
في شيء أبداً ، حتى أن عمر قال في مواضع وعدة مواطن : لولا عليّ لهلك عمر^(٤) ، وكان
قوله هذا في كل موضع كان يردّه عن خطأ^(٥) ، انتهى .
وفي الصواعق وغيره : إن عليّاً عليه السلام لما دخل الكوفة ، دخل عليه حكيم من العرب ،
فقال : والله يا أمير المؤمنين ، لقد زينت الخلافة وما زينتك ، ورفعتها وما رفعتك ، وهي
كانت أحوج إليك منك إليها^(٦) .
وقال ابن سيرين . على ما رواه عنه ابن أبي داؤد وغيره . لما ذكر حكاية جمع عليّ
عليه السلام كتاب الله بعد النبي صلى الله عليه وآله : لو أصيب ذلك الكتاب

-
- (١) نهج الحق للحليّ : ٢٣٨ ، ينابيع المودة ١ : ٢١٤ / ١٩ .
(٢) نهج الحق : ٢٣٨ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٤ ، جواهر المطالب ١ : ٢٩٩ / ٤٨ ، لم
نعثر عليه في العمدة .
(٣) نهج الحق : ٢٣٨ ، الأربعين للشيرازي : ٤١٩ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٤ ، ولم نعثر عليه
في العمدة .
(٤) تقدّم تحريجه في ص ١٥١ ، الهامش (٢) .
(٥) الدرّ النظيم : ٢٥٣ - ٢٥٤ ، نهج الحق : ٢٣٨ - ٢٤٠ ، لم نعثر عليه في العمدة .
(٦) الصواعق المحرقة : ١٩٦ . فيض القدير ٤ : ٣٥٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٥ ، أسد الغابة ٣ : ٦١٠ ،
تاريخ الخلفاء للسيوطي : ١٤٣ .

لكان فيه العلم وقد كتبه على تنزيله^(١) .

وفي كتاب ابن سعد : أنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان يقول : «إِنَّ رَبِّي وهب لي قلباً عقولاً ،
ولساناً ناطقاً»^(٢) .

وفي كتاب الاستيعاب : بإسناده عن سفيان عن (قريب عن جبير قال)^(٣) : قالت
عائشة : من أفتاكم بصوم عاشوراء ؟ قالوا : عليّ ، قالت : أما إنّه أعلم بالسنة^(٤) .
وفيه : بإسناده عن أُذينة العبديّ^(٥) قال : أتيت عمر بن الخطّاب فسألته : من أين
أعتمر ؟ فقال : إيت عليّاً فاسأله ، الخبر . إلى أن قال بعد ذكر الحديث . : أخبر عمر بما
قال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فقال عمر : ما أجد لك إلّا ما قال عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ^(٦) .
وأمثال هذه الاعترافات في حقّ عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ من الصديق والعدوّ من أهل زمانه ومن
غيرهم فوق حدّ الإحصاء .

(١) نقله عنه السيوطيّ في تاريخ الخلفاء : ١٤٦ ، وابن حجر في الصواعق المحرقة : ١٩٧ .

(٢) الطبقات لابن سعد ٢ : ٣٣٨ ، وحكاه عنه السيوطيّ في تاريخ الخلفاء : ١٤٦ ، وابن حجر في الصواعق
المحرقة : ١٩٧ .

(٣) بدل ما بين القوسين في الأصل : «فليت عن حيرة قالت» ، وما أثبتناه من المصدر ، ولم نعثر على ترجمتهما .

(٤) الاستيعاب ٣ : ١١٠٤ ، بتفاوت يسير .

(٥) هو أُذينة بن سلمة العبديّ ، يكتّى أبا عبد الرحمن ، اختلف في اسم أبيه ، فقبيل : أُذينة بن مسلم العبيديّ
من عبد القيس ، وقيل : أُذينة بن الحارث بن يعمر ، وسبق نسبه إلى كنانة ، وقيل : هو ابن سلمة بن الحارث بن
خالد ، ولي قضاء البصرة للحجاج ، وهو تابعيّ من أهل الكوفة

انظر : الاستيعاب ١ : ١٣٦ / ١٣٨ ، أسد الغابة ١ : ٧١ / ٦٣ .

(٦) الاستيعاب ٣ : ١١٠٦ .

وقد مرّ في المقدمة نبذاً منها ، ويأتي بعضُ في الفصول الآتية وغيرها جملة وافية ، فلنكتف هاهنا بما أوردناه فيه ، ونذكر حينئذٍ بعض ما ذكروا في بقية الأئمة عليهم السلام ولو شيئاً يسيراً قليلاً؛ لظهور كثير من هذه الاعترافات [و] ما سيأتي من ذكر أحوالهم وفضائلهم ومعاجزهم وعلومهم وصلاتهم ، سوى ما مرّ ويأتي في سائر الفصول ، فلا حاجة إلى زيادة الذكر هاهنا .

وروى ابن الأثير في نهايته عن ابن عمر : أنه ذكر الحسن والحسين عليهما السلام ، فقال : إنما كانا يغترّان العلم غرّاً^(١) .

ونقل الأعمش عن أبي صالح السمان^(٢) قال : سمعت حذيفة يقول : سمعت الحسين عليه السلام يقول في حياة النبي صلى الله عليه وآله : «والله ، ليجتمعنّ على قتلي طغاة بني أمية يقدمهم عمر بن سعد» ، فقلت له : أنباك بهذا جدك رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ فقال : «لا» ، فأتيت النبي صلى الله عليه وآله فأخبرته ، فقال : «علمي علمه ، وعلمه علمي ، وإنّا لنعلم الكائن قبل كينونته»^(٣) . وقال الجاحظ في كتابه الذي وضعه في المحاكمة بين الخصوم عند

(١) النهاية لابن الأثير ٣ : ٣٥٧ . غرر . .

(٢) هو ذكوان بن عبدالله ، يكنى أبا صالح السمان ، من كبار العلماء بالمدينة ، وكان يجلب الزيت والسمن إلى الكوفة ، وهو مشهور باسمه وكنيته ، وما في الأصل من وصفه بالتمار . كما في بعض مصادر الرواية . تصحيف . روى عن : إسحاق مولى زائدة ، وجابر بن عبدالله ، وسعيد بن جبير وغيرهم ، وروى عنه : حكيم بن جبير ، وخميد بن هلال ، وسليمان الأعمش وغيرهم . مات سنة ١٠١ هـ بالمدينة .

انظر : الطبقات لابن سعد ٥ : ٣٠١ ، تهذيب الكمال ٨ : ٥١٣ / ١٨١٤ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٦ / ١٠ ، تهذيب التهذيب ٣ : ١٨٩ / ٤١٧ .

(٣) نواذر المعجزات : ١٠٩ / ٥ ، دلائل الإمامة : ١٨٣ / ١٠١ ، الدرر النظيم : ٥٣٢ ، فرج المهموم : ٢٢٧ ، مدينة المعاجز ٣ : ٤٥٣ / ٩٧٢ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١٨٦ / ١٤ .

الحسن والحسين : وإنّ مثلهما كمثل الشمس والقمر ، فمن قدر على إحصاء ما في الشمس والقمر من المنافع ؟ . إلى أن قال . : لو قطعت النظر عن كلّ شيء فلا أقلّ من تصديق قول النبي ﷺ : «إِنَّهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»^(١) ، ومعلوم أنّ جميع مَنْ هما ساداه سادة ، فإنّ الجنّة لا تدخل إلّا بالصدق ، والعلم ، والحلم ، والطهارة ، والزهد ، والطاعة الكثيرة ، فوجب أن يكون حظّهما في هذه الأشياء فوق كلّ حظّ^(٢) .

ونقل كمال الدين ابن طلحة^(٣) ، وجمع من علماء العامّة : أنّ الحسن عليّاً كان يجلس في مجلس رسول الله ﷺ ويجتمع الناس حوله ، ويتكلّم بما يشفي غليل السائلين ، ويقطع حجج القائلين^(٤) ، ولم ير بعد أبيه أعلم منه ، ومن أخيه الحسين عليّاً ، حتّى نقلوا عن الواحديّ^(٥) أنّه قال

(١) المناقب لمحمد بن سليمان الكوفي ٢ : ٢٢٣ / ٦٨٧ ، المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٤٤٥ ، العمدة : ٤٠٢ / ٨٢٠ ، مسند أحمد ٦ : ٥٤٢ / ٢٢٨١٨ ، سنن الترمذي ٥ : ٦٥٦ / ٣٧٦٨ ، الاستيعاب ١ : ٣٩١ ، جامع الأصول ٩ : ٥٩ / ٦٥٩٥ .

(٢) كشف الغمّة ١ : ٣١ ، ينابيع المودّة ١ : ٤٦٢ / ٥٢ .

(٣) هو كمال الدين محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن القرشيّ ، يكنّى أبا سالم ، كان من صدور الأكابر ، وليّ الوزارة بدمشق يومين وتركها وخرج عمّا يملكه من ملبوس وملوك وغيره ، له كتب منها : مطالب السؤل ، والعقد الفريد ، وزبدة المقال .

ولد سنة ٥٨٢ هـ ، ومات ٦٥٢ هـ بحلب .

انظر : سير أعلام النبلاء ٢٣ : ٢٩٣ / ١٩٩ ، طبقات الشافعية للسبكي ٨ : ٦٣ / ١٠٧٦ ، شذرات الذهب ٥ : ٢٥٩ .

(٤) كشف الغمّة ١ : ٥٤٣ ، مطالب السؤل : ٢٣٠ ، الفصول المهمة : ١٥٥ .

(٥) هو عليّ بن أحمد بن محمد بن عليّ الواحديّ ، النيسابوريّ ، الشافعيّ ، يكنّى أبا الحسن ، كان من علماء عصره في النحو والتفسير ، لازم أبا إسحاق الثعلبيّ ، وأخذ العربية عن أبي الحسن القنْدُزِيّ الضريّر ، وأخذ اللغة عن أبي الفضل أحمد

في تفسيره الوسيط : إنّ رجلاً قال : دخلت مسجد المدينة ، فإذا أنا برجل يحدث عن النبي ﷺ والناس حوله ، فقلت له : أخبرني عن «شاهدٍ ومشهودٍ»^(١) قال : أمّا الشاهد فيوم الجمعة ، وأمّا المشهود فيوم عرفة ، فجزته إلى آخر يحدث أيضاً ، فسألته عن الآية ، فقال : أمّا الشاهد فيوم الجمعة ، وأمّا المشهود فيوم النحر ، فجزتهما إلى غلام كأنّ وجهه كالقمر ليلة البدر ، وهو يحدث عن النبي ﷺ ، فسألته عمّا سألتهما ، فقال : «نعم ، أمّا الشاهد فمحمّد ﷺ ، وأمّا المشهود فيوم القيامة» ، ثمّ قال : «أما سمعت الله يقول : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾»^(٢) وقال : ﴿ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴾»^(٣) ، فسألته عن الرجل الأوّل ، فقالوا : هو ابن عبّاس ، والثاني هو ابن عمر ، والثالث هو الحسن بن عليّ ابن أبي طالب عليه السلام ، وكان قول الحسن أحسن^(٤) .

ومن كلام محمد بن الحنفية أنّه قال للحسن عليه السلام لما نصّب عند وفاته على إمامة الحسين عليه السلام ووصّاه بإطاعته الحسين عليه السلام : «أعلمنا علماً ، وأثقلنا حملاً ، وأقربنا من رسول الله ﷺ رحماً ، كان فقيهاً قبل أن يُخلق ، وقرأ

ابن محمّد ، وله كتب منها : التفاسير الثلاثة : البسيط ، والوسيط ، والوجيز ، وغيرها .

مات سنة ٤٦٨ هـ بمدينة نيسابور .

انظر : معجم الأدباء ١٢ : ٢٥٧ / ٦٣ ، وفيات الأعيان ٣ : ٣٠٣ / ٤٣٨ ، سير أعلام النبلاء ١٨

: ٣٣٠ / ١٦٠ ، طبقات المفسّرين للسيوطي : ٦٦ / ٧٠ ، طبقات المفسّرين للداوديّ ١ : ٣٩٤ / ٣٣٩ .

(١) سورة البروج ٨٥ : ٣ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٤٥ .

(٣) سورة هود ١١ : ١٠٣ .

(٤) الوسيط للواحدّي ٤ : ٤٥٨ ، كشف الغمّة ١ : ٥٤٣ ، مطالب السؤل : ٢٣٠ ، ٢٣١ ، الفصول

المهمّة : ١٥٥ .

الوحي قبل أن ينطق»^(١) ، الخبر .

وعن الصادق عليه السلام أنه قال ما خلاصته : «إن رجلاً مرّ بعثمان وهو قاعد على باب المسجد فسأله ، فأمر له بخمسة دراهم ، فقال له الرجل : أرشدني ، فقال له : دونك أولئك الفتية ، وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام ، وعبدالله بن جعفر^(٢) ، وهم في ناحية من المسجد ، فجاءهم وسألهم ، فقال الحسن عليه السلام : «إعلم أنّ المسألة لا تحلّ إلّا في إحدى ثلاث : دم مفجع ، أو دين مقرح ، أو فقر مدقع ، ففي أيّها تسأل ؟» فقال : في واحدة من هذه الثلاث ، فأمر له الحسن عليه السلام بخمسين ديناراً ، والحسين عليه السلام بأقلّ منه بدينار ، وابن جعفر بأقلّ منه بدينارين ، فمرّ الرجل بعثمان ، وحكى له الحكاية ، فقال عثمان : ومن لك^(٣) بمثل هؤلاء الفئة ؟ أولئك فطموا العلم فطمأ ، وحازوا الخير والحكمة»^(٤) .

وسياقي في ذكر أحوال عليّ بن الحسين عليه السلام أنّ الزهري كان يقول :

(١) الكافي ١ : ٢٣٩ / ٢ (باب الإشارة والنصّ على الحسين بن عليّ عليه السلام) ، إعلام الوري ١ : ٤٢٣ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١٧٥ / ٢ .

(٢) هو عبدالله بن جعفر بن أبي طالب ، يكنّى أبا جعفر المدني ، وأمه أسماء بنت عميس ، كان من أصحاب رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين والحسن والحسين عليهما السلام ، كان جليلاً ، قليل الرواية ، وكرماً يستمى بحر الجود ، وللشعراء فيه مدائح ، شهد يوم صفّين مع عمّه أمير المؤمنين عليه السلام ، وأولاده . عون ، ومحمّد ، وعبدالله . قتلوا مع الحسين عليه السلام يوم عاشوراء .

وهو أوّل مولود ولد في الإسلام بأرض الحبشة ، وأتى البصرة ، والكوفة ، والشام ، وتوفيّ سنة ٨٠ هـ بالمدينة .

انظر : تنقيح المقال ٢ : ١٧٣ / ٦٧٨٤ ، أسد الغابة ٣ : ٩٤ / ٢٨٦٢ ، الإصابة ٤ : ٤٨ /

٤٥٨٢ ، الأعلام للزركلي ٤ : ٧٦ .

(٣) في الأصل : «ذلك» وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه من المصدر .

(٤) الخصال : ١٣٥ / ١٤٩ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٣٢ / ٤ ، بتفاوت .

ما رأيت أفضل من عليّ بن الحسين علماً وعملاً^(١) .
وأن جماعة منهم الذهبيّ صرّحوا بأنّه كان يصلح للخلافة؛ لعلمه وصلاحه ونجابهته
وشرفه .

وقال ابن حجر : زين العابدين هذا هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة^(٢) .
وقال الجاحظ : ومن مثل عليّ بن الحسين عليه السلام ؟^(٣) .
وقال الشافعيّ في رسالة خبر الواحد : وجدت عليّ بن الحسين وهو أفقه أهل المدينة
يُعَوّل على خبر الواحد^(٤) .
وأشعار الفرزدق^(٥) فيه بمحضر أعدائه وعدم إنكار منهم مشهورة .

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٧٢ ، كشف الغمّة ٢ : ٨٠-٨٣ ، حلية الأولياء ٣ : ١٤١ ، مطالب
السؤال : ٢٧٤ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٣٨٧ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٨١-١٠٠) : ٤٣٢ .
(٢) الصواعق المحرقة : ٣٠٢ .
(٣) رسالة الجاحظ ٤ : ١٢١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٧٤ .
(٤) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٥ : ٢٧٤ .
(٥) هو همام بن غالب بن صعصعة ، يكنى أبا فراس ، ولقبه الفرزدق ، لقّب به لغلاظة وجهه .
كان متعصباً لآل البيت عليه السلام شديد التشييع لهم ، فإذا مدحهم لا نرى مدحه لهم تكلفاً ، والدليل على
حبّه لآل البيت عليه السلام قصيدته التي مدح بها الإمام زين العابدين عليه السلام وهو يقول :
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التقى النقي الطاهر العلم
إلى آخر الأبيات .
مات سنة ١١٠ هـ .
انظر : مقدّمة ديوان ابن قتيبة ١ : ٥ ، الشعر والشعراء : ٣١٠ ، الأغاني ٩ :

وروى جماعة من الفريقين : أنَّ الحجاج لما هدم الكعبة لإخراج ابن الزبير ، ثمَّ أراد أن يبينها ظهرت حيّة في أساسها ، فلم يقدورا على بنائها ، فأحضر العلماء وغيرهم ، وسألهم عن سبب ذلك والسرّ فيه ، فاعترفوا جميعاً بأنّ هذا شيء عجيب ، لا يعلم سببه وعلاجه غير عالم ربّانيّ ، أعلم الناس بكلّ شيء ، وأنّه هو عليّ بن الحسين ، فأحضره وسأله ، فقال : نادِ بالناس أن يردّوا كلّ ما أخذوه من أحجار البيت ، فلما ردّوها أتى هو بنفسه إلى البيت ، وجمع الأحجار حول البيت فغابت الحيّة ، فنظف^(١) أساسه ثمّ دعا دعاءً تركنا ذكره ، ثمّ وضع أوّل الأحجار بيده ، ثمّ بنوا إلى أن تمّ ، فأرادوا نصب الحجر فكلّما كان يضعه أحد لم يستقرّ حتّى التجأوا إليه أيضاً فأتى بنفسه وأخذه بيده ودعا دعاءً أيضاً فاستقرّ من أوّل ما وضعه^(٢) .

وقال الذهبيّ وجمع : إنّ أبا جعفر أحد من جمع العلم والفقه والشرف والديانة والثقة والسؤدد ، وكان يصلح للخلافة^(٣) .

وروى عنه جماعة كثيرة من العلماء ، كالأعمش وربيعة الرأي والأوزاعيّ وأمثالهم^(٤) .

٣٢٤ ، معجم الشعراء للمرزبانيّ : ٤٦٥ ، معجم الأدباء ١٩ : ٢٩٧ / ١١٧ ، وفيات الأعيان ٦ : ٨٦ / ٧٨٤ ، تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠) : ٢١١ / ٢٠٧ .

(١) في «س» و«م» و«ن» : «فنظف» ، وما أثبتناه من «ل» .

(٢) الكافي ٤ : ٢٢٢ / ٨ (باب : ورود تتبّع . . .) / ٨ ، علل الشرائع : ٤٤٨ ، الخرائج والجرائع ١ : ٢٦٨ / ١١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٥٢ ، بحار الأنوار ٤٦ : ١١٥ / ١ .

(٣) تاريخ الإسلام (حوادث ١٠١ - ١٢٠) : ٤٦٣ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٤٠٢ ، وانظر : رسالة الجاحظ ٤ : ١٢١ .

(٤) تهذيب الكمال ٢٦ : ١٣٨ / ٥٤٧٨ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٤٠١ - ٤٠٢ / ١٥٨ ، تاريخ الإسلام (حوادث ١١٠ - ١٢٠) : ٤٦٢ - ٤٦٣ / ٥٤٩ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٣١٢ / ٥٨٢ .

وقال ابن أبي الحديد : هو سيّد فقهاء الحجاز ، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه^(١) .

وسيّأتي في ذكر أحواله بيان تصريح جماعة بأعلميّته ، حتّى قال عبدالله بن عطاء^(٢) : ما رأيت العلماء عند أحدٍ أصغر علماً منهم عند محمد بن عليّ الباقر^(٣) .
وسيّأتي في ذكر أحوال الصادق عليه السلام من نقل اعتراف العلماء بأعلميّته ما لا حاجة إلى الذكر هاهنا .

ونقل ابن أبي الحديد عن الجاحظ أنّه كان يقول : ومن في الفقه والعلم والتفسير والتأويل مثل عليّ بن أبي طالب ، ومحمد بن عليّ بن الحسين ، وجعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه؟^(٤) .

وسيّأتي في ذكر أحوال الكاظم عليه السلام نقل اعترافات من جماعة في علمه وفضله ، منها : ما نقله ابن أبي الحديد عن الجاحظ أنّه قال : موسى ابن جعفر هو العبد الصالح ، جمع بين العلم والفقه والدين والنسك

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٧٧ .

(٢) هو عبدالله بن عطاء الطائفيّ المكيّ ، ويقال : المدنيّ ، ويقال : الواسطيّ ، ويقال : الكوفيّ .

روى عن : إسحاق بن عبد الرحمن ، والحسن بن الحزّ ، وزيايد بن محراق ، وغيرهم ، وروى عنه : سفيان الثوريّ ، وخارجة بن مُصعب ، وأبو مالك عمرو بن هاشم الجنيّ ، وغيرهم .

الجرح والتعديل ٥ : ١٣٢ / ٦١٠ ، الثقات لابن حبان ٥ : ٣٣ ، تهذيب الكمال ١٥ : ٣١١ /

٣٤٢٩ .

(٣) الإرشاد ٢ : ١٦٠ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٢٢٠ ، الدرّ النظيم : ٦٠٧ ، حلية الأولياء ٣ : ١٨٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٥٤ : ٢٧٨ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٧٤ .

والحلم والصبر ، وابنه عليّ المرشّح للخلافة ، والمخطوب له بالعهد ، كان أعلم الناس ، وأسخى الناس ، وأكرم الناس أخلاقاً^(١) .

وفي رواية جماعة : عن الفضل بن سهل ذي الرئاستين^(٢) ، وأخيه الحسن^(٣) . من أعظم أمراء المأمون ووزرائه . أمّهما قالوا : لما أراد المأمون ولاية العهد للرضا عليه السلام قال لهما ولسائر خواصّه : إني عاهدت الله على أني إن ظفرت بالمخلوع^(٤) أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب ، وما أعلم أحداً أفضل ، ولا أفقه ، ولا أعلم ، ولا أروع منه على وجه الأرض ، ففعل ما أراد^(٥) .

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٩١ .

(٢) هو الفضل بن سهل السرخسيّ ، أخو الحسن بن سهل ، وزير المأمون وصاحب تدبيره ، كان أول أمره مجوسياً ، فأسلم على يد المأمون سنة ١٩٠ هـ ، لُقّب بذِي الرئاستين ؛ لأنّه تقلّد الوزارة والسيف في زمن المأمون ، وكان من أخير الناس بعلم النجوم .

مات سنة ٢٠٢ هـ بمدينة سرخس من بلاد خراسان .

انظر : تاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٩ / ٦٧٨٤ ، وفيات الأعيان ٤ : ٤١ / ٥٢٩ ، سير أعلام النبلاء ١٠ :

٩٩ / ٢ ، العبر ١ : ٢٦٤ ، البداية والنهاية ١٠ : ٢٤٩ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٧٢ .

(٣) هو الحسن بن سهل بن عبدالله السرخسيّ ، المعروف بذِي القلمين ، كان عارفاً خبيراً بالنجوم ، وكان صاحب رأي وتدبير ، أخو الفضل بن سهل السرخسيّ . الذي تقدّم ترجمته آنفاً . ولآه المأمون الوزارة بعد موت أخيه الفضل ، وقد ولّاه جميع البلاد التي فتحها طاهر بن الحسين ، وكان أعظم الناس منزلةً عند المأمون .

مات سنة ٢٣٦ هـ بمدينة سرخس في أيام المتوكّل .

انظر : رجال الطوسيّ : ٣٥٦ / ٥٢٧٩ ، أعيان الشيعة ٥ : ١٠٧ ، تاريخ بغداد ٧ : ٣١٩ / ٣٨٣٠ ،

سير أعلام النبلاء ١١ : ١٧١ / ٧٣ ، البداية والنهاية ١٠ : ٣١٥ ، النجوم الزاهرة ٢ : ٢٨٧ .

(٤) المخلوع هو : محمّد بن هارون الأمين .

(٥) الإرشاد للمفيد ٢ : ٢٦٠ . ٢٦١ ، إعلام الوريّ ٢ : ٧٣ ، الدرّ النظيم : ٦٧٩ ، مقاتل الطالبين : ٥٦٢ .

٥٦٣ ، الفصول المهمّة : ٢٥٥ .

وشيوخ علوم الرضا عليه السلام ، وكلامه ، وإلزامه العلماء ، حتى اليهود والنصارى ، بحيث أقر جميع من تكلم معه بأنه أعلم الناس طراً ، كالشمس في الضحى .

وفي رواية البيهقي^(١) بإسناد له عن أبي ذكوان ، قال : سمعت إبراهيم ابن العباس يقول : ما رأيت الرضا سُئل عن شيء إلا عَلمَه ، ولا رأيت أعلم منه بما كان في الزمان الأول إلى وقته وعصره ، وكان المأمون يمتحنه بالسؤال عن كل شيء فيجيب فيه ، وكان كلامه كله وجوابه وتمثله انتزاعات من القرآن^(٢) ، الخبر .

أقول : سيأتي في فصل أحواله وصلاحه نقل اعتراف جماعة من العلماء بكمال علمه وجلالته .

وسيأتي في ذكر أحوال أبي جعفر الجواد عليه السلام نقل نبذ من الاعتراف بأعلميته ، لا سيما عند مناظرة العلماء معه في مجلس المأمون في أنواع العلوم ، ونقل سؤال ابن أكثم^(٣) وجواب الإمام عليه السلام عن الكل ، بحيث أقرّوا

(١) هو الحسين بن أحمد البيهقي ، الحاكم أبو علي ، من مشايخ الصدوق قدس سره ، حدثه في داره بنيسابور سنة ٣٥٢ .

انظر : معجم رجال الحديث ٦ : ٢١٢ / ٣٣٠٩ .

(٢) الأمالي للصدوق : ٧٥٨ / ١٠٢٣ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٨٠ / ٤ ، بحار الأنوار ٤٩ : ٩٠ / ٣ .

(٣) هو يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي المروزي ، يكنى أبا محمد ، ولي قضاء البصرة وله ٢٠ سنة ، ثم ولاة المأمون قضاء القضاة ببغداد ، وأضاف إليه تدبير مملكته ، وكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد عرضه عليه ، له كتب في الفقه والأصول ، منها : التنبيه .
مات سنة ٢٤٢ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٤ : ١٩١ / ٧٤٨٩ ، وفيات الأعيان ٦ : ١٤٧ / ٧٩٣ ، سير

بأعلميته .

ونقل جماعة : أنَّ سبب ذلك كان أنَّ المأمون أراد أن يزوجه عليه السلام بنته أم الفضل ^(١) ، وله بضع عشرة سنة ، فاجتمعت بنو هاشم والعباسيون وسألوه أن لا يفعل ذلك ، وأنه صغير السن ، ونحو ذلك من الأعذار ، فقال لهم : هو والله ، لأعلم بالله ، ورسوله ، وسنته ، وأحكامه من جميعكم ، وما اخترته إلا لتبريزه على كافة أهل الفضل في العلم والفضل مع صغر سنّه ، وأنّ هذا من أهل بيتٍ علمهم من الله ومن إلهامه ، ولم يزل آباؤه أغنياء في علم الدين والأدب عن جميع الرعايا ، فإن شئتم فامتنحونه ، فخرجوا من عنده ، ودبروا أن يجمعوا العلماء لمناظرته والاحتتيال في إلزامه وإسكاته ، فاجتمعوا جميعاً يوماً عند المأمون ، فصار بينهم الكلام ، ففاق عليهم إمام الأئمة عليه السلام في كل كلام ، وأجابهم في كل مسألة سألوه ، لا سيما ابن أكنم القاضي ، بحيث أقرّ صريحاً بأنّه عاجز عن الجواب ، كما سيأتي في ذكر أحواله ، فقال لهم المأمون عند ذلك : هل فيكم أحد يجيب عن هذه المسائل أو مسألة منها بمثل جواب هذا ؟ فقالوا كلّهم : لا والله ، فقال : أعرفتم الآن ما كنتم تنكرونه؟ قالوا : نعم ، ووالله ، إنّ أمير المؤمنين كان أعلم بما رأى ، فقال لهم : وبحكم ، إنّ أهل هذا البيت خصّوا من دون الخلق بما ترون من العلم والفضل ، وإنّ صغر السنّ فيهم لا يخرجهم عن

أعلام النبلاء ١٢ : ٥ / ١ ، تايخ الإسلام (حوادث ٢٤١ . ٢٥٠) : ٥٣٦ / ٥٨٦ ، الأعلام للزركلي ٨ : ١٣٨ .

(١) هي أم الفضل بنت المأمون العباسي ، وزوج أبي جعفر الجواد عليه السلام ، قيل : اسمها زينب ، وهي أخت أم حبيب زوج أبي الحسن الرضا عليه السلام ، وهي التي سمّت زوجها الإمام الجواد عليه السلام .
انظر : تراجم أعلام النساء للحائري ١ : ٢٩٦ .

الكمال ، أما علمتم أنّ رسول الله ﷺ افتتح دعوته بدعاء عليّ ؑ وهو ابن عشر سنين فقبل منه الإسلام ، وحكم له به ، ولم يدع أحداً ممن هو في سنّه غيره ، وباع الحسن والحسين وهما أبناء دون ستّ سنين ، ولم يبايع صبيّاً غيرهما ، وإنّهم ذرّيّة بعضها من بعض ، يجري لآخرهم ما يجري لأوّلهم ؟ فقال كلّهم : صدقت ^(١) .

وكذا سيأتي في ذكر أحوال الإمامين الهمامين عليّ بن محمّد والحسن بن عليّ العسكريّين صلوات الله عليهما بعض اعترافٍ من الناس في مزيّتهما من كلّ جهةٍ علماً وعملاً على غيرهم ، حتّى أنّه يأتي نقل لابن أبي الحديد عن الجاحظ أنّه قال في كلامه لردّ بعض الناس ما هذا لفظ عبارته . : ومن الذي يعدّ من قريش أو من غيرهم ما يعدّه الطالبيّون عشرة في نسق واحد ، كلّ منهم عالمٌ ، زاهد ، ناسك ، شجاع ، جواد ، طاهر ، زاكٍ ، فمنهم خلفاء ، ومنهم مرشّحون : ابن ابن ابن ، هكذا إلى عشرة (لا يدانيهم أحد غيرهم لا علماً ولا عملاً ولا شرفاً) ، وهم الحسن بن عليّ بن محمّد ابن عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ ، وهذا لم يتفق لبيت من بيوت العرب ولا من بيوت العجم ^(٢) .

وبالجملة : أمثال هذه الأشياء كثيرة ، من أرادها فليجدها ممّا مرّ ويأتي ، فلنكتفِ هاهنا بذكر ما نقلناه ، والله الهادي .

المبحث الثاني : في نبذ من سائر ما روي من قبيل النصوص على

(١) تحف العقول : ٤٥١ . ٤٥٢ ، إعلام الوری ٢ : ١٠١ . ١٠٢ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٤١٢ .
٤١٣ ، الدرّ النظيم : ٧٠٦ . ٧٠٨ ، كشف الغمّة ٢ : ٣٥٣ . ٣٥٧ ، بحار الأنوار ٥٠ : ٧٤ / ٣ .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥ : ٢٧٨ ، وما بين القوسين لم يرد فيه .

أعلميتهم ، بل كثير منها نصّ على الأعلمية بل الإمامة أيضاً ، وفيه مقامان :
المقام الأول : فيما روي من ذلك بالنسبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وذلك على أقسام:

القسم الأول : في كونه أقصى الأمة .

روى الحاكم في مستدركه ، وأحمد بن حنبل في مسنده ، وأبو داود وابن ماجه والترمذي والنسائي في صحاحهم ، والبخاري ، والبيهقي ، وابن حبان ، وابن عبد البر ، وغيرهم بأسانيدهم العديدة ، منها : عن ابن عباس ، ومنها : عن عبدالله بن سلمة ^(١) ، ومنها : عن ابن مضر ^(٢) ، ومنها : عن أبي البختري ^(٣) ، ومنها : عن غيرهم كلّهم عن علي عليه السلام ، قال : «بعثني رسول الله صلى الله عليه وآله إلى اليمن ، فقلت : تبعثني إلى قوم أسنّ مّي وأنا شاب

(١) هو عبدالله بن سلمة بن مالك ، يكتي أبا محمد ، شهد بدرًا وأحدًا ، وقُتل يوم أحد شهيدًا ، قتله ابن الزبير .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٣ : ٤٦٨ ، المنتظم ٣ : ١٩٠ / ٥٦ ، أسد الغابة ٣ : ١٦٢ /

٢٩٨٦ .

(٢) هو حارثة بن مضر ، أدرك النبي صلى الله عليه وآله فيما قيل ، وهو كوفي ، يروي عن علي عليه السلام ، وعمر ، وغيرهما ، وروى عنه أبو إسحاق .

انظر : أسد الغابة ١ : ٤٢٩ / ١٠٠٢ ، ميزان الاعتدال ١ : ٤٤٦ / ١٦٦٢ .

(٣) هو سعيد بن فيروز ، يكتي أبا البختري الطائي ، من فقهاء أهل الكوفة .

روى عن : علي عليه السلام ، وابن مسعود ، وغيرهما ، وروى عنه : عمرو بن مروة ، وعطاء بن السائب ، ويونس بن خباب ، وغيرهم .

وكان كثير الحديث لكن يُرسل حديثه ، وثار على الحجاج ، وكان مقدّم القراء مع ابن الأشعث .

قُتل سنة ٨٢ هـ ، وقيل : سنة ٨٣ هـ ، في وقعة الجمام .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ٢٩٢ ، الثقات لابن حبان ٤ : ٢٨٦ ، تهذيب الكمال ١١ :

٣٢ / ٢٣٤٢ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٨١ . ١٠٠) : ٢٣١ / ١٧٧ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٢٧٩ / ١٠١ ،

تهذيب التهذيب ٤ : ٦٥ / ١٢٧ .

أقضي بينهم ، ولا أدري ما القضاء ؟ فضرب في صدري ، وقال : اللهم اهد قلبه وثبت لسانه ، قال : فوالذي فلق الحبة ، ما شككت بعدها في قضاء بين اثنين»^(١) .

وروى الترمذي في صحيحه : عن النبي ﷺ قال : «أقضى أمّي عليّ» ، وقال : هذا حديث صحيح^(٢) .

وفي كتاب الاستيعاب : عن الحسن عن النبي ﷺ بهذه العبارة : «عليّ أقضى أمّي»^(٣) .

وروى الخوارزمي في كتابه بإسناده عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله ﷺ : «أقضى أمّي عليّ بن أبي طالب»^(٤) ، وفي رواية أخرى : «أقضاهم عليّ بن أبي طالب»^(٥) .

وروى البغوي أيضاً ، وغيره عن أنس عن النبي ﷺ قوله : «أقضى

(١) كشف اليقين : ٤٥ . ٤٧ ، الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ٣٣٧ ، مسند أحمد ١ : ١٣٥ / ٦٣٧ ، و ٢٢٠ / ١١٤٩ ، سنن أبي داود ٣ : ٣٠١ / ٣٥٨٢ ، سنن ابن ماجه ٢ : ٧٧٤ / ٢٣١٠ ، البحر الزخار ٢ : ٢٨٩ / ٧١١ ، و ٢٩٩ / ٧٢١ ، و ٣٠٨ / ٧٣٣ ، خصائص عليّ ﷺ للنسائي : ٥٦ . ٥٨ / ٣٢ .
٣٦ ، المستدرک للحاكم ٣ : ١٣٥ ، السنن الكبرى للبيهقي ١٠ : ٨٦ ، ٨٧ ، الاستيعاب ٣ : ١٠٩٩ ، المناقب لابن المغازلي : ٢٤٩ / ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، مصابيح السنة ٣ : ٢٤ / ٢٨١٦ ، المناقب للخوارزمي : ٨٣ / ٧١ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، كفاية الطالب : ١٠٦ . ١٠٨ ، ١١١ . ١١٣ ، الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٧ : ٢٦٠ / ٥٠٤٢ ، مشكاة المصابيح ٢ : ٧١ / ٣٧٣٨ ، المقاصد الحسنة : ٩٧ .
(٢) عنه في الأربعين للشيرازي : ٤٤٠ .
(٣) الاستيعاب ١ : ١٧ .
(٤) المناقب للخوارزمي : ٨١ / ٦٦ .
(٥) الاستيعاب ٣ : ١١٠٢ ، مصابيح السنة ٤ : ١٨٠ / ٤٧٨٧ ، مطالب السؤل : ١٠١ ، المقاصد الحسنة : ٩٧ .

أُمّتي عليّ»^(١) .

وروى في الحلية ، وغيره ، منهم : النطنزي^(٢) في الخصائص عن أبي سعيد الخدري ،
عن النبي ﷺ قال : «يا عليّ ، لك سبع خصال لا يحاجّك فيها أحدٌ» ، وعدّها منها :
«أبصرهم بالقضيّة»^(٣) .

وروى مثله هو وغيره عن الخدري ومعاذ بن جبل أيضاً ، عنه ﷺ ، وفيه :
«أعلمهم بالقضيّة»^(٤) .

وأورده ابن الجوزي في الموضوعات^(٥) ، ومّا يكذب رأيه مضامين سائر الأخبار الموافقة
لهذا الخبر .

وكفى مناداته ﷺ بقوله المذكور عند المؤلف والمخالف : «لو تُثبِت لي الوسادة
لأُثبِت أهل التوراة بتوراتهم»^(٦) ، إلى آخر الخبر المشهور ، حتّى

(١) عنه في ذخائر العقبى : ٨٣ ، فتح الباري ٨ : ١٣٦ ، عمدة القاري ١٨ : ٩١ .

(٢) هو محمد بن عليّ بن إبراهيم ، يكتب أبا الفتح النطنزي ، المولود في : ٤٨٠ هـ . وهو ممّن تضلّع في علمي
اللغة والأدب ، من آثاره : الخصائص العلويّة ، ومّا ما ورد في المناقب لابن شهرآشوب من أنّه محمد بن أحمد ،
فهو غلط واضح ؛ لأنّ وفاته عام ٨٠٤ هـ ، ومعلوم أنّ ابن شهرآشوب المتوفّى سنة ٥٨٨ هـ لا ينقل عنه .
انظر : المناقب لابن شهرآشوب ١ : ٣٢ ، الغدير ١ : ١١٥ ، الأنساب للسمعاني ٥ : ٥٠٥ ، كشف
الظنون ٣ : ٤٣٠ ، معجم المؤلّفين ٩ : ٢٦ .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١١ ، حلية الأولياء ١ : ٦٥-٦٦ ، فرائد السمطين ١ : ٢٢٣ / ١٧٤ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١١ ، الدرّ النظيم : ٢٨٣ ، حلية الأولياء ١ : ٦٦ ، المناقب للخوارزمي :
١١٨ / ١١٠ .

(٥) الموضوعات لابن الجوزي ١ : ٣٤٣ ، المقاصد الحسنة : ٩٧ .

(٦) بصائر الدرجات : ١٥٢-١٥٤ / ٧٠١ ، التوحيد للصدوق : ٣٠٤ / ١ ، الأمالي للصدوق : ٤٢٢ /
٥٦٠ ، الأمالي للطوسي : ٥٢٣ / ١١٥٩ ، الاحتجاج ١ : ٦٢٥ / ١٤٥ ، الدرّ النظيم : ٢٦٢ ، كشف
اليقين : ٥٦ ، المقتل للخوارزمي ١ : ٤٤ ، المناقب للخوارزمي : ٩١ / ٨٥ ، فرائد السمطين ١ : ٣٤١ .

أنّه روى البخاريّ في صحيحه عن ابن عبّاس : أنّ عمر بن الخطّاب قال : أقرؤنا أبيّ وأقضانا عليّ^(١) ، وقد مرّ الخبر في المبحث الأوّل^(٢) ، ويأتي أيضاً خبر عن عمر في كون عليّ عليه السلام أقضى الأمّة ، في أواخر الفصل الرابع .

وروى أحمد في مسنده عن حميد بن عبد الله المدني^(٣) ، قال : ذكر عند النبيّ ﷺ قضاء قضى به عليّ عليه السلام ، فأعجب النبيّ ذلك وقال : « الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت »^(٤) .

فمن قضاياه التي قضى بها في عهد النبيّ ﷺ واستحسنه ، منه ما رواه الخوارزمي ، وغيره عن زيد بن أرقم^(٥) قال : أتى عليّ باليمن بثلاثة نفر وقعوا على جارية في طهر واحد ، فولدت ولداً فأدّعوه ، فقال عليّ عليه السلام لأحدهم : «أتطيب نفسك لهذا؟» قال : لا ، وقال للآخر : «أتطيب نفسك لهذا؟» قال : لا ، فقال : «أراكم شركاء متشاكسين ، إني مقرع بينكم فأيتكم أصابته

(١) صحيح البخاريّ ٦ : ٢٣ .

(٢) في ص ١٥٢ هامش ٣ .

(٣) هو حميد بن عبد الله المدني ، روى عن : عبد الرحمن بن أبي عوف ، ومالك بن أبي رشيد ، وروى عنه : صفوان بن عمرو ، ومحمد بن الوليد الزبيديّ ، ولم نعثر في ترجمته على أكثر من هذا .
انظر : الجرح والتعديل ٣ : ٢٢٤ / ٩٨٦ .

(٤) العمدة : ٣١٥ / ٤٠٩ ، فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لأحمد : ١٦٧ / ٢٣٥ ، فضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٦٥٤ / ١١١٣ .

(٥) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس بن النعمان ، اختلف في كنيته اختلافاً كثيراً . ف قيل : أبو سعد ، وقيل : أبو أنيس ، وهو صحابيّ ، غزا مع النبيّ ﷺ سبع عشرة غزوة ، وشهد صفّين مع عليّ عليه السلام ، له في كتب الحديث ٧٠ حديثاً .

مات سنة ٦٨ هـ ، وقيل : سنة ٦٧ .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ١٨ ، الجرح والتعديل ٣ : ٥٥٤ / ٢٥٠٨ ، الاستيعاب ٢ : ٥٣٥ / ٨٣٧ ، أسد الغابة ٢ : ١٢٤ / ١٨١٩ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ١٦٥ ، الأعلام للزركليّ ٣ : ٥٦ .

القرعة أغرمته ثلثي القيمة وألزمته الولد» ، فذكر ذلك للنبي ﷺ ، فقال : «ما أجد فيه إلا ما قال عليّ عليه السلام» (١) .

وكذا من قضايه مارواه هو وغيره من أنّ رسول الله ﷺ كان جالساً مع جماعة من أصحابه فجاءه خصمان ، فقال أحدهما : يا رسول الله ، إنّ لي حمراً وإنّ لهذا بقرة ، وإنّ بقرته قتلت حماري ، فبدأ رجل من الحاضرين . على ما في الصواعق وفي غيره : فبدأ أبو بكر . فقال : لا ضمان على البهائم . وفي رواية : أنّ عمر أيضاً قال مثل ما قال أبو بكر (٢) . ، فقال النبي ﷺ . كما في جميع الروايات . : «اقض بينهما يا عليّ» ، فقال عليّ عليه السلام لهما : «أكانا مرسلين أم مشدودين أم أحدهما مشدوداً والآخر مرسلأ ؟» ، فقالا : كان الحمار مشدوداً والبقرة مرسلة وصاحبها معها ، فقال عليّ عليه السلام : «على صاحب البقرة ضمان الحمار» ، فأقرّ رسول الله ﷺ حكمه ، وأمضى قضاءه (٣) .

وفي رواية : أنّ النبي ﷺ قال : «لقد قضى عليّ عليه السلام بقضاء الله بينكما» ، ثم قال : «الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضي على سنن داؤد وسليمان في القضاء» (٤) .

(١) العمدة : ٢٥٤ / ٣٩٣ ، الفضائل لأحمد : ١٥٢ / ٢١٧ ، فضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٤٥ / ١٠٩٥ ، مسند أحمد ٥ : ٥٠٤ / ١٨٨٥٥ ، الضعفاء الكبير للعقيلي ٢ : ٢٤٤ ، المعجم الكبير للطبراني ٥ : ١٧٣ / ٤٩٩٠ ، المستدرك للحاكم ٣ : ١٣٦ ، ميزان الاعتدال ٢ : ٤١٤ / ٤٢٩٢ ، السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٢٠٨ .

(٢) الكافي ٧ : ٣٥٢ / ١ (باب : ضمان ما يصيب الدواب وما لا ضمان) ، الإرشاد ١ : ١٩٧ . ١٩٨ ، التهذيب ١٠ : ٢٢٩ / ٩٠١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٩٥ .

(٣) مطالب السؤل : ١٢٣ ، الفصول المهمة : ٣٤ . ٣٥ ، الصواعق المحرقة : ١٨٩ .

(٤) الإرشاد ١ : ١٩٨ ، نصح الإيمان : ٢٥٥ .

وكذا ما رواه هو وغيره أيضاً عن ابن حنبل ، عن حبيش مرفوعاً عن عليّ عليه السلام ، قال : إنّ قوماً في اليمن أتوا زُبَيَّةَ الأسد ، فبينا هم كذلك يتدافعون ، إذ سقط رجل فتعلّق بآخر ، ثمّ تعلّق الرجل الثاني بآخر ، حتّى صار فيها أربعة ، فجرحهم الأسد ، فانتدب له رجل بحربة فقتله ، وماتوا من جراحاتهم كلّهم ، فقام أولياء الأوّل إلى أولياء الآخر ، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا ، فأتاهم عليّ عليه السلام فقال : «أتريدون أن تقتتلوا ورسول الله حيّ ؟ إني أقضي بينكم قضاءً إن رضيتم به فهو القضاء ، وإلاّ حجزت بعضكم عن بعض حتّى تأتوا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فيكون هو الذي يقضي بينكم ، فمن عدا بعد ذلك فلا حقّ له» ، ثمّ قال : «اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الدية وثلث الدية ونصف الدية والدية كاملة ، فلأوّل الربع؛ لأنّه أهلك من فوقه ، وللثاني ثلث الدية ، وللثالث نصف الدية» ، فأبوا أن يرضوا وأتوا النبيّ صلّى الله عليه وآله وهو عند مقام إبراهيم فقصّوا عليه ، فأجازهم رسول الله صلّى الله عليه وآله ^(١).

أقول : قضاياه كثيرة جداً مشهورة في العالم ليس هذا محلّ ذكرها ؛ لاستلزامه الخروج عن المقصود ، وإن مرّ ويأتي بعضها تقريباً في مواضع ، وظاهر أنّ في هذا دلالة على الأعلميّة صريحاً ، بل الإمامة أيضاً ؛ ضرورة أنّ القضاء يحتاج إلى جميع أنواع العلوم ، فلمّا رجّحه النبيّ صلّى الله عليه وآله على الكلّ في القضاء فقد رجّحه عليهم في كلّ العلوم ، حتّى السياسات الدينيّة ، وتدبير نظام العالم ، وأمثال ذلك ممّا له مدخل في علم الحكومة والرئاسة الدينيّة ، وأيضاً إنّ القضاء والحكومة إنّما هي منازل الأنبياء ، وبعد الأنبياء الأئمّة ، فمن كان أقضى الأئمّة كان نبياة النبيّ أولى وأحقّ من غيره؛ لإحاطته

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٩٥ ، مسند أحمد ١ : ١٢٤ / ٥٧٤ ، السيرة النبويّة لابن كثير ٤ : ٢٠٩ .

بمعرفة الحقوق ، وقدرته على وضعها مواضعها ، وإقامته لحدود الله على ما فرض وأوجب ، فهذا غاية ما لا بد أن يدلّ به النبيّ أمته على من يستحقّ الولاء بعده ، ومع هذا قد حصل لعليّ عليه السلام الحكم والقضاء في حال حياة النبيّ ﷺ ولم يعيب عليه شيئاً ممّا حكم به ، بل صرح بأنّه هو الحقّ من الله تعالى ، ثمّ إنّها سنّة استمرّت بعد مضيّ النبيّ ﷺ ، بحيث رجع إلى حكمه غيره ، حتّى من تولّى الأمر بعده النبيّ ﷺ ، بحيث شهد له بأنّه أفضى الأئمة ، كما مرّ^(١) في المبحث السابق مفصّلاً ، حتّى كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو الحسن ، بل سيأتي في محله بعض القضايا التي توهم فيها غيره ، حتّى أبي بكر وعمر ، وإنّما كان عليّ هو الذي يردهم ، ولم ينقل أحد توهماً منه في قضية ، ولا رجوعاً إلى حكم أحد . ولا يخفى أنّ هذا كلّّه كالنصّ ، بل نصّ صريح لاسيّما بعد ملاحظة تحسين النبيّ ﷺ أحكامه ، وتنجيّزه ما حكم به ، كما فعل داود عليه السلام في حكم سليمان تنبيهاً على نبوّته ، حيث قال الله عزّ وجلّ : ﴿ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ * فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ﴾^(٢) الآية ، وحكايتها مشهورة ، فتأمل .

القسم الثاني : في كونه باب مدينة العلم ونحو ذلك .

روى الخطيب الخوارزمي عن مجاهد ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أنا دار الحكمة»^(٣) .

(١) راجع : ص ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٢) سورة الانبياء ٢١ : ٧٨ و ٧٩ .

(٣) العمدة : ٢٩٥ / ٤٨٨ ، كشف اليقين : ٥١ ، المناقب لابن المغازلي : ٨٧ / ١٢٩ .

وفي رواية : «أنا مدينة الحكمة وعليّ بابها ، فمن أراد الحكمة فليأت الباب»^(١) .
وروى البغويّ مرفوعاً مثله ، ورواه أبو نعيم أيضاً في الحلية ، وكذا الثعلبيّ وغيره^(٢) .
وروى الترمذيّ في صحيحه أنّ النبيّ ﷺ قال : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»^(٣) ،
ورواه البغويّ ، والحافظ أبو نعيم أيضاً ، وابن عبد البرّ في الاستيعاب^(٤) .
وروى ابن المغازليّ في كتابه «المناقب» عن جابر الأنصاري ، وكذا الثعلبيّ في تفسيره
من طريقين كليهما عن جابر ، قال : أخذ النبيّ ﷺ بعضدي عليّ ؑ . وفي بعض
رواياتهم : وذلك يوم الحديبية^(٥) . وقال : «هذا أمير البرّة ، وقاتل الكفرة ، منصور من نصره
، مخذول من خذله» ، ثمّ مدّ بها صوته فقال : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد العلم
فليأت الباب»^(٦) .

وفي الكتابين : عن حذيفة عن عليّ ؑ ، قال : قال رسول الله ﷺ :

-
- (١) كشف اليقين : ٥١ ، تاريخ بغداد ١١ : ٢٠٤ / ٥٩٠٨ ، المناقب لابن المغازليّ : ٨٦ / ١٢٨ .
(٢) مصابيح السنّة ٤ : ١٧٤ / ٤٧٧٢ ، الأربعين للشيرازيّ : ٤٤٤ ، حلية الأولياء ١ : ٦٤ ، مطالب
السؤال : ٩٨ .
(٣) كشف اليقين : ٥١ ، سنن الترمذيّ ٥ : ٦٣٧ / ٣٧٢٣ ، مطالب السؤال : ٩٨ .
(٤) معرفة الصحابة ١ : ٣٠٨ / ٣٤٦ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٢ .
(٥) تاريخ بغداد ٢ : ٣٧٧ / ٨٨٧ ، المناقب لابن المغازليّ : ٨٤ / ١٢٥ ، كفاية الطالب : ٢٢١ .
(٦) إحقاق الحقّ ٤ : ٣٧٦ ، الأربعين للشيرازيّ : ٤٤٤ ، المناقب لابن المغازليّ : ٨٠ / ١٢٠ .

«أنا مدينة العلم وعليّ باهما ، ولا تؤتى البيوت إلّا من أبوابهما»^(١) .
وفي رواية أخرى فيهما أيضاً عن عليّ عليه السلام ، قال النبي صلى الله عليه وآله : «يا عليّ ، أنا المدينة وأنت الباب ، كذب من زعم أنّه يصل إلى المدينة إلّا من الباب»^(٢) .
وفي مناقب ابن المغازليّ : عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أتاني جبرئيل بدرانوك من الجنّة فجلست عليه ، فلمّا صرت بين يدي ربيّ كلمني وناجاني ، فما علمت شيئاً إلّا علّمته عليّاً ، فهو باب مدينة علمي»^(٣) ، الخبر .
وفي تفسير الثعلبيّ : عن ابن عباس أيضاً قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : «أنا مدينة العلم وعليّ باهما ، فمن أراد العلم فليأت الباب»^(٤) .
وفيه عنه أيضاً ، قال : قال النبي صلى الله عليه وآله : «أنا مدينة الجنّة وعليّ باهما ، فمن أراد الجنّة فليأتها من باهما»^(٥) .
وقد روى الخبر الأوّل من هذين الخبرين عن أبي معاوية^(٦) ، عن

(١) العمدة : ٣٥٥ / ٥٠٥ ، الأربعين للشيرازيّ : ٤٤٤ ، المناقب لابن المغازليّ : ٨١ / ١٢٢ .

(٢) الأربعين للشيرازيّ : ٤٤٤ ، المناقب لابن المغازليّ : ٨٥ / ١٢٦ .

(٣) إحقاق الحقّ ٤ : ٢٥٨ ، المناقب لابن المغازليّ : ٥٠ / ٧٣ .

(٤) الأربعين للشيرازيّ : ٤٤٤ .

(٥) الأربعين للشيرازيّ : ٤٤٤ ، المناقب لابن المغازليّ : ٨٦ / ١٢٧ .

(٦) هو محمّد بن خازم التميميّ السعديّ ، يكنّى أبا معاوية ، الكوفيّ ، كان أثبت أصحاب الأعمش بعد سفيان وشعبة ، وقيل : كان رئيس المرجئة بالكوفة .

روى عن : يحيى بن سعيد الأنصاريّ ، والأعمش ، وسهيل ، وغيرهم ، وروى عنه : ابنه إبراهيم ، وأحمد بن يونس ، وأحمد بن حنبل ، وغيرهم .

ولد سنة ١١٣ هـ ، ومات سنة ١٩٤ هـ ، وقيل : سنة ١٩٥ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ٣٩٢ ، المعارف لابن قتيبة : ٥١٠ ،

مجاهد ، عن ابن عباس أيضاً الحاكم في مستدركه ، والطبراني في كتابه الكبير ، والخوارزمي في مناقبه ، وكذا ابن حبان وغيرهم^(١) . وسيأتي في محله ما يدل أيضاً على أنّ هذا الحديث مما كتبه عمرو بن العاص إلى معاوية في مناقب عليّ عليه السلام ، وأنّه كان مسلماً مشهوراً ، حتّى أنّه صرح بعض العلماء أنّ الخطيب ويحيى^(٢) روي هذا الخبر بثلاثة طرق ، وابن شاهين بأربعة ، والسمعاني^(٣) بخمسة ، وابن بطّة بستّة ، والثقفى^(٤)

تهذيب الكمال ٢٥ : ١٢٣ / ٥١٧٣ ، سير أعلام النبلاء ٩ : ٧٣ / ٢٠ ، تهذيب التهذيب ٩ : ١٢٠ / ١٩٢ ، النجوم الزاهرة ٢ : ١٤٨ .

(١) المستدرک للحاکم ٣ : ١٢٧ ، المعجم الكبير للطبراني ١١ : ٦٥ ، المناقب للخوارزمي ٨٣ : ٩ ، كتاب المجروحين لابن أبي حاتم ١ : ١٣٠ .

(٢) هو يحيى بن معين بن عون بن زيد بن بسطام ، يكتب أبو زكريّا ، مؤرخ ، ومن كلامه : كتبت بيدي ألف ألف حديث . وكان والده من نبلاء الكتاب ، فمات ، وخلف ليحيى ابنه ألف ألف درهم ، وليحيى كتب منها : التاريخ ، والعلل ، ومعرفة الرجال ، والكنى والأسماء . ولد سنة ١٥٨ هـ ، ومات سنة ٢٣٣ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ : ٣٥٤ ، تاريخ بغداد ١٤ : ١٧٧ / ٧٤٨٤ ، وفيات الأعيان ٦ : ١٣٩ / ٧٩١ ، سير أعلام النبلاء ١١ : ٧١ / ٢٨ .

(٣) في الأصل : «والنعماني» ، والصحيح ما أثبتناه ، وهو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني المروزي ، يكتب أبو سعيد ، مؤرخ ، رحل إلى بلاد كثيرة ، ولقي العلماء والمحدثين ، وأخذ عنهم وأخذوا عنه ، له كتب منها : الأنساب ، وتاريخ مرو ، وتذييل تاريخ بغداد . ولد سنة ٥٠٦ هـ بمرو ، ومات سنة ٥٦٢ هـ .

انظر : المنتظم ١٨ : ١٧٨ / ٤٢٦٩ ، سير أعلام النبلاء ٢٠ : ٤٥٦ / ٢٩٢ ، مرآة الجنان ٣ : ٢٧٩ ، الأعلام للزركلي ٤ : ٥٥ .

(٤) هو إبراهيم بن محمد بن سعيد بن هلال الثقفي ، يكتب أبو إسحاق ، أصله كوفي ، انتقل منها إلى إصفهان وأقام بها ، وكان زيدياً أولاً ثم انتقل إلى القول بالإمامة ، له

بسبعة ، وأحمد بثمانية^(١) .

وكذا حديث : «أنا دار الحكمة» صاحب كتاب فتح الطالب من طرق كثيرة جداً^(٢) .

وقال الحاكم في مستدركه : إنه صحيح الإسناد ، ولم يخرجه البخاري ومسلم^(٣) .
وروى الديلمي في مسنده . كتاب الفردوس . عن أبي ذر عن النبي ﷺ ، قال :
«علي باب علمي ، ومبين لأمتي ما أرسلت به من بعدي»^(٤) ، الخبر .
وسأني في القسم الآتي قول النبي ﷺ لأُم سلمة : «علي عيبة علمي وبأي الذي
أوتي منه»^(٥) .
وسأني في الفصل الخامس قول علي عليه السلام : «أنا [باب^(٦)] مدينة العلم وخازن علم
رسول الله ووارثه»^(٧) .

كتب كثيرة منها : الغارات ، والمغازي ، والمعرفة .
توفي سنة ٢٨٣ هـ .

انظر : الفهرست للطوسي : ٣٦ / ٧ ، تنقيح المقال ١ : ٣١ / ١٨٦ ، معجم الأدباء ١ : ٢٣٢ ،
الوافي بالوفيات ٦ : ١٢٠ / ٢٥٥٤ .
(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٢ ، الصراط المستقيم ٢ : ٢٠ - ٢١ ، الأربعين للشيرازي : ٧٩ ، تاريخ
بغداد ٢ : ٣٧٧ / ٨٧٧ ، ٤ : ٣٤٨ / ٢١٨٦ ، ٧ : ١٧٣ / ٣٦١٣ ، ١١ : ٤٨ / ٥٧٢٨ ، الأنساب
للسمعاني ٥ : ٦٣٧ .
(٢) نقله عنه ، الحر العاملي في إثبات الهداة ٢ : ٢٧٠ / ٤٠٩ .
(٣) المستدرک للحاكم ٣ : ١٢٦ .
(٤) فردوس الأخبار ٣ : ٩١ / ٤٠٠٠ .
(٥) علل الشرائع : ٦٤ / ٣ باب ٥٤ ، ضمن الحديث ، الصراط المستقيم ٢ : ١٠ .
(٦) زيادة من المصدر .
(٧) معاني الأخبار : ٥٨ / ٩ ، ضمن الحديث .

وقد نقل بعضهم : أنّ أعرابياً دخل المسجد فسلم على عليّ عليه السلام قبل النبيّ صلى الله عليه وآله ، فضحك الحاضرون ، فقال : سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها ، فمن أراد المدينة فليأت الباب» ، فقد فعلتُ كما أمر^(١) .

وحكى محمد بن طلحة عن بعض الشافعية أنّه قال : إنّ أعرابياً قال للرسول صلى الله عليه وآله : طمش طاح فغادر شبلاً لمن النشب ؟ فقال صلى الله عليه وآله : «النشب للشبل مميطاً» ، فدخل عليّ عليه السلام فذكر النبيّ صلى الله عليه وآله لفظ الأعرابيّ ، فأجاب بما أجاب به النبيّ صلى الله عليه وآله ، فقال : «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»^(٢) .

وروى أبو المكارم في أربعينه ، والديلمي في مسنده عن ابن عباس ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «أنا ميزان العلم ، وعليّ كفتاه ، والحسن والحسين خيوطه ، وفاطمة علاقتة ، والأئمة عموده ، يوزن^(٣) به أعمال المحبين والمبغضين لنا»^(٤) .

أقول : قال البغويّ في كتاب «المصابيح» في وجه تخصيص النبيّ صلى الله عليه وآله العلم بالمدينة ، والدار بالحكمة : أنّه لما كان العلم أوسع أنواعاً ، وأبسط فنوناً ، وأكثر شعباً ، وأعمّ نفعاً من الحكمة خصّص الأعمّ بالكبر ، والأخصّ بالأصغر .

ثمّ قال : وفي قول النبيّ صلى الله عليه وآله ذلك إشارة إلى كون عليّ عليه السلام نازلاً من العلم والحكمة منزلة الباب من المدينة ، والباب من الدار؛ لكون الباب

(١) الصراط المستقيم ٢ : ١٩ - ٢٠ .

(٢) نقله عنه البيهقيّ في الصراط المستقيم ٢ : ٢٠ ، ولم نثر عليه في كتابه .

(٣) في النسخ : «يزنون» ، وما أثبتناه من المصدر .

(٤) فردوس الأخبار ١ : ٧٧ / ١١٠ ، ونقله عن أبيالمكارم ، الشيرازيّ في الأربعين : ٤٣٩ .

حافظاً لما هو داخل المدينة وداخل الدار من تطرّق الضياع إليه ، واعتداء يد الخائن عليه .
فمعنى الحديث : أنّ عليّاً حافظ العلم والحكمة ، فلا يخاف معه عليهما من الضياع
والذهاب ^(١) .

أقول : هذا ، مع ظهور ما ينادي به متن الحديث أيضاً ، بل إنّما هو العمدة في
التعبير بالباب والتشبيه به وإن تغافل القوم عنه ، من أنّ طريق الوصول إلى الشيء إنّما يكون
من الباب ، بل الوصول إليه من غيره من أفعال الخائنين والمفسدين ، كما نصّ به في قوله
عزّجَل : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ
أَبْوَابِهَا ﴾ ^(٢) فعلى هذا ، يكون الحديث صريحاً في حصر وجوب أخذ علوم النبي ﷺ من
عليّ عليه السلام بعده .

وقد بيّنا أنّ مثل هذا يجب أن يكون مرجع الأمة ونائباً عن النبي ﷺ ، وهو المراد
بالإمام ، ولا أقلّ من الدلالة على كونه أفضل الأمة؛ لقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ
يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٣) ، الآية ، وقوله : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ
يُهْدَى ﴾ ^(٤) الآية ، وأمثالهما .

وإذا عرفت هذا ، فاعلم أنّ جمعاً من أهل الضلال اضطربوا في هذا الحديث لما فيه
من الدلالة الواضحة ، فشرع بعضهم - كابن الجوزي وغيره -

(١) نقله عنه محمد بن طلحة في مطالب السؤول : ٩٨ ، بتفاوت يسير ، ولم نعثر عليه في المصابيح .

(٢) سورة البقرة ٢ : ١٨٩ .

(٣) سورة الزمر ٣٩ : ٩ .

(٤) سورة يونس ١٠ : ٣٥ .

في تكذيبه^(١) ، كما هو دأبهم .

فمنهم من قال : إنّه موضوع وكذب لا أصل له .

ومنهم من قال : إنّه منكر .

ومنهم من قال : إنّه مضطرب غير ثابت .

ومنهم من صحّحه ، فقال : قد أخطأ من كذّبه ؛ لتعدّده أوّلاً ، ولصحّة بعض أسانيده ثانياً ، منها رواية ابن عبّاس ، فإنّ أبا معاوية ثقة ، حافظ ، محتجّ بإفراده ، ثمّ قال : وليس فيه من الألفاظ المنكرة التي تأباه العقول^(٢) .

وقد ذكرنا ما نقل عن الحاكم في مستدرّكه ، وطعنه على البخاريّ^(٣) .

أقول : ومع هذا كلّ مؤيّد بغيره من الأخبار الكثيرة الآتية المشتملة على ما هو أصرح من مضمونه ، وإنّما أصل سبب اضطراب القوم ما ذكرناه لا غير ؛ ولهذا زاد بعضهم فيه قبل المكذّبين ما يكون نافعا لهم ، فنقله هكذا كما في كتاب «الفردوس» ، وغيره عن ابن مسعود : «أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعليّ بابها»^(٤) ، وعن أنس : «أنا مدينة العلم ، وعليّ بابها ، ومعاوية حلقتها»^(٥) !

ولعمري إنّ المنكر هاهنا كما صرّح به بعضهم أيضاً ، حتّى قال : إنّ ألفاظه أكثرها ركيكة^(٦) ؛ إذ من الواضحات أوّلاً أنّ المدينة لا سقف لها ، ولو تكلف بالحمل على سقوف الأسواق وأمثالها . ولو بالتزام حرازة أفراد

(١) الموضوعات لابن الجوزي ١ : ٣٥٣ ، المقاصد الحسنة : ١٢٣ - ١٢٤ .

(٢) انظر لجميع هذه الأقوال : المقاصد الحسنة : ١٢٤ / ١٨٩ .

(٣) راجع : ص ١٩٧ .

(٤) فردوس الأخبار ١ : ٧٦ / ١٠٨ ، المقاصد الحسنة : ١٢٤ / ١٨٩ .

(٥) فردوس الأخبار ١ : ٧٧ / ١١١ ، المقاصد الحسنة : ١٢٤ / ١٨٩ .

(٦) المقاصد الحسنة : ١٢٤ .

السقف حينئذٍ ، أو توجيهه ولو بعيداً . لا فائدة معتدّاً بها في ذكره كالباب ، بل لا معنى حسن له ، كما هو ظاهر على كلّ ذي ذوق سليم ، ثم إنّ كون أبي بكر أساسها أشنع؛ ضرورة أنّ أساس علم النبي ﷺ كتاب الله ، والوحي ، والإلهام ونحو ذلك . حتّى أنّه من أوضح الواضحات أنّ أبا بكر كان قاصراً في العلميّة؛ بحيث لم يكن يعلم معنى «الأب» في قوله تعالى : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ﴾ ^(١) ومع هذا لم يترتب على وجوده ترويح شيء من أنواع العلوم النبويّة فضلاً عن الجميع ، بل لم يكن له مدخل في شيء من هذا القبيل ، وإنّما كان مداره في تلك المدّة القليلة على السؤال من الصحابة والعمل عليه ، كما هو معلوم من نقل أحواله . حتّى أنّه كان سبب ضياع كتاب الله ، حيث لم يتوجّه ، بل لم يقبل ما جمعه عليّ رضي الله عنه ، بأمر النبي ﷺ ، فبقي متفرّقاً ، حتّى قُتل كثير من القرّاء ، وضاع ما عندهم ، فأراد عمر أن يجمع البقيّة وشرع في الجمع ، حتّى مات في الأثناء ، فتركه عثمان ، وجمع هذا القرآن المتداول على نهج إرادته ، وذهب منه ما ذهب كثيراً ، حتّى باعتراف القوم وصريح أخبارهم .

نعم ، حيث كان هو سبب وصول الحكومة إلى عمر الحائط وعثمان السقف ، كان هو أساس حكمها ، فإن كان يجوز في عقل عاقل أنّ المراد بالعلم هذا الحكم فهو الأساس ، حتّى أنّ كون عمر حائطاً ، وعثمان سقفاً يدلّ على أنّه لا ينبغي إرادة الوصول إلى العلم منهما ، فإنّه هو معنى إتيان البيت من ظهره لا من بابه .
وأما جعل معاوية حلقةً ، فمما تضحك منه التكلّي ، وكأنّ هذه

(١) سورة عبس ٨٠ : ٣١ .

الأخبار من موضوعات عهد معاوية ؛ إذ الظاهر أنّه حيث لم يمكنهم إنكار أصل الحديث لزيادة شهرته ، زادوا فيه تلك الزيادات ، والحمد لله الذي أظهر الحقّ وأزهد الباطل . ولهذا لما أدرك بعضٌ منهم قباحة الإنكار وشناعة الزيادة ، شرع في تحريف المعنى ، فقال : ليس المراد في الحديث عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، بل المراد المعنى اللغويّ ، أي : باهما عالٍ .

والذي عرف قبح جميع ذلك ، ولم يمكنه غير الاعتراف بالحديث قال : إنّ هذا وأمثاله لا يقدح في إجماع أهل السُنّة على كون أبي بكر وعمر أفضل ، وأنّهما الإمامان لعليّ بحيث كان يجب عليه إطاعتهما ^(١) .

فانظر إلى أين وصلت الحميّة الجاهليّة منهم ؛ بحيث لم يدركوا لأهل بيت نبيّهم فضائل ولا مدحاً إلّا داروا حوله لكي يدخلوا فيه قدحاً ، فافهم .

القسم الثالث : فيما يدلّ على كونه مختصّاً بتعليم النبيّ صلى الله عليه وآله إياه علوماً غزيرة كثيرة لم تكن عند غيره .

روى الخطيب الخوارزمي في مناقبه بإسناده عن سليمان الأحمسي ^(٢) عن أبيه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : «والله ، ما نزلت آية إلّا وقد علمت فيم نزلت وأين أنزلت» ^(٣) .

وفي رواية زيادة قوله : «وعلى من نزلت ، وقد أقرّانيها رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) انظر: المقاصد الحسنة : ١٢٤ / ١٨٩ .

(٢) في النسخ : «سليمان بن الأحمسي» وما أثبتناه من المصدر ، ولم نعثر على ترجمته .

(٣) حلية الأولياء ١ : ٦٧ - ٦٨ ، المناقب للخوارزمي : ٩٠ / ٨١ .

وعلمني تأويلها ، إنّ ربّي وهب لي قلباً عقولاً ولساناً سؤلاً»^(١) .
وفي رواية : «ولساناً ناطقاً»^(٢) .

وروى جماعة ، منهم : الغزاليّ ، وابن أبي الحديد ، والشعبيّ ، وغيرهم عن زاذان^(٣)
وغيره ، عن عليّ بن أبي حمزة أنّه سمعه يقول : «لو تُنبت لي الوسادة لحكمت بين أهل التوراة
بتوراتهم ، وأهل الإنجيل بإنجيلهم ، ولأهل الزبور بزبورهم ، ولأهل الفرقان بفرقانهم»^(٤) .
وفي رواية بعضهم : «حتّى ينطق كلّ كتاب ، فيقول : صدق عليّ ، لقد أفتاكم بما
أنزل الله فيّ ، وأنتم تتلون القرآن ليلاً ونهاراً ، فهل فيكم أحد يعلم ما أنزل الله فيه ؟ ووالله ،
ما من رجل من قريش إلّا وقد نزلت فيه الآية ، أو الآيتان»^(٥) ، الخبر .

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ٣٣٨ ، حلية الأولياء ١ : ٦٧ - ٦٨ ، المناقب للخوارزميّ : ٩٠ / ٨١ .

(٢) فرائد السمطين ١ : ٢٠١ ، الصواعق المحرقة : ١٩٧ .

(٣) يكتفى أبا عمر الكنديّ ، أحد العلماء الكبار ، سمع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وعبدالله بن مسعود ،
وعبدالله بن عمر ، وروى عنه : ذكوان ، وعبدالله بن السائب ، وعمرو بن مُرّة ، وغيرهم .
مات سنة ٨٢ هـ .

انظر : الطبقات لابن سعد ٦ : ١٧٨ ، تاريخ بغداد ٨ : ٤٨٧ / ٤٦٠ ، سير أعلام النبلاء ٤ :

٢٨٠ / ١٠٢ .

(٤) الدرّ النظيم : ٢٦٢ ، إحقاق الحقّ ٧ : ٥٨٠ ، الرسالة الدنيّة للغزاليّ : ١٠٦ ، تذكرة الخواصّ : ٢٥ ،
شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢ : ١٩٧ ، فرائد السمطين ١ : ٣٣٨ / ٢٦١ .

(٥) لم نعثر عليه بهذه العبارة ، بل وردت متفرقة ، انظر : فرائد السمطين ١ : ٣٤٠ / ٢٦٢ و ٢٦٣ .

وروى الخوارزمي بإسناده عن الأعمش عن عمرو بن مرة^(١) عن أبي البختري قال :
رأيت علياً عليه السلام صعد المنبر بالكوفة ، وعليه مدرعة كانت لرسول الله متقلداً سيف رسول
الله متعمماً بعمامة رسول الله وفي إصبعه خاتم رسول الله صلى الله عليه وآله فقعده على المنبر ، وكشف
عن بطنه ، فقال : «سلوني من قبل أن تفقدوني ، فإنما بين الجوانح مني^(٢) علم جم ، هذا
سقط^(٣) العلم ، هذا لعاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، هذا ما زقني رسول الله صلى الله عليه وآله زقاً ، من غير
وحي أوحى إلي . فوالله ، لو ثنيت لي وسادة فجلست عليها ، لأفتيت أهل التوراة بتوراتهم ،
وأهل الإنجيل بإنجيلهم ، حتى يُنطق الله التوراة والإنجيل ، فيقول : صدق علي ، قد أفتاكم بما
أنزل الله في ، وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون ؟ »^(٤) .

(١) في النسخ : «عمر بن مرة» ، وما أثبتناه من مصادر الترجمة ، وهو عمرو بن مرة ابن عبد الله بن طارق بن
الحارث ، يكنى أبا عبد الله ، وكان مرجئاً ، روى عن : إبراهيم النخعي ، وعبد الله بن سلمة ، وأبي البختري ،
وغيرهم ، وروى عنه : الأعمش ، وإدريس بن يزيد ، والثوري ، وغيرهم .

مات سنة ١١٦ هـ ، وقيل : سنة ١١٨ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ٣١٥ ، تهذيب الكمال ٢٢ : ٢٣٢ / ٤٤٤٨ ، تاريخ
الإسلام (حوادث ١٠١ . ١٢٠) : ٤٣٥ / ٥١٩ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٩٦ / ٧٤ ، تهذيب التهذيب ٨ :
٨٩ / ١٦٣ ، شذرات الذهب ١ : ١٥٢ .

(٢) في النسخ : «من» ، وما أثبتناه من المصادر .

(٣) السقط . محرّكة . : واحد الأسفاط التي يعي فيه الطيب ونحوه ، ويُستعار للتأبوت الصغير .

انظر : مجمع البحرين ٤ : ٢٥٣ . سقط . .

(٤) كشف اليقين : ٥٦ . ٥٥ ، إحقاق الحق ٧ : ٦١٤ . ٦١٥ ، المناقب للخوارزمي : ٩١ / ٨٥ ، مقتل
الخوارزمي ١ : ٤٤ ، فرائد السمطين ١ : ٣٤٠ / ٢٦٣ .

وبإسناده عن أبي الطفيل^(١) ، قال : قال عليّ عليه السلام : «سلوني عن كتاب الله ، فإنه ليس من آية إلا وقد عرفتُ بليل نزلت أو بنهار ، أم في سهل أم في جبل»^(٢) .

وروى الخوارزمي ، والحافظ أبو نعيم في الحلية وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : «يا عليّ ، إن الله عزَّ وجلَّ أمرني أن أدنِّيك وأعلِّمك لتعي»^(٣) الخبر ، وسيأتي تماماً مع غيره في فصل بيان الآيات في قوله : ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٤) ، وكذا يأتي هناك ما يدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام هو من عنده علم الكتاب ، ونحو ذلك .

وفي كتاب سليم بن قيس الهلاليّ : عن المقداد أنّه قال في حديثٍ طويل عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال لعليّ عليه السلام : «إني ما سألت الله الليلة شيئاً لنفسي إلا سألت لك مثله ، فأعطاني» ، ثم ذكر أشياء ، منها : أنّه قال : «سألت الله أن يجعلك وصيّي ، ووارثي ، وخازن علمي ، ففعل»^(٥) ، وسيأتي في القسم الخامس ما يدلّ على أنّ عمدة المراد بالإرث علم الكتاب والسنة .

(١) هو عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو بن جحش ، كنيته أبو الطفيل ، وكان من شيعة الإمام عليّ عليه السلام ، أدرك رسول الله صلى الله عليه وآله ، وقيل : كان حامل راية المختار لما ظهر بالعراق ، وحارب قتلة الحسين عليه السلام .

مات سنة ١٠٠ هـ ، وقيل : سنة ١٠٧ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ٦٤ ، المعارف لابن قتيبة : ٣٤١ ، تهذيب الكمال ١٤ : ٧٩ :

/ ٣٠٦٤ ، سير أعلام النبلاء ٣ : ٤٦٧ / ٩٧ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٧١ / ١٣٥ .

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ٣٣٨ ، المناقب للخوارزمي : ٩٤ / ٩٢ ، ذخائر العقبى : ١٥١ .

(٣) المناقب للخوارزمي : ٢٨٢ / ٢٧٦ ، حلية الأولياء ١ : ٦٧ ، فرائد السمطين ١ : ٢٠٠ .

(٤) سورة الحاقة ٦٩ : ١٢ .

(٥) كتاب سليم بن قيس ٢ : ٨١٤ . ٨١٥ .

وروى الخوارزمي ، وابن عدي ، عن ابن عباس ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : «علي عيبة علمي»^(١) .

وروى الحافظ أبو نعيم في حليته عن أم سلمة ، أنه قال : «علي عيبة علمي ، وبابي الذي أوتي منه»^(٢) ، الخبر .

ورواه الخوارزمي أيضاً عنها : أن النبي ﷺ قال في حديث له : «يا أم سلمة ، هذا علي عيبة علمي ، وولي من بعدي ، فاسمعي واشهدي»^(٣) الخبر ، ورواه ابن خالويه^(٤) في حديث له عن أم سلمة أيضاً عنه ﷺ ، كما سيأتي في فصل الوصية .

ويأتي في الوصية أيضاً : عن ابن مردويه ، وغيره ، عن أم سلمة أنها قالت : رأيت النبي ﷺ وعلياً علياً يتساران طويلاً ، فلما ذهب عليّ علياً قال لي النبي ﷺ : «أتاني جبرئيل من الله يأمرني أن أوصي علياً علياً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة ، ففعلت»^(٥) .

وقد مرّ في القسم السابق عن النبي ﷺ قوله : «ما علمت شيئاً إلاّ

(١) المناقب للخوارزمي : ٨٦ / ٧٧ ، الكامل لابن عدي ٥ : ١٦١ / ٧٠٠ . ٩٥٠ .

(٢) لم نعثر عليه في حلية الأولياء .

(٣) المناقب للخوارزمي : ١٤٢ / ١٦٣ ، بتفاوت يسير .

(٤) هو الحسين بن أحمد بن خالويه ، يكنى أبا عبدالله ، اللغويّ النحويّ ، من كبار أهل اللغة والعربية ، أصله من همدان ، دخل بغداد فلقي فيها أكابر العلماء ، وأخذ عنهم ، وانتقل إلى الشام ، ثمّ إلى حلب فاستوطنها ، له كتب ، منها : كتاب القراءات ، وإعراب ثلاثين سورة ، والمذكر والمؤنث ، وغيرها . مات سنة ٣٧٠ هـ .

انظر : إنباه الرواة ١ : ٣٥٩ / ٢١٦ ، معجم الأدباء ٩ : ٢٠٠ / ٢١ ، وفيات الأعيان ٢ : ١٧٨ /

١٩٤ ، بغية الوعاة ١ : ٥٢٩ / ١٠٩٩ .

(٥) المناقب للخوارزمي : ١٤٦ / ١٧١ ، بتفاوت .

علّمته عليّاً عليه السلام «^(١) ، الخبر .

وقد مرّ في المبحث الأوّل قول معاوية : كان النبيّ صلى الله عليه وآله يغزّ عليّاً عليه السلام العلم غزّاً^(٢) .
وفي الجمع بين الصحاح الستة في باب مناقب الحسين عليه السلام ، وفي سنن أبي داود
عن عليّ عليه السلام ، قال : «كنت إذا سألت رسول الله صلى الله عليه وآله أعطيني ، وإذا سكّْتُ ابتدأني ،
وأنّ بين الدفتين علماً جمّاً» ، ورواه في الاستيعاب^(٣) أيضاً .

وفي رواية جماعة عن عبدالله بن الحسن بن الحسن (بن عليّ) ، قال : كان الوحي ينزل
على النبيّ صلى الله عليه وآله ليلاً ، فلا يصبح حتّى يُعلّمه عليّاً عليه السلام وينزل الوحي نهاراً ، فلا يمسي حتّى
يُعلّمه عليّاً عليه السلام ^(٤) .

وفي حلية الأولياء : عن ابن عبّاس ، قال : إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله عهد إلى عليّ عليه السلام
سبعين عهداً لم يعهده إلى غيره^(٥) .

وروى الثعلبيّ في كتاب العرائس ، والذهبيّ في تاريخه ، وابن عديّ في كتابه ،
والخوارزميّ في مناقبه ، وكذا غيرهم عن عبدالله بن عمر وغيره : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله دعا عليّاً
عليه السلام في مرضه ، فستره بثوبه ، وانكبّ عليه ،

(١) راجع ص ١٩٥ .

(٢) تقدم تحريجه في ص ١٥٩ ، الهامش (١) .

(٣) لم نعثر عليه في المصادر المشار إليها في المتن ، نعم روى صدر الحديث عن الصحاح وأبي داود ابن البطريق في
العمدة : ٣٤٥ ، وروى عن الاستيعاب ، الشيرازي في الأربعين : ٤٤٢ بتفاوت يسير ، وانظر : تاريخ مدينة
دمشق ١٢ : ٢٧٥ ، وكنز العمال ١٣ : ١٦١ ، ضمن حديث ٣٦٤٩٢ .

(٤) الأمالي للطوسي : ٦٢٤ / ١٢٨٩ ، وما بين القوسين لم يرد فيه .

(٥) حلية الأولياء ١ : ٦٨ .

فجعل ﷺ يناجيه فلمّا خرج قيل : يا أبا الحسن ، ماذا قال لك؟ قال : «علّمني ألف باب يفتح (لي في) كلّ باب ألف باب»^(١) .

ورواه الغزاليّ في رسالة العلم اللدنيّ^(٢) هكذا : قال عليّ عليه السلام : «إنّ رسول الله ﷺ أدخل لسانه في فمي ، فانفتح في قلبي ألف باب من العلم ، فتح لي من كلّ باب ألف باب»^(٣) .

وسياقي هذا المضمون أيضاً في ضمن حديث عن الثعلبيّ في القسم الخامس الآتي .
وقد تقدّم كثير من هذه المضامين مع ما بمعناها ، بل أصرح منها في الحديث التاسع من فاتحة هذا الكتاب ، حتّى ذكرنا هناك قوله عليه السلام : «قد كنت أدخل على رسول الله ﷺ كلّ يوم وليلة فيُخلّيني فيها ، أدور معه حيث دار ، وقد علم أصحابه أنّه لم يصنع ذلك بأحد غيري ، فربّما كان يأتيني في بيتي ، ولم تقم إذا عنيّ فاطمة عليها السلام ولا أحد من بنيّ ، وكنت إذا سألته أجابني ، وإذا سكّْتُ عنه ابتدأني ، فما نزلت عليه آية من القرآن إلّا أقرأنيها وأملاها عليّ ، فكتبتها بخطّي ، وعلّمني تأويلها وتفسيرها ، وناسخها ومنسوخها ، ومحكمها ومتشابهها ، ودعا الله لي أن يعطيني فهمها وحفظها ، فما نسيت آية ، ولا علماً أملاه عليّ وكتبته منذ دعا الله لي بما

(١) قصص الأنبياء للثعلبيّ : ٤١٣ ، بتفاوت ، تاريخ الإسلام (حوادث ١٧١ . ١٨٠) : ٢٢٤ ، الكامل لابن عديّ ٣ : ٣٨٩ ، المجروحين لابن حبان ٢ : ١٤ ، العلل المتناهية ١ : ٢٢١ ، ميزان الاعتدال ١ : ٦٢٤ ذيل رقم ٢٣٩٢ ، وفي المصادر عن عبدالله بن عمرو ، ولم نعثر عليه في مناقب الخوارزمي ، وما بين القوسين من المصدر .

(٢) لم ترد كلمة «اللدنيّ» في «م» .

(٣) الرسالة اللدنيّة ضمن (مجموعة رسائل الغزاليّ) : ١٠٦ ، بتفاوت يسير .

دعا ، وما ترك شيئاً مما علّمه الله من حلال أو حرام ، أو أمر أو نهي كان أو يكون ، ولا كتاب منزل على أحد قبله إلاّ علّمنيه وحفظته ، فلم أنسَ حرفاً واحداً»^(١) الخبر ، وسيأتي بقيّته في الفصل الحادي عشر .

وفي رواية جماعة من أصحاب أئمة أهل البيت ، عن أبي جعفر الباقر ، عن آبائه عليهم السلام : أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال في جملة خطبته يوم الغدير : «أيّها الناس ، لا حلال إلاّ ما أحلّه الله ، ولا حرام إلاّ ما حرّمه الله ، عرّفني الله الحلال والحرام ، وأنا (أفضيت بما علّمني ربّي في)^(٢) كتابه وحلاله وحرامه ، إلى عليّ بن أبي طالب .

معاشر الناس ، ما من علم إلاّ وقد أحصاه الله فيّ ، وكلّ علم علّمته فقد أحصيته في إمام المتّقين ، وما من علم إلاّ وقد علّمته عليّاً ، وهو الإمام المبين»^(٣) الخبر .

وقد رواه من المخالفين محمد بن جرير الطبريّ في كتاب الولاية بإسناده عن زيد بن أرقم ، والباقر عليه السلام أيضاً^(٤) .

وقد مرّ في المبحث الأوّل من تفسير الثعلبيّ قول ابن مسعود بأنّ علم ظاهر القرآن وباطنه كلّ ذلك عند عليّ عليه السلام^(٥) .

(١) كتاب سليم بن قيس ٢ : ٦٢١ ، و٦٢٤ ، و٦٢٥ ، الخصال : ٢٥٧ / ١٣١ ، بحار الأنوار ٢ : ٢٣٠ / ١٣ .

(٢) بدل ما بين القوسين في «ن» هكذا : «بما ألهمني ربّي من» .

(٣) روضة الواعظين ١ : ٩٣ ، الاحتجاج للطبرسيّ ١ : ١٤٤ / ٣٢ ، اليقين لابن طاووس : ٣٥٠ ، بحار الأنوار ٣٧ : ٢٠١ / ٨٦ .

(٤) نقله عنه عن زيد بن أرقم ، البياضيّ في الصراط المستقيم ١ : ٣٠١ - ٣٠٢ .

(٥) تقدّم تحريجه في ص ١٦٤ .

وسياقي في المبحث الثالث من هذا الفصل ما يدل على وجوه علوم عليّ وذريته الأئمة
عليهم السلام ، وأنّ عندهم كتاب الجامعة في جميع الأحكام بخطّ عليّ عليه السلام وإملاء النبي صلى الله عليه وآله ،
وكذا مصحف فاطمة عليها السلام والجفر ، وغيرها .

وفي مناقب الخوارزمي ، وغيره بأسانيد كثيرة ، كما سياقي في محله : عن ابن عباس ،
وغيره ، قال : لما نزلت ﴿ وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَأَعْيَةٌ ﴾^(١) قال النبي صلى الله عليه وآله : «سألت الله تعالى أن
يجعلها أذن عليّ عليه السلام» ، فقال : قال عليّ عليه السلام : «ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً
إلا حفظته ووعيته ولم أنسه»^(٢) .

وفي رواية : قال النبي صلى الله عليه وآله : «فما سمع عليّ عليه السلام شيئاً بعده إلا حفظه»^(٣) ،
وسياقي مفصلاً .

وفيه : عن عُليّ بن رباح^(٤) ، قال : جمع القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله عليّ بن
أبي طالب وأبي بن كعب^(٥) .

وفيه أيضاً : عن عبد خير ، عن عليّ عليه السلام قال : «لما قبض رسول

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٢ .

(٢) أنساب الأشراف ٢ : ٣٦٣ ، تفسير الطبري ٢٩ : ٣٥ ، تفسير الثعلبي ١٠ : ٢٨ ، تفسير الماوردي ٦ :
٨٠ ، المناقب للخوارزمي : ٢٨٢ / ٢٧٧ ، و ٢٨٣ / ٢٧٨ .

(٣) مناقب ابن شهر آشوب ٣ : ٩٥ ، نهج الإيمان : ٥٥٢ ، الصراط المستقيم ٢ : ٦٦ .

(٤) هو عُليّ بن رباح بن قصير بن قشيب ، يكنى أبا موسى ، وكان اسمه عليّاً لكنه صُغّر ، قيل : كانت بنو أميّة
إذا سمعوا بمولود اسمه عليّ قتلوه ، فبلغ ذلك رباحاً ، فعبر اسمه ، فقال : هو عُليّ ، كان من كبار علماء التابعين ،
حدّث عنه : حميد بن هاني ، وابنه موسى بن عُليّ ، وغيرهما .
مات سنة ١١٤ هـ ، وقيل : ١١٧ هـ .

انظر : الثقات لابن حبان ٥ : ١٦١ ، تهذيب الكمال ٢٠ : ٤٢٦ / ٤٠٦٧ ، تاريخ الإسلام
(حوادث ١٠١ . ١٢٠) : ٤٢٧ / ٥٠٥ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ١٠١ / ٣٥ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٨٠ /
٥٤١ .

(٥) شواهد التنزيل : ٢٥ / ٢٢ ، المناقب للخوارزمي : ٩٣ / ٩١ .

الله ﷺ أقسمت أن لا أضع ردائي عن ظهري حتى أجمع ما بين اللوحين ، فما وضعت ردائي حتى جمعت القرآن»^(١) .

وسياقي في المبحث الثالث من الفصل الرابع قول النبي ﷺ : «إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»^(٢) الخبر .
وظاهر أنه لا يكون إلا بتعليم النبي ﷺ إياه التأويلات ، كما ظهر من الأخبار التي مرّت آنفاً .

ثم لا يخفى أن هذا يدلّ صريحاً على ما ذكره كمال الدين ابن طلحة من وجود رابطة تامة^(٣) بين النبي ﷺ وبين عليّ عليه السلام ، ليست بين غيرهما ، لا سيما في كمال العلم ، قال : ولذا قال الشافعي : أخذ المسلمون السيرة في قتال المشركين من النبي ﷺ ، وفي قتال البغاة من عليّ عليه السلام^(٤) ، فافهم .

وفي نهج البلاغة من جملة خطبة له : «والله ، لو شئت أن أخبر كلّ رجل منكم بمخرجه ومولجه وجميع شأنه لفعلت ، ولكن أخاف أن تكفروا فيّ برسول الله ﷺ ، ألا ، وإنيّ مُفضّيه إلى الخاصّة ممّن يؤمن ذلك منه»^(٥) .

أقول : وقد نقل جماعة : أنه علّم بعض تلك العلوم رشيد الهجريّ^(٦) ،

(١) مناقب ابن شهر آشوب ٢ : ٥١ ، حلية الأولياء ١ : ٦٧ ، المناقب للخوارزمي : ٩٤ / ٩٣ .

(٢) نوادر المعجزات : ١٣٣ / ١ ، دلائل الإمامة : ٢٣٦ ، الإرشاد للمفيد ١ : ١٨٠ ، الأمان لابن طاووس : ٦٩ .

(٣) لم ترد كلمة : «تامة» في «م» .

(٤) مطالب السؤل : ١٠٤ بتفاوت ، يسير .

(٥) نهج البلاغة : ٢٥٠ الخطبة ١٧٥ .

(٦) هو رشيد الهجريّ . رشيد بضمّ الراء مصغراً ، والهجريّ بفتح الهاء والجيم . من أصحاب أمير المؤمنين ، والحسن ، والحسين عليهما السلام ، ثقة ، لا شبهة في جلالته ،

وميثم التّمّار^(١)، وحبيب بن مظاهر^(٢)، وبعضاً آخر، حتّى إنّ هؤلاء أخبروا بعده بأشياء مذكورة في كتب من نقل أحوالهم.

وفي الصواعق: من كتاب ابن سعد عن عليّ عليه السلام، أنّه قيل له: ما لك أنت أكثر أصحاب رسول الله ﷺ حديثاً وعلماً؟ قال: «إني كنت إذا سألتُ

وكونه من أهل العلم بالبلايا والمنايا، امتحن الله قلبه للإيمان، ورزقه ملكة عاصمة عن مخالفة الرحمن، والأخبار الناطقة بفضله وجلالته فوق حدّ الاستفاضة، منها: ما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «يا رُشيد، كيف صبرك إذا أرسل إليك دعيّ بني أميّة فقطع يديك ورجليك ولسانك؟». . .».

انظر: رجال الكشي: ١٤٨ / ١٣١ و ١٣٢، الاختصاص: ٧٧، الرجال لابن داود: ٩٥ / ٦١٥، الخلاصة: ٧٢ / ٥، تنقيح المقال ١: ٤٣١ / ٤١٠٦، أعيان الشيعة ٧: ٦.

(١) هو ميثم بن يحيى التّمّار، من أصحاب أمير المؤمنين، والحسن، والحسين عليه السلام، خطيب الشيعة بالكوفة ومتكلّمها، وكان ميثم عبداً لامرأة من بني أسد فاشتراه عليّ عليه السلام منها وأعتقه وحاله في الجلالة ورفعة المنزلة وعلو الشأن وارتفاع المكان مستغن عن البيان، وهو عدل ثقة، وأيّ ثقة، بل لو كانت بين العصمة والعدالة مرتبة واسطة لأطلقناها عليه، والأخبار التي تدلّ على جلالته كثيرة.

استشهد قبل قدوم الإمام الحسين عليه السلام إلى العراق بعشرة أيّام.

انظر: رجال الكشي: ١٥٢ / ١٥٦ - ١٤٠، الاختصاص: ٧٥، الرجال لابن داود: ١٩٤ / ١٦٢٤، الخلاصة: ١٧٣، تنقيح المقال ٣: ٢٦٢ / ١٢٣٤٤، أعيان الشيعة ١٠: ١٩٨.

(٢) هو حبيب بن مظاهر الأسدي، من أصحاب أمير المؤمنين والحسن، والحسين عليه السلام، وحاله أشهر من أن يحتاج إلى بيان، أو إقامة بيّنة، أو برهان، كيف؟ وهو ممّن عنده علم المنايا والبلايا ببركة أمير المؤمنين وتعليمه عليه السلام، وهو قرين ميثم ورُشيد ونحوهما.

وله في ليلة عاشوراء مكالمات مع زينب الكبرى. سلام الله عليها. تكشف عن غاية جلالته وعظمته، وكان من السبعين الذين نصرّوا الحسين بن عليّ عليه السلام، وصبروا على البلاء حتّى قُتلوا بين يديه عليه السلام بكرّلاء.

انظر: رجال الكشي: ١٥٠ / ١٣٣، الرجال لابن داود: ٧٠ / ٣٧٨، الخلاصة: ٦١، تنقيح المقال ١: ٢٥٢ / ٢٢٧٢، أعيان الشيعة ٤: ٥٥٣.

أنبأني وإذا سكتُ ابتدأني»^(١) .

وروى أبو داؤد في صحيحه ، وكذا غيره عن زيد بن شراحيل الأنصاري^(٢) ، قال : قال رسول الله ﷺ ونحن بين يديه : «أخبروني بأفضلكم» ، فقلنا له : أنت يا رسول الله ، قال : «صدقتم ، ولكن أخبروني بأفضلكم ، إنَّ أفضلكم أقدمكم سلماً ، وأكثركم علماً ، وأعظمكم حلماً ، عليّ بن أبي طالب ، ما استودعْتُ شيئاً إلاَّ استودعته ، ولا علّمت شيئاً إلاَّ وقد علّمته ، ولا أمرتُ بشيء إلاَّ وقد أمرته به^(٣) ، ولا وُكِّلْتُ بشيء إلاَّ وقد وُكِّلته به ، ألا ، وإني قد جعلت أمر نسائي بيده وهو خليفتي عليكم بعدي فإن استشهدكم فاشهدوا له»^(٤) .

وسياقي نحو هذه الرواية عن ابن مسعود في فصل الآيات عند ذكر قوله تعالى : ﴿ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ بِأَيِّكُمْ الْمَفْتُونُ ﴾^(٥) .

وفي رواية الخوارزمي عن الصادق عليه السلام ، قال : «أهدي إلى النبي ﷺ خوخ فسأل أبا بكر وعمر وعثمان عن اسمه ، فلم يعرفوه ، فسأل عليّاً عليه السلام فقال : تسميه أهل فارس خوخاً ، فقال عمر : من أين علم عليّ تسمية أهل

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢ : ٣٣٨ ، الصواعق المحرقة : ١٨٩ .

(٢) هو زيد بن شراحيل ، أو يزيد بن شراحيل الأنصاري ، ممن سمع رسول الله ﷺ : «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فلمّا قدم أمير المؤمنين عليه السلام الكوفة نشد الناس : «من سمع : من كنت مولاه فعليّ مولاه ، من رسول الله ﷺ ؟» فأنشد له بضعة عشر رجلاً ، منهم : زيد ، أو يزيد بن شراحيل الأنصاري . انظر : أسد الغابة ٢ : ١٣٨ / ١٨٤٤ ، الإصابة ٣ : ٢٩ / ٢٩٠٠ .

(٣) كلمة «به» لم ترد في «س» و«ل» و«ت» .

(٤) نقله عن أبي داؤد السبّيعي ، يوسف بن حاتم في الدر النظيم : ٢٥٢ ، والمجلسي في بحار الأنوار ٢٦ : ٦٦ / ١٤٩ ، ولم نعثر عليه في سنن أبي داؤد .

(٥) سورة القلم ٦٨ : ٦٠١ .

فارس ؟ فقال النبي ﷺ : علمه الله الأسماء التي علمها لآدم»^(١) .
وروى حافظ أبو نعيم في الحلية أنّ النبي ﷺ قال : «يا أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ونهلته نهلًا»^(٢) .

وفي رواية جابر : عن ابن عباس عن أبي : أنّ النبي ﷺ قرأ عند قوم فيهم أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، قوله تعالى : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً﴾^(٣) ، فقال لهم : «قولوا : ما أول نعمه؟» فحاضوا في الرياش والمعاش ، والذرية والأزواج ، فقال : «يا أبا الحسن ، قل» فقال : «إذ خلقتني ولم أكن شيئاً مذكوراً ، وأحسن لي ، فجعلني حياً متفكراً ، واعياً ذاكراً ، وهداني لدينه ، ولن يضلني عن سبيله ، وجعل لي مردّاً في حياة لا انقطاع لها» ، والنبي ﷺ يقول في (كل ذلك)^(٤) : «صدقت صدقت» ، ثم قال : «فما بعد ذلك؟» قال : «قال عزّ وجلّ : ﴿وَأِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾»^(٥) فتبسّم النبي ﷺ وقال : لتهنئك الحكمة ، لتهنئك العلم ، أنت وارث علمي والمبين لأمتي»^(٦) .

وروى جمع ، منهم : صاحب الطرائف من كتاب الخصائص ، وعن عيسى بن المستفاد^(٧) في كتاب «الوصية» بإسناد له عن الصادق عليه السلام أنّه قال

(١) الصراط المستقيم ١ : ٢٢٦ .

(٢) حلية الأولياء ١ : ٦٥ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٣ ، ذخائر العقبى ١٤٣ .

(٣) سورة لقمان ٣١ : ٢٠ .

(٤) بدل ما بين القوسين في «ن» : «كله» .

(٥) سورة إبراهيم ١٤ : ٣٤ .

(٦) الصراط المستقيم ٢ : ١٣ ، بتفاوت يسير .

(٧) هو عيسى بن المستفاد البجلي ، يكتفى أبا موسى الضير ، روى عن أبي جعفر

في حديث له طويل ذكر فيه طرفاً من وصايا النبي ﷺ لعليّ عليه السلام ، وفيه أنّه قال له بعد أن ذكر له كيفيّة غسله : «ثمّ ضع يدك على صدري بعد فراغك من غسلني وأحضر معك فاطمة والحسن والحسين من غير أن ينظروا إلى شيء من عورتي ، ثمّ تفهم^(١) عند ذلك ، تفهم ما كان وما يكون إن شاء الله»^(٢) .

وفي رواية أخرى عن عليّ عليه السلام أنّه قال : «كنت مسند النبي ﷺ إلى صدري عند وفاته ، فقال : تحوّل^(٣) أمامي فتحوّلت وأسندته جبرئيل ، فقال لي^(٤) : ضمّ كفيّك بعضها إلى بعض ، ففعلت ، فقال : خذ ما آتاك الله بقوة ، وأدخل يديه مضمومتين فيما بين كفيّ ، فكأّنه أفرغ بينهما شيئاً وقال : قد أفرغْتُ بين يديك الحكمة ، فلا يعزب عنك من أمرك شيء ، ثمّ قال : فإذا حضرتك الوفاة أوص إلى وصيّك من بعدك على ما أوصيتك ، واصنع هكذا»^(٥) ، الخبر .

وبالجملة : الأخبار الواردة من هذا القبيل كثيرة جداً متواترة معنيّ قطعاً من طرقنا وطرقهم ، وستأتي شواهد ذلك في المبحث الثالث الآتي في هذا الفصل سوى ما مرّ ويأتي في غيره ، ولو أردنا استقصاء ربع ما يدلّ

الثاني عليه السلام ، له كتاب الوصيّة .

انظر : رجال النجاشي : ٢٩٧ / ٨٠٩ ، الفهرست للطوسي : ١١٦ / ٥١٩ ، الخلاصة : ٢٤٢ / ٤ .

(١) في «م» ، لم ترد .

(٢) الطرف لابن طاووس : ١٩٧ . ١٩٨ ، الصراط المستقيم ٢ : ٩٤ ، بحار الأنوار ٢٢ : ٤٩٣ / ٣٨ .

(٣) في «م» : زيادة : «إلى» .

(٤) في «م» كلمة «لي» لم ترد .

(٥) الطرف لابن طاووس : ١٦٣ . ١٦٤ ، الصراط المستقيم ٢ : ٩٢ ، بحار الأنوار ٢٢ : ٤٧٩ / ٢٧ .

على هذا المطلب لما أمكن ، ولقد كفى ما ذكرناه هاهنا ، بل يزيد على الكفاية إن لوحظ سائر ما ذكرناه في هذا الكتاب ، والله الهادي .

القسم الرابع : فيما ورد صريحاً في كونه أعلم الناس .

روى جمع ، منهم : الحسين بن محمد الخلواني^(١) في كتابه «نهج النجاة» بإسناده المتصل إلى حمزة بن أنس بن مالك ، عن أبيه ، أنه حدثه في مرضه الذي قبض فيه ، فقال : كنت خادم النبي ﷺ فجلست بباب أم حبيبة^(٢) بنت أبي سفيان وفي الحجرة رجال من أهله ، فأقبل عليهم النبي ﷺ وقال : «سيدخل عليكم الساعة أمير المؤمنين ، وخير الوصيَّين ، أقدم أمي سلماً ، وأكثرهم علماً» ، فلم يلبث أن دخل علي بن أبي طالب والنبي على ظهوره يتوضأ فرش من ماء يده على وجه عليّ ﷺ حتى امتلأت عيناه من الماء ، فقال عليّ ﷺ : «هل حدث في شيء يا رسول

(١) هو الحسين بن محمد بن الحسن الخلواني . الخلواني : بضمّ الحاء المهملة وسكون اللام والنون بعد الواو والألف ، نسبة إلى بلدة حلوان . يكتى أبا عبدالله ، تلميذ السيّد الرضي ، وأستاذ ابن معد الحسيني . له كتب ، منها : نزهة الناظر وتنبيه الخاطر ، ونهج النجاة .

انظر : رياض العلماء ٧ : ٨٠ ، الذريعة ٢٤ : ١٢٧ / ٦٣٨ ، و ٤٢٥ / ٢٢٢٤ .

(٢) هي أم حبيبة بنت أبي سفيان صخر بن حرب ، اسمها رملة ، زوج النبي ﷺ . كُنيت بابنتها حبيبة بنت عبيدالله بن جحش ، وكانت تحت عبيدالله بن جحش قبل تزويج النبي ﷺ إيّاها ، أسلمت قديماً بمكة ، وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيدالله فتنصّر بالحبشة ، ومات بها ، وأبنت هي أن تنصّر ، وثبتت على إسلامها ، فتزوجها رسول الله ﷺ وهي بالحبشة .

توفيت سنة ٤٤ هـ .

انظر : الاستيعاب ٤ : ١٨٤٣ / ٣٣٤٤ ، أسد الغابة ٦ : ١١٥ / ٦٩٢٤ ، تراجم أعلام النساء ١ :

. ٢٤٩

الله؟» فقال له النبي ﷺ : «ما حدث فيك يا عليّ إلّا خيرٌ»^(١) ، أنت منّي وأنا منك ، تغسل جسدي وتواريني في لحدي وتبلغّ الناس عنيّ ، فقال : «يا رسول الله ، أو ليس قد بلغتهم؟» قال : «بلى ، ولكن تبين لهم ما يختلفون فيه بعدي»^(٢) .

ورواه ابن مردويه في مناقبه بطريق آخر عن أنس أيضاً ، وفيه زيادة قوله ﷺ : «وتعلّمهم من تأويل القرآن ما لم يعلموا ، وتجاهدهم على التأويل كما جاهدتهم على التنزيل»^(٣) ، وسيأتي في القسم الآتي بإسناد آخر أيضاً .

وروى الطبري بأسانيد عن سلمان الفارسي ، قال : قال النبي ﷺ : «يا سلمان ، أوصى موسى عليه السلام إلى يوشع ؛ لأنّه كان أعلم أمته ، ووصيّي وأعلم أمّتي بعدي عليّ بن أبي طالب»^(٤) .

وروى نحوه ابن حنبل في فضائل الصحابة^(٥) .

وفي مناقب الخوارزمي ، عن سلمان هكذا : قال النبي ﷺ : «أعلم أمّتي بعدي عليّ بن أبي طالب عليه السلام»^(٦) .

(١) في النسخ : «خيراً» .

(٢) نقله عنه ابن طائوس في اليقين : ٣٨٩ - ٣٩٠ ، باب ١٤٠ ، وبحار الأنوار ٣٧ : ٣٢٧ / ٦١ .

(٣) نقله عنه الإربليّ في كشف الغمّة ١ : ٣٤٣ .

(٤) نقله ابن شهر آشوب في المناقب ٣ : ٥٨ ، ويوسف بن جبر في نهج الإيمان : ١٩٦ ، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٨ : ١ / ١ ، نقلاً عن المناقب .

(٥) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لأحمد : ١١٨ / ١٧٤ ، فضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٦١٥ / ١٠٥٢ .

(٦) المناقب للخوارزمي : ٨٢ / ٦٧ .

وفيه : عن بريدة ، قال : قال النبي ﷺ : «قم يا بريدة ، نعود فاطمة» فلما أن دخلنا عليها ، وأبصرت أباه ، دمعت عيناها ، قال : «ما يبكيك يا بنتي؟» قالت : «قلّة الطعم وكثرة الهمّ وشدة السقم» ، قال لها : «أما والله ، ما عند الله خير لك ممّا ترغبين إليه ، يا فاطمة ، أما ترضين أن زوجتك خير أمّتي ، أقدمهم سلماً ، وأكثرهم علماً ، وأفضلهم حلماً ؟ والله ، إنّ ابنك سيّدا شباب أهل الجنة»^(١) ، وفي رواية : «وأنت سيّدة نساءها»^(٢).

وروى نحوه ابن حنبل في مسنده عن معقل بن يسار^(٣) عنه ﷺ ، قال : قال : «هل لك في فاطمة تعودها؟» وذكر الخبر إلى أن قال : قال عبدالله ابن أحمد بن حنبل : وجدت في كتاب أبي بخطّ يده في هذا الحديث ، أنّه قال : «أما ترضين أيّ زوجتك أقدم أمّتي سلماً ، وأكثرهم علماً وأعظمهم حلماً؟»^(٤).

ورواه الطبراني أيضاً في كتابه الكبير عن معقل مثله^(٥).

وفي مناقب الخوارزمي ، عن أبي أيّوب أيضاً ، عنه ﷺ مثله ، إلّا أنّه قال : مرض النبي ﷺ فأتته فاطمة تعوده ، فلما رأت ما برسول الله من

(١) المناقب للخوارزمي : ١٠٦ / ١١١ .

(٢) الأُمالي للطوسي : ٢٤٨ / ٤٣٦ ، و ٦٣٣ / ١٣٠٥ .

(٣) هو معقل بن يسار المزني ، كنيته أبو علي ، وقيل : أبو عبدالله ، من أهل بيعة الرضوان ، سكن البصرة ، وإليه يُنسب نهر معقل الذي بالبصرة ، روى عنه عمرو بن ميمون الأودي ، وأبو عثمان النهدي ، والحسن البصري ، وله أحاديث .

مات في آخر خلافة معاوية ، وقيل : مات في أيام يزيد بن معاوية .

انظر : المعارف لابن قتيبة : ٢٩٧ - ٢٩٨ ، الاستيعاب ٣ : ١٤٣٢ / ٢٤٦٤ ، أسد الغابة ٤ : ٤٥٦

/ ٥٠٣١ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٥٧٦ / ١٢٤ .

(٤) المسند لأحمد بن حنبل ٥ : ٢٦ ، بتفاوت يسير .

(٥) المعجم الكبير ٢٠ : ٢٢٩ / ٥٣٨ .

الجهد والضعف بكت ، فقال لها النبي ﷺ ذلك ^(١) .

ورواه الدارقطني ^(٢) أيضاً ، وسيأتي هذا الخبر في فصل الوصية ، وكذا في الفصل الحادي عشر ، لكن فيه من كتاب «فضائل الصحابة» للسمعاني عن أبي سعيد الخدري .
وفي المناقب المذكورة ، وغيره في حديث طويل يأتي في المقام الثاني من المطلب الخامس من الفصل الثامن ، عن منصور الدوانيقي ، عن جده ابن عباس : أنّ النبي ﷺ رأى فاطمة تبكي ، فقال : «ما يبكيك؟» فقالت : «إنّ نساء قريش قد عيّرنني فقلن لي : إنّ أباك زوّجك من رجل معدم لا مال له» ، فقال لها : «فوالله ، ما أنا زوّجك بل الله زوّجك» ، إلى أن قال : «إنّ عليّاً أشجع الناس قلباً ، وأعلم الناس علماً ، وأحلم الناس حلماً» ^(٣) الخبر .

وقد روى الخوارزمي في مناقبه أيضاً عن ابن مسعود ، قال : قال النبي ﷺ :
«قُسِّمَتِ الحِكمة على عشرة أجزاء فأعطي عليٌّ تسعة أجزاء ، والناس جزءاً واحداً» ^(٤) .
ورواه أيضاً : الحافظ أبو نعيم عن علقمة ^(٥) عن عبد الله بن مسعود

(١) المناقب للخوارزمي : ١١٢ / ١٢٢ .

(٢) انظر الطرائف ١ : ٢٠٢ / ٢١٢ ، كشف الغمّة ١ : ١٥٣ ، المناقب لابن المغازلي : ١٠١ ، ١٠٢ ، كفاية الطالب : ٥٠٢ ، ولم نعثر عليه في مضانه في سنن الدارقطني .
(٣) المناقب للخوارزمي : ٨٢ / ٦٨ ، الفضائل لشاذان بن جبرئيل : ٣٣٦ / ١٤٥ ، المناقب لابن المغازلي : ١٥١ / ١٨٨ .

(٤) المناقب للخوارزمي : ٨٢ / ٦٨ ، كشف اليقين : ٥١ .

(٥) هو علقمة بن قيس بن عبد الله بن مالك الكوفي ، تابعي ، كناه عبد الله بن مسعود أبا شبل ، وكان عقيماً لا يولد له ، وهو من فقهاء الكوفة ، روى الحديث عن الصحابة ، ورواه عنه جماعة كثيرة ، وشهد صفين مع عليّ عليه السلام .

ولد في حياة النبي ﷺ ، ومات سنة ٦٢ هـ ، وقيل : سنة ٦٥ هـ .

انظر : الطبقات لابن سعد ٦ : ٨٦ ، تاريخ بغداد ١٢ : ٢٩٦ / ٦٧٤٣ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٥٣ / ١٤ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ . ٨٠) : ١٩٠ / ٧٤ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٤٤ / ٤٨٥ .

مثله ^(١) سواء .

وسياقي خبر عن النبي ﷺ صريح في كون عليّ ؑ أعلم أصحابه ، في المطلب الأول من الفصل الخامس في مقام ذكر سبق إسلامه ، وخبر آخر في أول المطلب الأول من الفصل الثاني .

وسياقي في الفصل التاسع عند بيان قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢) خبر عن الصادق ؑ أنّه يستدلّ به على كون عليّ ؑ أعلم من موسى وعيسى عليهما السلام . وسياقي في فصل أخبار التمسك بالثقلين عن الطبراني وغيره قول النبي ﷺ بعد أمره بالتمسك بالثقلين : كتاب الله وأهل بيته : «فلا تقدّموهما فتهلكوا ، ولا تعلّموهم فيأثمّ أعلم منكم» ^(٣) .

وسياقي في القسم الآتي أخبار منها : حديث ^(٤) شهادة خبر من الأحبار . بعد أن أجابه عليّ ؑ عمّا سأل عنه أبا بكر ، فعجز عن جوابه بأنّ في السفر الثاني والخامس من التوراة ، وفي كتاب يوشع وغيرهما . أنّ خليفة الأنبياء لا بدّ أن يكون أعلم الرعيّة ^(٥) .

(١) حلية الأولياء ١ : ٦٥ .

(٢) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ .

(٣) المعجم الكبير ٥ : ١٦٦ / ٤٩٧١ ، كنز العمال ١ : ١٨٥١ / ٩٤٦ ، و ١٨٨ / ٩٥٧ .

(٤) كلمة «حديث» لم ترد في «ن» .

(٥) الإرشاد للمفيد ١ : ٢٠١ ، الاحتجاج ١ : ٤٩٤ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٢٤ . ٢٢٥ .

وبالجملة : الأخبار من هذا القبيل في غاية الكثرة ، وقد مضى ويأتي كثير منها متفرقةً.

هذا ، مع أن الذي ينادي بكون عليّ عليه السلام أعلم الأمة إجمالاً ولو مع قطع النظر عما سواه : أنه لا نزاع في أن عليّاً عليه السلام كان في أصل الخلقة في غاية الذكاء والفطنة والاستعداد للعلم ، وكان محمد صلى الله عليه وآله أفضل الفضلاء ، وأعلم العلماء ، وكان عليّ عليه السلام في غاية الحرص في طلب العلم ، وكان محمد صلى الله عليه وآله في غاية الحرص على تربية عليّ عليه السلام ، وعلى إرشاده إلى اكتساب الفضائل .

ثم إن عليّاً عليه السلام بقي من أول صغره في حجر محمد صلى الله عليه وآله ، وفي كبره صار حَتَناً^(١) له ، وكان يدخل عليه في كل الأوقات .

ومن المعلوم أن التلميذ إذا كان في غاية الذكاء والحرص على التعلم وكان الأستاذ في غاية الفضل والحرص على التعليم ، ثم اتفق لمثل هذا التلميذ أن اتصل بخدمة هذا الأستاذ من زمان الصغر ، وكان ذلك الاتصال بخدمته حاصلاً في كل الأوقات ، فإنه يبلغ ذلك^(٢) التلميذ في العلم مبلغاً عظيماً ، بخلاف غيره ، سيما من اتصل بخدمته في زمن الكبر ، ومع هذا ، لم يكن بحيث يصل إليه وإلى خدمته في اليوم والليلة إلا زماناً يسيراً ، وقد قيل : العلم في الصغر كالنقش في الحجر ، وفي الكبر كالنقش في المدر^(٣) .

فحينئذٍ إذا أضفنا إلى هذا ما مرّ ويأتي من الأخبار والآثار والاعترافات

(١) الحَتَنُ بالتحريك : فَحَتَنُ الرجل : زوج ابنته .

انظر : الصحاح ٥ : ٢١٠٧ ، العين ٤ : ٢٣٨ . مادة حتن . .

(٢) في «م» : «هذا» بدل «ذلك» .

(٣) الدرّ النظيم : ٢٦١ ، الطرائف : ٢ : ٢٤١ ، الأربعين للرازي ٢ : ٣٠٢ .

الصادرة من الأخيار والأشرار والأولياء والأعداء ، لا سيّما مع تجاوزها عن حدّ العدّ والإحصاء ، فأَيّ شكّ يبقى حينئذٍ في كونه عليه السلام أعلم وأكمل وأهدى وأفضل ؟ كما قال سبحانه : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(١) الآية ، وقال : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَى ﴾ ^(٢) الآية ، وأمثال ذلك ، لا سيّما إذا أضيف أيضاً إلى هذا كلّ ما نقله المخالف والمؤالف ، كما مضى ، ويأتي نبذ منه من متظافرات الأمارات والمنقولات والاعتراقات المنادية بقصور غيره عن الوصول إلى أدنى هذه المراتب من العلم التي كانت له ، بل بجهلهم للأمر الواضحة ، وارتكابهم لذلك الأغلاط الفاضحة .

وكفى ما مرّ ويأتي ، حتى في هذا الفصل أيضاً ممّا نقله جماعة من مشاهير الثقات عند المخالفين عن غير واحد من الصحابة والتابعين عن عجز شيوخهم عن جواب كثير من المسائل وتوهمهما علماً وعملاً في غير قليل من المواضع ، حتّى إنّ أوّلهما لم يكن يعلم معنى «الأبّ» الذي صريح القرآن أنّه الحشيش الذي يأكله الحيوان ، كما قال عَجَّلُ : ﴿ وَفَاكِهَةً وَأَبًّا * مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾ ^(٣) ، وكذا لم يعلم معنى الكلاله وغيرها من أشياء عديدة . وهكذا الثاني ، حتّى إنّّه لم يكن يعلم عدم فساد زيادة المهر عن السّنة بحيث صرّح يوماً بأنّه يريد أن يجعل الزيادة في بيت المال ،

(١) سورة الزمر ٣٩ : ٩ .

(٢) سورة يونس ١٠ : ٣٥ .

(٣) سورة عبس ٨٠ : ٣١ و ٣٢ .

فانكرت^(١) عليه امرأة في مجلسه وردّته بقوله عَزَّجَلَّ : ﴿وَأَتَيْتُمُ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا﴾^(٢) الآية .
والمسألة الجارية مشهورة^(٣) ، فافهم .

ونعم ما قال ابن ميثم^(٤) للعلاف^(٥) ، من مشاهير علماء المخالفين ، حيث سأله : إنّ إبليس ينهى عن الخير كلّه ويأمر بالشرّ كلّه ؟ قال : نعم ، فقال : أفيجوز منه ذلك في كليهما وهو لا يعلم مجموعهما؟ قال : لا ، قال : فقد علم الخير كلّه والشرّ كلّه ؟ قال : نعم ، قال : فإمامك بعد الرسول يعلم الخير كلّه والشرّ كلّه ؟ قال : لا ، قال : فإذا إبليس أعلم من إمامك^(٦) ، فافهم حتّى تعلم عياناً كمال عصبية بعض^(٧) القوم كابن حجر وأمثاله ممّن تاه في بيداء الضلالة ، وحيرة الجهالة ، بحيث ادّعى : أنّ أبا بكر كان أعلم من

(١) في «ن» زيادة : «ذلك» .

(٢) سورة النساء ٤ : ٢٠ .

(٣) انظر : الإرشاد للمفيد ١ : ٢٠٠ ، الفصول المختارة (ضمن مصنفات الشيخ المفيد : ج ٢) : ٢٠٦ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٩٩ ، الطرائف ٢ : ٢٤٣-٢٤٤ ، الأربعين للرازي ٢ : ٣٠٣-٣٠٤ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٧ : ٢٠١-٢٠٢ .

(٤) هو عليّ بن إسماعيل بن شعيب بن ميثم ، يكنّى أبا الحسن ، كوفيّ سكن البصرة ، كان من وجوه المتكلمين من أصحابنا . عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الرضا عليه السلام ، وهو أول من تكلم على مذهب الإمامية ، له مجالس وكتب ، منها : كتاب الإمامة ، والطلاق ، ومجالس هشام بن الحكم .

انظر : رجال النجاشي : ٢٥١ / ٦٦١ ، رجال الطوسي : ٣٦٢ / ٥٣٦٦ ، الفهرست للطوسي : ٨٧ / ٣٧٤ ، الخلاصة : ٩٣ / ٩ ، الفهرست لابن النديم : ٢٢٣ .

(٥) هو محمّد بن الهذيل بن عبدالله الذي تقدّم ترجمته ، وفي «م» : الحلاف ، وهو تصحيف .

(٦) الفصول المختارة (ضمن مصنفات الشيخ المفيد ، ج ٢) : ٢٣ ، بحار الأنوار ١٠ : ٣٧٠ / ١ ، بتصرف فيهما .

(٧) في «م» : «العصبية لبعض» بدل «عصبية بعض» .

عليّ عليه السلام ^(١)، كما سيأتي في الفصل الرابع دعواه أيضاً : بأنّه كان أشجع منه ^(٢) .
ومن العجائب أنّه تشبّث في مدّعه هذا بما تضحك منه الثكلى ، فإنّ أقصى ما
تزخرف به إنّما هو ما ادّعه من أنّ الناس يوم وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله لم يدروا أين يدفونه ،
فأعلمهم أبو بكر بأن قال : سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول بأنّ النبيّ يُدفن في موضع يموت فيه ^(٣) .
ووضوح سخافة التشبّث بدلالة مثل هذا لا يحتاج إلى البيان لا سيّما في مقابل ما
أوضحناه .

إذ أولاً : هذا كلام لا أصل له ؛ لأن كثيراً من العامّة والخاصّة نقلوا في كتبهم هذا
الكلام عن عليّ عليه السلام ^(٤) ، وهو الذي ينبغي أن يكون صحيحاً ؛ ضرورة أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله
الذي أوصى عليّاً عليه السلام أن يغسله ويكفّنه ويدفنه ، لا سيّما بالتفصيل الذي سيأتي في
الفصل الرابع وغيره ، كيف كان يسكت عن ذكر مدفنه ؟ حتّى لو فرض أنّه سكت عن هذا
، كيف يمكن تجويز عدم سؤال عليّ عليه السلام إيّاه عن ذلك ؟ سيّما مع سؤاله عن جزئيات
متعلّقات تجهيزه ، على أنّ جمعاً من العامّة نقلوا : أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال في حديث له :
«ادفنوني في بيتي» ، حتّى أنّ هذا الكلام من جملة ما ردّ به الشيعة دعوى المخالفين بأنّ
البيت كان لعائشة .

(١) منهاج السّنة ٤ : ٢١٢ ، الصواعق المحرقة : ٢٩ و ٥٢ .

(٢) الصواعق المحرقة : ٤٧ .

(٣) انظر : الصواعق المحرقة : ٥٢ .

(٤) الإرشاد للمفيد ١ : ١٨٨ ، إعلام الوري ١ : ٢٧٠ ، الدرّ النظيم : ١٩٦ ، كشف الغمّة ١ : ١٩ .

هذا كله ، مع أنّ رواية أبي بكر ^(١) ذلك لا يدلّ على عدم علم عليّ عليه السلام به أيضاً ، بل ربّما الذي يظهر أنّ عليّاً عليه السلام أمر بالحفر قبل حضور هؤلاء ^(٢) .

وثانياً : لو فرضنا صحة تفرد أبي بكر في الاطّلاع على هذا الأمر ، بل ولو على بعض جزئيات آخر أيضاً ، لم يلزم منه بل لا يصحّ ولا يجوز بمحض هذا ادّعاء أعلميته على الإطلاق فضلاً عن الأعلمية من كلّ وجه ، وهذا ظاهر لا غبار عليه عند كلّ ذي نظر .

نعم ، الذي أعمت العصبية عين بصيرته ، وطبع الله على قلبه ، فاتّبع هواه لم يبال بادّعاء الباطل ولو وصل بطلانه إلى حدّ البدهة ، كما فيما نحن فيه ؛ ضرورة أنّ كلام من زعم أنّه يثبت بمحض هذا ، كون أبي بكر أعلم من عليّ عليه السلام . الذي لا شكّ لأحدٍ في أنّه فاق بعلمه العلماء ، كما تبين . ليس إلّا محض المكابرة في ادّعاء خلاف الظاهر بلا سند قابل ، بل في مقابل الواضح الخالي عن الشبهة ، المقرون بقبول الأمة ، على أنّه لنا أن نقول له حينئذٍ : إذا جوّزت مثل هذا فلا محالة يلزمك أن تقول : بأنّ آصف ابن برخيا ، بل الهدهد أيضاً ، حيث أخبر عن سبأ كان أعلم من سليمان نبيّ الله عليه السلام ، بل يلزمك أن تقول : لكلّ تلميذ تفتّن مرّة أو أكثر بشيء لم يتفتّن به شيخه أنّه أعلم منه وإن كان الشيخ في كمال العلمية والتلميذ في غاية القصور .

وأمثال هذه المفاسد كثيرة ، حتّى إنّه يلزمه أن يكون عنده بعض آحادٍ من الصحابة .

الذين سيأتي في فصل السقيفة وغيره أنّهم تكلموا على

(١) تقدّم تخريج روايته آنفاً .

(٢) انظر : الإرشاد للمفيد ١ : ١٨٨ .

أبي بكر في بعض الأشياء ، فأسكتوه وعجز عنهم ، أو دلّوه على بعض ما لم يعلم من المسائل . أعلم الأمة ، أفيلزمه أن يكونوا عنده أعلم من أبي بكر الذي هو عنده أعلم الأمة ؟ ولا يخفى أنه ينجّر هذا بالأخرة إلى لزوم الدور ، واجتماع المتناقضين ، وغير ذلك من الأمور الفاضحة التي لا يمكن دفعها إلا بالإقرار بعدم دلالة ما تشبّث به ، فانظر أيّها اللبيب إلى تعصّب هذا الرجل وأمثاله كيف انتهى إلى حدّ قد قيل في حقّ أبي بكر : إنّه أعلم الأمة ، حتّى من عليّ عليه السلام بمحض ما أشرنا إليه ، مع ظهور ترتّب المفسد ، ولم يقبل في حقّ عليّ عليه السلام تلك الآلاف المؤلّفة التي أكثرها تنادي صريحاً بأنّه أعلم الأمة ، فمثل صاحب هذا الجهل كيف يتوقّع منه أن يفهم حكاية الغدير وأمثالها ؟ ! ولهذا تراهم تائهين حيارى في أمر إمامة أهل البيت عليه السلام ، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ، والله الهادي .

القسم الخامس : في سائر ما روي من قبيل النص على أعلميّة ، وذكر بعض قضايا الدالة على ذلك .

روى جماعة ، منهم : صاحب كتاب روح النفوس ، ومنهم : صاحب كتاب كفاية الطالب ، ومنهم : الخوارزمي في مناقبه ، ومنهم : الحافظ أبو نعيم في كتابه حلية الأولياء بأسانيد عن أنس ، أنّه قال في حديث له : إنّ النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام : «إنّك تبلغ رسالتى من بعدي ، وتؤدّي عني ، وتقضي ديني ، وتسمع الناس صوتي ، وتعلم الناس من كتاب الله ما لا يعلمون ، وتبين لهم ما اختلفوا فيه من بعدي»^(١) . وقد مرّ في القسم

(١) كفاية الطالب : ٢١٢ ، المناقب للخوارزمي : ٨٥ / ٧٥ ، حلية الأولياء ١ : ٦٣ - ٦٤ ، والمصدر غير متوفر لدينا .

السابق ببعض أسانيده^(١) ، ويأتي أيضاً في محله .

وفي تفسير الإمام أبي محمد العسكري ، عن آبائه عليهم السلام ، وكذا في روايات أخر : أنَّ عليّاً عليه السلام قال يوم الشورى في خلافة عثمان مخاطباً للحاضرين من الصحابة في الدار في جملة كلامه احتجاجاً عليهم : «أيها الناس ، ألم ينة الله تعالى عن أن تجعلوا له أنداداً ممن لا يعقل ولا يسمع ولا يبصر ولا يفهم كما نفهم؟ أو لم يجعلني رسول الله لدينكم ودنياكم قواماً؟ أو لم يجعل إليّ مفزعكم؟ أو لم يقل لكم : عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ؟ أو لم يقل : أنا مدينة الحكمة وعليّ بأبها؟ أو لا تروني غنياً عن علومكم وأنتم إلى علمي محتاجون؟ أفأمر الله تعالى العلماء بالتباعد من لا يعلم ، أم أمر من لا يعلم بالتباعد من يعلم؟»^(٢) ، الخبر .

وروى صاحب المناقب عن إبراهيم النخعي عن علقمة عن ابن عباس أنّه قال في حديث له : إنّ أتى براهب قرقيسياً إلى أمير المؤمنين عليه السلام فلما رآه قال : «مرحباً ببحيراء الأصغر ، أين كتاب شمعون الصفا؟» قال : وما يدريك يا أمير المؤمنين؟ قال : «إنّ عندنا علم جميع الأشياء ، وعلم جميع^(٣) تفسير المعاني» ، فأخرج الكتاب وأمير المؤمنين عليه السلام واقف ، فقال : «امسك الكتاب معك» ، ثمّ قرأ : بسم الله الرحمن الرحيم ، قضى فيما قضى وسطّر فيما كتب ، أنّه باعث في الأميين رسولا منهم ، الخبر . إلى أن قال : ثمّ يظهر رجل من أقمته بشاطئ الفرات يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويقضي بالحقّ ، وذكر من سيرته . إلى أن قال : ومن أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره ، فإنّ القتل معه شهادة» ثمّ قال أمير المؤمنين : «الحمد لله

(١) مرّ في ص ٢١٥ .

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ٦٢٨ ، بتفاوت يسير .

(٣) كلمة : «جميع» لم ترد في «ن» .

الذي لم يجعلني عنده منسياً» ، الخير ، إلى أن قال ابن عباس : فقتل الرجل في صفين^(١) .
وروى نحوه مفصلاً أبو المفضل الشيباني في أماليه ، وكذا هو مروى في كتاب «أعلام النبوة» عن الماوردي^(٢) ، وكذا في كتاب «الفتوح» عن ابن الأعمش^(٣)^(٤) .
ويظهر منه أنّ اسم الراهب كان شمعون بن يوحنا ، فلعلّ قوله عليه السلام : «بحيراء الأصغر» كناية عن كونه عالماً مبشراً بالنبى وآله . صلوات الله عليهم أجمعين . مثل بحيراء الذي بشر أبا طالب بنبوة النبي صلّى الله عليه وآله ووصاية عليّ عليه السلام ، وكذا رواه نصر بن مزاحم^(٥) في كتاب صفين بإسناده عن حبة

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٢٨٩ ، بتفاوت يسير ، بحار الأنوار ٣٨ : ٤٨ - ٤٩ ، ضمن حديث ٤ .
(٢) هو عليّ بن محمد بن حبيب البصري ، يكتب أبا الحسن ، المعروف بالماوردي ، من فقهاء الشافعية ، بل من كبارهم ، لقب بقاضي القضاة في سنة ٤٢٩ هـ ، وقد ولي القضاء ببلدان كثيرة ، له كتب ، منها : الحاوي ، النكت في تفسير القرآن ، الأحكام السلطانية ، وغيرها .
مات سنة ٤٥٠ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٢ : ١٠٢ / ٦٥٣٩ ، وفيات الأعيان ٣ : ٢٨٢ / ٤٢٨ ، سير أعلام النبلاء ١٨ : ٦٤ / ٢٩ ، طبقات المفسرين للسيوطي : ٧١ / ٧٧ ، طبقات المفسرين للداودي : ١ : ٤٢٧ / ٣٦٨ .
(٣) هو أحمد بن محمد بن عليّ ، المعروف بابن الأعمش الكوفي ، كنيته أبو محمد ، مؤرخ من أهل الكوفة ، له كتب ، منها : الفتوح .
مات نحو سنة ٣١٤ هـ .

انظر : كشف الظنون ٢ : ١٢٣٩ ، الأعلام للزركلي ١ : ٢٠٦ .
(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٢٨٩ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٤٩ / ٥ ، وانظر : الفتوح ٢ : ٥٧٧ .
(٥) هو نصر بن مزاحم بن سيار المنقري ، يكتب أبا الفضل أو أبا المفضل ، مؤرخ ،

العربي^(١)، وذكره ابن أبي الحديد أيضاً في شرحه على نهج البلاغة عن نصر عن حبة^(٢). وما في بعضها من قراءة الراهب الكتاب على عليّ عليه السلام بعيد ، والأظهر الأصح أن عليّاً عليه السلام قرأه وهو في يد الراهب ، والله يعلم .

وروى جماعة كثيرة ، منهم : الحافظ ابن مردويه في مناقبه بإسناده عن أبي ذر ، وابن عباس ، وغيرهما ، ومنهم : الحافظ محمد بن مؤمن الشيرازي في تفسيره عن ابن عباس ، ومنهم : عثمان بن أحمد^(٣) ، المعروف بابن السمّاك ، في كتاب الفضائل عن أبي ذر ، وسلمان ، ومنهم : ابن بطّة في الإبانة ، وشيرويه في الفردوس عن داؤد بن هلال ، وكذا غيرهم عن جمع من الصحابة كعمّار ، وابن مسعود ، وأبي أيوب ، وغيرهم كلّ واحد عن النبي ﷺ في حديث له ، وموضع أنه قال : كذا وكذا ، في حقّ عليّ عليه السلام ، وفيه قوله ﷺ : «وهو الصديق الأكبر ، وهو الفارق الأعظم» ،

كوفي ، مستقيم الطريقة صالح الأمر ، له كتب منها : وقعة صفّين ، الغارات ، ومقتل الحسين عليه السلام . مات سنة نحو ٢١٢ هـ .

انظر : رجال النجاشي : ٤٢٧ / ١١٤٨ ، منهج المقال : ٣٥٣ ، تعليقة الوحيد على المنهج : ٣٥٣ ، تنقيح المقال ٢ : ٢٦٩ / ١٢٤٥٣ ، تاريخ بغداد ١٣ : ٢٨٢ / ٧٢٤٥ . (١) وقعة صفّين : ١٤٧ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣ : ٢٠٥ .

(٣) هو عثمان بن أحمد بن عبد الله بن يزيد ، كنيته أبو عمرو الدقاق ، المعروف بابن السمّاك . سمع محمد بن عبيد الله المنادي ، وحنبل بن إسحاق ، وخلقاً كثيراً ، روى عنه الدارقطني ، وابن شاهين ، وابن شاذان ، وغيرهم . مات سنة ٣٤٤ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١١ : ٣٠٢ / ٦٠٩٢ ، المنتظم ١٤ : ٩٩ / ٢٥٥٢ ، سير أعلام النبلاء ١٥ : ٤٤٤ / ٢٥٥ .

وفي بعضها : «وهو فاروق الأُمّة يفرّق بين الحقّ والباطل ، وهو يعسوب المؤمنين ، والمال يعسوب المنافقين» ، وفي روايات : «يعسوب الكافرين»^(١) .

وسياّتي كثير من هذه الأخبار كلّ في موضعه حتّى ورد غير مرّة أنّ عليّاً عليه السلام كان يقول ذلك على المنبر .

وسياّتي الأخبار في أنّه مع القرآن والقرآن معه^(٢) ، وأنّه يدور مع الحقّ والحقّ^(٣) معه أينما دار^(٤) .

وستأتي أخبار^(٥) عديدة عن النبيّ ﷺ أنّه قال : «عليّ بن أبي طالب وصيّ ووارثي»^(٦) ، ولا شكّ في دخول وراثة علم الكتاب والسنة في ذلك ؛ ضرورة أنّ عمدة إرث الأنبياء هو العلم ، حتّى أنّ في بعض الأخبار أنّ عليّاً عليه السلام قال : «وما أرث منك يا رسول الله؟» ، قال : «ما ورّث الأنبياء قبلي» ، قال : فما هو؟ قال : «كتاب ربّهم وسنة نبيّهم»^(٧) (٨) الخبر ، بل إنّ

(١) انظر : المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ١٠٨ - ١١٠ ، الطرائف ١ : ١٣٨ / ١٣٢ ، كشف اليقين : ٣٦ .
٣٧ ، إعلام الوری ١ : ٣٦٠ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٤٥ ، مناقب أهل البيت للشرواني : ١٨٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤١ و ٤٢ و ٤٣ و ٣٠٤ ، فرائد السمطين ١ : ١٣٩ / ١٠٢ و ١٠٣ ، فضائل الخمسة ٢ : ٩٦ و ٩٧ .

(٢) المعجم الأوسط ٥ : ٢٤٢ ، المعجم الصغير ١ : ٢٥٥ ، المستدرک للحاکم ٣ : ١٢٤ ، المناقب للخوارزمي : ١٧٧ / ٢١٤ .

(٣) في «م» زيادة : «يدار» .

(٤) الفصول المختارة : ٩٧ و ٢١١ و ٢٢٤ ، نهج الإيمان : ١٨٧ ، الأربعين للشيرازي : ١٧٥ ، شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢٩٧ .

(٥) في «م» زيادة : «كثيرة» .

(٦) المناقب لابن المغازلي : ٢٠٠ / ٢٣٨ ، المناقب للخوارزمي : ٨٥ / ٧٤ .

(٧) في «م» : «كتاب الله وسنتي» بدل : «كتاب ربّهم وسنة نبيّهم» .

(٨) المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٨١ ، العمدة : ١٦٧ / ٢٥٧ و ٢٣٢ / ٣٦٠ ، فضائل

المخالفين لابدّ لهم أن يخصّوا هذه الوراثة بالعلم لئلاّ يلزم كذب خليفتهم في حكاية فذك ، فهذا أدلّ دليل على كون عليّ عليه السلام أعلم من الباقرين ، وإلاّ فلا وجه للتخصيص به ، فافهم .

وفي مناقب الخوارزمي ، ومصاييح البغوي بإسنادهما عن أبي الحمراء^(١) ، قال : قال النبي ﷺ : «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه ، وإلى نوح في فهمه ، وإلى يحيى بن زكريّا في زهده ، وإلى موسى بن عمران في بطشه ، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب»^(٢) .
ورواه أيضاً هكذا : قال الحارث الأعور^(٣) . صاحب راية عليّ عليه السلام . : بلغنا أنّ النبي ﷺ كان في جمع من أصحابه ، فقال : «أريكم آدم في

أمير المؤمنين عليه السلام لأحمد : ١٤٢ / ٢٠٧ ، فضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٦٣٩ / ١٠٨٥ ، المعجم الكبير ٥ : ٢٢١ / ٥١٤٦ ، المناقب للخوارزمي : ١٥٢ / ١٧٨ .

(١) هو هلال بن الحارث ، ويقال : هلال بن ظفر ، كنيته أبو الحمراء ، وهو مولى النبي ﷺ وخادمه ، كان يمرّ ببیت فاطمة وعليّ عليه السلام ويقول : السلام عليكم أهل البيت ، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

روى عن : النبي ﷺ ، وروى عنه : سعيد بن جبیر ، وغيره .
انظر : الاستيعاب ٤ : ١٦٣٣ / ٢٩٢٠ ، أسد الغابة ٤ : ٦٣١ / ٦٣١ ، تهذيب الكمال ٣٣ : ٢٥٨ / ٧٣٢٧ .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٨٣ / ٧٠ ، ونقله عنه الحلّي في كشف اليقين : ٥٢ ، نقلاً عن العلل للبغوي ، وأورده محبّ الطبري في دوائر العقبي : ٩٣ .

(٣) هو الحارث بن عبدالله بن كعب بن أسد الهمداني الكوفي ، يكنّى أبا زهير ، صاحب عليّ عليه السلام وابن مسعود ، كان فقيهاً من علماء الكوفة ، روى عنه : الشعبي ، وعطاء بن أبي رباح ، وأبو إسحاق ، وغيرهم .
مات سنة ٦٥ هـ .

انظر : الطبقات لابن سعد ٦ : ١٦٨ ، تاريخ يحيى بن معين ١ : ٢٦٥ / ١٧٥١ ، طبقات الفقهاء للشيرازي : ٨١ ، العبر ١ : ٥٣ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ - ٨٠) : ٨٩ / ٢٠ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٥٢ / ٥٤ .

علمه ، ونوحاً في فهمه ، وإبراهيم في حكمته» ، فلم يكن بأسرع من أن طلع عليّ عليه السلام ، فقال أبو بكر : أقست رجلاً بثلاثة من الرجال؟ بَحِّ بَحِّ له ، من هو يا رسول الله ؟ فقال النبي : «ألا تعرفه يا أبا بكر؟» قال : الله ورسوله أعلم ، قال : «أبو الحسن عليّ بن أبي طالب» ، فقال أبو بكر : بَحِّ بَحِّ لك يا أبا الحسن ، وأين مثلك يا أبا الحسن ؟^(١) .
وقد روى نحو^(٢) المضمون الأول ، البيهقي في كتابه^(٣) .

وكذا أحمد بن حنبل في مسنده هكذا : «من أراد أن ينظر إلى نوح في عزمه ، وإلى آدم في علمه ، وإلى إبراهيم في حلمه ، وإلى موسى في فطنته ، وإلى عيسى في زهده^(٤) . وفي رواية : في عبادته ، بدل زهده . فليُنظر إلى عليّ بن أبي طالب^(٥) .

وفي المناقب المذكور عن عليّ عليه السلام قال : «قلت : يا رسول الله ، أوصني ، فقال : قل : ربّي الله ثمّ استقم ، فقلتها وزدت ، وما توفيقي إلاّ بالله ، عليه توكلت وإليه أنيب ، فقال : يهنئك العلم يا أبا الحسن ، لقد شربت العلم شرباً ونخلته نخلًا»^(٦) .

(١) كشف اليقين : ٥٤ . ٥٥ ، المناقب للخوارزمي : ٨٩ / ٧٩ ، وفي «ل» نسخة بدل : «أما» بدل «ألا» .

(٢) في «م» زيادة : «هذا» .

(٣) نقله الحلّي في كشف اليقين : ٥٣ ، عن فضائل الصحابة له ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٩ : ١٦٨ ، ويوسف بن حاتم في الدرّ النظيم : ٢٧٠ .

(٤) لم نعثر عليه في مسنده ، وعنه ابن شهر آشوب في المناقب ٣ : ٣٠٦ ، وابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٩ : ١٦٨ .

(٥) الدرّ النظيم : ٢٧٠ ، كشف اليقين : ٥٣ .

(٦) المناقب للخوارزمي : ٨٤ / ٧٣ .

ورواه أبو نعيم أيضاً في الحلية^(١).

وفيه ، وفي كتب الخوارزمي ، والمعافا بن زكريّا وغيرهم عن ابن عباس : أنّ النبي ﷺ قال لأصحابه في خطبة له ذكر فيها مناقب عليّ ﷺ : «إنّ الله أنزل عليّ القرآن فمن خالفه ضلّ» ، ومن ابتغى علمه عند غير عليّ ﷺ هلك^(٢) ، وسيأتي الخبر تماماً في محله .
وسياأتي في فصل الوصيّة من مناقب الخوارزمي وغيره ما يتضمّن قول الله عزّ وجلّ لرسوله ﷺ ليلة المعراج : «هل اتّخذت لنفسك^(٣) خليفة» ، يؤدّي عنك ويُعلّم عبادي من كتابي ما لا يعلمون؟» الخبر ، إلى أن قال تعالى : «اخترت لك عليّاً ﷺ» ، فاتّخذته لنفسك^(٤) خليفةً ووصياً ، وقد نخلته علمي وحلمي^(٥) ، الخبر .

وروى الخوارزمي عن سلمان الفارسي قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «عليكم بعليّ بن أبي طالب ، فإنّه مولاكم فأحبّوه ، وكبيركم فاتّبِعوه ، وعالمكم فأكرموه»^(٦) ، وفي رواية : «فعظّموه»^{(٧)(٨)} .

(١) حلية الأولياء ١ : ٦٥ .

(٢) نقله عن الخوارزمي والمعافا بن زكريّا البياضي في الصراط المستقيم ١ : ٢٧٠ ، الأُمالي للصدوق : ١٢١ / ١١٢ ، بشارة المصطفى : ٤٠ / ٢٦ .

(٣) في «م» زيادة : «وصياً و» ، وهي لم ترد في المصدر .

(٤) في «م» : «لك» بدل «لنفسك» .

(٥) المناقب للخوارزمي : ٣٠٣ / ٢٩٩ ، الأُمالي للطوسي : ٣٤٣ / ٧٠٥ ، الدرّ النظيم : ٢٩٣ ، التحصين : ٥٤٢ ، اليقين لابن طاووس : ١٥٩ - ١٦٠ ، المختصر : ٢٥٦ - ٢٥٧ ، كشف اليقين : ١٥٩ - ١٦٠ ، الأربعين للشيرازي : ٨٨ ، العقد النضيد : ٨٤ - ٨٥ .

(٦) المناقب للخوارزمي : ٣١٦ / ٣١٦ ، المقتل للخوارزمي : ١ : ٤١ .

(٧) الأربعين للشيرازي : ٨٠ .

(٨) في «ن» زيادة : «الخبر» .

وروى أيضاً عن ابن عباس ، قال : قال النبي ﷺ لعليّ عليه السلام : «يا أبا الحسن ، ما أول نعمة أنعم الله عليك؟» ، قال : «خلقني ذكراً ولم يخلقني أنثى» ، قال : «فما الثانية؟» قال : «هداني لدينه وعرفني نفسه» ، قال : «فما الثالثة؟» قال : «وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها» ، فقال له النبي ﷺ : «بِحِّ بَحِّ ، يا أبا الحسن ، حشيت حكماً وعلماً ، يا عليّ ، أدنّ اليتيم ، وآو الغريب ، وارحم المسكين ، فإنّه لا يبغضك من العرب إلّا دعِيّ ، ولا من الأنصار إلّا يهوديّ ، ولا من سائر الناس إلّا شقيّ»^(١) .

وروى الخوارزمي ، والغزالي ، وغيرهما ما في نهج البلاغة أيضاً من قول عليّ عليه السلام : «وإنّ هاهنا . وأشار إلى صدره . لعلماً جمّاً لو أصبت له حملةً ، بلى لقنّاً غير مأمون عليه ، يستعمل آلة الدين للدنيا»^(٢) ، الخبر .

وفيه : عن أبي برزة ، وكذا في حلية الأولياء ، قال : قال النبي ﷺ : «إنّ الله عهد إليّ في عليّ عهداً ، فقلت : يا ربّ ، بينه ، فقال الله تعالى : إنّ عليّاً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني»^(٣) الخبر ، ووضح عدم إمكان ذلك بدون العلم ، بل هذه عبارة عن الأعلمية والاتّصاف بكمال العلم ، فافهم .

وسيأتي في محله في الفصل التاسع من مناقب الخوارزمي ، وغيره عن ابن عباس ، وغيره : أنّ من عنده علم الكتاب عليّ بن أبي طالب^(٤) ،

(١) المناقب للخوارزمي : ٣٢٣ / ٣٣٠ .

(٢) المناقب للخوارزمي : ٣٦٦ / ٣٨٣ ، الحكمة ١٤٧ ، إحياء علوم الدين ١ : ٧٢ ، حلية الأولياء ١ : ٨٠ ، الغارات ١ : ١٥١ - ١٥٢ ، نهج البلاغة : ٤٩٦ ، بتفاوت فيها .

(٣) المناقب للخوارزمي : ٣١١ / ٣١١ ، حلية الأولياء ١ : ٦٦ ، بتفاوت يسير فيهما .

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ٣ : ٢٧٩ و ٢٨٠ و ٢٩٩ و ٣١٠ ، شواهد التنزيل ١ : ٣٠٧ ، ٣٠٨ / ٤٢٢ و ٤٢٣ ، ولم نثر عليه في مناقب الخوارزمي .

وأنّه كباب حِطّة بني إسرائيل^(١)، وأنّه المراد بقوله تعالى : ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾^(٢) (٣) ، ونحو ذلك من الآيات الدالّة على اختصاصه بوفور العلم والفهم والحفظ ، حتّى أنّه قد روى جماعة عديدة في كتبهم عن جمع من الصحابة ، كما سيأتي في الآية الثالثة : أنّها لما نزلت ، قال النبيّ ﷺ : «إِنِّي سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَهَا أُذُنَكَ يَا عَلِيّ ، ففعل» ، وأنّ عليّاً عليه السلام كان يقول : «فما سمعت من نبيّ الله كلاماً إلّا وعيته وحفظته فلم أنسه»^(٤) .

وسيأتي أيضاً قول رسول الله ﷺ في عليّ عليه السلام : «إنّه موضع سرّي»^(٥) ، وظاهر أنّ المراد العلوم الكاملة .

وفي مناقب الخوارزمي عن النبيّ ﷺ : «إنّ الله لما خلق السماوات والأرض دعاهنّ فأجبنه ، فعرض عليهنّ نبوّتي وإمامة عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقبلتاها ، ثمّ خلق الخلق وفوّض إلينا أمر الدين ، فالسعيد من سعد بنا ، والشقيّ من شقي بنا ، نحن المحلّلون لحلاله والمحزّمون لحرامه»^(٦) .

وسيأتي في فصل ذكر مولد عليّ عليه السلام كلام الهاتف لفاطمة أمّ عليّ عليه السلام في جوف الكعبة : «يا فاطمة^(٧) ، سمّيه عليّاً ، إلى قوله : وأدّبته بأدبي وأوقفته على غامض علمي»^(٨) .

(١) الخصال : ٥٧٤ ، ضمن الحديث ١ .

(٢) سورة الحاقة ٦٩ : ١٢ .

(٣) المناقب للخوارزمي : ٢٨٢ / ٢٧٧ .

(٤) تقدّم ترجمته في ص ٢١٠ هامش ٢ .

(٥) الأمالي للصدوق : ٣٥٩ / ٤٤٣ ، بشارة المصطفى : ٦٤ / ٥٠ .

(٦) المناقب للخوارزمي : ١٣٤ / ١٥١ .

(٧) في «م» زيادة : «يا فاطمة» .

(٨) الأمالي للصدوق : ١٩٤ / ٢٠٦ ، علل الشرائع : ١٣٥ / ٣ ، معاني الأخبار : ٦٢ / ١٠ ، بشارة

المصطفى : ٢٦ / ١٠ ، كشف اليقين : ٢١٠١٧ ، كشف الغمّة : ١ : ٦٠ .

وفيه أيضاً : إنّ فاطمة لما جاءت بعليّ عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله شرع عليّ وقراً قوله تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ ^(١) ، الآيات قبل نزولها ^(٢) .

وروى الثعلبي في كتاب العرائس قال : لما تولّى عمر بن الخطّاب الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له : يا عمر ، أنت وليّ الأمر بعد محمّد صلى الله عليه وآله وصاحبه (؟ قال : نعم ، قالوا) ^(٣) : وإنّا نريد أن نسألك عن خصال إنّ أخبرتنا ^(٤) بها علمنا أنّ الإسلام حقّ ، وأنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان نبياً ، وإن لم تخبرنا بها علمنا أنّ دين الإسلام باطل ، فقال عمر : سلوا عمّا بدا لكم .

فقالوا : أخبرنا عن أقفال السماوات ما هي ، وعن مفاتيح السماوات ما هي ، وعن قبر سار بصاحبه ما هو ، وعن أنذر قومه لا هو من الجنّ ولا هو من الإنس ، وعن خمسة أشياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ، وعمّا يقول الدّراج في صياحه ، وما يقول الديك في صراخه ، والفرس في صهيله ، وما يقول الضفدع في نقيقه ، والحمّار في نقيقه ^(٥) ، والقنبر ^(٦) في صفيره ؟

قال : فنكس عمر رأسه في الأرض ، ثمّ قال : لا عيب لعمر إن سئل عمّا لا يعلم أن يقول : لا أعلم فوثب اليهود ، وقالوا : نشهد أنّ محمّداً لم يكن نبياً ، فوثب سلمان الفارسي رضي الله عنه ، وقال لليهود : قفوا قليلاً ، ثمّ توجّه

(١) سورة المؤمنون (٢٣) .

(٢) انظر : المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ١٩٨ .

(٣) ما بين القوسين لم يرد في «س» و«ل» و«ن» .

(٤) في «م» : «أجبّتنا» بدل «أخبرتنا» .

(٥) في «م» : «شهيقه» بدل «نقيقه» .

(٦) القنبر : ضرب من الحمير .

انظر : كتاب العين ٥ : ٢٦٤ ، تاج العروس ٧ : ٤١٩ .

نحو^(١) عليّ عليه السلام حتّى دخل عليه ، وقال : يا أبا الحسن ، أغث الإسلام ، قال : «وما ذاك؟» فأخبره الخبر ، فأقبل عليّ عليه السلام يرّقل^(٢) في بُردة رسول الله صلى الله عليه وآله فلَمّا نظر إليه عمر وثب فاعتنقه ، وقال : يا أبا الحسن ، [أنت^(٣)] لكلّ معضلة شديدة تدعى .

فقال عليه السلام لليهود : «سلوا ما بدا لكم ، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله علّمني ألف باب من العلم ، من كلّ باب يتشعب ألف باب» فسألوه عنها ، فقال عليّ عليه السلام : «إنّ لي عليكم شريطة إذا أخبرتكم بما في توراتكم ، دخلتم في ديننا ؟» فقالوا : لك ذلك .

فقالوا : أخبرنا عن أقفال السماوات ما هي؟

فقال : «هي الشرك بالله لأنّ العبد والأمة إذا كانا مشركين لم يرفع لهما عمل» .

فقالوا : وما مفاتيح هذا الأقفال؟

قال : «شهادة أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً عبده ورسوله» .

قال : فجعل بعضهم ينظر إلى بعض ويقولون : صدق الفتى .

قالوا : فأخبرنا عن قبر سار بصاحبه؟

قال : «ذلك الحوت إذ لقم يونس بن متى فسار به بإذن الله في البحار السبعة» .

قالوا : فأخبرنا عمّن أنذر قومه لا من الجنّ ولا من الإنس؟

(١) في «م» : «إلى» بدل «نحو» .

(٢) رقل ، أرقل : أسرع .

انظر : مجمع البحرين ٥ : ٣٨٥ ، الصحاح ٤ : ١٧١٢ ، لسان العرب ١١ : ٢٩٣ ، مادة . رقل . .

(٣) زيادة من المصدر .

قال : «تلك نملة سليمان إذ قالت : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّملُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾^(١) .

قالوا : فأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الأرض ولم يخلقوا في الأرحام ؟

قال : «ذلك آدم ، وحواء ، وناقصة صالح ، وكبش إبراهيم ، وعصا موسى عليه السلام» .

قالوا : فأخبرنا عما يقول الدجاج ؟

قال : «يقول : الرحمن على العرش استوى» .

قالوا : فما يقول الديك في صراخه ؟

قال : «يقول : أذكروا الله يا غافلين» .

قالوا : فما يقول الفرس في صهيله ؟

قال : «يقول : اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين» .

قالوا : ما يقول الضفدع ؟

قال : «يقول : سبحان ربّي المعبود ، المسبح في لجج البحار» .

قالوا : فما يقول الحمار في نحيقه ؟

قال : «يلعن العشّارين ، وينهق في أعين الشياطين» .

قالوا : وما يقول القنبر ؟

قال : «يقول : اللهم العن مبغضي محمد وآل محمد» .

وكان اليهود ثلاثة نفر ، فقال اثنان منهم : نشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول

الله ، ووثب الثالث ، فقال : وبقيت خصلة واحدة أسأل عنها ،

(١) سورة النمل ٢٧ : ١٨ .

فقال : «سل عمّا بدا لك» .

قال : وأخبرني عن قوم في أوّل الزمان ، ماتوا ثلاثمائة وتسع سنين ، ثمّ أحياهم الله تعالى ما كانت قصّتهم ؟

قال : «يا يهوديّ ، هؤلاء أصحاب الكهف ، وقد أنزل الله على نبينا قرآناً فيه قصّتهم وصفتهم^(١) ، فإن شئت قرأته عليك» ، فقال اليهوديّ : إن كنت عالماً به ، فأخبرني بأسمائهم ، وأسماء آبائهم ، واسم مدينتهم ، واسم كلبهم ، واسم جبلهم ، واسم كهفهم ، وقصّتهم من أوّلها إلى آخرها .

فقال : («يا أخا اليهود حدّثني حبيبي^(٢)) رسول الله ﷺ : أنّه كان بأرض الروم مدينة يقال لها : أفسوس^(٣) ، ويقال لها : طرسوس^(٤) وكان لها ملك صالح ، فمات فسمع بهلاكه ملك من ملوك الفرس يقال له : دقيانوس ، وكان جباراً كافراً» ، ونقل عنه قصّتهم بطولها وبسطها ، وقد ذكرها الثعلبي ، ونحن لم نذكرها ؛ اختصاراً ، ثمّ قال : «يا يهودي ، أياوافق كلّ ما ذكرت ما في توراتكم؟» فقال اليهوديّ : ما زدت حرفاً واحداً ولا نقصت حرفاً يا أبا الحسن ، لا تسمّني يهوديّاً ، فإني أشهد أن لا إله إلاّ

(١) كلمة «وصفتهم» لم ترد في «م» .

(٢) بدل ما بين القوسين في «م» هكذا : «نعم ، قال : حدّثني» .

(٣) أفسوس : . بضمّ الهمزة ، وسكون الفاء ، والسينان مهملتان ، والواو ساكنة . بلد بـثغور طرسوس ، ويقال : إنّه بلد أصحاب الكهف ، وفي نسخة «س» و«ل» : «قسوس» بدل «أفسوس» .

انظر : معجم البلدان ١ : ٢٣١ .

(٤) طرسوس : . بفتح أوّله وثانيه ، وسينين مهملتين بينهما واو ساكنة ، كلمة عجميّة روميّة . مدينة بـثغور الشام بين أنطاكية وحلب وبلاد الروم ، وقيل : أحدثها سليمان الذي كان خادماً للرشيدي في سنة ١٩٠ هـ .

انظر : معجم البلدان ٤ : ٢٨ .

الله وأنَّ محمداً رسول الله ، وأنتَ عالم هذه الأمة^(١) .

وفي الرواية التي تأتي (في الفصل التاسع عن أبي رافع وعن غيره في)^(٢) تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾^(٣) أَنَّ عَلِيّاً عَلَيْهِ السَّلَامُ قام من بين جميع بني هاشم حين دعاهم النبي ﷺ في أول البعثة ، فباع النبي ﷺ لهم وهم ينظرون إليه فقال له^(٤) رسول الله ﷺ : «أدن مني» ، فدنا منه ، فقال : «افتح فاك» ، فمَجَّ في فيه من ريقه ، وتفل بين كتفيه وبين ثدييه ، فقال أبو لهب : لبئس ما حبوت^(٥) به ابن عمك ؛ حيث أجابك فملأت فاه ووجهه^(٦) بالريق ، فقال النبي ﷺ : «بل ملأته علماً وحلماً وفهماً»^(٧) .

وسياًتي . إن شاء الله تعالى . في الختام حديث طويل عن مجاهد ، عن أبي سعيد الخدري في أَنَّ جماعة من أخيار الصحابة ، منهم : سلمان ، وأبو ذر ، والمقداد ، وعمرار ، وغيرهم دخلوا على النبي ﷺ وسألوه عن حكاية إسلام عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فذكر لهم (رسول الله ﷺ) (٨) قصة ولادة عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وفضائله ، وفيه : أَنَّهُ ﷺ قال : «لما أخذتُ أنا عليّاً من يد أمه عند ولادته تشهد بالوحدانية ، ثمَّ سلَّم عليّ ، وقال : يا رسول الله ، أقرأ ؟ قلت : إقرأ ،

(١) قصص الأنبياء للثعلبي : ٤١٣ . ٤١٩ .

(٢) ما بين القوسين في «ن» هكذا : «عن أبي رافع وعن غيره في الفصل التاسع عند» .

(٣) سورة الشعراء ٢٦ : ٢١٤ .

(٤) كلمة : «له» لم ترد في «م» و«ل» .

(٥) في «م» : «حبوته» بدل «حبوت» .

(٦) في «م» : «وجهه وفاه» بدل «فاه ووجهه» .

(٧) مجمع البيان ٤ : ٢٠٦ .

(٨) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

فو الذي نفس محمد بيده لقد ابتدأ بالصُّحف التي أنزلها الله ^(١) على آدم ، فقام بها ابنه ^(٢) شيث فتلاها من أول حرف (فيها إلى آخر حرف فيها) ^(٣) حتى لو حضر شيث لأقرّ له إنّه أحفظ له منه ، ثم تلا صحف إبراهيم عليه السلام ، ثم قرأ توراة موسى عليه السلام حتى لو حضر موسى عليه السلام لأقرّ بأنّه أحفظ لها منه ، ثم قرأ زبور داود عليه السلام حتى لو حضر داود لأقرّ بأنّه أحفظ له منه ، ثم قرأ الإنجيل حتى لو حضر عيسى عليه السلام لأقرّ بأنّه أحفظ له منه ، ثم قرأ القرآن الذي أنزل الله عليّ من أوله إلى آخره فوجدته يحفظ كحفظي له الساعة» ^(٤) ، الخبر .

وروى ابن عبد البرّ بإسناد له عن زرّ بن حبیش ^(٥) ، قال : جلس رجلان يتغذّيان ^(٦) ؛ مع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة أرغفة ، فلما وضعا الغداء بينهما مرّ بهما ثالث فسلم ، فقالا له : اجلس للغداء فجلس ^(٧) ، وأكل معهما ، واستوفوا في أكلهم جميع الأرغفة ، فقام الرجل

(١) في «م» : «أنزلت» بدل «أنزلها الله» .

(٢) كلمة «ابنه» لم ترد في «م» .

(٣) بدل ما بين القوسين في «م» هكذا : «منها إلى آخرها» .

(٤) روضة الواعظين : ٨٢ - ٨٤ ، بحار الأنوار ٣٥ : ١٩ / ١٥ .

(٥) هو زرّ بن حبیش بن حباشة بن أوس الأسدي ، يكنى أبا مريم ، وقيل : أبا مطرف ، تابعي ، من جلتهم ، أدرك الجاهليّة والإسلام ، ولم ير النبي ﷺ ، كان مقرئاً وعالمًا بالقرآن ، سكن الكوفة وعاش ١٢٠ سنة .

مات سنة ٨٢ هـ ، وقيل : سنة ٨٣ .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ١٠٤ ، المعارف لابن قتيبة : ٤٢٧ ، سير أعلام النبلاء ٤ :

١٦٦ / ٦٠ ، غاية النهاية في طبقات القراء ١ : ٢٩٤ / ١٢٩٠ ، الأعلام للزركلي ٣ : ٤٣ .

(٦) في «م» : «يتغذّان» بدل «يتغذّيان» .

(٧) في «م» زيادة : «للغداء» .

وطرح إليهما ثمانية دراهم ، وقال لهما : خذا هذا عوضاً عما أكلت ، فتنازعا ، فقال صاحب الخمسة : لي خمسة دراهم ، ولك ثلاثة ، وقال صاحب الثلاثة : لا أرضى إلا أن تكون الدراهم بيننا نصفين ، وارتفعا إلى عليّ عليه السلام فقصا عليه قصتهما .

فقال لصاحب الثلاثة : «إرض بما عرض عليك صاحبك ، وخبزه أكثر من خبزك» ، فقال : لا والله ، لا أرضى منه إلا بمُرّ الحقّ .

فقال عليّ عليه السلام : «ليس لك في مُرّ الحقّ إلا درهم واحد» .

فقال له الرجل : فعرفني بوجه الحقّ حتّى أقبله ، فإنّه أعطاني ثلاثة فما رضيت ، وأنت تقول : لي واحد .

فقال عليه السلام : «أليست الثمانية الأرغفة ، أربعة وعشرون ثلثاً ، أكلتموها وأنتم ثلاثة ، ولا يعلم الأكثر منكم أكلاً ولا الأقلّ فتحملون في أكله على السواء؟» قال : بلى .

قال : «فأكلت أنت ثمانية أثلاث ، وإمّا لك تسعة أثلاث ، وأكل صاحبك ثمانية أثلاث ، وله خمسة عشر ثلثاً ، أكل منها ثمانية ، فبقي له سبعة ، فأكل منك واحداً ، فلك واحد بواحدك ، وله سبعة» ، فقال الرجل : رضيت الآن ^(١) .

وروى جماعة كابن بابويه ، وأبي بكر بن دريد ^(٢) ، والعكبريّ ،

(١) الاستيعاب ٣ : ١١٠٥-١١٠٦ ، ونحوه في الاختصاص : ١٠٧ ، بحار الأنوار ١٠٤ : ٢٩٧ / ٣ ، والاستيعاب ٣ : ١١٠٥-١١٠٦ .

(٢) هو محمد بن الحسن بن دُرَيْد بن عَنايهة الأزديّ البصريّ ، يكنّى أبا بكر ، من أئمة اللغة والأدب ، وكان أشهر العلماء وأعلم الشعراء ، رحل إلى نواحي فارس ، وجزائر البحر ؛ لطلب العلم ، ففاق أهل زمانه ، ثمّ سكن بغداد ، وكان أبوه رئيساً

وغيرهم عن حميد بن أنس بن مالك عن أبيه أنه قال : لما قبض النبي ﷺ وجلس أبو بكر أقبل يهودي في نفر معه ، فقال : أين وصي رسولكم؟ فأشار القوم إلى أبي بكر فوقف عليه . فقال : أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي .

فقال أبو بكر : سل عما بدا لك .

فقال اليهودي : أخبرني عما ليس لله ، وعما ليس عند الله ، وعما لا يعلمه الله ؟

فقال أبو بكر لليهودي : هذه مسائل الزنادقة ، وهم هو وأصحابه باليهودي .

فقال ابن عباس : إن كان عندكم جوابه ^(١) ، وإلا فاذهبوا به إلى من يجيبه ^(٢) ، سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي : «اللهم اهد قلبه وثبت لسانه» ، فقام أبو بكر ومن حضره حتى أتوا علياً عليه السلام ، فقال أبو بكر : يا أبا الحسن ، إن هذا اليهودي سألني عن مسائل الزنادقة .

فقال علي عليه السلام : «يا يهودي ، ما تقول؟» فقال : أسألك عن أشياء لا يعلمها إلا نبي أو وصي نبي .

فقال علي عليه السلام : «قل» ، فذكر المسائل .

متمولاً ، له كتب منها : الاشتقاق ، الجمهرة ، الأمالي ، وغيرها .

مات سنة ٣٢٣ هـ .

معجم الشعراء للمرزباني : ٤٢٥ ، تاريخ بغداد ٢ : ١٩٥ / ٦٢١ ، المنتظم ١٣ : ٣٢٩ / ٢٣٢٨ ،

معجم الأدباء ١٨ : ١٢٧ / ٣١ ، وفيات الأعيان ٤ : ٣٢٣ / ٦٣٧ ، سير أعلام النبلاء ١٥ : ٩٦ / ٥٦ .

(١) في «م» : «جواب» بدل «جوابه» .

(٢) في «م» زيادة : «فقد» .

فقال عليه السلام : «أما ما لا يعلمه الله فذلك قولكم يا معاشر اليهود : إنّ العزير ابن الله ، والله لا يعلم له ولداً ، وأما قولك : ما ليس عند الله ، فليس عند الله ظلم للعباد . وأما قولك : ما ليس لله ، فليس له شريك» .

فقال اليهودي : أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وأنّك وصيّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ووارث علمه .

فقال أبو بكر والمسلمون لعليّ عليه السلام : يا مفرّج الكرب ، ويا فارح الهمم^(١) .
وفي رواية : فعند ذلك خرج أبو بكر ورقى المنبر وقال : أقبّلوني أقبّلوني لست بخيركم وعليّ فيكم ، فخرج إليه عمر ، وقال : أمسك يا أبا بكر عن هذا الكلام ، فقد ارتضيناك لأنفسنا ، فنزل^(٢) .

وفي رواية أخرى : إنّ الرجل كان راهباً من رهبان الروم ، وأنّه جاء إلى أبي بكر ومعه حمل بغير من الذهب والفضّة ، فقال : أريد أمين هذه الأمة لأسأله عن مسائل فإنّ أجباني فيها^(٣) أسلمت ، وفترقت هذا المال بينكم ، فلمّا أشاروا إلى أبي بكر ، قال له أوّلاً^(٤) : ما اسمك؟

قال : اسمي عتيق .

قال : ثمّ ماذا ؟

قال : صدّيق .

فقال : وهل غيرهما؟

(١) الدرّ النظيم : ٢٥٤ ، وفيه : عن العُكلي ، بدل العكيري ، وبتفاوت يسير .

(٢) الفضائل لابن شاذان : ١٣٣ ، بحار الأنوار ١٠ : ٢٨ ، ذيل الحديث ١٤ .

(٣) كلمة «فيها» لم ترد في «م» .

(٤) كلمة : «أوّلاً» لم ترد في «م» .

قال : لا .

قال : فلست بصاحبي ، ثمّ سأله ما سأله ، الخبر ، إلى أن أجابه عليّ عليه السلام .

فقال لعليّ عليه السلام : ما اسمك يا فتى؟

فقال : «اسمي عند اليهود إيليا ، وعند النصارى إيليا ، وعند والدي عليّ ، وعند أمّي

حيدرة» .

فقال : وما محلّك من نبيّكم؟

قال : «أخي وصهري وابن عمّي» .

فقال الراهب : أنت صاحبي وربّ عيسى ، (ولقد قرأت اسمك في التوراة ، والإنجيل ،

والكتب السالفة)^(١) ، ثمّ أسلم وفرّق المال (عليّ عليه السلام) ^(٢) في المساكين ^(٣) .

وفي روايةٍ وروى جماعة أيضاً : أنّ حبراً من أحبار اليهود جاء ، فقال لأبي بكر : أنت

خليفة نبيّ هذه الأمّة؟

قال : نعم .

قال : فإنّا نجد في التوراة أنّ خلفاء الأنبياء أعلم أمّتهم ، أين الله؟

قال : في السماء .

قال : فأرى الأرض خالية منه ، ثمّ ولّى مستهزئاً بالإسلام ، فلقيه عليّ عليه السلام ، فقال

: «قد عرفت سؤالك وجوابك ، وإنّا نقول : إنّ الله أئین الأئین

(١) ما بين القوسين لم يرد في «س» .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

(٣) الاحتجاج ١ : ٤٨٤ - ٤٨٨ ، نهج الإيمان : ٢١٩ - ٢٢١ ، بحار الأنوار ١٠ : ٥٢ - ٥٣ ، بتفاوت فيها .

فلا أين له ، جلّ أن يحويه مكان ، وهو في كلّ مكان بغير مماسة ، يحيط علماً بما فيها ، ولا يخلو من تدبيره شيء منها» ، ثمّ قال عليه السلام : «أليس في كتبكم أن موسى عليه السلام جاءه ملك ، فقال له : من أين أقبلت؟ قال : من المشرق من عند الله ، ثمّ أقبل آخر من المغرب ، وآخر من السماء ، وآخر من الأرض كلّ يقول : جئت من عند الله» .

قال اليهودي : هذا هو الحقّ وأنت^(١) أحقّ بنبيّك ممّن استولى عليه ، ثمّ قال : لقد سمعت جمعاً قرأوا التوراة وكتاب يوشع وكتباً تسمّى كتب النبوة ، كانوا يقولون : إنّ فيها أنّ خليفة الأنبياء لابدّ أن يكون أعلم الرعية ، وأزهد الخليفة وأشدّهم رأياً وأعلاهم حسباً ، قال : وذلك أيضاً في الجزء الخامس من السفر الثاني وفي الجزء الأول من السفر الخامس^(٢) .

وقد روى ابن جبر^(٣) في كتاب الاعتبار ، والطوسي في أماليه ، وغيرهما هذا الخبر أيضاً ، عن سلمان لكن بأدنى تفاوت ، وخلاصته هكذا : قدم على أبي بكر قوم من النصارى وفيهم جاثليق ، فسأل عن وصيّ النبيّ ﷺ ، فقال عمر : هذا خليفة النبيّ ﷺ ، وأشار إلى أبي بكر ، فقال الجاثليق : بم فضّلتم علينا ؟

(١) في «م» و«ن» : «وأنتك» بدل «وأنت» .

(٢) الإرشاد للمفيد ١ : ٢٠١ ، الاحتجاج ١ : ٤٩٤ - ٤٩٥ ، باختصار فيهما ، نخب الإيمان : ٢٨٤ - ٢٨٦ ، الصراط المستقيم ١ : ٢٢٤ - ٢٢٥ ، بتفاوت يسير .

(٣) هو الحسين بن جبير ، ويقال : جبر ، المعروف بابن جبر . اختلفت النقول في ضبطه ، هل ابن جبر بالجيم المعجمة ، أو ابن جبر بالحاء المهملة المكسورة ، أو ابن جبير بإضافة الياء؟ والموجود في أكثر المواضع : الحسين بن جبر . بالحاء المهملة المكسورة . وهو فاضل عالم جليل ، يروي عن ابن شهر آشوب بواسطة واحدة ، له كتب منها : نخب المناقب ، والاعتبار .

انظر : رياض العلماء ٢ : ٣٩ - ٤٠ .

قال أبو بكر : نحن مؤمنون وأنتم كافرون .

قال : فأنت مؤمن عند الله أم عند نفسك؟

قال : عند نفسي ، ولا علم لي بما عند الله .

قال : فأنا كافر عندك أم عند الله؟

قال : عندي ولا علم لي بما عند الله .

قال : فأنت شاكّ في دينك ، ولست على يقين من أمرك ، ثمّ قال : أفتصل إلى الجنّة بما أنت عليه من الدين؟

قال : لا أعلم .

قال : أفرجو ذلك لي؟

قال : أجل .

قال : فما أراك إلّا راجياً لي ، وخائفاً على نفسك ، فما فضلك عليّ ، وكيف صرت خليفة النبيّ ﷺ ولم تحط علماً بما تحتاج إليه الأمة؟

فقال عمر : كفّ عن هذا العتب وإلّا أبجنا دمك .

فقال : ما هذا عدل على من جاء مسترشداً ، دلّوني على من أسأله .

فأتى به سلمان رضي الله عنه إلى عليّ عليه السلام ، فسأله .

فقال عليّ عليه السلام : «أنا مؤمن عند الله وعند نفسي ، وأصل الجنّة بوعد نبيّي ، المعلوم صدقه بمعجزاته» .

فقال الرجل : فأين الله اليوم؟

قال : «إنّ الله أين الأين» ، إلى قوله : «كلّ يقول : جئت من عند الله» . وفي آخره أنّه قال : فما قال نبيّكم في المسيح؟

فقال : قال : «إنّه مخلوق ؛ لتغيّره» .

فقال : فيم تبيّنت أنت من الرعيّة؟

قال : «لعلمي بما كان وما يكون» .

فقال : هات برهانه .

قال : «أظهرت في سؤالك الاسترشاد ، وأضمرت خلافة وأريت في منامك مقامي ، وحذرت من خلافي» .

فقال الرجل : صدقت ، وأسلم هو ومن معه ، وأقرّوا بوصايته .

فقال عمر : يجب أن تعلم أن الخليفة هو من خاطبته أولاً برضا الأمة ، فأبى ذلك ، فقال عمر : لولا أن يقولوا : قتل مسلماً ، لقتلته ، فأبى أظنه شيطاناً يريد إفساد هذه الأمة (١) .

وروى جماعة ، منهم : الشيخ الحافظ المعروف عند الفريقين : محمد ابن مسلم بن أبي الفوارس الرازي في كتاب «الأربعين» الذي جمعه عن القاضي أبي بكر النيسابوري عن جماعة معنعناً عن عبدالله بن خالد بن سعيد بن العاص ، قال : كنت مع أمير المؤمنين عليه السلام وقد خرج من الكوفة إذ عبر بالصعيد الذي يقال له : النخيلة ؛ على فرسخين من الكوفة ، فخرج منها خمسون رجلاً من اليهود وقالوا : أنت علي بن أبي طالب الإمام؟ فقال : «أنا ذا» .

فقالوا : لنا صخرة مذكورة في كتبنا عليها اسم سبعة من الأنبياء وهو ذا نطلب الصخرة فلا نجدها ، فإن كنت إماماً وجدنا الصخرة .

فقال علي عليه السلام : «اتبعوني» .

قال عبدالله بن خالد : فسار القوم خلف أمير المؤمنين عليه السلام إلى أن استبطن بهم البر ، وإذا بجبل من رمل عظيم .

(١) الأمالي للطوسي : ٢١٨ / ٣٨٢ ، بتفاوت ، ونقله عن الأمالي والاعتبار ، البيضاوي في الصراط المستقيم ٢ : ١٥ ، بتفاوت يسير .

فقال ﷺ : «أَيُّهَا الرِّيحُ ، إنسفي الرمل عن الصخرة بحق اسم الله الأعظم» ، فما كان إلا ساعةً حتَّى نسفت الرمل وظهرت الصخرة ، فقال عليّ ﷺ : «فهذه صخرتكم». فقالوا : عليها اسم ستّة من الأنبياء على ما سمعنا وقرأنا في كتبنا ، ولسنا نرى عليها الأسماء!

فقال ﷺ : «الأسماء التي عليها هي على وجهها الذي على الأرض ، فاقبلوها ، فاعصو صب^(١) عليها ألف رجل حضروا في هذا المكان فما قدروا على قلبها . فقال ﷺ : «تنحّوا عنها» ، فمدّ يده إليها فقلّبها ، فوجدوا عليها اسم ستّة أنبياء أصحاب الشرائع : آدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى ، ومحمّد عليهم أفضل الصلاة والسلام .

فقال نفر اليهود : نشهد أن لا إله إلا الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، وأنّك أمير المؤمنين وسيّد الوصيّين وحجّة الله في أرضه ، من عرفك سعد ونجا ، ومن خالفك ضلّ وغوى وإلى المجيم هوى ، جلّت مناقبك عن التحديد ، وكثرت آثار نعتك عن التعديد^(٢) . وفي كتاب الشيرواني^(٣) من كتب العامة ما هذا صورته : روي أنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ ﷺ : «يا عليّ، قف اليوم على الباب ولا تمكّن أحداً يدخل عليّ ، فإنّ عندي زوّاراً من الملائكة استأذنوا ربّهم أن يزورني» ،

(١) اعصو صب القوم : اجتمعوا وصاروا عصائب .

انظر : الصحاح ١ : ١٨٣ ، لسان العرب ١ : ٦٠٦ مادة . عصب . .

(٢) نواذر المعجزات : ٤٠ / ١٥ ، عيون المعجزات : ٣١ ، الدرّ النظيم : ٢٩٦ ، الفضائل لشاذان : ٧٣ ،

اليقين لابن طاووس : ٢٥٢ / ٨٧ ، بحار الأنوار ٤١ : ٢٥٧ / ١٨ .

(٣) هكذا في الأصل ، والظاهر : «الشرواني» .

فوقف عليّ عليه السلام على الباب ، فجاء عمر بن الخطّاب ، فقال : يا عليّ ، استأذن لي على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال : «ما عليه إذن» ، فرجع كئيباً محزوناً ، ثمّ إنّه عاد ، وقال : يا عليّ ، استأذن لي على رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فقال عليه السلام : «ما عليه إذن» ، فقال عمر : ولمّ ذلك؟ فقال : «لأنّ عنده زوّاراً من الملائكة استأذِنوا ربّهم أن يزوروه» ، قال : وكم هم؟ قال : «ثلاثمائة وستون ملكاً» ، قال : فطابت نفس عمر عند ذلك ، ثمّ أمر النبيّ صلّى الله عليه وآله بفتح الباب ، فدخل عليّ عليه السلام وعمر ، فأخبره عمر بما قال له عليّ عليه السلام ، ثمّ قال : يا رسول الله ، وأخبرني أيضاً بعددهم ، فقال صلّى الله عليه وآله : «بكمّ أخبرك يا عمر؟» ، قال : بثلاثمائة وستين ملكاً ، فقال صلّى الله عليه وآله : «يا عليّ ، أنت أخبرت عمر بعدد الملائكة؟» ، قال : «نعم» ، قال : «وما علمك بهذا؟» ، قال : «يا رسول الله ، سمعت ثلاثمائة وستين نعمة ، فعرفت أنّ كلّ نعمة ملكاً» ، قال : فضرب النبيّ صلّى الله عليه وآله على صدر عليّ عليه السلام ، وقال له : «زادك الله علماً و يقيناً» ^(١) .

وقال ابن عبّاس رضي الله عنه : لما نزلنا بذي قار مع أمير المؤمنين عليه السلام قلت : يا أمير المؤمنين ، ما أقلّ من يأتيك من أهل الكوفة فيما أظنّ ! فقال عليه السلام : «والذي بعث محمداً صلّى الله عليه وآله بالحقّ لتأتيّ منهم ستّة آلاف وخمسمائة وستّون رجلاً لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً» .

قال : فدخلني من ذلك شكّ شديد ، وعظم عليّ ، فقلت في نفسي : والله ، لئن قدموا لأعُدّهم ، فلمّا وردوا قعدت على الجسر لاعتبار ما قاله عليّ عليه السلام ، فوجدتهم كما قال ستّة آلاف وخمسمائة وستّون رجلاً لا يزيدون

(١) المصدر غير متوفر لدينا ، لكن روى عنه يوسف بن حاتم الشامي في الدر النظيم : ٣٢٧ ، بتفاوت يسير ، وأورد نحوه محمّد بن سليمان الكوفي في مناقبه ٢ : ٥٣٧ ، وابن حجر في المطالب العالية ٤ : ٥٨ / ٣٩٥٥ .

ولا ينقصون ، فعجبت من ذلك وذكرته لعلِّيَ ﷺ وسألته من أين علم ذلك ؟ فذكر أنّ النبي ﷺ أخبره بذلك (١) .

وفي رواية أخرى (عن ابن عباس) (٢) أنّ أمير المؤمنين ﷺ قال له : «يأتاكم اليوم من قبل الكوفة ألف رجل ، لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون ، يسارعوني على الموت» ، قال : فخفتُ أن ينقص القوم أو يزيدوا ، فيفسد الأمر علينا فلما ورد أوائلهم جعلتُ أحصيهم فاستوفيتُ تسعمائة رجلٍ وتسعةً وتسعين رجلاً ، ثم انقطع مجيءُ القوم ، فقلت : إنا لله ، ماذا حمّله على ما قال ؟ فبينما أنا متفكّر في ذلك إذ رأيْتُ شخصاً قد أقبل حتّى دنا وإذا هو رجل عليه قباء صوفٍ ومعه سيفه وثرثرته ، فقرب من أمير المؤمنين ﷺ وقال : امدد يدك أبايعك ، فقال : «وعلامَ ثبائي؟» ، قال : على السمع والطاعة ، والقتال بين يديك حتّى أموت أو يفتح الله عليك ، فقال ﷺ : «ما اسمك؟» قال : أويس (٣) ، قال ﷺ : «أنت أويس القرني؟» قال : نعم ، قال : «الله أكبر ، أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ أيُّ أدرك رجلاً من أمته يقال له : أويس القرني يكون من حزب الله ورسوله ، يموت على الشهادة ، يدخل

(١) الدرّ النظيم : ٣٤٦ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٨٧ ، وفيه بتفاوت .

(٢) ما بين القوسين لم يرد في «م» .

(٣) هو أويس بن عامر بن جَزء بن مالك ، المعروف بأويس القرني ، من خيار التابعين ، وسيّد العباد ، وعلم الأصفياء من الزهاد ، بشرّ النبي ﷺ به وأوصى به أصحابه ، أدرك النبي ﷺ ولم يره ، ويكفي في علوّ شأنه ما أشار إليه المؤلّف ، استشهد بصفتين سنة ٣٧ هـ ، وقبره فيها معروف إلى اليوم .

انظر : رجال الكشي : ١٧٤ / ١٥٥ - ١٥٨ ، أعيان الشيعة ٣ : ٥١٢ - ٥١٦ ، الطبقات لابن سعد

٦ : ١٦١ ، الأنساب للسمعاني ٤ : ٤٨١ ، أسد الغابة ١ : ١٧٩ / ٢٣١ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٩ / ٥ ، لسان الميزان ١ : ٧٢٨ / ١٤٦٨ .

في شفاعته مثل ربيعة ومضر»^(١) .

أقول : وقد ذكر بعضهم : نقل أويس ، أنه أتى فبايعه في صفين ، فقال له : «كن أويساً» ، فقال : أنا أويس ، فقال له : «كن قرنيّاً» ، فقال : قرنيٌّ^(٢) ، ثم جاهد في الرجالة حتى قتل رحمته الله .

وعلى هذا ، فلعلّ الرواية الأولى من روايتي ابن عباس كانت في ذي قار ، والثانية في صفين ، واشتبه الأمر على بعض الرواة ، أو كان عليه السلام قد أخبر في ذي قار مرةً بذلك العدد على سبيل الإطلاق وبهذا العدد مقيّداً بورودهم في ذلك اليوم ، وعلى مثل تلك البيعة مرةً أخرى ، فتكون حينئذٍ بيعة أويس في صفين بيعة ثانية ، والله أعلم .

وقال أبو العباس أحمد بن الحضر^(٣) بإسناده يرفعه إلى محمد بن واسع ، قال : حدّثني أويس القرنيّ ، قال : سمعت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول يوماً لابنه الحسن بن عليّ عليه السلام :

«يا بُنيّ من قال إنيّ مؤمن فليخضع لله عزّ وجلّ في دينه ، وليسع لنفسه في حياته ، وليخشع في صلاته ولا يجزع من ركّاته .

يا بُنيّ ، لا إيمان أطيب من الأمانة ، ولا طغيان أخبث من الخيانة ،

(١) الإرشاد للمفيد ١ : ٣١٥ . ٣١٦ ، إعلام الوری ١ : ٣٣٧ ، الخرائج والجرائح ١ : ٢٠٠ ، الثاقب في المناقب : ٢٦٦ / ٢٣٠ ، إرشاد القلوب : ٢٢٤ ، وفيه باختصار .

(٢) رجال الكشي : ٩٨ / ١٥٦ .

(٣) هو أحمد بن الحضر بن أبي صالح الحُجَنْدِيّ . حُجَنْدَة : بلدة مشهورة بما وراء النهر على شاطئ سيحون ، بينها وبين سمرقند عشرة أيّام . يكتنّ أبا العباس ، كان من مشايخ الصدوق يذكره مترضياً عليه ، ونقل رواية عنه في كمال الدين : ٥٠٩ / ٣٩ باب ٤٥ ، وهذه الرواية تدلّ على حسنه وكماله .

انظر : تعلیقة الوحید علی المنهج : ٣٥ ، تنقيح المقال ١ : ٦٠ / ٣٥٢ ، مستدرکات علم رجال

الحديث ١ : ٣٠٨ / ٩٤٢ .

ولا زهادة أفضل من التدبير ، ولا عبادة أفضل من التفكر ، ولا مهابة أعز من العلم ، ولا
أمانة أرفق من الحلم ، ولا كياسة أوفق من السماحة ، ولا بشاشة أبقي من النصيحة ، ولا
أخ أعون من الحمد والشكر ، ولا مروءة أكرم من الفصاحة واللب ، ولا رزانة أنجب من
الألفة والحب ، ولا شين أشين من السفاهة والعجب ، ولا صديق أزين من العقل ، ولا قرين
أشين من الجهل ، ولا شرف أعز من التقوى ، ولا كرم أجود من ترك الهوى ، ولا عمل
أفضل من التفكر ، ولا حسنة أعلى من الصبر ، ولا سيئة أسوأ من الكبر ، ولا دواء ألين من
الرفق ، ولا داء أوجع من الحزن ، ولا رسول أعدل من الحق ، ولا دليل أنصح^(١) من الصدق
، ولا غنى أشفى من القنوع ، ولا فقر أذل من الطمع ، ولا عبادة أحسن من الورع ، ولا
زهادة أنبل من الخشوع ، ولا حياة أطيب من الصحة ، ولا معيشة^(٢) أهنأ من العقة ، ولا
حارس أحفظ من الصمت ، ولا آت أقرب من الموت .

واعلم يا بُنيّ ، أنّ هلاك المرء في ثلاثة : في الكبر والحرص والحسد .
أمّا الكبر : فهلاك الدين ، وبه لعن اللعين وصار من أهل النار .
وأمّا الحرص : فهو عدوّ النفس ، وبالحرص أخرج آدم عليه السلام من الجنة .
وأمّا الحسد : فهو دليل الشرّ ، وبه قتل قابيل هابيل حتّى صار شقيّاً .
يا بُنيّ ، النجاة في ثلاثة : في الهدى ، والتقوى ، وترك الهوى والردى .
يا بُنيّ ، الاستقامة في ثلاثة : في الجماعة ، والطاعة ، والسنة .

(١) في المصدر : «أفصح» بدل : «أنصح» .

(٢) في المصدر : «حشمة» بدل : «معيشة» .

يا بُنَيَّ ، السعادة [في ثلاثة^(١)] : في العلم ، والعقل ، وصدق النية .
يا بُنَيَّ ، والحُتْف^(٢) في ثلاثة : في الجمع ، والمنع ، والطمع .
يا بُنَيَّ ، والرياسة في ثلاثة : في الصدق ، والحلم ، وحسن المداراة .
يا بُنَيَّ ، والجهل في ثلاثة : في الكذب ، والسفاهة ، والغضب .
يا بُنَيَّ ، والكرم في ثلاثة : في حسن العطية ، وحفظ الجار ، وصلة الرحم .
يا بُنَيَّ ، واللوم في ثلاثة : في الشح ، والبخل ، والجفاء بالإخوان .
يا بُنَيَّ ، وحسن الخلق في ثلاثة : في اجتناب المحارم ، والطلب للحلال ، والسعة على
العيال .

يا بُنَيَّ ، وسوء الخلق في ثلاثة : في ارتكاب المعاصي ، وذكر أعراض الناس ،
والتكلف لما لا يعينك .
يا بُنَيَّ ، والأخوة في ثلاثة : في المودة ، والنصيحة ، والمواساة .
يا بُنَيَّ ، والفرقة في ثلاثة : في خلاف العلماء وأمارة السفهاء ، وكثرة العجز ،
والتواني .

يا بُنَيَّ ، والبركة في ثلاثة : في الاقتصاد ، والمشاورة ، والرزق بالكفاية .
يا بُنَيَّ ، والسلامة في ثلاثة : في الوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وترك الخيانة .
يا بُنَيَّ ، والعافية في ثلاثة : في حفظ اللسان ، وترك الغيبة ، وترك النميمة .

(١) الزيادة من المصدر .

(٢) في النسخ : «الحيف» بدل «الحُتْف» .

يا بُنَيَّ ، والراحة في ثلاثة : في احتمال المؤونة ، وحسن المعونة ، والأخذ بالفضل .
يا بُنَيَّ ، والإنسانية في ثلاثة : في التواضع عند القول ، والعفو عند القدرة ، والعطيّة
بغير منّة .

واعلم يا بُنَيَّ ، أنّ الدنيا بخدافيرها فانية ، والأموال لأهلها عارية ، وأنّ حلالها وإن كثر
فيها ^(١) حساب ، وأنّ حرامها وإن قلّ منها عذاب ، وفيها بكلّ فرحة بعدها ترحة ، ولكلّ
جماعة فرقة ، ولكلّ شهوة غمّ وكربة ، ولكلّ لذة شدة ، ولكلّ سيّئة حسرة ، ولكلّ سعة
مضرة ، ولكلّ حلاوة بعدها مرارة ، ولكلّ إبرام بعده نقض ، ولكلّ لين بعده صعوبة ،
ولكلّ سرور بعده حزن ، ولكلّ طرب بعده سجن .

فكلّ هذا يا بُنَيَّ ، في الدنيا ولا ينجو إلّا من عصمه الله منها وأكرمه برحمته ، والناس
فيها غافلون ، ومن فنائها آمنون ، والموت أمامهم ينتظر آجالهم ، وهم فيما بين ذلك
يجتهدون ، وأنفسهم يكّدون ، ومن الحلال والحرام يكتسبون ، أملهم طويل ، وأجلهم قصير
، عموا في الدنيا واستأنسوا بأهلها ، فهم عن آخرها آمنون مطمئنّون ، يبنون القصور وما لا
يسكنون ، ويعمرون ما لا يدخلون ، ويأمنون ما لا يخافون .

يا بُنَيَّ ، لا الدنيا يطلبون ولا الآخرة يرجون ، لو طلبوا للدنيا عملوا بما أمروا فيها ،
ولو رجوا الآخرة لاشتغلوا فيما رجوا منها .

يا بُنَيَّ ، كيف يجتمعون؟ ومن أين يأكلون؟ وممّ يلبسون؟

يا بُنَيَّ ، المال والبنون حرث الدنيا ، والدين والعمل الصالح حرث

(١) في المصدر : «منها» بدل «فيها» .

الآخرة ، وقد يجمعها الله لأقوام يحبهم ويحبونه .

يا بُنَيَّ ، فمن أحبَّ الله أحبَّه الله وحَبَّبه إلى خلقه ، ومن أبغض الله أبغضه الله وبَغَّضه إلى خلقه ، ولا ^(١)قوة إلا بالله» ^(٢) .

وأمثال هذه الكلمات الفصيحة ، والعبارات البليغة المشتملة على المواعظ الشافية ، والمعاني الوافية ، والفوائد الجليلة ، والمطالب الجزيلة الصادرة منه عليه السلام فوق حدِّ الإحصاء ، وكفى ما ذكرناه ؛ لعدم إمكان إحصائها ، بل ولا نقل عُشر منها في مثل هذا الكتاب ، حتَّى أتَّه من بديع كلامه عليه السلام أنَّ معاوية أراد أن يظهر له البلاغة فكتب إليه : على قَدري غلى قَدري . فكتب عليه السلام في كتابه : «عَزَّكَ غَرَّكَ فصار قصار ذلك ذلك فاحش فاحش فعلك فعلك تهدي بهدي» ^(٣) .

وقد نقل جماعة ، منهم : كمال الدين ابن طلحة : أنَّ قوماً حضروا عند عليّ عليه السلام فنذاكروا فضل الخطِّ وما فيه ، فقالوا : ليس في الكلام أكثر من الألف ، بل يتعذَّر النطق بدونها ، فشرع عليه السلام في الحال بخطبة طويلة ليس فيها ألف أولها هذه : حمدتُ من عَظُمَت مِنَّتُهُ ، وسبغت نعمته ، وتمَّت كلمته ، ونفذت مشيئته ، وبلغت حجَّته ، وعدلت قضيتته ، وسبقت رحمته غضبه ، حمدته حمد مقرِّر لربوبيَّته ، متخضع لعبوديَّته ، معترف بتوحيده ، مستعيد من وعيده ، مؤمل من ربِّه مغفرة تنجيهِ ، يوم يشغل كلُّ عن فصيلته وبنيه .

ونستعينه ونسترشده ونؤمن به ونتوكَّل عليه ، وشهدت له تشهِّد عبدٍ

(١) في «م» و«ن» زيادة : «حول ولا» .

(٢) الدرّ النظيم : ٣٧٥ - ٣٧٧ ، بتفاوت يسير .

(٣) انظر : المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٥٨ ، مطالب السؤل : ٢١٥ .

مخلص موقن ، وفردته تفريد مؤمن متيقن ، ووحدته توحيد عبد مدعن ، ليس له شريك في ملكه ، ولم يكن له ولي في صنعه ، جلّ عن مشير ووزير وعون ومعين ونظير ، علّم فستر ، وبطن فخير ، وملك فقهر ، وعُصي فغفر ، وعُبد فشكر ، وحكم فعدل» ، إلى أن قال : «وشهدتُ ببعث محمد ﷺ عبده ورسوله ونبّيه وصفّيه وحبّيه وخليله ، بعثه في خير عصر ، وحين فترة وكفر ، رحمة لعبيده ، ومنّة لمزيدة ، ختم به نبوته ووضح به حجّته ، فوعظ ونصح ، وبلغ وكدح ، رؤوف بكلّ مؤمن ، رحيم سخيّ وليّ رضيّ زكيّ ، عليه رحمة وتسليم ، وبركة وتعظيم وتكريم ، من ربّ غفور رحيم ، قريب مجيب حلیم .

وصيّتكم معشر من حضر ، بوصيّة ربّكم وذكّرتكم سنّة نبّيتكم ، فعليكم برهبة تسكن قلوبكم ، وخشية تُدري دُموعكم»^(١) ، إلى آخر الخطبة ، وهي طويلة جدّاً اكتفينا بما ذكرنا . وقد نُقل عنه عليه السلام خطبة أخرى خالية عن الحروف المعجمة من أرادها ، أو تمام هذا فليرجع إلى الكتب المفصلة .

وروي : أنّ عمر استدعى امرأة كان يتحدث عندها الرجال ، ففزعت وارتاعت وخرجت معهم ، فأملصت فوق ولدها إلى الأرض يستهلّ ، ثمّ مات فبلغ عمر ذلك ، فجمع أصحاب رسول الله ﷺ وسألهم عن الحكم في ذلك ، فقالوا بأجمعهم : نراك مؤدّباً ولم ترد إلّا خيراً ولا شيء عليك في ذلك ، وأمير المؤمنين عليه السلام جالس لا يتكلّم ، فقال له عمر : ما عندك في

(١) المصباح للكفعمي ٢ : ٥٧٩ ، بحار الأنوار ٧٧ : ٣٤٠ / ٢٨ ، مطالب السؤول : ٢١٢ . ٢١٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩ : ١٤٠ . ١٤٣ ، كفاية الطالب : ٣٩٣ . ٣٩٦ .

هذا يا أبا الحسن؟ قال : «قد سمعت ما قالوا» ، قال : فما تقول أنت؟ قال : «قد قال القوم ما سمعت» ، قال : أقسمت عليك لتقولنّ ما عندك في ذلك ، قال : «إن كان القوم راقبوك فقد غشّوك ، وإن كانوا ارتؤوا فقد قصّروا ، الدية على عاقلتك ؛ لأنّ قتل الصبيّ خطأ تعلّق بك» ، فقال : أنت والله ، نصحتني من بينهم ، والله ، لا تبرح حتّى تجري الدية على بني عديّ ، ففعل ذلك أمير المؤمنين عليه السلام^(١) .

وروي : أنّ امرأتين تنازعتا على عهد عمر في طفلٍ ادّعته كلّ واحدة منهما ولدًا لها بغير بيّنة ، فالتبس الحكم في ذلك على عمر ، وفزع فيه إلى عليّ عليه السلام ، فاستدعى المرأتين ووعظهما وخوّفهما فأقامتا على النزاع والاختلاف ، فقال عليه السلام عند ذلك : «يتوني بمنشار» ، فقالت له امرأتان : ما تصنع به؟ فقال : «أقده نصفين ، لكلّ واحدة منكما نصفه» ، فسكتت إحدهما ، وقالت الأخرى : الله الله يا أبا الحسن ، إن كان لابدّ من ذلك فقد سمحتُ به لها ، فقال : «الله أكبر ، هذا ابنك دونها ، ولو كان ابنها لرقت عليه وأشفقتُ» ، فاعترفت المرأة الأخرى بأنّ الحقّ لها دونها ، فسّر عمر ودعا لأمر المؤمنين عليه السلام بما فرّج عنه في القضاء^(٢) .

وقد نقل^(٣) جمع : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام دخل ذات يوم المسجد ،

(١) الكافي ٧ : ٣٧٤ / ١١ ، الإرشاد للمفيد : ١ : ٢٠٤ ، تهذيب الأحكام : ١٠ : ٣١٢ / ١١٦٥ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٠٨ ، الدرّ النظيم : ٣٩٠ ، أنساب الأشراف ٢ : ٤٠٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٧٤ .

(٢) الإرشاد للمفيد : ١ : ٢٠٥ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٠٩ ، الدرّ النظيم : ٣٩١ ، ونحوه في الفضائل لشاذان : ٦٤ ، وبحار الأنوار ٤٠ : ٢٥٢ / ٢٦ .

(٣) في «م» : «روى» بدل «وقد نقل» .

فوجد شاباً حدثاً ييكى وحوله قوم ، فسأله عنهم ، فقال : إِنَّ شُرَيْحاً^(١) قضى عليّ قضية لم يُصْغَفني فيها ، قال : «وما شأنك؟» ، قال : إِنَّ هؤلاء نفر . وأوماً إلى نفر حضور . أخرجوا أبي معهم في سفر ، فرجعوا ولم يرجع أبي ، فسألتهم عنه ، فقالوا : مات ، فسألتهم عن ماله الذي استصحبه ، قالوا : ما نعرف له مالا ، فاستحلفهم شريح وتقدّم إليّ بترك التعرّض لهم .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام لِقَنْبِر : «إجمع القوم وادعُ لي شُرطة الخميس» ، ثمّ جلس ودعا نفر والحدّث معهم ، فسأله عمّا قال ، فادّعى الدعوى وجعل ييكى ويقول : أنا والله ، أتهمهم على أبي يا أمير المؤمنين ، فإنهم احتالوا عليه حتّى أخرجوه معهم ، وطمّعوا في ماله ، فسأل أمير المؤمنين عليه السلام القوم ، فقالوا كما قالوا لشريح : مات الرجل ولم نعرف له مالا ، فنظر أمير المؤمنين عليه السلام في وجوههم ، ثمّ قال لهم : «ماذا تظنّون ؟ أتظنّون أنّي لا أعلم ما ذا صنعتم بأبي هذا الفتى ؟ إنّني إذا لقليل العلم» .

ثمّ أمر بهم أن يُفرّقوا ، ففرّقوا في المسجد ، وأقيم كلّ واحد منهم إلى جانب أسطوانة من أساطين المسجد ، ثمّ دعا عُبيدالله بن أبي رافع كاتبه يومئذٍ ، فقال له : «اجلس» ، ثمّ دعا واحداً منهم ، فقال له : «أخبرني ولا ترفع صوتك في أيّ يوم خرجتم من منازلكم وأبو هذا الغلام معكم ؟» ، فقال : في يوم كذا وكذا ، فقال لعُبيدالله : «أكتب» ، ثمّ قال له : «في أيّ شهر كان ؟» ،

(١) هو شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم ، يكتّى أبا أميّة ، المعروف بشريح القاضي ، وفي نسبه اختلاف كثير ، كان من كبار التابعين ، وأدرك الجاهليّة ، وولاه عمر قضاء الكوفة ، فأقام على قضائها ٦٠ سنة . مات سنة ٨٧ هـ ، وقيل : سنة ٨٢ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ١٣١ ، المعارف لابن قتيبة : ٤٣٣ ، وفيات الأعيان ٢ : ٤٦٠ / ٢٩٠ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٠٠ / ٣٢ .

قال : في شهر كذا ، قال : «أُكتب» ، قال : «في أيّ سنة ؟» ، قال : في سنة كذا ، فكتب عبيدالله ذلك كلّهُ ، قال : «فبأيّ مرضٍ مات ؟» ، قال : بمرض كذا ، قال : «ففي أيّ منزل مات (١) ؟» ، قال : في موضع (٢) كذا ، قال : «من غسله وكفّنه ؟» ، قال : فلان ، قال : «فبِمَ كَفَّنْتُمُوهُ ؟» ، قال : بكذا ، قال : «فمن صلّى عليه ؟» ، قال : فلان ، قال : «فمن أدخله القبر ؟» ، قال : فلان ، وعبيدالله بن أبي رافع يكتب ، فلَمَّا انتهى [إقراره (٣)] إلى دفنه ، كَبَّرَ أمير المؤمنين عليه السلام تكبيرةً سمعها أهل المسجد ، ثمّ أمر بالرجل فردّ إلى مكانه .

ودعا بآخر من القوم فأجلسه بالقرب منه ، ثمّ سأله عمّا سأل الأوّل عنه ، فأجاب بما خالف الأوّل في الكلام كلّهُ ، وعُبيدالله بن أبي رافع يكتب ، فلَمَّا فرغ من (سؤاله كَبَّرَ تكبيرةً) (٤) سمعها أهل المسجد ، ثمّ أمر بالرجلين جميعاً أن يُخرجا عن المسجد نحو السجن ، فيوقف بهما على بابهِ .

ثمّ دعا بالثالث فسأله عمّا سأل الرجلين فحكى بخلاف ما قالَا فكتب ذلك عنه ، ثمّ كَبَّرَ وأمر بإخراجه نحو صاحبيهِ .

ودعا برابع من القوم فاضطرب قوله وتلجلج ، فوعظه وخوّفه فاعترف أنّه وأصحابه قتلوا الرجل وأخذوا ماله ، وأنهم دفنوه في موضع كذا بالقرب من الكوفة ، فكَبَّرَ أمير المؤمنين عليه السلام وأمر به إلى السجن .

واستدعى واحداً من القوم فقال له : «زعمت أنّ الرجل مات حتفٍ

(١) في «م» : «كان» بدل «مات» .

(٢) في «م» : «منزل» بدل «موضع» .

(٣) الزيادة من المصدر .

(٤) بدل ما بين القوسين في «م» هكذا : «كلامه كَبَّرَ تكبیرتين» .

أنفه وقد قتلته ، اصدّقني عن حالك ، وإلا نكّلت بك ، فقد وضع لي الحقّ في قضيتكم» ، فاعترف الرجل بما اعترف به صاحبه ، ثمّ دعا الباقيين فاعترفوا عنده بالقتل وسقط^(١) في أيديهم واتّفقت كلمتهم على قتل الرجل وأخذ ماله ، فأمر من مضى مع بعضهم إلى موضع المال الذي دفنوه ، فاستخرجه منه وسلّمه إلى الغلام ابن الرجل المقتول ، ثمّ قال له : «ما الذي تريد ؟ قد عرفت ما صنع القوم بأبيك» ، قال : أريد أن يكون القضاء بيني وبينهم بين يدي الله عزّ وجلّ ، وقد عفوت عن دمائهم في الدنيا ، فدرأ أمير المؤمنين عليه السلام عنهم حدّ القتل وأنهم عقوبةً ، فقال شريح : يا أمير المؤمنين ، كيف هذا الحكم ؟ فقال : «إنّ داؤد عليه السلام مرّ بصبيان يلعبون وينادون بواحد منهم : يا مات الدين ! قال : والغلام يُجيبهم ، فدنا داؤد عليه السلام منهم ، وقال : يا غلام ، ما اسمك ؟ قال : اسمي مات الدين ، قال له : من سمّاك بهذا الاسم ؟ قال : أمّي ، فقال داؤد عليه السلام : انطلق بنا إلى أمّك ، فانطلق به إليها فاستخرجها من منزلها فخرجت^(٢) ، فقال لها : يا أمة الله ، ما اسم (ابنك هذا ؟) ^(٣) ، قالت : اسمه مات الدين ، قال لها داؤد عليه السلام : ومن سمّاها بهذا الاسم ؟ ، قالت : أبوه ، قال : وما كان سبب ذلك ؟ ، قالت : إنّهُ خرج في سفر له ومعه قوم ، وأنا حامل بهذا الغلام ، فانصرف القوم ولم ينصرف زوجي ، فسألته عنهُ ، فقالوا : مات ، فسألته عن ماله ، فقالوا : ما ترك مالا ، فقلت لهم : هل أوصاكم بوصيّة ؟ قالوا : نعم ، زعم أنّك حبلى وإن ولدت جاريةً أو غلاماً فسمّيه مات الدين ، فسمّيته كما أوصى ولم أحبّ

(١) في «ن» : «وسقطوا» بدل «وسقط» .

(٢) كلمة «فخرجت» لم ترد في «م» .

(٣) في «م» : «هذا الغلام» بدل «ابنك هذا» .

خلافه ، فقال لها داؤد عليه السلام : هل تعرفين القوم ؟ قالت : نعم ، فقال لها : انطلقني مع هؤلاء . يعني قوماً بين يديه . فاستخرجهم من منازلهم ، فلما حضروا حكم فيهم بهذه الحكومة ، فثبت عليهم الدم ، واستخرج منهم المال ، ثم قال لها : يا أمة الله ، سمي ابنك هذا عاش الدين»^(١) .

وروى جماعة : أن رجلاً حضرته الوفاة فأوصى بجزء من ماله ولم يعيّنهُ ، فاختلف الوارث بعده في ذلك ، وترافعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقضى عليهم بإخراج (السُّبع من ماله)^(٢) ، وتلا قوله تعالى : ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾^(٣) (٤) .

وقضى في رجل أوصى عند موته بسهم من ماله ولم يعيّنهُ ، فلما مضى ، اختلف الورثة في معناه ، فقضى عليهم بإخراج الثمن من ماله ، وتلا قوله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ﴾^(٥) إلى آخر الآية ، وقال : «وهم ثمانية أصناف لكلّ صنف منهم سهم من الصدقات»^(٦) .

وقضى عليه السلام في رجل أوصى بعق كلّ عبد له قديم في ملكه ، فلم يعرف وصيّهُ كيف يصنع ، فسأله عن ذلك ، فقال : «يُعْتَق عنه كلُّ عبد له في ملكه ستّة أشهر» ثم تلا قوله تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ

(١) الكافي ٧ : ٣٧١ / ٨ ، الفقيه ٣ : ١٥ / ٤٠ ، الإرشاد للمفيد ١ : ٢١٥ . ٢١٨ ، التهذيب ٦ : ٣١٦ / ٨٧٥ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٢١ ، الدرّ النظيم : ٣٩٢ . ٣٩٥ .

(٢) في «م» : «سبع المال» بدل «السُّبع من ماله» .

(٣) سورة الحجر ١٥ : ٤٤ .

(٤) الإرشاد للمفيد ١ : ٢٢١ ، وروي نحوه في كنز الفوائد ٢ : ٩٩ ، والمناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٢٤ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٦٠ .

(٦) الإرشاد للمفيد ١ : ٢٢١ ، وروي نحوه في كنز الفوائد ٢ : ٩٩ ، والمناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٢٤ .

كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ ﴿١﴾ ، فقال : «قد ثبت أنَّ العُرجون إنما ينتهي إلى الشبه بالهلال في تقوَّسه» (٢) وضوَّولته بعد ستَّة أشهر من أخذ التمر منه» (٣) .

وقضى عليه السلام فيمن نذر أن يصوم حيناً ولم يُسمَّ وقتاً بعينه ، أن يصوم ستَّة أشهر وتلا قوله تعالى : ﴿ **تَوْبِي أْكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا** ﴾ (٤) ، وذلك في كلِّ ستَّة أشهر (٥) .

وجاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، إنَّه كان بين يديّ تمر ، فبدرت زوجتي فأخذت منه واحدة فألقته في فيها ، فحلفت أنَّها لا تأكلها ولا تَلْفِظُها ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : «تأكل نصفها وترمي نصفها وقد تخلَّصت من يمينك» (٦) .

وروى الشعبي : أنَّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يقول : والذي احتجب بسبع طباق ، فعلاه بالدرة ، ثمَّ قال له : «ويلك ، إنَّ الله أجلُّ أن يحتجب عن شيء ، أو يحتجب عنه شيء ، سبحان الذي لا يحويه مكان ، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء» ، فقال الرجل : أفأكفر عن يميني يا أمير المؤمنين ؟ فقال : «لا ، لم تحلف بالله وإنَّما حلَّفت بغيره» (٧) .

وفي رواية جماعة ، منهم : القطَّان عن الأصغ بن نباته : أنَّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : أخبرني عن الله تعالى رأيته حين عبدته ؟

(١) سورة يس ٣٦ : ٣٩ .

(٢) في «م» : «تقويسه» بدل «تقوَّسه» .

(٣) الإرشاد للمفيد ١ : ٢٢١ ، وانظر : المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٢٤ .

(٤) سورة إبراهيم ١٤ : ٢٥ .

(٥ و٦) الإرشاد للمفيد ١ : ٢٢٢ .

(٧) الإرشاد للمفيد ١ : ٢٢٤ ، الاحتجاج ١ : ٤٩٥ .

فقال له : «لم أك بالذي أعبد من لم أره» ، فقال له : كيف رأيته ؟ فقال له : «ويحك ، لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، معروف بالدلالات ، منعوته بالعلامات ، لا يُقاس بالناس ، ولا تُدركه^(١) الحواس» إلى آخر كلامه الطويل الذي ذكره في معرفة الله عَزَّوَجَلَّ ، فانصرف الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته^(٢) .

أقول : لا يخفى أنّ في هذا الحديث دليلاً على أنّه ﷺ كان ينفي عن الله رؤية الأبصار ، وأنّ معنى الرؤية ما ذكره ﷺ ، فلم يفهم عامّة العامّة أنّ المراد فيما ورد من ذلك ما معناه ، فقالوا بالرؤية التي هي التشبيه الصريح ، والكفر الفضيح ، والحق أنّ أكثر مراتب التوحيد وما يتعلّق بمعرفة الله حقّاً علم من بركات تعليم أمير المؤمنين وذريّته الأئمة الطاهرين ﷺ ، كما ينادي به أخبارهم ؛ ولهذا تاه من تركهم ، وضلّ من لم يأخذ منهم ، فافهم .

وقد روى جمع كثير من الفريقين عن جماعة منهم : الحسن البصريّ ، ومنهم : سليم بن قيس ، والأصبغ ، وغيرهم : أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين ﷺ بعد انصرافه من حرب صقّين ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، خبرنا عما كان بيننا وبين هؤلاء القوم من الحرب ، أكان بقضاء وقدر ؟ فقال له أمير المؤمنين ﷺ : «ما علّوتم تلعة ولا هبطتم وادياً إلّا والله فيه قضاء وقدر» ، فقال الرجل : فعند الله أحتسب عنائي ، فقال له أمير المؤمنين ﷺ :

(١) في «م» زيادة : «والأبصار» .

(٢) انظر : أمالي الصدوق : ٤٢٣ / ٥٦٠ ، التوحيد للصدوق : ١٠٩ / ٦ و ٣٠٥ / ١ ، الإرشاد للمفيد : ١ :

٢٢٤ ، ٢٢٥ ، الأمالي للمرتضى : ١ : ١٥٠ ، الاحتجاج : ١ : ٤٩٣ .

«وَلَمْ؟» ، قال : إذا كان القضاء والقدر ساقنا إلى العمل فما الثواب لنا على الطاعة ؟ وما وجه العقاب لنا على المعصية ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : «أَوْ ظَنَنْتَ يَا رَجُل ، أَنَّهُ قَضَاءٌ حَتْمٌ ، وَقَدَرٌ لَازِمٌ ؟ لَا تَظُنُّ ذَلِكَ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ بِذَلِكَ مَقَالَةٌ عَبْدَةِ الْأَوْثَانِ ، وَحِزْبُ الشَّيْطَانِ ، وَخِصْمَاءُ الرَّحْمَنِ ، وَقَدَرِيَّةٌ هَذِهِ الْأُمَّةُ وَمَجُوسُهَا ، إِنَّ اللَّهَ جَلَّ وَعَلَا أَمَرَ تَخْيِيرًا ، وَنَهَى تَحْذِيرًا ، وَكَلَّفَ يَسِيرًا ، وَلَمْ يُطْعَمْ مُكْرَهًا ، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا ، وَلَمْ يُمَلِّكْ مَفْوُضًا ، وَلَمْ يَخْلُقِ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ، ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ » فقال له رجل : فما القضاء والقدر الذي ذكرته يا أمير المؤمنين ؟ قال : «الأمر بالطاعة ، والنهي عن المعصية ، والتمكين من فعل الحسنة ، وترك السيئة ، والمعونة على القربة إليه ، والخذلان لمن عصاه ، والوعد والوعيد والترغيب والترهيب ، كل ذلك قضاء الله في أفعالنا ، وقدره لأعمالنا ، فأما غير ذلك فلا تَظَنَّهُ ، فَإِنَّ الظَّنَّ لَهُ مُحِبَطٌ لِلْأَعْمَالِ » ، فقال الرجل : فَرَجَّتْ عَنِّي يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَتَجَّ اللَّهُ عَنْكَ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَنْتَ الْإِمَامُ الَّذِي نَرْجُو بَطَاعَتَهُ يَوْمَ الْمَأْبِ مِنَ الرَّحْمَنِ غَفْرَانًا
أَوْضَحْتَ مِنْ دِينِنَا مَا كَانَ مُلْتَبَسًا جَزَاكَ رُبُّكَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا^(١)

(١) تحف العقول : ٤٦٨ ، الكافي : ١ / ١١٩ ، (باب الجبر والقدر .) ، التوحيد للصدوق : ٣٨٠ / ٢٨ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام : ١ / ١٣٨ ، الإرشاد للمفيد : ١ / ٢٢٥ ، الفصول المختارة : ٧٠-٧٢ ، الأمالي للمرتضى : ١ / ١٥٠ ، رسائل المرتضى : ٢ / ٢٤١-٢٤٢ ، كنز الفوائد : ١ / ٣٦٣-٣٦٤ ، روضة الواعظين : ٤١ ، الطرائف لابن طاووس : ٢ / ٢٠ ، الاحتجاج : ١ / ٤٨٩ ، الصراط المستقيم : ٣ / ٦٥ ، بحار الأنوار : ٥ / ١٢٥ ، تاريخ مدينة دمشق : ٤٢ / ٥١٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ١٨ / ٢٢٧ ، وفي روضة الواعظين والصراط المستقيم : «الحساب» بدل «المأب» ، وفي الطرائف : «النشور» بدل «المأب» .

وروى القطّان من العامة ، وكذا غيره : أنّ جماعة من أهل الكتاب سألو عمر عن قوله تعالى : ﴿ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾^(١) فأين بقيّة الجنان ؟ فقال : لا أعلم ، فقال عليّ عليه السلام لهم : « فأين يكون النهار إذا أقبل الليل » ؟ قالوا : في علم الله ، قال : فكذا هذا ، فجاء عليّ عليه السلام فأخبر النبي ﷺ فنزلت : ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾^{(٢) (٣)} .

وروى الواقدي والطبراني : أنّ عمر بن نائل ادّعى عليّاً عليه السلام بعد خروج النبي ﷺ من مكّة ليلة الغار ، أنّه قد كان أودع عند النبي ﷺ مائتي مثقال ذهباً ، وكانت تلك الدعوى بمواطأة أبي جهل^{(٤) (٥)} ، وعكرمة^(٦) ،

(١) سورة آل عمران ٣ : ١٣٣ .

(٢) سورة النحل ١٦ : ٤٣ .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٩٣ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٢ .

(٤) في «ل» زيادة : «لعنه الله» .

(٥) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي ، كنيته أبو جهل ، وأبو الحكم ، كان أشدّ الناس عداوةً للنبي ﷺ ، ومن قوله لعنة الله عليه : والله ، لا نؤمن بمحمّد أبداً ولا نصدّقه! واستمرّ على عناده ، وكان يثير الناس على محمّد رسول الله ﷺ وأصحابه ، لا يفتر عن الكيد لهم والعمل على إيذائهم ، وشهد مع المشركين وقعة بدر الكبرى .

هلك سنة ٢ هـ ، في بدر الكبرى .

انظر : الأعلام للزركلي ٥ : ٨٧ ، دائرة المعارف الإسلامية ١ : ٣٢٢ .

(٦) لعنه عكرمة بن أبي جهل المخزومي القرشي ، كان هو وأبوه من أشدّ الناس عداوةً للنبي ﷺ ، ومن أشبه أباه فما ظلم ، ولما هلك أبوه ، تحوّلت رئاسة بني مخزوم إليه ، وكان ممن هرب من مكّة لما دخلها رسول الله ﷺ .

مات سنة ١٣ هـ يوم اليرموك .

انظر : المعارف لابن قتيبة : ٣٣٤ ، أسد الغابة ٣ : ٥٦٧ / ٣٧٣٥ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٣٢٣ /

٦٦ ، تهذيب التهذيب ٧ : ٢٣٠ / ٤٧٠ ، الأعلام للزركلي ٤ : ٢٤٤ .

وعقبة^(١)، وأبي سفيان ، وحنظلة^(٢) ، فقلّب عليّ عليه السلام الودائع فلم يجدها ، فقال : «إنّها مكيدة تعود على من دبرها ، ايتني بمن يشهد لك» ، فأحضر المذكورين ، ففرّقهم عليّ عليه السلام وسألهم عن وقت الوديعة فاختلفوا ، فقال لعمر : «أراك قد اصفرّ لونك» ، فأسلم الرجل واعترف أنّهم برطلوه^(٣) مائة مثقال ، ليتوهمّ الناس بدعواه خيانة من النبيّ صلّى الله عليه وآله ^(٤) .

وعن الصادق عليه السلام : أنّ قوماً أرادوا بناء مسجد بساحل عدن ، فكانوا كلّما بنوه سقط فسألوا أبا بكر ، فخطب وسأل الناس فلم يجد عندهم شيئاً ، فقال عليّ عليه السلام : «احفروا أرضه فإنّكم تجدون قبرين مكتوب عليهما أنا رضوي وأختي حيّ مُتنا لا نشرك بالله ، فاغسلوهما وكفنوهما وصلّوا عليهما ، وادفنوهما ثمّ ابنوا» فوجدوا كما قال^(٥) .

(١) هو عُقبة بن أبي معيط بن أبان بن ذكوان بن أميّة بن عبد شمس ، يكنّى أبا الوليد ، كان شديد الأذى للمسلمين عند ظهور الدعوة ، فأأسروه يوم بدر وقتلوه ثمّ صلبوه .

هلك سنة ٢ هـ .

انظر الأعلام للزركليّ ٤ : ٢٤٠ ، الروض الأنف ٣ : ١٤٤ .

(٢) لعنه حنظلة بن أبي سفيان صخر بن حرب ، جاهليّ ، وكان شديد الأذى لرسول الله صلّى الله عليه وآله ، وقاتل المسلمين ، فقتله زيد بن حارثة يوم بدر .

هلك سنة ٢ هـ .

انظر : السيرة لابن هشام ٢ : ٣٦٥ ، المحرّج : ١٦٠ و ١٧٦ ، الأعلام للزركليّ ٢ : ٢٨٦ .

(٣) البرطيل : الرشوة . انظر : القاموس ٣ : ٤٥٦ ، المعجم الوسيط ١ : ٥٠ مادة . برطل .

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٩٤ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٢ ، بحار الأنوار ٤٠ : ٢١٩ ، ٢٢٠ / ٢ .

(٥) الخرائج والجرائح ١ : ١٩٠ / ٢٥ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٩٨ ، فرج المهموم : ٢٢٣ ، بحار الأنوار ٤٠ : ٢٢١ / ٤ ، ٤١ : ٢٩٧ / ٢٢ .

ونقل قوم من العامة والخاصة : أنَّ أبا بكر أُتي برجل شرب خمرًا فأراد حدّه ، فقال الرجل : لم أكن أعلم تحريمها ، فأرتجّ على أبي بكر ، فأرسل إلى عليّ عليه السلام فسأله ، فقال : «طوفوا به على المهاجرين والأنصار إن كان أحدٌ تلا عليه آية التحريم فأقم عليه الحدّ ، وإلاّ فخلّ عنه» ، ففعل فكان الرجل صادقاً فخلّى عنه ^(١) .

وفي رواية عمر بن أبي داؤد ^(٢) عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «لما مات عقبة ، قال عليّ عليه السلام لرجل : حرمت عليك امرأتك ، فقال عمر : كلّ كلامك عجيب يا عليّ ، يموت رجل فتحرم امرأة رجل آخر ، فقال عليّ عليه السلام : هذا عبد عقبة تزوّج بُحرة ترث هي اليوم بعض ميراث عقبة ، فصار بعض زوجها رقاً لها ، وبضع المرأة لا يتبعّض ، فقال عمر : لمثل هذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نسألك عمّا اختلفنا فيه» ^(٣) .

وفي رواية جماعة : أنَّ غلاماً أنكرته أمّه بحضرة عمر ، فنفاه عنها ، فشكا الغلام أمره إلى عليّ عليه السلام ، فطلب عليّ عليه السلام المرأة وأمرها أنّها إن كانت صادقة تزوّجت منه ، فأقرّت به ، فقال عمر : لولا عليّ لهلك عمر ^(٤) .

وكذلك أُتي إلى عمر بابن أسود ، وأبوه وأمّه أبيضان ، فانتفى منه أبوه ، فأراد عمر التعزير ، فقال عليّ عليه السلام : «لعلّك جامعتها في حيضها؟»

(١) الكافي ٧ : ٢١٦ / ١٦ (باب ما يجب فيه الحدّ في الشراب) ، خصائص الأئمة عليهم السلام للرضيّ : ٨١ - ٨٢ ، الإرشاد للمفيد ١ : ١٩٩ ، التهذيب ١٠ : ٩٤ / ٣٦١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٣٩٧ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٤ .

(٢) الظاهر أنّه عمرو بن داؤد ، راجع : مستدركات علم رجال الحديث ٦ : ٨٧ / ١١٠١ .

(٣) شرح الأخبار للقاضي نعمان ٢ : ٣٢٩ / ٦٧٣ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٠١ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٦ ، بحار الأنوار ٤٠ : ٢٢٥ .

(٤) الكافي ٧ : ٤٢٣ / ٦ (باب النوادر) ، التهذيب ٦ : ٣٠٤ / ٨٤٩ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٠٣ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٧ .

قال : نعم ، قال : «فلذلك سَوّده الله ، غلب الدم النطفة» ، فقال عمر : لولا عليّ لهلك عمر^(١) .

وروى البخاري في صحيحه ، وأبو نعيم في الحلية ، وأحمد وغيرهم عن عطاء ، وقتادة ، وشعبة ، وغيرهم : أنّ مجنونة قامت عليها البيّنة أنّ رجلاً فجر بها ، فأراد عمر أن يحدّها ، فبعث إليه عليّ عليه السلام بأنّه قال النبيّ صلى الله عليه وآله : «رُفع القلم عن المجنون» ، فقال عمر : فرّج الله عنك ، لقد كدت أن أهلك^(٢) .

وفي كتاب المناقب : أنّ ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن خصال ، فكان فيما سأله : أخبرني عن لا شيء ، فتخيّر ، فقال عمرو بن العاص : وجّه فرساً فارهاً إلى معسكر عليّ عليه السلام ليُباع ، فإذا قيل للذي هو معه : بكم ؟ يقول : بلا شيء ، فعسى أن نخرج المسألة ، فجاء الرجل إلى عسكر عليّ عليه السلام ، فإذا قد مرّ به عليّ عليه السلام ومعه قنبر ، فقال عليّ عليه السلام : «يا قنبر ، ساومه» ، فقال قنبر : بكم الفرس ؟ فقال : بلا شيء ، فقال عليّ عليه السلام : «خذ منه الفرس يا قنبر» ، فقال الرجل لعليّ عليه السلام : أعطني لا شيء ، فأخرجه إلى الصحراء وأراه السراب ، فقال : «ذاك لا شيء ، فاذهب إلى صاحبك فخيّره» ، فقال : وكيف قلت ؟ قال : «أما سمعت الله يقول : ﴿يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾»^(٣) ، فهذا

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٠٥ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٧ ، بتفاوت فيهما .

(٢) صحيح البخاري ٨ : ٢٠٤ ، مسند أحمد ١ : ٢٤٩ / ١٣٣٠ ، الإرشاد للمفيد ١ : ٢٠٣ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٠٨ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٧ ، مسند أبي يعلى ١ : ٤٤٠ / ٥٨٧ ، ولم نعثر عليه في الحلية .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٣٩ .

لا شيء»^(١) .

وسأل رجل عليّاً عليه السلام عن المدّ والجزر ، فقال : إنّ الله ملكاً موثقاً بالبحر يضع قدمه فيه ويرفعها^(٢) .

أقول : من أراد الاطلاع على ما نقلت فِرَقُ الأُمّة في علوم عليّ عليه السلام وقضاياه وأحكامه وغيرها ، فليراجع إلى سائر الكتب المبسوطة ، وإلاّ فالذي ذكرناه هاهنا مع ما مرّ ويأتي في الفصول وغيرها ليس بحدّ واحدٍ من المائة ، لكنّه كافٍ في إثبات ما نحن فيه وحصول اليقين بالمدّعى ، والله الهادي .

المقام الثاني :

في ذكر نبذ ممّا روي في أعلميّة الأئمّة المذكورين عليه السلام على نهج الإجمال والشمول ، أو بالنسبة إلى خصوص بعض بقيّة الأئمّة ، أي : ما سوى أمير المؤمنين عليه السلام ؛ لذكر ما يتعلّق به عليه السلام في المقام السابق .

قد مرّ في القسم الرابع من المقام الأوّل ذكر ما سيأتي في فصل التمسك بالثقلين من قول النبي ﷺ في أهل بيته : «لا تعلّموهم فإنّهم أعلم منكم»^(٣) . وقال ابن حجر في صواعقه : أخرج الملاء في سيرته قول النبي ﷺ : «في كلّ خلفٍ من أمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٤٢٥ ، وأورده البيضاوي في الصراط المستقيم ٢ : ١٨ .

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ٤٢٦ ، الصراط المستقيم ٢ : ١٨ ، بتفاوت يسير فيهما .

(٣) المعجم الكبير ٣ : ٦٣ / ٢٦٨١ ، جامع الأحاديث للسيوطي ٣ : ٢٤٢ / ٨٣٩٦ ، الصواعق المحرقة : ٢٣٠ .

الغالين ، وانتحال المبطلين ، وتأويل الجاهلين ، ألا وإنَّ أتمتكم وفدكم إلى الله تعالى ، فانظروا من توفدون»^(١) .

أقول : سيأتي هذا الخبر مع غيره أيضاً غير مرّة .

وروى ابن حنبل عن النبي ﷺ أنّه قال : « الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت »^(٢) ، وقد مرّ أيضاً .

وروى جمع ، منهم : الحافظ أبو نعيم في الحلية : أنّ رسول الله ﷺ قال : « من سرّه أن يحيى حياته ، ويموت موثقاً ، إلى أن قال . كما يأتي في محله . : « فليوال عليّاً من بعدي وليقتد بالأئمة من بعدي ، فإنهم عترتي خلّقوا من طينتي ، ورزقوا^(٣) فهماً وعِلماً ، فويل للمكذّبين لهم من أمّتي ، القاطعين فيهم صِلتي ، لا أنا لهم الله شفاعتي »^(٤) .

وقد روى جمع من العامة والخاصّة ما هو موجود في نهج البلاغة أيضاً من قول عليّ عليه السلام في جملة خطبة له بعد قتل عثمان : « ألا إنّ أبرار عترتي وأطائب أرومتي^(٥) أحلم الناس صغاراً ، وأعلم الناس كباراً ، ألا وإنّا أهل بيت من عِلّم الله عَلِمْنَا ، وبحكم الله حَكَمْنَا ، ويقول صادق أخذنا ، فإن تتبّعوا آثارنا تهنّدوا ببصائرنا ، وإن لم تفعلوا يهلككم الله بأيدينا ، معنا راية

(١) الصواعق المحرقة : ٢٣١ . ٣٥٢ .

(٢) الفضائل لأحمد : ١٦٧ / ٢٣٥ ، فضائل الصحابة لأحمد ٢ : ٦٥٤ / ١١٣ .

(٣) في «م» : «رُزِقُوا» بدل «رُزِقُوا» .

(٤) الأمالي للصدوق : ٨٨ / ٦٠ ، الأمالي للطوسي : ٥٧٨ / ١١٩٥ ، حلية الأولياء ١ : ٨٥ ، ٨٦ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٤٠ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٧٠ ، فرائد السمطين ١ : ٥٣ / ١٨ ، جامع الأحاديث للسيوطي ٧ : ٢٢٩ / ٢٢٠٩٢ .

(٥) الأرومة : الأصل . انظر : القاموس ٤ : ٥ ، مادّة . أرم . .

الحق ، من تبعها لحق ، ومن تأخر عنها غرق»^(١) .

ومن كلامه عليه السلام أيضاً : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ مُحَمَّدًا بِالنَّبُوءَةِ ، وَاصْطَفَاهُ بِالرَّسَالَةِ ، وَأَنْبَأَهُ بِالْوَحْيِ ، فَأَنَالَ فِي النَّاسِ وَأَنَالَ ، وَعِنْدَنَا . أَهْلُ الْبَيْتِ . مُعَاقِلُ الْعِلْمِ ، وَأَبْوَابُ الْحُكْمِ ، وَضِيَاءُ الْأَمْرِ ، فَمَنْ يُحِبَّنَا يَنْفَعَهُ إِيْمَانُهُ»^(٢) الخبر .

وعن أبي عبد الله الصادق ، عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليه السلام ، قال : «قال رسول الله ﷺ : إِنَّ عِنْدَ كُلِّ بَدْعَةٍ تَكُونُ مِنْ بَعْدِي يَكَادُ بِهَا الْإِيْمَانُ وَلِيًّا مِنْ أَهْلِ بَيْتِي مُوَكَّلًا بِهِ يَذُبُّ عَنْهُ ، يَنْطِقُ بِإِلْهَامٍ مِنَ اللَّهِ ، وَيُعْلِنُ الْحَقَّ وَيَنْوِّرُهُ ، وَيَرُدُّ كَيْدَ الْكَائِدِينَ ، يُعَبِّرُ عَنِ الضَّعْفَاءِ»^(٣) ، فَاعْتَبَرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ، وَتَوَكَّلُوا عَلَى اللَّهِ»^(٤) .

وفي روايات عديدة عن غير واحد من الأئمة عليهم السلام أنهم قالوا كراراً ومراراً : «نحن ولاة أمر الله» ، «... وخلفاؤه في أرضه» ، «... وحجته على خلقه» ، «... وخزنة علمه ، وعيبة وحيه» ، «... وتراجمة كتابه» ، «... وإِنَّا لَحُزَنَانُ اللَّهِ فِي سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ ، لَا عَلَى ذَهَبٍ وَلَا فَضَّةٍ إِلَّا عَلَى عِلْمِهِ»^(٥) .

وعنهم عليه السلام في أخبار مستفيضة أنهم قالوا : «نحن مفاتيح الحكمة ،

(١) الإرشاد للمفيد ١ : ٢٤٠ ، البيان والتبيين ٢ : ٣٥ ، العقد الفريد ٤ : ٦٧ ، نثر الدر ١ : ٢٧١ - ٢٧٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٧٦ .

(٢) بصائر الدرجات : ٣٨٤ / ٩ و ١٠ ، و ٣٨٥ / ١٢ ، وفيه بتفاوت يسير ، الإرشاد للمفيد ١ : ٢٤١ ، بحار الأنوار ٢٧ : ١٨١ / ٣٢ ، نقلاً عن البصائر والإرشاد .

(٣) قال في البحار : وقوله عليه السلام : «ويعبر عن الضعفاء» ، أي : يتكلم من جانب الضعفاء العاجزين عن دفع الفتن والشبه الحادثة في الدين .

(٤) المحاسن ١ : ٣٢٩ / ٦٦٩ ، الكافي ١ : ٤٤ / ٥ (باب البدع والرأي والمقائيس) ، بحار الأنوار ٢ : ٣١٥ / ٧٩ .

(٥) انظر : بصائر الدرجات : ٨١ / ١ ، و ١٢٥ / ١ ، الكافي ١ : ١٤٨ / ١ و ٢ (باب أن الأئمة عليهم السلام ولاة أمر الله وخزنة علمه) ، بحار الأنوار ٢٦ : ١٠٥ / ٣٠١ .

ومَعْدِنَ العلم وموضع سرِّ الله»^(١).

وفي رواية الكليني وغيره عن الصادق عليه السلام ، أنّه قال . وعنده أناس من أهل الكوفة وغيرهم . : «عجباً للناس ، يزعمون أنّهم أخذوا علمهم كلّهم عن رسول الله ﷺ فعملوا به واهتدوا ، ويرون أنّ أهل بيته لم يأخذوا علمه ، ونحن أهل بيته وذريّته ، في منازلنا نزل الوحي ، ومن عندنا خرج العلم إليهم ، أفَيرون أنّهم علموا واهتدوا ، وجهلنا نحن وضللنا ؟ إنّ هذا لمحال»^(٢).

وقال الباقر عليه السلام : «ليس عند أحدٍ من الناس حقٌّ ولا صواب ، ولا أحد من الناس يقضي بقضاء حقٍّ إلّا ما خرج ممّا أهل البيت ، وإذا تشعّبت بهم الأمور كان الخطأ منهم ، والصواب من عليّ عليه السلام»^(٣).

وقال عليه السلام لرجل سأله عن قول عليّ عليه السلام : «سلوني عمّا شئتم ، فلا تسألوني عن شيء إلّا نبأتكم به» ، فقال : «إنّهُ ليس أحد عنده علمٌ شيءٍ إلّا خرج من عند أمير المؤمنين عليه السلام فليذهب الناس حيث شاءوا ، فوالله ، ليس الأمر . وفي رواية : «ليس العلم» . إلّا من هاهنا» ، وأشار بيده إلى بيته^(٤).

وقال عليه السلام أيضاً يوماً لسلمة بن كهيل والحكم بن عيينة : «شرّقا وغربا

(١) بصائر الدرجات : ٧٧ / ٣ و ٦ ، الكافي ١ : ١٧٢ / ٣ (باب أنّ الأئمّة عليهم السلام معدن العلم وشجرة النبوّة ومختلف الملائكة) .

(٢) بصائر الدرجات : ٣٢ / ٣ ، الكافي ١ : ٣٢٨ / ١ (باب أنّ مستقى العلم من بيت آل محمد عليهم السلام) ، الأمالي للمفيد : ١٢٢ / ٦ .

(٣) الكافي ١ : ٣٢٩ / ١ (باب أنّه ليس شيء من الحقّ في يد الناس . . .) .

(٤) الكافي ١ : ٣٢٩ / ٢ (باب أنّه ليس شيء من الحقّ في يد الناس . . .) .

فلا تجدان علماً صحيحاً إلا شيئاً خرج من عندنا أهل البيت»^(١) .

وفي رواية جماعة عن سلام بن سعيد المخزومي^(٢) ، قال : كنت عند أبي عبد الله عليه السلام وعنده ميمون القداح^(٣) مولى أبي جعفر الباقر عليه السلام ، وهو غلام إذ دخل على الإمام عليه السلام عبّاد بن كثير^(٤) عابد أهل البصرة ، وابن شريح فقيه أهل مكة ، فسأله عبّاد عن الأثواب التي كُفّن فيها النبي ﷺ ، فقال : «في ثلاثة أثواب : ثوبين صُحاريّين^(٥) وثوب حبرة^(٦) ، وكان في البرد قِلّة» فكأتمّا إزور^(٧) عبّاد بن كثير من ذلك ، فقال أبو عبد الله عليه السلام : «إنّ نَحْلَةَ مريم إنّما كانت عَجْوَةً ونزلت من السماء ، فما نبت من أصلها كان عَجْوَةً ،

(١) بصائر الدرجات : ٣٠ / ٤ ، الكافي : ١ / ٣٢٩ ، (باب أنّه ليس شيء من الحقّ في يد الناس) .

(٢) هو سلام بن سعيد المخزومي المكيّ مولى عطاء ، عدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام .

انظر : رجال الطوسي : ٢١٠ / ١٢٨ ، تنقيح المقال ٢ : ٤٣ / ٥٠١٣ .

(٣) هو ميمون القداح مولى بني مخزوم مكيّ ، من أصحاب السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام ، والحديث يدلّ على كون الرجل إمامياً .

انظر : رجال الطوسي : ١٢٠ / ١٢٢٣ ، و١٤٥ / ١٥٨٣ ، و٣٠٩ / ٤٥٧٥ ، تنقيح المقال ٣ :

٢٦٥ / ١٢٣٦٢ .

(٤) هو عبّاد بن كثير الثقفي ، سكن مكة ، روى عن : يحيى بن أبي كثير ، وثابت ، وعدّة ، وروى عنه : إبراهيم بن أدهم ، وأبو نعيم ، ومحمّد الفريابي ، وآخرون .

انظر : ميزان الاعتدال ٢ : ٣٧١ / ٤١٣٤ ، سير أعلام النبلاء ٧ : ١٠٦ / ٤٦ .

(٥) صُحار : قرية باليمن تُنسب الثوب إليها ، وقيل : هو من الصُحرة ، وهي حمرة خفيفة كالغُبرة .

انظر : النهاية لابن الأثير ٣ : ١٢ ، مادّة . صحر . .

(٦) الحبرة : ضرب من برود اليمن .

انظر : القاموس ٣ : ٥١ ، مادّة . حبر . .

(٧) الازورار عن الشيء : العدول عنه .

انظر : الصحاح ٢ : ٦٧٣ ، مادّة . زور . .

وما كان من لقاط فهو لون»^(١)، فلمّا خرجنا من عنده ، قال عبّاد لابن شريح : والله ، ما أدري ما هذا المثل الذي ضربه لي أبو عبدالله ، فقال ابن شريح : هذا الغلام يخبرك فإنّه منهم . يعني ميمون . فسأله ، فقال ميمون : أما تعلم ما قال لك ؟ قال : لا والله ، قال : إنّه ضرب لك مثل نفسه وأخبرك أنّه ولد من ولد رسول الله ﷺ ، وعلم رسول الله ﷺ عندهم ، فما جاء من عندهم فهو صواب ، وما جاء من عند غيرهم فهو لُقاط^(٢) .

وعن أبي بصير ، وغيره : أنّ أبا عبدالله عليه السلام قال : «إنّ عندنا والله سرّاً من سرّ الله ، وعلماً من علم الله ما يحتمله ملك مقرّب ، ولا نبيّ مرسل ، ولا مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان ، والله ، ما كلّف الله ذلك أحداً غيرنا ولا استعبد بذلك أحداً غيرنا ، وإنّ عندنا سرّاً من سرّ الله ، وعلماً من علم الله ، أمرنا الله بتبليغه فبلّغناه عن الله ما أمرنا بتبليغه ، فلم نجد له موضعاً ولا أهلاً ولا حمالةً يحتملونه حتّى خلق الله لذلك أقواماً ، خلّقوا من طينة خلّق منها محمّد وآله ومن نور خلّق منه محمّد وآله ﷺ فبلّغنا عن الله ورسوله ما أمرنا بتبليغه ، فقبلوا واحتملوا ذلك ، وبلغهم ذلك عنّا قبلوه ، وبلغهم ذكّرنا فمالّت قلوبهم إلى معرفتنا وحديثنا» ، ثمّ قال : «إنّ الله خلق أقواماً لجهنّم والنار ، فأمرنا أن نُبلّغهم كما بلّغناهم ، فاشمأزوا من ذلك ، ونفرت قلوبهم فردّوه علينا ولم يحتملوه ، فطبع الله على قلوبهم ، ثمّ أطلق الله لسانهم ببعض الحقّ ، فهم ينطقون به وقلوبهم منكّرة ، ليكون ذلك دفعاً عن أوليائه وأهل طاعته ، ولولا ذلك ما عبّد الله ﷻ في أرضه ، فأمرنا بالكفّ

(١) اللّون : الدّقل ، وهو ضربٌ من النخل ، واحده لونة .

انظر : الصحاح ٦ : ٢١٩٧ ، مادة . لون . .

(٢) الكافي ١ : ٣٣٠ / ٦ (باب أنّه ليس شيء من الحقّ في يد الناس . . .) .

عنهم والستر والكتمان ، فاكْتُمُوا أَنْتُمْ عَنْهُمْ»^(١) الخبر .

وهو صريح في كمال غزارة علم الأئمة عليهم السلام وأنهم لم يكونوا يظهرون جميع المراتب على الناس لا سيما من لم يقل بإمامتهم ، فانظر أيها اللبيب أولاً : إلى غزارة علمهم إلى أي حدٍ ، بحيث إنهم كتموا كثيراً من ذلك حتى عن غير الخللص من شيعتهم ، ومع هذا قد ملأ الخافقين ما نقله المخالفون فضلاً عن الشيعة .

وكفى في تبيان هذا ما ذكرناه في هذا الكتاب من آثار علومهم ولو في غير هذا الفصل ؛ إذ لا أظنُّ مبحثاً خالياً عن ذكر شيءٍ منها حتى بنقل المخالفين ، مع أن جميع ما ذكرناه لا يصير عُشراً من معشار ما ذكره المخالفون ، ولا جزءاً من آلاف ما ذكره الشيعة ، حتى إنِّي لا أذكر في هذا المقام أيضاً إلاّ أقلّ قليل من نقل المخالف فضلاً عن المؤلف ، فمن أراد الإحاطة التامة فعليه بمطالعة كتب الإماميّة لا سيما بحار الأنوار وكفاه كتاب الكافي أيضاً .

ثم انظر ثانياً : إلى شدة شكاية الإمام ، بل وغيره من الأئمة أيضاً ، كما مرّ ويأتي في مواضع عديدة^(٢) من ارتكاب عامة الناس عدم متابعتهم وترك التمسك بهم ، بل الانحراف عن الوارد عنهم وإن كان صحيح الورد عندهم ؛ بحيث كانوا عليهم السلام يخفون كثيراً من الأشياء عنهم مع إقرارهم بفضلهم وعلمهم وصدقهم وصلاحهم ، بل بمزيتهم في ذلك على من سواهم ، وهل هذا إلاّ محض التعصّب والضلال ؟!

(١) الكافي ١ : ٣٣١ / ٥ (باب فيما جاء أنّ حديثهم صعب مستصعب) ، المحتضر : ١٥٤ . ١٥٥ ، تفضيل الأئمة للحلي : ٢٧٦ / ١٣٠ ، بتفاوت يسير فيهما .
(٢) كلمة : «عديدة» لم ترد في «ب» و«ل» و«م» .

وكفى في هذا ، أنهم اتخذوا أولاً قريباً من ثلاثين مجتهداً ، فتبع كل فريق واحداً منهم إلى أن كثر الاختلاف بينهم فاستقر أمرهم^(١) على متابعة أربعة ، ولم يتبع فرقة منهم أحداً من هؤلاء الأئمة عليهم السلام لا أولاً ولا أخيراً مع اعتراف كلهم بما ذكرناه من أعلمية هؤلاء وأصلحيّتهم ، فافهم .

ولا تغفل عما يستفاد أيضاً من إخفاء الأئمة عليهم السلام عنهم التبري من خصوص جماعة لا سيما الأول والثاني حذراً عن شدة نفورهم إذاً ، بل وصول الضرر ، وأيضاً أنه لهذا كانوا قد يظهرون حبهما كما نقل بعض القوم عن الصادق عليه السلام^(٢) .

والوجه ما ذكره عليه السلام كما تبين دون ما توهمه القوم من حبهم لهما ، ولهذا خصّوا الشيعة بالطعن غفلة عن حقيقة الحال فتأمل .

ولنذكر حينئذ نبذاً من غرائب علوم كل واحد واحد منهم عليهم السلام سوى ما مرّ ويأتي .
روى غير واحد ، منهم : أبو يعقوب يوسف بن الجراح معنعناً عن جمع ، منهم : ابن سبرة ، ومنهم الصادق عن الباقر عليه السلام ، ومنهم : الزهري قال : كنت مع حذيفة بن اليمان ، فقال بمحضر من أنس : بينا رسول الله ﷺ في جبل . أظنه ذكر حرّاء أو غيره .
ومعه أبو بكر وعمر وعليّ عليه السلام وجمع من المهاجرين والأنصار إذ أقبل الحسن بن عليّ يمشي على هدوٍ ووقار ، وهو طفل ، فنظر إليه النبي ﷺ وقال : «إنّ جبرئيل يهديه ، وميكائيل

(١) في «ن» : «رأيهم» بدل «أمرهم» .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٥٤ : ٢٨٥ و ٢٨٦ ، تاريخ الإسلام (حوادث ١٤١ . ١٦٠) : ٩٠ . ٩١ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٢٥٨ . ٢٦٠ ، تهذيب التهذيب ٢ : ٨٨ . ٨٩ ، تذكرة الحفاظ ١ : ١٦٦ . ١٦٧ .

يسدّده ، وهو ولدي ، والطاهر من نفسي ، وضلع من أضلاعي بأبي هو» ، وقام وهو يقول له : «أنت حبيبي ومهجة قلبي» ، وأخذ بيده فمشى معه ، ونحن نمشي حتى جلس وجلسنا حوله ننظر إلى النبي ﷺ وهو لا يرفع بصره عنه .

ثم قال : «إنّه سيكون بعدي هادياً مهدياً ، هذا هديّة من ربّ العالمين لي يُنبئ عني ، ويعرّف الناس آثارِي ، ويُحيي سنّتي» ، إلى أن قال : فما قطع النبي ﷺ كلامه حتى أقبل إلينا أعرابيّ يجرّ هراوةً له ، فلما نظر النبي ﷺ إليه قال : «قد جاءكم رجل يكلّمكم بكلام غليظ تقشعرّ منه جلودكم» ، فجاء الأعرابيّ فلم يسلم ، وقال : أيّكم محمّد ؟ فقلنا : وما تريد ؟ هذا هو ، فقال : يا محمّد ، لقد كنتُ أبغضك ولم أرك والآن فقد ازددت لك بغضاً ، فتبسّم رسول الله ﷺ وغضبنا ، فأوماً النبي ﷺ إلينا أن اسكتوا .

فقال الأعرابيّ : يا محمّد ، إنك تزعم أنّك نبيّ وأنك كذبت على الأنبياء وما معك من برهانك شيء .

فقال له النبي ﷺ : «يا أعرابي ، وما يدريك ؟»

فقال : فخيرني برهانك .

قال : «إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكدُ برهاني» .

قال : أو يتكلّم العضو ؟

قال : «نعم ، يا حسن ؛ قم» ، فازدري الأعرابيّ نفسه وقال : هو ما يأتي ويُقيم صبيّاً ليكلّمني .

قال : «إنّك ستجده عالماً بما تريد» ، فابتدره الحسن ﷺ وقال : «مهلاً يا أعرابيّ ،

لقد بسطت لسانك ، وعدوت طورك ، وخادعتك نفسك ،

غير أنَّك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله» ، فتبسّم الأعرابي وقال : هيه ^(١) .

فقال له الحسن عليه السلام : «نعم ، اجتمعتم في نادي قومك ، وتذاكرتم ما جرى بينكم على جهل وخرق منكم ، فزعمتم أنَّ محمداً صلى الله عليه وآله صُنْبُور ^(٢) ^(٣) والعرب قاطبة تبغضه ، ولا طالب له بثأره ، وزعمت أنَّك قاتله وكافي قومك مؤونته ، فحملت نفسك على ذلك ، وقد أخذت قناتك بيدك تريد قتله ، فعسر عليك مسلكك ، وعمي عليك بصرك وأبيت إلاّ ذلك ، فأتيتنا خوفاً من أن يشتهر ، وإنَّك إنّما جئت بخير يُراد بك ، أثبتك عن سفرك : خرجت في ليلة ضحياء إذ عصفت ريح شديدة اشتدّ منها ظلماؤها وأعصر السحاب فبقيت مُحْرَجَماً كالأشقر إن تقدّم نُحِر وان تأخّر عُقِر ، لا تسمع لواطئ حسّاً ولا لنافخ نار جرساً ، تداكّت عليك غيومها ، وتوارت عليك نجومها» الخبر ، إلى أن قال عليه السلام : «فأبصرت فإذا أنت عندنا ، فقرّرت عينك» .

قال : من أين قلت يا غلام هذا ؟ كأنّك كشفت عن سويداء قلبي ، ولقد كنت كأنّك شاهدتني وما خفي عليك شيء من أمري ، وكأنّك تعلم الغيب ، فما الإسلام ؟ فقال الحسن عليه السلام : «الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك

(١) هِيَه : يقال لشيء يطرد ، وكلمة استزادة أيضاً .

انظر : القاموس ٤ : ٣١٤ .

(٢) الصُنْبُور : النخلة تخرج من أصل النخلة الأخرى التي لم تغرس ، وقيل : هي النخلة المنفردة التي يدقّ أسفلها ، وأرادوا أنّه إذا قلع انقطع ذكره ، وأنّ قريشاً كانوا يقولون : إنّ محمداً صلى الله عليه وآله صُنْبُور ، أي : أبتز لا عقب له .
انظر : غريب الحديث للهروي ١ : ١٠ . ١١ ، النهاية لابن الأثير ٣ : ٥٥ ، مادة . صنبر . .

(٣) في «ب» و«ل» : «صبور» بدل «صنبور» .

له ، وأنَّ محمّداً عبدهُ ورسولهُ» ، فأسلم الأعرابيَّ وحسن إسلامه ، وعَلّمه النَّبيُّ ﷺ شيئاً من القرآن ، فقال : يا رسول الله ، أرجع إلى قومي فأعزّفهم ذلك ؟ فأذن له ، فانصرف ورجع ومعه جماعة من قومه ، فدخلوا في الإسلام ، فكان الناس إذا نظروا إلى الحسن عليّ عليه السلام قالوا : لقد أُعطي هذا ما لم يُعط أحد من الناس ^(١) .

وروى أبو السعادات من علماء العامّة في كتاب الفضائل: أنَّ الشيخ أبا الفتوح الرازي ^(٢) أَملى في مدرسة الناحية : أنَّ الحسن بن عليّ عليه السلام كان يحضر مجلس رسول الله ﷺ وهو ابن سبع سنين ، فيسمع الوحي فيحفظه فيأتي أمّه فيلقي إليها ما حفظه ، فكلّما دخل عليّ عليه السلام وجد عندها علماً بالتنزيل ، فيسألها عن ذلك ، فتقول : «من ولدك الحسن» ، فتخفي يوماً في الدار وقد دخل الحسن عليه السلام وقد سمع الوحي فأراد أن يلقيه إليها فأرتج ^(٣) عليه ، فعجبت أمّه من ذلك ، فقال : «لا تعجبي يا أمّاه ، فإنّ كبيراً يسمعي واستماعه (قد أوقفني) ^(٤)» ، وفي رواية أنّه قال : «يا أمّاه ، قلّ بياني ، وكلّ

(١) الثاقب في المناقب : ٣١٦ / ٢٦٤ ، الدر النظيم : ٤٩٢ . ٤٩٥ ، العدد القوية : ٤٢ / ٦٠ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٣٣ / ٥ ، بتفاوت يسير فيها .

(٢) لعَلّه هو الحسين بن محمّد الخزاعي الرازي ، وكنيته أبو الفتوح ، عالم واعظ مفسّر ، له تصانيف منها : روض الجنان وروح الجنان ، وروح الأحباب .

أنظر : الفهرست لمنتجب الدين الرازيّ : ٤٥ / ٧٨ ، معالم العلماء : ١٤١ / ٩٨٧ ، أمل الآمل ٢ : ٩٩ / ٢٧١ ، رياض العلماء ٢ : ١٥٦ .

(٣) ارتجّت الباب : أغلقته ، وأرتجّ على القارئ . على ما يُسمّ فاعله . : إذا لم يقدر على القراءة كأنّه أُطبق عليه . انظر : الصحاح ١ : ٣١٧ ، مادّة . رتج . .

(٤) ما بين القوسين في «م» هكذا : «يمنعني أن ألقيه» .

لساني ، لعلّ سيّداً يرعاني» قال : فخرج عليّ عليه السلام فقَبَلَه^(١) .

وفي رواية جماعة : أنّ الحسن عليه السلام وعبدالله بن العباس كانا على مائدة فجاءت جرادة فوقعت على المائدة ، فقال ابن عباس : أيّ شيء مكتوب على جناح الجرادة ؟ فقال عليه السلام : «مكتوب عليه : أنا الله لا إله إلا أنا ، ربّما أبعث الجراد لقوم جياع ليأكلوه ، وربّما أبعثه نعمة على قوم فتأكل (طعمتهم)^(٢)» ، فقام عبدالله بن عباس وقبّل رأس الحسن عليه السلام وقال : هذا من مكتوم العلم^(٣) .

وروى جمع أيضاً : عن الصادق ، عن آبائه عليهم السلام أنّ الحسن عليه السلام قال : «إنّ لله مدينتين : إحداهما بالشرق والأخرى بالمغرب ، عليهما سوران من حديد ، وعلى كلّ مدينة ألف ألف مصراع من ذهب ، وفيها سبعون ألف لغة ، يتكلّم كلّ أمة بلغة بخلاف لغة صاحبه ، أنا أعرف جميع اللغات وما فيهما وما بينهما ، وما عليهما حجة غيري وغير الحسين أخي»^(٤) .

وفي أخبار عديدة : أنّ اسم إحدى المدينتين جابلقا ، والأخرى : جابلصا^(٥) .

(١) حكاه عنه ، ابن شهر آشوب في المناقب ٤ : ١١ ، والمجلسي في بحار الأنوار ٤٣ : ٣٣٨ / ١١ ، بتفاوت يسير فيهما .

(٢) «م» : «أطعمتهم» بدل «طعمتهم» .

(٣) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام : ٢٥٩ / ١٩٤ ، الخرائج والجرائح ١ : ٢٤١ / ٦ ، وانظر : الدعوات للراوندي : ١٤٥ / ٣٧٦ ، حياة الحيوان ١ : ٢٦٦ .

(٤) بصائر الدرجات : ٣٥٩ / ٤ ، الكافي ١ : ٣٨٤ / ٥ (باب مَوْلِد الحسن بن عليّ صلوات الله عليهما) ، الاختصاص : ٢٩١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٣ ، مختصر البصائر : ٧٤ / ٤٥ ، بحار الأنوار ٢٧ : ٤١ / ٢ ، بتفاوت يسير فيها .

(٥) ألقاب الرسول وعترته عليه السلام (ضمن مجموعة نفيسة) : ٢٠٥ ، بصائر الدرجات :

وروى جماعة ، منهم ، القاضي النعمان^(١) في شرح الأخبار بإسناده عن عبادة بن الصامت ، ورواه جماعة غيره ، منهم : صاحب كتاب المناقب : أنَّ أعرابياً سأل أبا بكر فقال له : إنِّي أصبت بيض نعام فشويته فأكلته وأنا مُحْرَم فما يجب عليَّ ؟ فقال له : يا أعرابي ، أشكلت عليَّ في قضيتك ، فدلّه على عمر ، ودلّه عمر على عبد الرحمن بن عوف ، فلمّا عجزوا قالوا : عليك بالأصلع ، فجاء إلى عليّ عليه السلام ، فقال له : «سل أيّ الغلامين شئت» . يعني : الحسن والحسين عليهما السلام . فقال الحسن عليه السلام : «يا أعرابي ، ألك إبل ؟» ، قال : نعم ، قال : «فاعمد إلى عدد ما أكلت من البيض نوقاً فاضربهنّ بالفحول ، فما فصل منها فاهده إلى بيت الله العتيق الذي حججت إليه» ، فقال عليّ عليه السلام : «إنّ من النوق السلوب ومنها ما يزلق»^(٢) ، فقال الحسن عليه السلام : «إن يكن من النوق السلوب وما يزلق فإنّ من البيض ما يمرق» ، قال : فسُمع صوت : معاشر الناس ، إنّ الذي فهم هذا الغلام هو الذي فهمها سليمان بن داؤد^(٣) .

٥١٢ / ٤ ، تحف العقول : ٢٣٣ ، شرح الأخبار ٣ : ١٠٤ / ١٠٣٨ ، مختصر البصائر : ٧٥ / ٤٦ ، المختصر : ٣٠٨ . ٣٠٩ ، أخبار الزمان للمسعوديّ : ٤٠ .

(١) هو النعمان بن محمّد بن منصور بن أحمد بن حيّون ، يكنّى أبا حنيفة ، كان في غاية الفضل ، ومن أهل القرآن والعلم بمعانيه ، وعالمًا بوجوه الفقه ، ألف لأهل البيت عليهم السلام آلاف الأوراق بأحسن تأليف ، منها : كتاب شرح الأخبار ، والاقتصار .
توفيّ سنة ٣٦٣ هـ .

انظر : وفيات الأعيان ٥ : ٤١٥ / ٧٦٦ ، سير أعلام النبلاء ١٦ : ١٥ / ١٠٦ ، تاريخ الإسلام (حوادث سنة ٣٥١ - ٣٨٠) : ٣١٥ - ٣١٦ ، مرآة الجنان ٢ : ٢٨٥ .
(٢) السلوب من النوق : التي ألقت ولدها لغير تمام ، وأزلقت الناقة : أسقطت .
انظر : الصحاح ١ : ١٤٩ ، مادة . سلب . و ٤ : ١٤٩١ ، مادة . زلق . .
(٣) الهداية الكبرى : ١٨٧ - ١٨٩ ، شرح الأخبار ٢ : ٣٠٤ / ٦٢٥ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٣ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٥٤ / ٣٢ .

وفي رواية جماعة عن الباقر والصادق عليهما السلام ، قالوا : «بيننا الحسن في مجلس أبيه عليّ عليه السلام إذ أقبل قوم فقالوا : يا أبا محمد ، أردنا أمير المؤمنين عليه السلام .

فقال : «وما حاجتكم ؟

قالوا : أردنا أن نسأله عن مسألة .

قال : «وما هي تخبرونا بها ؟

فقالوا : امرأة جامعها زوجها فلمّا قام عنها قامت بحموتها فوقع على جارية بكر فساحقتها فألقت النطفة فيها فحبلت ، فما تقول في هذا ؟ فقال : معضلة وأبو الحسن لها وأقول : وأرجو أن لا أخطئ إن شاء الله ، يعمد إلى المرأة فيؤخذ منها مهر الجارية البكر ؛ لأنّ الولد لا يخرج منها حتّى تشقّ فتذهب عذرتها ، ثمّ ترجم المرأة لأنّها محصنة ، وينتظر بالجارية حتّى تضع ما في بطنها ويردّ إلى أبيه صاحب النطفة ، ثمّ تجلد الجارية الحدّ ، فانصرف القوم من عند الحسن عليه السلام فلقوا عليّاً عليه السلام فسألهم عن الحال فحكوا له جواب الحسن عليه السلام ، فقال : لو أنّي كنت المسؤول ما كان عندي فيها أكثر ممّا قال ابني»^(١) .

وروي : أنّ الحسن البصريّ كتب إلى الحسن عليه السلام : أمّا بعد ، فأنتم أهل بيت النبوة ومعدن الحكمة ، وإنّ الله جعلكم الفلك الجارية يلجأ إليكم اللاحق ، ويعتصم بجلدكم القالي ، من اقتدى بكم اهتدى ونجا ، ومن تخلف عنكم هلك وغوى ، وإني كتبت إليك عند الحيرة واختلاف من الأئمة في القدر ، فتفضي إلينا ما أفضاه الله إليكم فنأخذ به .

(١) الكافي ٧ : ٢٠٢ / ١ (باب آخر منه) ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٥٢ / ٣٠ .

فكتب إليه الحسن عليه السلام : «أما بعد ، فإنّ أهل بيت كما ذكرت عند الله وعند أوليائه ، فأما عندك وعند أصحابك فلو كنّا كما ذكرت ما تقدّمتمونا ، ولا استبدلتم بنا غيرنا» الخبر ، إلى أن قال عليه السلام : «ولولا ما أريده من الاحتجاج عليك وعلى أصحابك ما كتبت إليك بشيءٍ ممّا نحن عليه» الخبر ، إلى أن قال عليه السلام : «فأتبع ما كتبت إليك في القدر ، فإنّه من لم يؤمن بالقدر خيره وشره فقد كفر ، ومن حمل المعاصي على الله فقد فجر ، إنّ الله عزّ وجلّ لا يُطاع بإكراه ، ولا يُعصى بغلبة ، ولا يهمل العباد من الملكة ، ولكنّه المالك لما ملّكهم ، والقادر على ما أقدرهم ، فإن ائتمروا بالطاعة لم يكن عنهم صادّاً مثبطاً ، وإن ائتمروا بالمعصية فشاء أن يحول بينهم وبين ما ائتمروا به فعل ، وإن لم يفعل فليس هو جبّلهم عليها ، ولا كلّفهم إيّاها جبراً ، بل تمكينه إيّاهم ، وإعذاره إليهم طرقهم ومكّنهم ، فجعل لهم السبيل إلى أخذ ما أمرهم به ، وترك ما نهاهم عنه ، ووضع التكليف عن أهل النقصان والزمانة ، والسلام» (١) .

وقد روى جمع منهم الصدوق ، والطبرسي ، وصاحب روضة الواعظين ، وغيرهم عن أبي جعفر عليه السلام قال : «بيننا عليّ عليه السلام في الرّحبة والناس عليه متراكمون ، إذ قام إليه رجل ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، فنظر إليه عليّ عليه السلام وقال : من أنت ؟ فقال : أنا رجل من رعيتك وأهل بلادك .

قال : ما أنت من رعيتي وأهل بلادي .

فقال : الأمان يا أمير المؤمنين ، أنا رجل بعثني إليك معاوية متغفلاً

(١) الدرّ النظيم : ٥٠٨ ، العدد القويّة : ٣٣ / ٢٥ ، بحار الأنوار : ١٠ : ١٣٦ / ٣ .

لك ، أسألك عن شيء بعث فيه إليه ابن الأصفر^(١) ، وقال له : إن كنت أحق بالخلافة بعد محمد ﷺ فأجيني عن هذه المسائل حتى أتبعك وأبعث إليك بالجائزة^(٢) ، فلم يكن عنده جواب وقد أقلقته ذلك ، فبعثني إليك لأسألك عنها .

فقال علي عليه السلام : «قاتل الله ابن آكلة الأكباد ، ما أضله وأعماه ومن معه» ، الخبر ، إلى أن قال عليه السلام : «عليّ بالحسن والحسين» فأحضرا ، فقال : يا شامي ، هذان ابنا رسول الله ﷺ فاسأل أيهما شئت ، فقال : أسأل ذا الوفرة^(٣) . يعني : الحسن عليه السلام . فقال له الحسن : سلني عما شئت .

فقال : كم بين الحق والباطل ؟ وكم بين السماء والأرض ؟ وكم بين المشرق والمغرب ؟ وما قوس قزح ؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين ؟ وما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين ؟ وما المؤنث ؟ وما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض ؟

فقال الحسن عليه السلام : بين الحق والباطل أربع أصابع ، فما رأيته بعينك فهو الحق ، وقد سمع أذنك باطلاً كثيراً ، قال الشامي : صدقت .

قال عليه السلام : وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومدّ البصر ، فمن قال

(١) بنو الأصفر : ملوك الروم ؛ أولاد الأصفر بن روم بن يعصو بن إسحاق ، أو لأن جيشاً من الحبش غلب عليهم ، فوطئ نساءهم فولد لهم أولاد صُفر .

مجمع البحرين ٣ : ٣٦٨ ، القاموس ٢ : ١٤٢ . مادة صفر . .

(٢) في حاشية «ل» : «الجزية» بدل «الجائزة» .

(٣) الوفرة : الشعر مجتمع على الرأس ، أو ما سال على الأذنين منه ، أو ما جاوز شحمة الأذن .

انظر : الصحاح ٢ : ٨٤٧ ، النهاية لابن الأثير ٥ : ٢١٠ ، القاموس ٢ : ٢٥٢ ، مادة وفر . .

لك غير هذا فكذبّه ، قال الشاميّ : صدقت .

قال عائشة : وبين المشرق والمغرب مسيرة يوم للشمس ، كما تنظر إليها حين تطلع

وحين تغيب ، قال الشاميّ : صدقت ، فما قوس قزح ؟

قال عائشة : ويحك لا تقل : قوس قزح فإنّ قزح ، اسم شيطان ، وهو قوس الله

وعلامه الخصب ، وأمان لأهل الأرض من الغرق .

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها : برهوت .

وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها : سلمى .

وأما المؤنث : فهو الذي لا يدري أذكر أم أنثى ؟ فإنه ينتظر به فإن كان (ذكراً) احتلم

، وإن كانت أنثى حاضت^(١) وبدا ثديها ، وإلا قيل له : بل على الحائط ، فإن أصاب بوله

الحائط فهو ذكر ، وإن انتكص بوله كما ينتكص بول البعير فهي امرأة .

وأما عشرة أشياء بعضها أشدّ من بعض : فأشدّ شيء خلقه الله الحجر ، وأشدّ من

الحجر الحديد ، فإنه^(٢) يقطع به الحجر ، وأشدّ من الحديد النار تذييه ، وأشدّ من النار الماء

يطفئ النار ، وأشدّ من الماء السحاب يحمل الماء ، وأشدّ من السحاب الريح يحمل

السحاب ، وأشدّ من الريح الملك الذي يرسلها ، وأشدّ من ذلك الملك ملك الموت الذي

يميت هذا الملك ، وأشدّ من ملك الموت الموت الذي يميت ملك

(١) بدل ما بين القوسين في «م» هكذا : «احتلم فهو ذكر ، وإن حاضت فهي أنثى» .

(٢) كلمة : «فإنه» لم ترد في «س» و«ل» .

الموت ، وأشدّ من الموت أمر الله ربّ العالمين ، فقال الشاميّ^(١) : أشهد أنّك ابن رسول الله حقّاً ، وأنّ عليّاً أولى بالخلافة من معاوية ، ثمّ كتب هذه الجوابات وذهب بها إلى معاوية فبعثها معاوية إلى ابن الأصفر .

فكتب إليه ابن الأصفر : يا معاوية ، لمّ تكلمني بغير كلامك ، وتجيبي بغير جوابك ؟ أقسم بالمسيح ما هذا جوابك ، وما هو إلّا من معدن النبوة وموضع الرسالة ، وأمّا أنت فلو سألتني ما أعطيتك^(٢) .

وروى جماعة : أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للحسين عليه السلام : «يا بُنَيَّ ، ما السُّؤْدُذُ ؟» قال : «اصطناع العشيرة واحتمال الجريرة» .

قال : «وما الجُبْنُ ؟» قال : «الجرأة على الصديق والنكول عن العدو» .
قال : «وما الغنيمة ؟» قال : «الرغبة في التقوى ، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة» .

قال : «فما الحلم ؟» قال : «كظم الغيظ وملك النفس» .
قال : «فما العقل ؟» قال : «حفظ القلب كلّ ما استودعته»^(٣) .
قال : «فما الحزم ؟» قال : «طول الأناة ، والرفق بالولاة ، والاحتباس من الناس بسوء الظنّ» .

قال : «فما الكلفة ؟» قال : «كلامك فيما لا يعينك» .
قال : «فما المجد ؟» قال : «أن تعطي في العدم ، وأن تعفو عن الجرم»^(٤) .

(١) في «م» زيادة : «صدقت» .

(٢) تحف العقول : ٢٢٨ . ٢٣٠ ، الخصال للصدوق : ٤٤٠ / ٣٣ ، روضة الواعظين : ٤٥ . ٤٦ ، الاحتجاج ٢ : ١٣ . ١٧ ، الخرائج والجرائح ٢ : ٥٧٢ / ٢ .

(٣) في الدرّ النظيم : «استرعيته» بدل «استودعته» .

(٤) في «م» و«ن» : «المجرم» بدل «الجرم» .

قال : «فما الجرأة؟» قال : «موافقة الأقران» .

قال : «وما السداد؟» قال : «دفع المنكر بالمعروف» .

قال : «وما المرأة؟» قال : «العفاف وإصلاح المرء ماله» .

قال : «وما السماحة؟» قال : «البذل في العسر واليسر» .

قال : «ما الشح؟» قال : «أن ترى القليل ممّا في يدك سرفاً ، وما أنفقتَه تلفاً» .

قال : «وما الإخاء؟» قال : «الوفاء في الشدة والرخاء» .

قال : «وما السفه؟» قال : «اتباع الدناءة ومصاحبة الغواة» .

قال : «وما الحرمان؟» قال : «تركك حظّك وقد عُرض عليك» .

قال : «فما الغنى؟» قال : «قلّة أمانيك والرضا بما يكفيك» .

قال : «فما الفقر؟» قال : «الطمع وشدة القنوط» .

قال : «فما اللوم؟» قال : «إحراز المرء نفسه وبذله^(١) عرسه» .

قال : «فما الخرق؟» قال : «معاداتك أميرك ومن يقدر على ضرّك ونفعك» .

فاستحسنه عليّ عليه السلام ، ثمّ التفت عليّ عليه السلام إلى الحارث الأعور ، وقال : «يا حارث ، علّموا أولادكم هذه الحِكَمَ فإنّها زيادة في العقل والحزم والرأي»^(٢) .

وفي رواية : أنّ رجلاً سأل عليّاً عليه السلام ، فقال : ما الناس ، وما أشباه الناس ، وما النسناس ؟ فقال : «يا حسين ، أجبهُ» ، فقال عليه السلام : «أمّا الناس

(١) في «م» و«ن» : «اسلامه» بدل «بذله» .

(٢) الدرّ النظيم : ٥٠٦ و ٥٣٣ بتفاوتٍ يسير ، وتقديم وتأخير ، وانظر : معاني الأخبار : ٤٠١ / ٦٢ ، تحف العقول : ٢٢٥ ، حلية الأولياء ٢ : ٣٥ - ٣٦ .

فنحن أهل البيت ، وأما أشباه الناس فشيعتنا ومحّبونا ، وأما النسناس فهذا السواد الأعظم»^(١) . وكتب إلى الحسين عليه السلام رجل : عِظني يا بن رسول الله ، بحرفين فيهما الدنيا والآخرة ، فكتب إليه : «من حاول أمراً بمعصية الله تعالى كان أقفوت لما يرجو وأسرع لمحيء ما يحذر»^(٢) .

وروى عبدالله بن شريك^(٣) ، عن بشر بن غالب^(٤) ، عن الحسين عليه السلام ، قال : «من أحبّنا لله عزّ وجلّ وردنا وهو على نبيّنا صلّى الله عليه وآله هكذا . وضّم بين إصبعيه . ومن أحبّنا للدنيا فإنّ الدنيا تسع البرّ والفاجر»^(٥) .

وفي كتاب المناقب وغيره : عن موسى بن عقبة أنّه قال : لقد قيل لمعاوية بعد وفاة الحسن عليه السلام : إنّ الناس قد رموا أبصارهم إلى الحسين عليه السلام ، فلو قد أمرته أن يصعد المنبر فيخطب فإنّ فيه حصراً وفي لسانه كلاله .

فقال لهم معاوية : قد ظنّنا ذلك بالحسن عليه السلام ، فلم يزل حتّى عظم

(١) الكافي ٨ : ٢٤٤ / ٣٣٩ وفيه بتصرّف .

(٢) الكافي ٢ : ٢٧٦ / ٣ (باب من أطاع المخلوق في معصية الخالق) ، مع تفاوت يسير ، الدرّ النظيم : ٥٣٥ .

(٣) هو عبدالله بن شريك العامري ، يكنّى أبا المحجّل ، عدّه الشيخ رحمته الله في رجاله من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام ، وكان عندهما وجهاً مقدّماً ، وروي أيضاً : أنّه من حواريّ الصادق والباقر عليهما السلام ، وقد وردت روايات في مدحه .

انظر : رجال الطوسي : ١٣٩ / ١٤٦٩ و ٢٦٥ / ٣٧٩٣ ، الخلاصة : ١٠٨ / ٢٧ ، تنقيح المقال ٢ : ١٨٩ / ٦٩٠٢ .

(٤) هو بشر بن غالب ، عدّه الشيخ رحمته الله في رجاله من أصحاب الحسين والسجّاد عليهما السلام .

انظر : رجال الطوسي : ٩٩ / ٩٦٢ و ١١٠ / ١٠٧٧ ، تنقيح المقال ١ : ١٧٤ / ١٣٣٣ .

(٥) الأمالي للطوسي : ٢٥٣ / ٤٥٥ ، الدرّ النظيم : ٥٣٥ .

في أعين الناس وفضحنا ، فلم يزالوا به حتى قال للحسين عليه السلام : يا أبا عبد الله ، لو صعدت المنبر فخطبت ، فصعد الحسين عليه السلام المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وآله ، فسمع رجلاً يقول : من هذا الذي يخطب ؟

فقال عليه السلام : «نحن حزب الله الغالبون ، وعترت رسول الله الأقربون ، وأهل بيته الطيبون ، وأحد الثقلين ، الذين جعلنا رسول الله صلى الله عليه وآله ثاني كتاب الله تبارك وتعالى ، الذي فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعول علينا في تفسيره ، ولا يبطئنا تأويله ، بل نتيقن حقائقه ، فأطيعونا ، فإن طاعتنا مفروضة؛ إذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة ، قال الله عز وجل : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِيَ الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَتَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ ^(٢) ، فأحذركم الإصغاء إلى هتوف الشيطان بكم ، فإنه لكم عدو مبين ، فتكونوا كأوليائه الذين قال لهم : ﴿ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌّ لَكُمْ فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِتْنَانِ نَكَصَ عَلَى عَقْبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ ﴾ ^(٣) فتلقون للسيوف ضرباً وللرماح ورداً وللعمد حطماً ولل سهام غرضاً ، ثم لا يقبل من نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً» .

فقال معاوية : حسبك يا أبا عبد الله ، فقد أبلغت ، وقال للقوم : أهدا

(١) سورة النساء ٤ : ٥٩ .

(٢) سورة النساء ٤ : ٨٣ .

(٣) سورة الأنفال ٨ : ٤٨ .

كان مرادكم؟^(١) .

وفي رواية صاحب المناقب وغيره : أنَّ الحسين عليه السلام سئل عن أشياء من الغرائب التي لا يعرفها أكثر أهل العلم ، فضحك عليه السلام وقال : «ليست هذه عند منتهى العلم إلا كالقذى في عرض البحر» ، ثم أجاب عن كلِّ منها .

فمنها : أنَّه سئل عن سبعة أشياء خلقها الله لم تُخلق في رحمٍ ، فقال عليه السلام : «أولها آدم ، ثم حواء ، والغراب الذي دلَّ ابن آدم على دفن أخيه ، وكبش إبراهيم عليه السلام ، وناقته الله في قوم صالح ، وعصا موسى عليه السلام لما صارت حيَّةً ، والطير الذي خلقه عيسى بن مريم عليه السلام» .

ومنها : أنَّه سئل عن أرزاق العباد ، فقال : «أرزاق العباد في السماء الرابعة ينزل الله بقدرٍ ويبسطها بقدر» .

ومنها : أنَّه سئل من مكان بمقدار وسط السماء ، وعن أول قطرة دم وقعت على الأرض ، وعن مكان طلعت فيه الشمس مرّة ، فقال عليه السلام : «ظهر الكعبة ، ودم حواء لما حاضت في الأرض ، وأرض البحر حين ضربه موسى عليه السلام»^(٢) .

وأمثال هذه منه كثيرة ، وأجوبته في المسائل الشرعيّة وافرة ، مضبوطة كلّها في مواضعها ، وكلامه في الخطب والدعوات التي تحت كلام الخالق وفوق كلام المخلوق ممّا لا يمكن إنكاره ، وسيأتي في الفصل الآتي مختصر من كلامه عليه السلام حين أمره عليّ عليه السلام بالدعاء في الاستسقاء ، فدعا ارتجالاً

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٧٤ ، الاحتجاج ٢ : ٩٤ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٢٠٥ / ١ ، مع تفاوت فيها .

(٢) تحف العقول : ٢٤٢ ، بحار الأنوار ١٠ : ١٣٧ . ١٣٨ ، ولم نعثر عليه في المناقب .

بما ^(١) بلاغته يعجز الفصحاء عن فهمه .

وكفى في كون فصاحته وعلمه وعرفانه وخشيته وخشوعه في غاية الغاية ، دعاؤه المشهور الذي دعا به في يوم عرفة في عرفات ، ومن أراد استيفاء جميع ذلك . سوى ما مرّ ويأتي متفرقاً . فعليه بمراجعة كتب الأحكام وتتبع ما روي عنه من الدعوات والمكاتبات ، وأجوبة مسائل الحلال والحرام ، ولو أردنا ذكر عشر عشر منها لطال الكلام .

وروى جمع : أنَّ قاضياً من قضاة الكوفة دخل على علي بن الحسين عليه السلام ، فقال له : جعلت فداك ، أخبرني عن قول الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُورًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ ^(٢) ، فقال : « ما يقول الناس فيها قبلكم بالعراق ؟ » قال : يقولون : إنها مكة .

فقال : « وهل رأيت السرق في موضع أكثر منه في مكة ؟ » قال : فما هو ؟ قال : « إنما عني الرجال » ، قال : وأين ذلك في كتاب الله ؟ فقال : « أو ما تسمع إلى قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ ﴾ ^(٣) وقال : ﴿ وَتِلْكَ الْقَرْيُ أَهْلَكْنَاهُمْ ﴾ ^(٤) وقال : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا ﴾ ^(٥) » ، ثم تلا عليه السلام آيات في هذا المعنى ، فقال القاضي : جعلت فداك ، فمن هم ؟ قال : « نحن هم » ، وقوله : « ﴿ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ ﴾ »

(١) في «م» و«ن» زيادة : «هو» .

(٢) سورة سبأ ٣٤ : ١٨ .

(٣) سورة الطلاق ٦٥ : ٨ .

(٤) سورة الكهف ١٨ : ٥٩ .

(٥) سورة يوسف ١٢ : ٨٢ .

وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١﴾ ، قال : «آمنين من الزبغ»^(١) .

أقول : هذا أحد بطون الآية الكريمة ، فالمراد بـ ﴿الْقَرْىَ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ : الأئمة عليهم السلام ، إما بتأويل أهل القرى ، أو كُتبي عنهم بها؛ لأنهم مجمع العلوم ، كما قال النبي صلى الله عليه وآله : «أنا مدينة العلم ، وعليّ بابها»^(٢) ، وبالقرى الظاهرة : سفراؤهم وخواص أصحابهم الذين يوصلون علومهم إلى من دونهم ، كما ورد التصريح به في بعض الأخبار^(٣) ، وروي في بعضها : أن المراد سير الشيعة في زمن القائم عجل الله فرجه^(٤) .

وروى جمع : أن عليّ بن الحسين عليهما السلام مرّ بالحسن البصري وهو يعظ الناس بمنى ، فوقف عليه ، ثم قال له : «أمسك ؛ أسألك عن الحال»^(٥) التي أنت عليها مقيم ، أترضها لنفسك فيما بينك وبين الله للموت إذا نزل بك غداً؟ قال : لا .

قال : «أفتحدث نفسك بالتحول والانتقال عن الحال التي لا ترضاه لنفسك إلى الحال التي ترضاه؟» ، قال : فأطرق ملياً ، ثم قال : إني أقول ذلك

(١) الاحتجاج ٢ : ١٣٩ / ١٧٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٤٢ ، بحار الأنوار ٢٤ : ٢٣٣ / ٢ ، و ١٠ : ١٤٥ / ١ .

(٢) المعجم الكبير ١١ : ٦٦ / ١١٠٦١ ، الكامل لابن عدي ١ : ٣١١ ، المستدرک للحاكم ٣ : ١٢٦ ، تاريخ جرجان للسهمي ٦٥ : ٧ / ٧ ، تاريخ بغداد ٢ : ٣٧٧ / ٨٧٧ ، و ٤ : ٣٤٨ / ٢١٨٦ ، و ٧ : ١٧٣ / ٣٦١٣ ، و ١١ : ٤٨ / ٥٧٢٨ ، الاستيعاب ٣ : ١١٠٢ ، المناقب لابن المغازلي ٨٠ : ٨٤ ، المناقب للخوارزمي ٨٢ : ٦٩ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٧٨ - ٣٨٣ ، مطالب السؤول : ٦٩ - ٩٨ ، كفاية الطالب : ٢٢٠ - ٢٢٢ ، تهذيب الكمال ١٨ : ٧٧ / ٣٤٢١ .

(٣) بحار الأنوار ١٠ : ١٤٥ / ١ .

(٤) بحار الأنوار ١٠ : ١٤٦ ، ذيل حديث ١ .

(٥) في «م» : «الحالة» بدل «الحال» .

بلا حقيقة .

قال : «أفترجو نبياً بعد محمد ﷺ يكون لك معه سابقة؟» قال : لا .

قال : «أفترجو داراً غير الدار التي أنت فيها ترد إليها فتعمل فيها؟» قال : لا .

قال : «أفرايت أحداً به مسكة عقل رضي لنفسه من نفسه بهذا ؟ إنك على حال لا ترضاها ، ولا تحدث نفسك بالانتقال إلى حال ترضاها على حقيقة ، ولا ترجو نبياً بعد محمد ﷺ ، ولا (١) داراً غير الدار التي أنت فيها فترد إليها فتعمل فيها وأنت تعظ» .

وفي رواية أخرى : «فلم تشغل الناس عن الفعل وأنت تعظ الناس؟» .

قال الراوي : فلما ولى عليّ بن الحسين البصري : من هذا ؟ قالوا (٢) : عليّ بن

الحسين ، قال : أهل بيت علم ، فما رئي الحسن البصري بعد ذلك يعظ الناس (٣) .

وعن عبدالله بن موسى الهاشمي ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كانت أمي فاطمة بنت الحسين عليّ بن أبي طالب تأمرني أن أجلس إلى خالي عليّ بن الحسين عليّ بن أبي طالب ، فما جلست إليه قطّ إلّا قُمتُ بخيرٍ قد استفدته منه : إمّا خشية الله تحدث في قلبي لما أرى فيه من خشية الله ، أو علم قد استفدته منه (٤) .

وروى جمع ، منهم : سفيان بن عُيينة عن الزهري ، عن عليّ بن الحسين عليّ بن أبي طالب ،

قال : قال لي يوماً : «يا زهري ، من أين جئت ؟» .

(١) في «م» زيادة : «ترجو» .

(٢) في «م» زيادة : «هذا» .

(٣) الاحتجاج ٢ : ١٤٠ - ١٤١ ، بحار الأنوار ١٠ : ١٤٦ / ٢ .

(٤) الإرشاد للمفيد ٢ : ١٤٠ ، بتفاوت يسير .

قلت : من المسجد ، فقال : «فيم كنتم ؟» .

قلت : تذاكرنا أمر الصوم فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنه ليس من الصوم شيء واجب إلا صوم شهر رمضان .

فقال : «يا زهري ، ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً فعشرة أوجه منها واجبة كوجوب شهر رمضان ، وعشرة أوجه منها صيامهن حرام ، وأربعة عشر وجهاً منها صاحبها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر ، وصوم الإذن على ثلاثة أوجه ، وصوم التأديب ، وصوم الإباحة ، وصوم السفر والمرض» .

قلت : جعلت فداك ففسرهن لي .

قال : «أما الواجب فصيام شهر رمضان ، وشهرين متتابعين في كفارة الظهار ؛ لقوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ﴾^(١) إلى آخر الآية ، وصيام شهرين متتابعين في من أفطر يوماً من شهر رمضان ، وصيام شهرين متتابعين في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق ؛ لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً﴾ إلى قوله : ﴿فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ﴾^(٢) الآية ، وصوم ثلاثة أيام في كفارة اليمين ؛ لقوله تعالى : ﴿فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ﴾^(٣) ، وصيام أذى حلق الرأس ؛ لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ﴾^(٤) الآية ، «وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدي ، لقوله تعالى : ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ﴾

(١) سورة المجادلة ٥٨ : ٣ .

(٢) سورة النساء ٤ : ٩٢ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٨٩ .

(٤) سورة البقرة ٢ : ١٩٦ .

فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ﴿١﴾ الآية ، «وصوم جزاء الصيد ، لقوله تعالى : ﴿وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ﴾ إلى قوله : ﴿أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾ ﴿٢﴾ ، ثم ذكر كلاماً ، الخبر إلى أن قال عليه السلام : «وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب» ، ثم قال عليه السلام : «وأما صوم الحرام فصوم يوم الفطر ، ويوم الأضحى» وكذا وكذا ، إلى أن عدّها مفصّلاً ، ثم ذكر تعداد بقيّة وجوه الصوم كلّها واحداً بعد واحد إلى آخر الأربعين وجهاً من الصيام^(٣) ؛ تركنا نحن تفصيل ذكرها خوفاً من التطويل.

وقد مرّ في المقدمات وغيرها ويأتي في الفصول الآتية بعض أخبار في علومه سوى ما ذكره العلماء في كتبهم ممّا لم نذكره ، مع أنّنا قد ذكرنا مراراً أنّه يكفي في غزارة علمه ما تضمّنته الدعوات المنسوبة إليه لا سيّما الصحيفة الكاملة ؛ إذ من حيث قلّة علماء الشيعة ، وشدّة التقيّة في زمانه كان أكثر اشتغاله عليه السلام بالدعاء والعبادة فلم يُرَوْ عنه في الأحكام مثل ما روي عن أولاده الطاهرين صلوات الله عليهم أجمعين .

وأما أبو جعفر محمّد الباقر ، وأبو عبد الله جعفر الصادق ، وأبو الحسن موسى الكاظم ، وأبو الحسن عليّ الرضا عليه السلام ، فمن حيث إنّ التقيّة لم تكن في زمانهم بتلك الشدّة ، فطفق الناس لذلك في التردّد إليهم ، والأخذ من علومهم ، والرواية عنهم لا سيّما أهل الكوفة ، حتّى جمع من علماء المخالفين أيضاً ، بل حتّى أنّ المأمون اتّخذ مجالس لمناظرات الرضا عليه السلام مع علماء الأمصار ، حتّى أهل سائر الملل من الفلاسفة والملاحدة ، واليهود

(١) سورة البقرة ٢ : ١٩٦ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٩٥ .

(٣) الكافي ٤ : ٨٣ / ١ (باب وجوه الصوم) ، الخصال : ٥٣٤ / ٢ ، الفقيه ٢ : ٤٦ / ٢٠٨ ، التهذيب ٤ :

٢٩٤ / ٨٩٥ .

والنصارى ، وأمثالهم ، كما هو مشهور مسطور في كتب المخالف والمؤالف ؛ فلهذا اشتهرت عنهم أنواع من العلوم بين الخواص والعوام ، وأقسام من المعارف والأحكام ، وصنوف من مسائل الحلال والحرام ، بحيث ملأت الخافقين ، ودارت على ألسنة الفريقين ، حتى أنه كتب أصحابهم عنهم كتباً كثيرة ، وجمعوا من إفاداتهم علوماً جمّة ، من أراد تفصيل ذلك فعليه بمراجعة كتب الرواة من أصحابهم ، وقد مرّت وتأتي لا سيّما في ذكر أحوالهم بُدّ وافية ممّا ذكره أهل السير ورواة علماء المخالفين من أنواع العلوم التي عجز عنها غيرهم ؛ ولهذا لا حاجة لنا في هذا المقام إلى ذكر شيء ممّا يدلّ على كمال علومهم ، غير أنّنا نذكر عن كلّ واحد منهم حديثاً واحداً تيمّناً وتبرّكاً واحترافاً عن الترك رأساً .

روى جماعة ، منهم : صاحب المناقب : أنّ عبد الله بن نافع الأزرق كان يقول : لو عرفت أنّ بين قطريها أحداً تبلغني إليه الإبل يخصمني بأنّ عليّاً قتل أهل النهروان وهو غير ظالم لأرحلتها إليه ، فقليل له : إنّ ولده محمّد الباقر عليه السلام حاضر فدونك إياه ، فأتاه فسأله ، فقال عليه السلام بعد كلام : « الحمد لله الذي أكرمنا بنبوّته ، واختصّنا بولايته ، يا معشر أولاد المهاجرين والأنصار ، من كان عنده منقبة في عليّ عليه السلام فليقم وليحدّث » ، فقاموا ونشروا مناقبه ، فلمّا انتهوا إلى قول النبي صلى الله عليه وآله : « لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ، ويحبّه الله ورسوله » ، قال له الباقر عليه السلام : « أهذا الحديث صحيح عندك ؟ » .

قال : نعم ، هو حقٌّ لا شكّ فيه ، ولكنّ عليّاً أحدث الكفر بعدُ .

فقال أبو جعفر عليه السلام : « أخبرني عن الله أحبّ عليّاً عليه السلام يوم أحبّه وهو يعلم أنّه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم ؟ إن قلت : لا ، كفرت » .

فقال : قد علم .

قال : « فأحبّه على أن يعمل بطاعته ، أم على أن يعمل بمعصيته ؟ » .

قال : على أن يعمل بطاعته .

فقال أبو جعفر عليه السلام : « قم مخصوماً » ، فقام وهو يقول : ﴿ حَقٌّ يَتَبَيَّنُ لَكُمْ الْحَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَيْطِ الْأَسْوَدِ ﴾ ^(١) ، والله أعلم حيث يجعل رسالاته ^(٢) .

وروى جمع عن عباد بن صُهيب ^(٣) ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الربيع صاحب المنصور أنّه قال : حضر أبو عبدالله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام مجلس المنصور يوماً وعنده رجل من الهند يقرأ كتب الطبّ ، فجعل الصادق عليه السلام ينصت لقراءته ، فلمّا فرغ الهنديّ قال له : يا أبا عبدالله ، أتريد ممّا معي شيئاً ؟
قال : « لا ، فإنّ ما معي خير ممّا معك » .

قال : وما هو ؟

قال : « أدّاوي الحارّ بالبارد ، والبارد بالحارّ والرطب باليابس ، واليابس بالرطب ، وأردّ الأمر كلّّه إلى الله ، وأستعمل ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله : واعلم أنّ المعدة بيت الداء ، والحميّة هي الدواء ، وأعوذّ البدن ما اعتاد » .
فقال الهنديّ : وهل الطبّ إلّا هذا ؟

(١) سورة البقرة ٢ : ١٨٧ .

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٢١٧ - ٢١٨ ، بحار الأنوار ١٠ : ١٥٧ / ٨ .

(٣) هو عباد بن صُهيب ، بصري عامي ، يكتفى أبا بكر التميميّ ، عدّه الشيخ رحمته الله في رجاله من أصحاب الباقر والصادق عليه السلام ، ولا ريب في كونه ثقة جليلاً .

انظر : رجال النجاشي : ٢٩٣ / ٧٩١ ، رجال الطوسي : ١٤٢ / ١٥٣١ ، و ٢٤٣ / ٣٣٦٧ ،

تنقيح المقال ٢ : ١٢١ / ٦١٥٤ .

فقال الصادق عليه السلام : «أفتراني عن كتب الطب أخذت ؟» .

قال : نعم .

قال : «لا والله ، ما أخذت إلّا عن الله ، فأخبرني أنا أعلم بالطب أم أنت ؟» .

فقال الهندي : بل أنا .

فقال عليه السلام : «فأسألك ؟» .

قال : سل .

قال : «أخبرني لم كان في الرأس شؤون ؟» .

قال : لا أعلم .

قال : «فلِمَ جعل الشعر عليه من فوقه ؟» .

قال : لا أعلم .

قال : «فلِمَ خلت الجبهة من الشعر ؟» .

قال : لا أعلم .

قال : «فلِمَ جعلت العينان كاللوزتين ؟» .

قال : لا أعلم .

قال : «فلِمَ جعل الأنف ما بينهما ؟» .

قال : لا أعلم .

وهكذا كان يسأله عن حكم سائر ما خلق الله في الإنسان ، وهو يقول : لا أعلم ،

إلى أن قال الراوي : فقال الصادق عليه السلام : «لكي أعلم» .

قال الهندي : فأجب .

فقال الصادق عليه السلام : «علّة شؤون الرأس ، لأنّ المجوّف إذا كان بلا فصل أسرع إليه

الصداع ، فإذا جعل ذا فصول كان الصداع منه أبعد ، وجعل

الشعر من فوقه لتوصل بوصوله الأدهان إلى الدماغ ، ويخرج بأطرافه البخار ، ويردّ الحرّ والبرد الواردين عليه ، وخلت الجبهة من الشعر لأنّها مصبّ النور إلى العينين ، وجعل فيها التخطيط والأسارير ليحتبس العرق الوارد من الرأس عن العين قدر ما يميّطه الإنسان عن نفسه ، كالأنهار في الأرض التي تحبس الماء» وهكذا ذكر عليه السلام علل سائر الأشياء التي سأل عنها الهنديّ ، وعجز عن الجواب إلى أن بيّن الوجه في الجميع ، فقال الهنديّ له : من أين لك هذا العلم ؟

فقال : «أخذته عن آبائي عن رسول الله عن جبرئيل عن ربّ العالمين الذي خلق الأجسام والأرواح» .

فقال الهنديّ : صدقت ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أنّ محمداً رسول الله وعبدّه ، وأنّك أعلم أهل زمانك ^(١) .

وروى جمع عديد ، كالطبريّ ، والكلينيّ ، والمفيد ، والطبرسيّ ، وغيرهم : أنّ جاثليقا من جثاقلقة النصارى يقال له : بُريهة ، جاء مع امرأته وجمع من أتباعه إلى المدينة ، وتكلّم مع علمائها ولم يقدر أحد منهم عليه ، لقوّة ذهنه ، وغزارة فهمه ، فقال : لو كانت أئمتكم أئمة على الحقّ لكان عندكم بعض الحقّ ، فوصفت له الشيعة ووصف له هشام بن الحكم ، فأتى إليه ، وجرت بينهما بعض المكالمات فأقرّ له بالفضل والكمال ، وقال له : أريد أن تدخلني على الصادق عليه السلام ، فإني سمعت في شأنه أنّه العالم الإمام بالحقّ ، وأنا طالب للحقّ ، فقام معه ومعهما امرأته ، فدخلوا دار الصادق عليه السلام فلقيهما موسى بن جعفر عليه السلام وهو دون سبع سنين ، فحكى له

(١) الخصال ٢ : ٥١١ / ٣ ، علل الشرائع ١ : ٩٨ / ١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٢٨١ - ٢٨٣ ، بحار الأنوار ١٠ : ٢٠٥ / ٩ .

هشام الحكاية ، فلمّا فرغ قال موسى عليه السلام : «يا بريهة ، كيف علّمك بكتابك ؟» .
قال : أنا به عليم .

قال : «كيف ثقتك بتأويله ؟» .

قال : ما أوثقني بعلمي به ، فابتدأ موسى عليه السلام يقرأ الإنجيل ، قال بريهة : والله ، لقد كان يقرأ هكذا المسيح عليه السلام وما قرأ هذه القراءة إلّا المسيح عليه السلام ، ثمّ قال بريهة : إيتاك كنتُ أطلب منذ خمسين سنةً أو مثلك ، قال : فأمن بريهة وحسن إيمانه ، وآمنت المرأة وحسن إيمانها .

ثمّ دخل هشام وبريهة والمرأة على الصادق عليه السلام ، وحكى هشام الكلام الذي جرى بين موسى عليه السلام وبريهة ، فقال عليه السلام : «﴿ ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾»^(١) ، فقال له بريهة : جُعِلت فداك ، أتى لكم التوراة والإنجيل وكتب الأنبياء ؟
قال : «هي عندنا وراثه من عندهم ، وإذا أردت أن نقرأها كما قرؤوها ونقولها كما قالوها ، إنّ الله لا يجعل حجةً في أرضه يسأل عن شيء فيقول : لا أدري»^(٢) .
ثمّ سأل بريهة مسائل كثيرة ، فسكن المدينة ، وكان من أصحاب الإمامين عليهما السلام إلى أن مات .

وهذا الحديث خبر طويل مشتمل على سائر مكالمات بريهة

(١) سورة آل عمران ٣ : ٣٤ .

(٢) بصائر الدرجات : ١٥٦ / ٤ ، الكافي ١ : ١٧٧ / ١ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام عندهم . . .) ، التوحيد للصدوق : ٢٧٠ / ١ ، الاختصاص : ٢٩٢ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٣٣٥ ، حلية الأبرار ٢ : ٢٤٠ ، بحار الأنوار ١٠ : ٢٣٤ / ١ ، ولم نعثر عليه عن الطبري والطبرسي .

مع هشام وغيره ، ونحن اختصرنا على خلاصة ما أردناه .

وروى جماعة من الرواة ، وأهل السير ، منهم : محمد بن عمر الأنصاري^(١) ، عن الحسن بن محمد النوفلي^(٢) ، ثم الهاشمي ، قال : إنّ المأمون جمع جماعة من علماء الملل وأحضر الرضا عليه السلام ، فقال للجاثليق الكبير من النصارى : تكلم مع ابن عمي ، فإنه من ولد فاطمة بنت نبيينا ، فقال الجاثليق : كيف أحاج رجلاً يحتج بكتاب أنا منكروه ، ونبي لا أومن به ؟

فقال له الرضا عليه السلام : «يا نصراني ، فإن احتججت عليك بإنجيلك أتقر به ؟» .

قال : وهل أقدر على دفع ما نطق به الإنجيل ؟ نعم ، أقر به ولو على رغم أنفي .

فقال الرضا عليه السلام : «سل عما بدا لك» .

قال : ما تقول في نبوة عيسى وكتابه هل تنكر منهما شيئاً ؟

قال الرضا عليه السلام : «أنا مقرّ بنبوة عيسى عليه السلام وكتابه وما بشّر به أمته وأقرت به

الحواريون^(٣) وكافر بنبوة كلّ عيسى لم يقرّ بنبوة محمد وكتابه ، ولم يبشّر به أمته» .

قال الجاثليق : أليس إنّما نقطع الأحكام بشاهدي عدل ؟

(١) لعلة محمد بن عمر بن عبدالعزيز ، يكتي أبا عمرو ، كان ثقة ، عيناً ، صاحب العياشي وأخذ عنه ، وكان بصيراً بالأخبار والرجال ، له كتاب الرجال .

انظر : رجال النجاشي : ٣٧٢ / ١٠١٨ ، الفهرست للطوسي : ١٤١ / ٦١٣ .

(٢) هو الحسن بن محمد بن سهل النوفلي ، له كتاب حسن كثير الفوائد ، جمعه . قال : ذكر مجالس الرضا عليه السلام مع أهل الأديان ، أخبرناه أحمد بن عبد الواحد .

انظر : رجال النجاشي : ٣٧ / ٧٥ ، تنقيح المقال ١ : ٣٠٨ / ٢٧٣٩ .

(٣) في «م» زيادة : «بنبوة محمد وكتابه وبشّر به أمته» .

قال : «بلى» .

قال : أقم شاهدين من غير أهل ملتك على نبوة محمد ممن لا تُنكره النصرانية ، وسلنا مثل ذلك من غير أهل ملتنا .

قال الرضا عليه السلام : «الآن جئت بالنصفة يا نصراني ، ألا تقبل مني العدل المقدم عند المسيح؟» .

قال : ومن هذا العدل ؟ سمّيه لي .

قال : «ما تقول في يوحنا الديلمي؟» قال : بخّ بخّ ، ذكرت أحبّ الناس إلى المسيح عليه السلام .

قال الرضا عليه السلام : «فأقسمت عليك هل نطق الإنجيل : أنّ يوحنا قال : إنّ المسيح أخبرني بدين محمد ﷺ العربي ، وبشّرني به أنّه يكون من بعده ، فبشّرتُ به الحواريين فأمنوا به ؟» .

قال الجاثليق : قد ذكر ذلك يوحنا عن المسيح وبشّر بنبوة رجل وبأهل بيته ووصيّه ، ولم يلخص متى يكون ذلك ، ولم يسم لنا القوم فنعرفهم .

قال الرضا عليه السلام : «فإن جئناك بمن يقرأ الإنجيل فتلا عليك ذكر محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأُمَّته أتؤمن به ؟ فقال : نعم .

قال الرضا عليه السلام لقسطاس الرومي : «كيف حفظك للسفر الثالث من الإنجيل ؟» . قال : ما أحفظني له ، ثمّ التفت إلى رأس الجالوت ، فقال له : «ألست تقرأ الإنجيل ؟» .

قال : بلى لعمرى .

قال الرضا عليه السلام : «فخذ عليّ السفر الثالث ، فإن كان فيه ذكر محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأُمَّته فاشهدوا لي ، وإن لم يكن فيه ذلك فلا تشهدوا لي» .

ثم قرأ عليه السلام السفر الثالث حتّى إذا بلغ ذكر النبي ﷺ وقف ، ثم قال : «يا نصرانيّ ، أسألك بحق المسيح وأُمَّه أتعلم أنّي عالم بالإنجيل؟» .

قال : نعم ، ثم تلا عليه السلام ذكر محمد ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وأُمَّته .

ثم قال : «ما تقول يا نصرانيّ ؟ هذا قول عيسى ، فإن كذّبت ما ينطق به الإنجيل ، فقد كذّبت موسى وعيسى عليهما السلام ، ومتى أنكرت هذا الذكر وجب عليك القتل ، لأنك تكون قد كفرت برّبك ونبيّك وبكتابك» .

قال الجاثليق : لا أنكر ما قد بان لي في الإنجيل ، وإنيّ لمقرّ به .

قال الرضا عليه السلام : «اشهدوا على إقراره» .

ثم قال : «يا جاثليق ، سل عمّا بدا لك» .

قال الجاثليق : أخبرني عن حواريّ عيسى كم كان عدّتهم ؟ وعن علماء الإنجيل كم كانوا ؟

قال الرضا عليه السلام : «على الخبر سقطت ، أمّا الحواريون فكانوا اثني عشر رجلاً ، وكان أفضلهم وأعلمهم ألوقا ، وأمّا علماء النصارى فكانوا ثلاثة رجال : يوحنا الأكبر بأج^(١) ، ويوحنا بقرقيسيا ، ويوحنا الديلمي بزجار ، وكان عنده ذكر النبي وأهل بيته وأُمَّته» .

ثم قال عليه السلام : «يا نصرانيّ ، والله ، إنّا لنؤمن بعيسى الذي آمن بمحمد ﷺ وما ننقم على عيسى شيئاً إلّا ضعفه وقلة صيامه وصلاته» ، قال

(١) في «م» «ل» : «هاج» بدل «باج» .

الجاثليق : أفسدت عليك بهذا الكلام وما كنت ظننتُ إلا أنك أعلم أهل الإسلام
قال الرضا عليه السلام : «وكيف ذاك ؟» .

قال : فإن عيسى ما أفطر يوماً قطّ وما زال صائم الدهر ، قائم الليل .

قال الرضا عليه السلام : «فلمن كان يصوم ويصلي ؟» ، فخرس الجاثليق وانقطع^(١) .

ثم صار الكلام^(٢) بينهما في مسائل عديدة غريبة إلى أن أسلم الجاثليق وقال : والله ،
ليس في علماء المسلمين مثلك فناظر غيري ، فإنّي مقرّ لك مسلّم .

ثم شرع عليه السلام في مناظرة بقيّة أهل الملل إلى أن أقرّوا بعلمه وفضله كلّهم أجمعون ،
والحديث طويل أخذنا منه مختصراً من بعضه ، من أراد فليرجع إلى محله .

ثم إنّه ستأتي في ذكر أحوال أبي جعفر محمد بن عليّ الجواد عليه السلام ، وكذا في الفصل
الثالث أخبار مشتملة بل منادية بأنّ علومه كانت منتهية إلى ما فوق حدّ الكمال ، حتّى في
صغر سنّه ، وإنّه لم يكن في زمانه أحد أعلم منه .

وقد مرّت وتأتّى في سائر الفصول أخبار من هذا القبيل .

هذا كلّّه ، مع ما ذكره عنه العلماء ، وأصحابه حتّى بعض العامّة من مسائل وأحكام
لا تُحصى ؛ ولهذا نحن نكتفي هاهنا أيضاً بذكر بعض

(١) التوحيد : ٤١٧ / ١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٥٤ / ١ ، الاحتجاج ٢ : ٤٠١ / ٣٠٧ ، بتفاوت
يسير فيها .

(٢) في «م» : «الحديث» بدل «الكلام» .

كلماته الشافية .

روى جمع : أنَّ المأمون قال ليحيى بن أكنم : إسأل أبا جعفر مسألة تقطعه فيها .
فقال يحيى : يا أبا جعفر ، ما تقول في رجل نكح امرأة على زناً أيجلّ له أن يتزوّجها ؟
فقال : «يدعها حتّى يستبرئها من نطفته ونطفة غيره؛ إذ لا يؤمن منها أن تكون قد
أحدثت مع غيره حدثاً^(١) كما أحدثت معه ، ثمّ يتزوّج بها إن أراد ، فإنّها مثل نخلة أكل
رجل منها حراماً ، ثمّ اشتراها فأكل منها حلالاً» ، فانقطع يحيى^(٢) .
ومن كلامه عليه السلام أنّه قال : «لا تعادين أحداً حتّى تعرف الذي بينه وبين الله ، فإن
كان محسناً لم يسلمه إليك فلا تعاده ، وإن كان مسيئاً فعلمك به يكفيك فلا تعاده»^(٣) .
وقال عليه السلام : «الحوائج تُطلب بالرجاء وهي تنزل بالقضاء ، والعافية أحسن عطاء»^(٤) .

وقال عليه السلام : «إذا نزل القضاء ضاق القضاء»^(٥) .
وكتب عليه السلام إلى بعض أصحابه : «إذا غضب الله على خلقه نجّنا من جوارهم»^(٦) .

(١) في النسخ : «حدثها» ، وما أثبتناه من المصدر .

(٢) تحف العقول : ٤٥٤ .

(٣) نزهة الناظر : ١٣٦ / ١٣ ، الدرّ النظيم : ٧١٦ ، إعلام الدين : ٣٠٩ .

(٤) نزهة الناظر : ١٣٦ / ١١ ، الدرّ النظيم : ٧١٦ ، إعلام الدين : ٣٠٩ .

(٥) نزهة الناظر : ١٣٦ / ١٢ ، الدرّ النظيم : ٧١٦ ، إعلام الدين : ٣٠٩ ، الدرّة الباهرة : ٤٠ .

(٦) الدرّ النظيم : ٧١٥ .

وقال محمد بن الوليد الكرمانيّ : قلت لأبي جعفر عليه السلام : ما تقول بالمسك ؟ فقال :
«إنّ أبي أمر فعمل له مسك في بان^(٦) بسبعمائة درهم» ، فكتب إليه الفضل بن سهل يخبره
: أنّ الناس يعيرون ذلك ، فكتب إليه : «يا فضل ، أما علمت أنّ يوسف عليه السلام كان يلبس
الديباج مزوّراً بالذهب ، ويجلس على كراسيّ الذهب ، فلم ينقص ذلك من حكمته شيئاً ،
ثمّ أمر فعملت له غالية بأربعة آلاف درهم»^(٧) ؟

ومن كلامه عليه السلام أنّه قال : «كيف يضيع من الله كافله ؟ وكيف ينجو من الله طالبه
؟ ومن انقطع إلى غير الله وكله الله إليه ، ومن عمل على غير علمٍ أفسد أكثر ممّا يصلح»
.^(٨)

وقال عليه السلام : «من استغنى كرم على أهله» ، ف قيل له : وعلى غير أهله ؟ قال : «لا
، إلّا أن يكون^(٩) يجدي عليهم نفعاً» ، ثمّ قال للذي قال له : من أين قلت ذلك ؟ قال :
«لأنّ رجلاً قال في مجلس بعض الصالحين : إنّ الناس يكرمون الغنيّ وإن كانوا لا ينتفعون
بغناه» ، فقال : «ذلك لأنّ معشوقهم عنده»^(١٠) .

وقال عليه السلام : «إياك ومصاحبة الشرير ، فإنّه كالسيف المسلول ، يحسن منظره ويقبح
أثره»^(١١) .

(١) البان : شجر ، ولحبّ ثمره دهن طيّب ، وهو نافع للبرش .

انظر : القاموس ٤ : ١٨٧ ، مادة . يون . .

(٢) الكافي ٦ : ٥١٦ / ٤ (باب الغالية) ، الدرّ النظيم : ٧١٥ .

(٣) نزهة الناظر : ١٣٤ / ١ ، الدرّ النظيم : ٧١٦ ، كشف الغمّة ٢ : ٣٦٨ ، أعلام الدين : ٣٠٩ .

(٤) كلمة : «يكون» لم ترد في «م» .

(٥) نزهة الناظر : ١٣٥ / ٤ ، الدرّ النظيم : ٧١٦ .

(٦) نزهة الناظر : ١٣٦ / ١٠ ، الدرّ النظيم : ٧١٦ ، أعلام الدين : ٣٠٩ ، الدرّة الباهرة : ٤١ .

وقال عليه السلام : «من استفاد أخاً في الله فقد استفاد بيتاً في الجنة» (١) .

وقال عليه السلام : «القصد إلى الله تعالى بالقلوب أبلغ من إتباع الجوارح بالأعمال» (٢) .

وقال عليه السلام : «من أطاع هواه ، أعطى عدوه مناه» (٣) .

وروى بشير الدهان (٤) ، قال : قلت لأبي جعفر الثاني عليه السلام : جعلت فداك ، أيّ الفصوص أركبه على خاتمي ؟

فقال : «أين أنت من العقيق الأحمر ، والعقيق الأصفر ، والعقيق الأبيض ؟ فإنها ثلاثة جبال في الجنة : أما الأحمر فمُطَلَّ على دار النبي ﷺ ، وأما الأصفر فمُطَلَّ على دار فاطمة عليها السلام ، وأما الأبيض فمُطَلَّ على دار أمير المؤمنين عليه السلام » ، إلى أن قال عليه السلام : «فمن تحتم بشيء منها من شيعة آل محمد ﷺ لم ير إلا الخير والحسن والسعة في رزقه ، والسلامة من جميع أنواع البلاء ، وهو أمان من السلطان الجائر ومن كل ما يخافه الإنسان ويجذره» (٥) .

وأما الإمامان الجليلان أبو الحسن علي بن محمد ، وأبو محمد الحسن بن علي العسكريان صلوات الله عليهما ، فسيأتي أيضاً في ذكر

(١) الدرّ النظيم : ٧١٤ ، كشف الغمّة ٢ : ٣٤٦ .

(٢) نزهة الناظر : ١٣٤ / ٢ ، الدرّ النظيم : ٧١٤ ، كشف الغمّة ٢ : ٣٦٨ ، الدرّة الباهرة : ٣٩ .

(٣) نزهة الناظر : ١٣٤ / ٣ ، الدرّ النظيم : ٧١٤ ، أعلام الدين : ٣٠٩ ، الدرّة الباهرة : ٤٠ .

(٤) هو بشير الدهان الكوفي ، وقيل : يسير . بالياء والسين غير المعجمة . عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الكاظم عليه السلام ، وفي عدّد الشيخ إياه من دون تعرّض لمذهبه شهادة بكونه إمامياً .

انظر : رجال الطوسي : ٣٣٣ / ٤٩٥٦ ، تنقيح المقال ١ : ١٧٤ / ١٣٤٨ .

(٥) الأمالي للطوسي : ٣٨ / ٤١ ، الدرّ النظيم : ٧١٤ .

أحواهما ، وكذا في الفصل الثالث وغيره نُبذ من بيان علومهما ، المنادي بكونهما أعلم الناس في زمانهما سوى ما مرّ ، ومن أراد استقصاء ما نُقل عنهما من العلوم فعليه بمراجعة كتب الأحكام المنقولة عنهما وعن آبائهما حتّى نُقل عن أبي محمّد عليه السلام تفسير القرآن ، وقد رأيت جزءاً منه ، وفيه ما يدلّ على عدم قدرة غيره على مثله ؛ ولهذا نكتفي هاهنا بذكر نُبذٍ ممّا نُقل عنهما تيمناً وتبركاً ؛ إذ الأصل ما أشرنا إليه .

روي في المناقب وغيره بغير إسناد واحد عن موسى بن محمّد بن الرضا عليه السلام ^(١) قال : لقيت يحيى بن أكثم في دار العامّة في بيت الخليفة ، فسألني عن مسائل ، فجئتُ إلى أخي عليّ بن محمّد ، فقلت له : جُعِلت فداك ، إنّ ابن أكثم كتب يسألني عن مسائل لأُفتّيه فيها ، فضحك عليه السلام ثمّ قال : «فهل أفتيته؟» قلت : لا . قال : «ولم؟» قلت : لا أعرفها .

قال : «وما هي؟» ، قلت : كتب يسألني عن قول الله عزّ وجلّ : ﴿ قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ ^(٢) إلى آخر الآية ، أكان سليمان وهو نبيّ الله محتاجاً إلى علم آصف ؟ وعن قوله سبحانه : ﴿ وَرَفَعَ أَبْوِيَهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ ﴾

(١) هو موسى بن محمّد بن الرضا عليه السلام ، أخو أبي الحسن الهادي عليه السلام من طرف الأب والأُمّ ، وهو جدّ السادات الرضويّة ، قدم قم سنة ٢٥٦ هـ ، ثمّ أخرجه العرب من قم ، فذهب إلى كاشان ، وبعد مدّة أرجعوه إلى قم مكزماً ، وأقام فيها حتّى توفّي سنة ٢٩٦ هـ .

تاريخ قم : ٥٧٥ ، تنقيح المقال ٣ : ٢٥٩ / ١٢٢٨٥ ، أعيان الشيعة ١٠ : ١٩٤ .

(٢) سورة النمل ٢٧ : ٤٠ .

سَجْدًا ﴿٤﴾ أسجد يعقوب وولده ليوسف وهم أنبياء ؟

وعن قوله تعالى : ﴿ **فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ**

﴿^(١)﴾ مَنْ الْمَخَاطَبُ بِالْآيَةِ ؟ فَإِنْ كَانَ هُوَ النَّبِيُّ ﷺ فَقَدْ شَكَّ ، وَإِنْ كَانَ الشَّاكُّ غَيْرَهُ ،

فَعَلَى مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ إِذَا ؟

وعن قوله تعالى : ﴿ **أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا** ﴾ ^(٢) ، أَيْزُوجُ اللَّهِ عِبَادَهُ الذُّكْرَانُ ؟ وَقَدْ

عَاقَبَ قَوْمًا فَعَلُوا ذَلِكَ .

وعن شهادة المرأة أنَّهَا جَازَتْ وَحْدَهَا ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ **وَأَشْهِدُوا ذُوَيْ عَدْلِ**

مِنْكُمْ ﴾ ^(٣) .

وعن الخنثى وقول عليّ ؑ : «بُورِثَ مِنَ الْمَبَالِ» ، فَمَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ إِذَا بَالُ ؟ ! مَعَ

أَنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ امْرَأَةً وَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهَا الرِّجَالُ ، وَعَسَى أَنْ يَكُونَ رَجُلًا وَقَدْ نَظَرَ إِلَيْهِ النِّسَاءُ ، وَهَذَا مَا لَا يَحِلُّ .

وشهادة الجائرُ إِلَى نَفْسِهِ لَا تُقْبَلُ .

وعن رجل أتى إِلَى قَطِيعِ غَنَمٍ ، فَرَأَى الرَّاعِيَ يَنْزُو عَلَى شَاةٍ مِنْهَا ، فَلَمَّا بَصَرَ الرَّاعِيَ

بِصَاحِبِهَا خَلَّى سَبِيلَهَا ، فَدَخَلَتْ بَيْنَ الْغَنَمِ ، كَيْفَ تُذْبِحُ ؟ وَهَلْ يَجُوزُ أَكْلُهَا أَمْ لَا ؟

وعن قول عليّ ؑ لابن جرْمُوزَ : «بَشَّرَ قَاتِلُ ابْنِ صَفِيَّةَ ^(٤) بِالنَّارِ» ، فَلِمَ لَمْ يَقْتُلْهُ

وَهُوَ إِمَامٌ ؟

وَأَخْبَرَنِي عَنْ عَلِيٍّ ؑ لَمْ يَقْتُلْ أَهْلَ صَفِّينَ وَأَمَرَ بِذَلِكَ مُقْبِلِينَ

(١) سورة يوسف ١٢ : ١٠٠ .

(٢) سورة يونس ١٠ : ٩٤ .

(٣) سورة الشورى ٤٢ : ٥٠ .

(٤) سورة الطلاق ٦٥ : ٢ .

(٥) هو الزبير بن العوام ، المعروف الذي نكث بيعة عليّ ؑ ، وقد تقدّمت ترجمته .

ومدبرين ، وأجاز^(١) على الجرحى وكان حكمه يوم الجمل أنه لم يقتل مؤلياً ولم يجز على جريح ولم يأمر بذلك ، وقال : من دخل داره فهو آمن ، ومن ألقى سلاحه فهو آمن ، لم فعل ذلك ؟ فإن كان الأول صحيحاً كان الثاني خطأ .

وأخبرني عن رجلٍ أقرّ باللواط على نفسه أيحْدَ أم يُدْرأ عنه الحد ؟

قال موسى : فقال عليه السلام : «أكتب إليه» .

قلت : وما أكتب^(٢) ؟

قال : «أكتب : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، ألهمك الله الرشد ، أتاني كتابك بما امتحنتنا به من تَعْنُتِكَ لتجد إلى الطعن سبيلاً إن قَصُرْنَا فيها ، والله يُكَافِئُكَ على نَيْتِكَ ، وقد شرحنا مسائلك فاشغل بما قلبك وفهمك ، فقد لزمك الحجة .

سألت : عن قول الله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ قَالِ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ ﴾^(٣) فهو آصف بن برخيا^(٣) ، ولم يعجز سليمان عن معرفة ما عرف آصف ، لكنّه أحبّ أن يُعرّف أمّته من الجنّ والإنس أنّه الحجة من بعده ، وذلك من علم سليمان أودعه آصف بأمر الله ففهمه ذلك لئلاّ تختلف أمّته فيه ، كما فهم سليمان في حياة داود لتعرف نبوّته وإمامته من بعده .
وأما سجود يعقوب وولده كان طاعةً لله ومحبةً ليوسف ، كما أنّ السجود من الملائكة لآدم لم يكن لآدم ، وإنما كان ذلك طاعةً لله ومحبةً

(١) أجاز ، أي : أجهز ، انظر : المحكم والمحيط الأعظم ٤ : ١٥١ ، لسان العرب ٥ : ٣٢٥ .

(٢) في «م» و«ن» زيادة : «إليه» .

(٣) سورة النمل ٢٧ : ٤٠ .

(٤) في النسخ : «برقيننا» ، وما أثبتناه من المصدر .

منهم لآدم ، فسجد^(١) يعقوب وولده ويوسف معهم شكراً لله باجتماع شملهم ، ألم تره يقول في شكره ذلك الوقت : ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ ﴾^(٢) ، الآية .

وأما قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ ﴾^(٣) ، الآية ، فإنَّ المخاطب به رسول الله ولم يكن في شك مما أنزل إليه ولكن قالت الجهلة : كيف لم يبعث الله نبياً من الملائكة ؟ فأوحى الله إلى نبيه : ﴿ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقرءُونَ الْكِتَابَ ﴾^(٤) بمحضر^(٥) الجهلة ، هل بعث الله رسولاً قبلك إلا وهو يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ولك بهم أسوة؟ وإنما قال : فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍ ، ولم يكن ، ولكن للنصفة كما قال : ﴿ تَعَالَوْا نَدْعُ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَتَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٦) ولو قال : عليكم ، لم يجيبوا إلى المباهلة ، وقد علم الله أنَّ نبيه ليس من الكاذبين ، وأنه صادق فيما يقول ولكن أحبَّ أن ينصف من نفسه .

وأما قوله : ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا ﴾^(٧) أي : يُولد له ذكورٌ ويولد له إناثٌ ، ويقال لكلَّ اثنين مقرونين : زوجان كل واحد منهما زوج ، ومعاذ الله أن يكون عَنِ الرَّبِّ الجليل ما لبست به على نفسك تطلب الرخص

(١) في الأصل : «فسجد» ، وما أثبتناه من المصدر .

(٢) سورة يوسف ١٢ : ١٠١ .

(٣) سورة يونس ١٠ : ٩٤ .

(٤) سورة يونس ١٠ : ٩٤ .

(٥) في «م» زيادة : «جماعة من» .

(٦) سورة آل عمران ٣ : ٦١ .

(٧) سورة الشورى ٤٢ : ٥٠ .

لارتكاب المأثم ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ ^(١) ، الآية .

وأما شهادة المرأة وحدها التي جازت فهي القابلة جازت شهادتها في استهلال الولد مع الرضا ، فإن لم يكن رضى فلا أقل من امرأتين تقوم المرأة مقام ^(٢) الرجل للضرورة؛ لأن الرجل لا يمكن أن يقوم مقامها ، فإن كانت وحدها قبل قولها مع يمينها .
وأما قول عليّ عليه السلام في الخنثى فهي كما قال ، ينظر قوم عدول يأخذ كل واحد منهم مرآة وتقوم الخنثى خلفهم غريانة وينظرون في المرايا فيرون الشبح فيحكمون عليه .
وأما الرجل الناظر إلى الراعي وقد نزا على شاة فإن عرفها ذبحها وأحرقها ، وإن لم يعرفها قسّم الغنم نصفين وسأهم بينهما ، فإذا وقع على أحد النصفين فقد نجا النصف الآخر ، ثم يفرّق النصف الآخر فلا يزال كذلك حتى تبقى شاتان فيفرع بينهما فأيهما وقع السهم بها دُبح وأُحرقت ونجا سائر الغنم .

وأما قول عليّ عليه السلام : بشر قاتل ابن صفية بالنار ، فهو لقول النبي صلى الله عليه وآله ، وكان ممن خرج يوم النهروان فلم يقتله عليّ عليه السلام بالبصرة؛ لأنه يعلم أنه يقتل في فتنة النهروان .
وأما قولك : إن علياً عليه السلام قتل أهل صفين مُقبلين ومُدبرين وأجاز على جريحهم ، وإنه يوم الجمل لم يُتبع مولياً ولم يُجز على جريح ، ومن ألقى سلاحه آمنه ، ومن دخل داره آمنه ، فإن أهل الجمل قُتل إمامهم ولم تكن لهم فئة يرجعون إليها ، وإنما رجع القوم إلى منازلهم غير محاربين ولا مُنابذين ،

(١) سورة الفرقان ٢٥ : ٦٨ .

(٢) في «س» و«ل» : «مكان» بدل «مقام» .

رضوا بالكفِّ عنهم ، فكان الحكمُ فيهم رفعَ السيفِ عنهم ، وأهل صقّين كانوا يرجعون إلى فئة مستعدّة ، ولهم إمام يجمع لهم السلاح والدروع والرماح ، ويُسني لهم العطاء ، ويعاونهم معونات فيرجعون إلى محاربتهم ومقاتلتهم^(١) ، فلم يساوِ بين الفريقين في الحكم ، لما عرف من الحكم في قتال أهل التوحيد .

وأما الرجل الذي اعترف باللواط فإنّه لم تقم عليه بيّنةٌ ، وإنّما تطوَّع بالإقذار من نفسه ، فإذا كان للإمام الذي من الله أن يعاقب عن الله ، كان له أن يمنّ عن الله ؛ أما سمعت الله يقول : ﴿ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾^(٢) ؟ الخبر^(٣) .

ولا يخفى أنّه لو لم يكن غير هذا الخبر^(٤) لكفى في الدلالة على علمه لسائر هذه الأشياء بالطريق الأولى كما هو ظاهر ، فكيف مع وجود ما لا يحصى ! فافهم .

وروى جماعة من الفريقين كلمات شافية متفرّقا عن أبي محمّد العسكري عليه السلام ، مشتملة على غوامض الحكم ، ونحن نذكر هاهنا نبذاً منها :
قال عليه السلام : «الخبائث في بيتٍ مفتاحه الكذب»^(٥) .

وقال عليه السلام : «إدفع المسألة ما وجدت أنّ التحمّل يُمكنك ، فإنّ لكلّ

(١) في «ن» : «قتالهم» بدل «مقاتلتهم» .

(٢) سورة ص ٣٨ : ٣٩ .

(٣) تحف العقول : ٤٧٦ - ٤٨١ ، الاختصاص : ٩١ - ٩٦ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٤٣٥ - ٤٣٧ ،
بتفاوت واختصار .

(٤) كلمة «الخبر» لم ترد في «م» .

(٥) نزهة الناظر : ١٤٥ / ١٣ ، جامع الأخبار للسبزواري : ٤١٨ / ١١٦٢ ، الدرّ النظيم : ٧٤٦ ، أعلام الدين : ٣١٣ ، الدرّة الباهرة : ٤٣ .

يوم خيراً جديداً ، والإلحاح في المطالب يسلب البهاء ، إلا أن يفتح لك باب يحسن الدخول فيه ، واعلم أنّ للوجود مقداراً فإذا زاد عليه فهو سرف ، وللحزم مقداراً فإذا زاد عليه فهو جبن ، وللاقتصاد مقداراً فإذا زاد عليه فهو بخل ، وللشجاعة مقداراً فإذا زاد عليه فهو التهور»^(١).

وقال عليّ عليه السلام : «في التجارب علم مستأنف ، والاعتبار يفيدك الرشاد ، وكفأك أدباً لنفسك تجتنبك ما تكره من غيرك»^(٢).

وقال عليّ عليه السلام : «خيرُ إخوانك مَنْ نسي ذنبك إليه»^(٣).

و : «إحذر عن كلّ ذكيّ ساكن الطرف»^(٤).

وقال : «أضعف الأعداء كيداً من أظهر عداوته»^(٥).

وقال عليّ عليه السلام : «حسن الصورة جمال ظاهر ، وحسن العقل جمال باطن»^(٦).

وقال عليّ عليه السلام : «مَنْ آنس بالله استوحش من الناس»^(٧).

وقال عليّ عليه السلام : «من لم يتق الناس لم يتق الله»^(٨).

وقال عليّ عليه السلام : «إذا نشطت القلوب فأودعوها ، وإذا نفرت فودّعوها»^(٩).

(١) نزهة الناظر : ١٤٣ / ٣ ، الدرّ النظيم : ٧٤٦ .

(٢) نزهة الناظر : ١٤٤ / ٤ ، الدرّ النظيم : ٧٤٦ .

(٣) نزهة الناظر : ١٤٤ / ٧ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ .

(٤) نزهة الناظر : ١٤٤ / ٥ ، الدرّ النظيم : ٧٤٦ ، أعلام الدين : ٣١٣ .

(٥) نزهة الناظر : ١٤٥ / ٨ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ ، أعلام الدين : ٣١٣ ، الدرّة الباهرة : ٤٣ .

(٦) نزهة الناظر : ١٤٥ / ٩ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ ، أعلام الدين : ٣١٣ ، الدرّة الباهرة : ٤٣ .

(٧) نزهة الناظر : ١٤٥ / ١١ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ ، أعلام الدين : ٣١٣ ، الدرّة الباهرة : ٤٣ .

(٨) نزهة الناظر : ١٤٥ / ١٢ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ ، الدرّة الباهرة : ٤٣ .

(٩) نزهة الناظر : ١٤٦ / ١٤ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ ، أعلام الدين : ٣١٣ ، الدرّة الباهرة : ٤٣ .

وقال عليه السلام : «اعلم أنّك غير نائل بالحرص إلّا ما كُتِبَ لك»^(١) .

وقال عليه السلام : «من ركب ظهر الباطل نزل به دار الندامة»^(٢) .

وقال عليه السلام : «من كان الورع سجيّته والأفعال الحسنة خبيّته انتصر من أعدائه بحسن الثناء عليه ، وتحصّن بالذكر الجميل من وصول نقص إليه»^(٣) .

ومن كتاب له عليه السلام إلى بعض مواليه : «كلّ مقدّر كائن ، فتوكّل على الله يكفيك ، وثقّ به لا يُخيّبك ، وشكوت أخاك ، فاعلم يقيناً أنّ الله عزّ وجلّ لا يعين على قطيعة رجم ، وهو جلّ شأنه من وراء ظلم كلّ ظالم ، ومن بُغي عليه لينصره الله ، إنّ الله قويّ عزيز ، وسألت الدعاء إنّ الله عزّ وجلّ لك حافظ وناصر وسائر ، وأرجو من الله الكريم الذي عزّفك من حقّه وحقّ أوليائه ما أعمى عنه غيرك أن لا يُزيل عنك نعمةً أنعم بها عليك إنّّه وليّ حميد ، ونحن نستكفي الله عزّ وجلّ في هذا اليوم مؤونة كلّ ظالم وكلّ باغٍ وحاسدٍ ، وويل لمن قال ما يعلم الله تعالى خلافه ما ذا يلقي من ديان يوم الدين ، فإنّ الله عزّ للمظلومين ناصر كافٍ عضد فثق به ، وتوكّل عليه ، واستعن به يُريك محبّتك ويبلغك أملك ، ويكفيك كلّ ذي شرّ ، إنّّه على كلّ شيءٍ قدير»^(٤) .

وقال عليه السلام : «إنّ في الجنّة باباً يقال له : المعروف ، لا يدخله إلّا أهل المعروف ، فإنّ أهل المعروف في دنياهم هم أهل المعروف في آخرتهم»^(٥) .

(١) نزهة الناظر : ١٤٦ / ٢٠ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ .

(٢) نزهة الناظر : ١٤٦ / ١٩ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ ، أعلام الدين : ٣١٤ .

(٣) نزهة الناظر : ١٤٧ / ٢٣ ، الدرّ النظيم : ٧٤٧ و٧٤٨ ، الدرّة الباهرة : ٤٤ .

(٤) الدرّ النظيم : ٧٤٩ .

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، الدرّ النظيم : ٧٤٩ ، كشف الغمّة ٢ : ٤٢٠ .

وفي كتاب له عليه السلام إلى مواليه : «بسم الله الرحمن الرحيم ، أستوهب الله لكم زهادةً في الدنيا ، وتوفيقاً لما يرضى ، ومعونةً على طاعته ، وعصمةً عن معصيته ، وهدايةً من الزيغ وكفايةً ، فجمع لنا ولأوليائنا خير الدارين ، أما بعد ، فقد بلغني ما أنتم عليه من اختلاف قلوبكم ، وتشّتت أهوائكم ، ونزغ الشيطان بينكم حتّى أحدث لكم الفرقة والإلحاد في الدين ، والسعي في هدم ما مضى عليه أولكم من إشادة دين الله وإثبات حقّ أوليائه ، وأمالكم إلى سبيل الضلالة ، وصدق بكم عن قصد الحقّ ، فرجع أكثركم القهقري على أعقابكم تنكصون ، كأنتكم لم تقرأوا كتاب الله ، ولم تعتنوا بشيءٍ من أمره ونهيهِ . ولعمري ، لئن كان الأمر في اتّكال سفهائكم على أساطيرهم لأنفسهم وتأليفهم روايات الزور بينهم لقد حقّت كلمة العذاب عليهم ، ولئن رضيتم بذلك منهم ولم تنكروه بأيديكم وألسنتكم وقلوبكم ونيّاتكم إنكم لشركاؤهم فيما اجترحوه من الافتراء على الله ورسوله ﷺ وسلم وعلى ولاة الأمر من بعده ، وما شيء يمنعني من وسم الباطل فيكم بدعوة تكونوا فيها شامتاً لأهل الحقّ إلّا انتظار فيهم ، وسيفيء أكثرهم إلى أمر الله إلّا طائفة ، لو شئت لأسميتها ونسبها ، استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله ، ومن نسي ذكر الله فسيصله نار جهنّم وساءت مصيراً ، وكتابي هذا حجّة عليهم ، وحجّة لغائبكم على شاهدكم ، ألا من بلغه فأدّى الأمانة ، وأنا أسأل الله أن يجمع قلوبكم على الهدى ، ويعصمكم بالتقوى ، ويوفّقكم للقول لما يرضى ، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته» (١) .

ثم إنّ الأخبار المروية عنه عليه السلام في تفسير الآيات وتأويلها ، وبيان

(١) الدرّ النظيم : ٧٤٨ .

الأحكام ، والاحتجاجات على الخصوم وأمثال ذلك كثيرة سوى ما مرّ ويأتي ، ولا يسع هذا المقام الإطالة بذكرها .

وسأتي في أحوال صاحب الأمر^(١) وفي ذكر معجزاته ما ينادي بغزارة علومه بحيث لا حاجة إلى ذكر ما سواه فضلاً عما ذكره علماء شيعة أهل زمان غيبته الصغرى . هذا كله ، مع أنّ أصل علميّة كلّ واحد من هؤلاء الأجلّة المعلومين على من سواهم من علماء أعصارهم مسلمّ الثبوت مقطوع به حتّى عند عامّة علماء المخالفين ؛ بحيث صرّح أكثرهم بذلك .

وقد نقل جماعة منهم عند نقل مذاهب المجتهدين ورؤساء فقهاءهم المعتمدين عندهم نبذاً ممّا وصل إليهم من أقوال هؤلاء عليهم السلام في أحكام الدين^(٢) . وأمّا أصحابنا الإماميّة الذين كانوا في أزمنتهم فقد ألفوا آلافاً من كتب الحديث ، المقصورة على رواية^(٣) ما سأله عنهم عليهم السلام في الأحكام وغيرها ، حتّى كتبت من عصر الصادق إلى زمان أبي محمد العسكري عليه السلام أربعة آلاف كتاب من أربعة آلاف رجل سوى الكتب الكثيرة التي كتبت بعد ذلك ، وأكثرهم ممّن اعترف جمع من علماء العامة بتوثيقه ، مثل : زرارة ، وحران ، وجابر ، وصفوان ، وأبان بن تغلب ، ونظرائهم ، من أراد ذلك فليرجع إلى كتاب ميزان الاعتدال ، فإنّ الذهبي صرّح فيه بتوثيق هؤلاء

(١) في «م» و«ت» : «العصر ، عجل الله فرجه» بدل «الأمر» .

(٢) انظر : مسند الشافعي : ١٤٩ / ٢٧٨ و ٢٧٩ ، و ١٦٣ / ٣٢٠ ، و ٥٢٥ / ١٥٢٩ ، صحيح البخاري ١ : ٥٥ و ٧٢ و ٧٣ ، صحيح مسلم ٢ : ٨٨٦ / ١٢١٨ ، الاستذكار ٣ : ٦٤ / ٢٧٢٠ ، المغني لابن قدامة ١ : ٢٦٧ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ١٨ .

(٣) كلمة «رواية» لم ترد في «م» .

وأمثالهم^(١)، وكذا غيره، مع الاعتراف من الكلّ بتشيعهم، حتّى إنّ أبا نائماً ممّن اتّفقوا على تشييعه وتوثيقه وغزارة علمه، وقد روى هو عن الصادق عليه السلام ثلاثين ألف حديث^(٢)، وكذلك ابن عقدة^(٣) عندهم بهذا التوثيق، وقد روى ولو بالواسطة آلافاً من الأحاديث عن كثير من هؤلاء الأئمة عليهم السلام^(٤)، وهلمّ جرّاً.

وبالجملة: من تتبّع كتب أحاديث الشيعة وجد عندهم في كلّ حكم من الأحكام. ما سوى بعض الفروع الجزئية النادرة الوقوع. رواية، بل روايتين وثلاثاً وأكثر عن أئمتهم عليهم السلام، فضلاً عن المعارف الإلهية، والمعالم الضرورية، والأحكام الأصولية ونحوها، فإنّ أكثر الأخبار المتعلقة بما فوق حدّ التواتر عندهم، حتّى أنّ بعض علماء المخالفين كانوا قد يرجعون إلى بعض هؤلاء الرواة من الذين كانوا في العراق والحجاز يتناظرون معهم ويتذاكرون، ويأخذون منهم الحديث والعلوم المستفادة عندهم من الأئمة عليهم السلام.

(١) انظر ميزان الاعتدال ١ : ٥ / ٢، و ٣٧٩ / ١٤٢٥، و ٦٠٤ / ٢٢٩١، و ٢ : ٦٩ / ٢٨٥٣.

(٢) انظر: رجال النجاشي: ١٢ / ٧.

(٣) هو أحمد بن محمد بن سعيد السبيعيّ الهمدانيّ، يكنّى أبا العباس، المعروف بابن عقدة، جليل في أصحاب الحديث، مشهور بالحفظ، وأمره في الثقة والجلالة وعظم الحفظ أشهر من أن يُذكر، له كتب كثيرة منها: كتاب الرجال، الجهر بسم الله الرحمن الرحيم، التاريخ، وذكر من روى الحديث. توفي سنة ٣٣٣ هـ بالكوفة.

انظر: رجال النجاشي: ٩٤ / ٢٣٣، الفهرست للطوسي: ٢٨. ٢٩، تنقيح المقال ١ : ٨٥ /

٥٠٦، تاريخ بغداد ٥ : ١٤ / ٢٣٦٥، المنتظم ١٤ : ٣٥ / ٢٤٦٦، سير أعلام النبلاء ١٥ : ٣٤٠ / ١٧٨، ميزان الاعتدال ١ : ١٣٦ / ٥٤٨.

(٤) المنتظم ١٤ : ٣٦، ميزان الاعتدال ١ : ١٣٧ / ٥٤٨.

وكلّ هذا الذي ذكرناه واضح لدى من تتبّع كتب الفريقين ، وتصفّح أخبار الطرفين ، لدى الذي لم ينظر أبداً ولو إلى كتابٍ من كتبهم لا في الأصول ، ولا في الفروع ، ولا في الإمامة ، ولا في سائر المعالم الدينيّة؛ ضرورة أنّ مثل هذا الشخص لا يطّلع على حقيقة الحال ولا يدري حقّ المقال ؛ ولهذا ترى كثيراً منهم يلهجون جهلاً وتعصباً من غير النظر إلى شيء ممّا ذكرناه : أنّ الشيعة يكذبون على الأئمة وكذا وكذا ، وأنّ الأئمة لم يقولوا بما روي عنهم ونسبوه إليهم ، وإلاّ فلم لم ينقل غير هؤلاء ما نقله هؤلاء عنهم مع اشتهاهم فضلهم عند الصغير والكبير والمخالف والمؤالف ؟ إذ لا يخفى بل ظاهر واضح أنّ مبنى هذا الكلام ليس إلّا على جهل قائله بحقيقة الحال ، حيث سمع شيئاً من بعض كبرائه^(١) المتعصّبين المفرّين فقبّله من غير مراجعة إلى ما يتبيّن منه الصحّة والسقم .

وكفى في هذا ما مرّ ويأتي كراراً من نسبتهم إلى الشيعة أشياء ليس منها عند الشيعة عين ولا أثر ، وسيأتي في المقالة العاشرة من المقصد الثاني توضيح جميع هذه المراتب^(٢) ، وتبيان أنّ وضع الأحاديث إنّما كان دائراً بين أتباع معاوية وخلفاء الجور ، والرواة الذين كانوا يطمعون منهم الجاه والمال ، دون رواة الشيعة وأمثالهم ، الذين لم يكن يحصل لهم بسبب رواياتهم إلّا الأذى حتّى القتل ، بل إنّما هذا أيضاً من جملة أسباب عدم نقل سائر الفرق كثيراً من أخبار الأئمة عليهم السلام ، ومع هذا كيف يمكن تجويز كذب آلاف مؤلّفة من الروايات التي نقلها ألوف من الناس المنسوين إلى العلم والصلاح ، حتّى الصدق في سائر ما نقلوا ، من غير جهة ظاهرة ؟ بل مع

(١) كلمة «كبرائه» لم ترد في «م» .

(٢) في «ل» نسخة بدل : «المطالب» بدل «المراتب» .

ظهور قيام قرائن الصحة والصدق في كثير منها ، كما سيأتي تفصيل تبيان ذلك في المقالة التي أشرنا إليها ، وكفى ما ذكرناه هاهنا وأشرنا إليه ، والله الهادي .

المبحث الثالث : في ذكر وجوه علومهم عليه السلام ، وأنها ليست على وجه الاجتهاد والرأي والقياس ونحو ذلك ، بل على نحو علوم النبي صلى الله عليه وآله .

إعلم أنّ كثيراً ممّا نذكره هاهنا في بيان وجوه علومهم ممّا رواه أصحاب الأئمة عنهم عليه السلام ، لما هو معلوم من عدم توجّه أكثر من لم يقل بإمامتهم إلى بيان أقوالهم في أكثر المسائل فضلاً عن تفحص وجوه علومهم ، مع أنّ مقصودنا هاهنا من ذكر الوجوه بيان ما هو الواقع ، لا الاحتجاج على الخصم ، حتّى نحتاج إلى ذكر ما هو عندهم أيضاً؛ إذ يكفي حجة عليهم ما بيّناه سابقاً في بطلان الرأي ، هذا مع أنّنا نذكر من أخبارهم أيضاً هاهنا ما يدلّ على هذا ، مع ذكر اعتراف من قال منهم : بكون علومهم لدنيّة ووراثّة عن النبي وعليّ صلوات الله عليهما وعلى آلهما ، لا كعلوم غيرهم بالرأي والقياس وأمثالهما ليتمكنه الاحتجاج بذلك على المعاندين في الإنكار .

قد روى جماعة عديدة ، منهم : الكليني رحمته الله عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في خطبة له : «أيّها الناس ، إنّ الله عزّ وجلّ أرسل إليكم الرسول ، وأنزل عليه الكتاب بالحقّ ، وأنتم أمّيون عن الكتاب ومن أنزله ، وعن الرسول ومن أرسله» ، إلى أن قال عليه السلام : «فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله بنسخة ما في الصحف الأولى ، وتصديق الذي بين يديه ، وتفصيل الحلال من ريب الحرام ، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم ، أخبركم عنه إنّ فيه علم ما مضى وعلم ما

يأتي إلى يوم القيامة ، وحكم ما بينكم ، وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون ، فلو سألتهموني عنه لعلمتكم»^(١) .

وعن عبد الأعلى بن أعين^(٢) ، قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «قد ولدني رسول الله ﷺ وأنا والله ، لأعلم كتاب الله من أوله إلى آخره ، وفيه بدء الخلق وما هو كائن إلى يوم القيامة ، وفيه خبر السماء وخبر الأرض ، وخبر الجنة والنار ، وخبر ما كان وما هو كائن ، أعلم ذلك كما أنظر إلى كفي ، إن الله يقول فيه : ﴿ تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾»^(٣) .^(٤)

وعنه عليه السلام أنه قال : «كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وفصل ما بينكم ، ونحن نعلمه»^(٥) .

وعن سماعة قال : قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : أكل شيء في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ أو تقولون فيه ؟ . يعني : بالرأي . قال : «بل كل شيء في كتاب الله وسنة نبيه»^(٦) .

(١) تفسير القمي ١ : ٣٠٢ ، الكافي ١ : ٤٩ / ٧ (باب الرد إلى الكتاب والسنة . . .) ، بحار الأنوار ٩٢ : ٨١ / ١١ .

(٢) هو عبد الأعلى بن أعين العجلي ، من فقهاء أصحاب الصادقين عليه السلام ، ثقة ، في أعلى درجات الحسن ، يروي عنه الأجلاء فيهم عدة من أصحاب الإجماع ، وقد رخص له الإمام الصادق عليه السلام في الكلام والجدل .
انظر : تنقيح المقال ٢ : ١٣٢ / ٦٢٦١ .

(٣) سورة النحل ١٦ : ٨٩ .

(٤) بصائر الدرجات : ٢١٧ / ٢ ، الكافي ١ : ٥٠ / ٨ (باب الرد إلى الكتاب والسنة . . .) ، بحار الأنوار ٩٢ : ٨٩ / ٣٢ .

(٥) بصائر الدرجات : ٢١٦ / ١٠ ، الكافي ١ : ٥٠ / ٩ (باب الرد إلى الكتاب والسنة . . .) ، بحار الأنوار ٩٢ : ٩٨ / ٦٧ ، بتفاوت يسير .

(٦) بصائر الدرجات : ٣٢١ / ١ ، الكافي ١ : ٥٠ / ١٠ (باب الرد إلى الكتاب والسنة . . .) ، الاختصاص : ٢٨١ ، بحار الأنوار ٢ : ١٧٣ / ٨ ، بتفاوت يسير .

وعن المعلّى بن خنيس^(١) قال : قال أبو عبدالله عليه السلام : « ما من أمرٍ يختلف فيه إثنان إلاّ وله أصلٌ في كتاب الله ، ولكن لا تبلغه عقول الرجال »^(٢) .

وعن حمّاد^(٣) قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول : « ما من شيء إلاّ وفيه كتاب أو سنة »^(٤) .

وعن عمر بن قيس^(٥) قال : سمعت الباقر عليه السلام يقول : « إنّ الله تعالى لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلاّ وقد أنزله في كتابه ، ويبيّنه لرسوله ﷺ ، وجعل لكلّ شيءٍ حداً ، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه ، وجعل على من

(١) هو معلّى بن خنيس مولى أبي عبدالله عليه السلام ، ومن قبله كان مولى بني أسد ، كوفيّ برّاز ، ولما قتله داؤد بن عليّ وصلبه عظم ذلك على أبي عبدالله عليه السلام واشتدّ عليه وقال له : « يا داؤد ، على ما قتلت مولاي وقيمي في مالي وعلى عيالي . . . ؟ » .

انظر : رجال النجاشي : ٤١٧ / ١١١٤ ، تنقيح المقال ٣ : ٢٣٠ / ١١٩٩٤ .

(٢) المحاسن ١ : ٤١٧ / ٩٥٩ ، الكافي ١ : ٤٩ / ٦ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة . . .) ، بحار الأنوار ٩٢ : ١٠٠ / ٧١ .

(٣) لعنه حمّاد بن عثمان ، أو حمّاد بن عيسى ، وكلاهما ثقة ، روي عن أبي عبدالله وأبي الحسن والرضا عليهم السلام . مات حمّاد بن عثمان سنة ١٩٠ هـ ، وحمّاد بن عيسى سنة ٢٠٩ هـ ، وقيل : سنة ٢٠٨ هـ . انظر : رجال النجاشي : ١٤٢ / ٣٧٠ ، و١٤٣ / ٣٧١ ، تنقيح المقال ١ : ٣٦٥ / ٣٣١٢ ، و٣٦٦ / ٣٣١٧ .

(٤) الكافي ١ : ٤٨ / ٤ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة . . .) ، الفصول المهمة ١ : ٤٨٠ / ٦٧٣ .

(٥) اختلف في ضبطه ، فورد تارةً بالواو . عمرو . وأخرى بدون واو . عمر . ولا ضير فيه بعد أن كان المراد منه ابن قيس الماصر ، وهو بترّي ، كان من أصحاب الباقر عليه السلام ، وكان أبوه جليل القدر وعظيم المنزلة . انظر : رجال الطوسي : ١٤٢ / ١٥٣٣ ، تنقيح المقال ٢ : ٣٣٦ / ٨٧٥٧ ، و٣٤٧ / ٩٠٣١ ، قاموس الرجال ٨ : ٢٢١ / ٥٦٣٦ .

تعدّي ذلك الحدّ حدّاً»^(١) .

وفي أخبار عديدة عنهم عليه السلام أنّ علم الكتاب كلّهم عندهم ، منها : أنّ أبا عبد الله عليه السلام فرّج بين أصابعه فوضعها على صدره ، ثمّ قال : «وعندنا والله ، علم الكتاب كلّهم»^(٢) .

وعن الباقر عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ ﴾^(٣) ، قال : «إيانا عنى وعليّ أولنا وأفضلنا وخيرنا بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله»^(٤) .

وعنه عليه السلام أنّه قال : «إنّ من علم ما أوتينا : تفسير القرآن وأحكامه ، وعلم تغيير الزمان وحدثانه» ، ثمّ قال : «ولو وجدنا أوعيةً أو مُستراحاً لقلنا ، والله المستعان»^(٥) .

وعنه عليه السلام أنّه قال يوماً لأصحابه : «إذا حدّثكم بشيءٍ فاسألوني من كتاب الله» ، ثمّ قال في بعض كلامه : «إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله نهى عن القيل والقال ، وفساد المال ، وكثرة السؤال ، فقليل له : يابن رسول الله ، أين هذا في كتاب الله ؟ قال : إنّ الله يقول : ﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾^(٦) ، وقال : ﴿ وَلَا تَوُتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا ﴾^(٧) ، وقال : ﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ

(١) بصائر الدرجات : ٢٦ / ٣ ، الكافي ١ : ٤٨ / ٢ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة . . .) ، بحار الأنوار ٩٢ : ٨٤ / ١٦ .

(٢) بصائر الدرجات : ٢٣٢ / ٢ ، الكافي ١ : ١٧٩ / ٥ (باب أنّه لم يجمع القرآن كلّ . . .) .

(٣) سورة الرعد ١٣ : ٤٣ .

(٤) بصائر الدرجات : ٢٣٦ / ٢٠ ، الكافي ١ : ١٧٩ / ٦ (باب أنّه لم يجمع القرآن كلّ . . .) .

(٥) الكافي ١ : ١٧٨ / ٢ (باب أنّه لم يجمع القرآن كلّ . . .) .

(٦) سورة النساء ٤ : ١١٤ .

(٧) سورة النساء ٤ : ٥ .

أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسُوكُمْ ﴿١﴾ « (٢) .

أقول : وإذا لاحظت عامة ما سيأتي في هذا الكتاب وما هو مذكور في غيره من حججهم في المسائل وغيرها لم تجد شيئاً إلا مع دليل من الكتاب أو السنة لم يخطر ببال غيرهم ؛ ولهذا روى جمع : أنَّ عمرو بن عبَّيد . وهو من أعيان علماء العامة . دخل على الصادق عليه السلام ، فلما سلَّم وجلس تلا قوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ ﴾ (٣) ، ثم قال : أحبُّ أن أعرف الكبائر من كتاب الله عزَّ وجلَّ ، فقال الصادق عليه السلام : «أكبر الكبائر الشرك بالله» ، الخبر ، إلى أن ذكر كثيراً من الكبائر كلّ واحدة منها مع الآية الواردة فيها ، فخرج عمرو وله صراخ من بكائه ، وهو يقول : هلك من قال برأيه ونازعكم في الفضل والعلم (٤) .

حتى إنَّه قد نقل جمع : أنَّ الحسن عليه السلام ذكر يوماً في مجلس معاوية : «أنَّ كلَّ شيءٍ مذكور في كتاب الله» ، فقال عمرو بن العاص . وكان كوسجاً ، وكان الحسن عليه السلام وفر اللحية . : ففي أي آية ذكر لحيتي ولحيتك ؟ فقال : في قوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبَثَ لَا يَخْرِجُ إِلَّا نَكِذَا ﴾ (٥) « (٦) .

(١) سورة المائدة ٥ : ١٠١ .

(٢) المحاسن ١ : ٤١٩ / ٩٦٢ ، الكافي ١ : ٤٨ / ٥ (باب الردّ إلى الكتاب والسنة . . .) ، الاحتجاج ٢ : ١٦٩ ، بحار الأنوار ٩٢ : ٨٢ / ١٢ ، ٩٠ / ٣٦ .

(٣) سورة النجم ٥٣ : ٣٢ .

(٤) الكافي ٢ : ٢١٧ / ٢٤ (باب الكبائر) ، الفقيه ٣ : ٥٦٣ / ٤٩٣٢ .

(٥) سورة الأعراف ٧ : ٥٨ .

(٦) انظر : المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٧٤ . ٧٥ ، وفيه : عن الحسين عليه السلام .

وعن قتيبة الأعشى^(١)، قال : سأل رجل أبا عبد الله عليه السلام عن مسألة ، فأجابه فيها ، فقال الرجل : أرأيت إن كان كذا وكذا ما كان يكون القول فيها ؟ فقال له : «مه ، ما أجبت فيه من شيء فهو عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، لسنا من أرأيت في شيء»^(٢) .

وفي رواية هشام ، وحماد ، وغيرهما ، قالوا : سمعنا أبا عبد الله عليه السلام يقول : «حديثي حديث أبي ، وحديث أبي حديث جدي ، وحديث جدي حديث الحسين ، وحديث الحسين حديث الحسن ، وحديث الحسن حديث علي ، وحديث علي حديث رسول الله صلى الله عليه وآله ، وحديث رسول الله قول الله عز وجل»^(٣) .

وفي رواية عبد الرحمن بن الحجاج^(٤) أنه قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام : «إياك وخصلتين ففيهما هلك من هلك ، إياك أن تُفتي

(١) هو قتيبة بن محمد الأعشى ، يكتب أبو محمد ، المؤدّب ، المقرئ ، مولى الأزدي ، ثقة ، عين ، من أصحاب الصادق عليه السلام ، له كتاب يرويه عدّة من أصحابنا .

انظر : رجال النجاشي : ٣١٧ / ٨٦٩ ، رجال الطوسي : ٢٧٢ / ٣٩٢٩ ، الفهرست للطوسي : ١٢٨ / ٥٨٠ ، تنقيح المقال ٢ : ٢٧ / ٩٦٣٧ (أبواب القاف) .

(٢) الكافي ١ : ٤٧ / ٢١ (باب البدع والرأي والمقائيس) .

(٣) الكافي ١ : ٤٢ / ١٤ (باب رواية الكتب والحديث) ، منية المريد : ٣٧٣ ، بحار الأنوار ٢ : ١٧٨ / ٢٨ .
(٤) هو عبد الله بن الحجاج البجلي ، كوفي ، يباع السابري ، سكن بغداد ، وزمي بالكيسانية ، كان من أصحاب الصادق وأبي الحسن عليه السلام ، وبقي بعد أبي الحسن عليه السلام لكن رجع إلى الحق ولقي الرضا عليه السلام ، وكان ثقة ثقة ، ثبتاً ، وجهاً ، له كتب يرويها عنه جماعة من أصحابنا .

انظر : رجال النجاشي : ٢٣٧ / ٦٣٠ ، الفهرست للطوسي : ١٠٨ / ٤٧٣ ، تنقيح المقال ٢ :

١٤١ / ٦٣٥٦ .

الناس برأيك ، أو تدين بما لا تعلم»^(١) .

وعن ابن شبرمة^(٢) . من علماء العامة . قال : ما ذكرت حديثاً سمعته من جعفر بن محمد إلا أكاد أن يتصدع قلبي ، قال : «حدثني أبي عن جدي عن رسول الله ﷺ» ، قال ابن شبرمة : وأقسم بالله ، ما كذب هو على أبيه ، ولا أبوه على جدّه ، ولا جدّه على رسول الله ﷺ ، قال : قال رسول الله ﷺ : «من عمل بالمقائيس فقد هلك وأهلك ، ومن أفقئ الناس بغير علم وهو لا يعلم الناسخ من المنسوخ والمحكم من المتشابه فقد هلك وأهلك»^(٣) .

وعن يونس بن عبد الرحمن ، قال : قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : بما أوحى الله ؟ فقال : «يا يونس ، لا تكونن مبتدعاً ، من نظر برأيه هلك ، ومن ترك أهل بيت نبيّه ﷺ ضلّ ، ومن ترك كتاب الله وقول نبيّه كفر»^(٤) .

وعن أبي بصير ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ترد علينا أشياء ليس نعرفها في كتاب الله ولا في سنة نبيّه فننظر فيها ؟ قال : «لا ، أما إنك إن أصبت لم تؤجر ، وإن

(١) الخصال : ٥٢ / ٦٦ ، الكافي : ١ / ٣٣ / ٢ (باب النهي عن القول بغير علم) ، بحار الأنوار : ٢ : ١١٤ / ٦ .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة ، يكنى أبا شبرمة . عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب السجّاد والصادق عليه السلام ، كان قاضياً للمنصور الدوانيقي على سواد الكوفة ، وكان من فقهاء العامة ، شاعراً حسن الخلق ، وهو الذي قال : ما أحد قال على المنبر : سلوني ، غير عليّ عليه السلام .
مات سنة ١٤٤ هـ .

انظر : رجال الطوسي : ١١٧ / ١١٨٤ ، و ٢٣٤ / ٣١٨٠ ، تنقيح المقال : ٢ : ١٨٧ / ٦٨٩٨ ، قاموس الرجال : ٦ : ٣٩٧ / ٤٣٥٧ ، المعارف لابن قتيبة : ٤٧٠ ، سير أعلام النبلاء : ٦ : ٣٤٧ / ١٤٩ ، تهذيب التهذيب : ٥ : ٢٢٠ / ٤٤٠ .

(٣) المحاسن : ١ : ٣٢٦ / ٦٥٩ ، الأمالي للصدوق : ٥٠٧ / ٧٠٣ ، الكافي : ١ : ٣٤ / ٩ (باب النهي عن القول بغير علم) ، بحار الأنوار : ٢ : ١١٨ / ٢٤ .

(٤) الكافي : ١ : ٤٥ / ١٠ (باب البدع والرأي والمقائيس) .

أخطأت كذبت على الله»^(١) .

وقال الباقر عليه السلام : «من أفتى الناس برأيه فقد دان الله بما لا يعلم ، ومن دان الله بما لا يعلم فقد ضاد الله ، حيث أحلّ وحرم فيما لا يعلم»^(٢) .

وعن سماعة ، قال : قلت لأبي الحسن موسى عليه السلام : أصلحك الله ، إننا نجتمع فنتذكر ما عندنا ، فما يرد علينا شيء إلاّ وعندنا فيه شيء مسطر ، وذلك ممّا أنعم الله به علينا بكم ، ثمّ يرد علينا الشيء الصغير ليس عندنا فيه شيء ، فينظر بعضنا إلى بعض وعندنا ما يشبهه أفنقيس على أحسنه ؟

فقال : «وما لكم والقياس ، إنّما هلك من قبلكم بالقياس» ، ثمّ قال : «إذا جاءكم ما تعلمون فقولوا به ، وإن جاءكم ما لا تعلمون فها»^(٣) ، وأهوى بيده إلى فيه .

فقلت : أصلحك الله ، أتى رسول الله ﷺ الناس بما يكتفون به في عهده ؟

فقال : «نعم ، وما يحتاجون إليه إلى يوم القيامة» .

فقلت : فضاع من ذلك شيء ؟

فقال : «لا ، ولكنّه عند أهله»^(٤) .

(١) المحاسن ١ : ٣٣٦ / ٦٨٧ ، الكافي ١ : ٤٦ / ١١ (باب البدع والرأي والمقائيس) ، الفصول المهمة ١ : ٥٣٤ / ٧٨٦ .

(٢) قرب الإسناد : ١٢ / ٣٦ ، الكافي ١ : ٤٧ / ١٧ (باب البدع والرأي والمقائيس) ، بحار الأنوار ٢ : ٢٩٩ / ٢٥ ، الفصول المهمة ١ : ٥٣٥ / ٧٨٨ .

(٣) قوله عليه السلام : فها ، الظاهر أنّه إشارة إلى السكوت ، و«ها» حرف تنبيه ، وقيل : هو اسم فعل بمعنى : خذ . امرأة العقول ١ : ١٩٦ .

(٤) الكافي ١ : ٤٦ / ١٣ (باب البدع والرأي والمقائيس) .

وعن أبي شيبة^(١) قال : سمعت جعفر بن محمد عليه السلام يقول : «ضلّ علم ابن شبرمة عند الجامعة ، إملاء رسول الله صلى الله عليه وآله وخطّ عليّ عليه السلام بيده ، إنّ الجامعة لم تدع لأحدٍ كلاماً ، فيها علم الحلال والحرام ، إنّ أصحاب القياس طلبوا العلم بالقياس فلم يزدادوا من الحقّ إلّا بُعداً ، إنّ دين الله لا يُصاب بالقياس»^(٢) .

وفي رواية أخرى أنّه قال : «ما لكم والقياس ؟ إنّ الله لا يُسأل كيف أحلّ وكيف حرّم»^(٣) .

وفي أخرى أنّه قال لأبي حنيفة : «لا تقس ، فإنّ أوّل من قاس إبليس حين قال : خلقتني من نارٍ وخلقته من طين ، فقاس ما بين النار والطين ، ولو قاس نوريّة آدم عليه السلام بنوريّة النار عرف فضل ما بين النورين ، وصفاء أحدهما على الآخر»^(٤) .
وقد مرّ في المقدّمة^(٥) بعض هذه وغيرها .

وعن بكر بن كرب الصيرفي^(٦) قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إنّ عندنا ما لا نحتاج معه إلى الرأي والقياس ولا إلى أحدٍ من الناس ، وإنّ الناس

(١) هو أبو شيبة الخراسانيّ ، ولم أقف على اسمه ولا حاله . هكذا قال المامقانيّ في تنقيح المقال ٣ : ٢٠ (باب الكنى) ، وانظر : قاموس الرجال ١١ : ٣٦٦ / ٤٥٧ .

(٢) بصائر الدرجات : ١٦٩ / ١٦ ، الكافي ١ : ٤٦ / ١٤ (باب البدع والرأي والمقائيس) .

(٣) المحاسن ١ : ٣٣٨ / ٦٩١ ، الكافي ١ : ٤٧ / ١٦ (باب البدع والرأي والمقائيس) ، بحار الأنوار ٢ : ٣٠٧ / ٥٧ .

(٤) الكافي ١ : ٤٧ / ٢٠ (باب البدع والرأي والمقائيس) ، الاحتجاج ٢ : ٢٧١ ، بحار الأنوار ٢ : ٢٨٨ / ٥ .

(٥) انظر : الجزء الأوّل ، المقدّمة .

(٦) هو من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام ، كما عدّه الشيخ في رجاله .

انظر : رجال الطوسي : ١٢٧ / ١٢٩٠ ، و ١٧٠ / ١٩٧٨ ، تنقيح المقال ١ : ١٧٩ / ١٤٠١ .

ليحتاجون إلينا ، وإنّ عندنا كتاباً إملاءً رسول الله ﷺ وخطّ عليّ ﷺ ، صحيفة فيها كلّ حلال وحرام ، وإنّكم لتأتون بالأمر فنعرف إذا أخذتم به ونعرف إذا تركتموه»^(١) .

وعن أبي بصير قال : قال لي الصادق ﷺ : «يا أبا محمد ، إنّ الله تعالى لم يُعط الأنبياء شيئاً إلاّ وقد أعطاه محمداً ﷺ ، وقد أعطى محمداً ﷺ جميع ما أعطى الأنبياء ، ونحن ورثنا محمداً ﷺ ، وعندنا صحف إبراهيم وموسى ﷺ » ، قال أبو بصير : فقلت : هي الألواح ؟ فقال : «نعم»^(٢) .

وعن أبي بصير أيضاً ، قال : دخلت على أبي عبد الله ﷺ ، فقلت له : جُعِلَ فداك ، إنّي أريد أن أسألك عن مسألة هاهنا أحد يسمع ، فرفع أبو عبد الله ﷺ ستراً بينه وبين بيت آخر ، فاطّلع فيه ، ثمّ قال : «يا أبا محمد ، سل عما بدا لك» .

فقلت : جُعِلَ فداك ، إنّ شيعتك يتحدثون أنّ رسول الله ﷺ علّم عليّاً ﷺ باباً يُفتح له منه ألف باب ؟ .

فقال : «يا أبا محمد ، علّم رسول الله ﷺ عليّاً ﷺ ألف باب ، يُفتح من كلّ باب ألف باب» .

قال : فقلت : والله ، هذا هو العلم .

ثمّ قال : «يا أبا محمد ، وإنّ عندنا الجامعة ، وما يُدرّهم ما الجامعة ؟» .

فقلت : وما الجامعة جُعِلَ فداك ؟ .

قال : «صحيفة طولها سبعون ذراعاً بذراع رسول الله ﷺ (في عرض

(١) بصائر الدرجات : ١٧٤ / ٧ ، الكافي ١ : ١٨٨ / ٦ (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة . . .) .

(٢) بصائر الدرجات : ١٥٦ / ٥ ، الكافي ١ : ١٧٥ / ٥ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام ورثوا علم النبيّ وجميع الأنبياء عليهم السلام . . .) .

الأديم مثل فخذ الفالج^(١) وإملائه من فلق فيه وخطّ عليّ ﷺ بيمينه ، فيها كلُّ حلالٍ وحرامٍ ، وكلّ شيءٍ يحتاج إليه الناس حتّى الأرش في الخدش» ، ثمّ ضرب بيده إلّى وقال لي : «تأذن يا أبا محمّد؟» .

فقلت : إنّما أنا لك فاصنع ما شئت ، فغمزني بيده كأنّه مغضب وقال : «حتّى أرش هذا» .

فقلت : هذا والله العلم .

قال : «إنّهُ لَعِلْمٌ وليس بذاك» ، ثمّ سكت ساعةً ، ثمّ قال : «وإنّ عندنا الجفر ، وما يدريهم ما الجفر؟» .

قال : فقلت : وما الجفر؟

قال : «وعاء من آدم فيه علم النبيّين والوصيّين ، وعلمُ العلماء الذين مضوا من بني إسرائيل» .

قال : فقلت : إنّ هذا هو العلم .

فقال : «إنّهُ لَعِلْمٌ وليس بذاك» ، ثمّ سكت ساعةً ، ثمّ قال : «وإنّ عندنا لمصحف فاطمة ﷺ وما يُدريهم ما مصحفُ فاطمة؟» .

فقلت : وما مصحف فاطمة؟

قال : «مصحف فيه مثلُ قرآنكم هذا ، ثلاث مرّات ، والله ، ما فيه من قرآنكم حرف واحد» .

فقلت : هذا والله العلم .

(١) ما بين القوسين ورد في الكافي ١ : ١٨٧ / ٥ (باب فيه ذكر الصحيفة . . .) .

قال : «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَمَا هُوَ بِذَاكَ» ، ثُمَّ سَكَتَ سَاعَةً ، ثُمَّ قَالَ : «وَإِنَّ عِنْدَنَا عِلْمَ مَا كَانَ وَعِلْمَ مَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ» .

قال : فَقُلْتُ جُعِلَتْ فِدَاكَ ، هَذَا وَاللَّهِ هُوَ الْعِلْمُ .

قال : «إِنَّهُ لَعِلْمٌ وَلَيْسَ بِذَاكَ» .

فَقُلْتُ : جُعِلَتْ فِدَاكَ ، فَأَيُّ شَيْءٍ الْعِلْمُ ؟

قال : «مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، الْأَمْرُ بَعْدَ الْأَمْرِ وَالشَّيْءُ بَعْدَ الشَّيْءِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(١) .

وَفِي رِوَايَةٍ : «إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا يَحْدُثُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ يَوْمًا بِيَوْمٍ ، وَسَاعَةً بَعْدَ سَاعَةٍ»^(٢) .

أَقُولُ : يَعْنِي مِنَ الْإِلْهَامِ ، وَحَدِيثِ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ ، كَمَا سَيُظْهِرُ .

وَفِي رِوَايَةِ حَمَّادِ بْنِ عَثْمَانَ : أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : «نَظَرْتُ فِي مَصْحَفِ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ وَفِيهِ أَنَّهُ تَظْهَرُ الزَّنَادِقَةُ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِائَةً» .

فَقُلْتُ : وَمَا مَصْحَفُ فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ ؟

قال : «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ لَمَّا قَبِضَ نَبِيَّهٗ ﷺ دَخَلَ عَلَى فَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ مِنْ وَفَاتِهِ مِنَ الْحُزَنِ مَا لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهَا مَلَكًا يُسَلِّي غَمَّهَا وَيَحْدِثُهَا ، فَشَكَتَ ذَلِكَ إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهَا : إِذَا أَحْسَسْتِ بِذَلِكَ وَسَمِعْتِ الصَّوْتَ قَوْلِي لِي ، فَأَعْلَمْتَهُ ، فَجَعَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْتُبُ كُلَّ مَا سَمِعَ ، حَتَّى أَثْبِتَ مِنْ ذَلِكَ مَصْحَفًا» ، قَالَ : ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : «لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَلَكِنْ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَكُونُ»^(٣) .

(١) بصائر الدرجات : ١٧١ / ٣ ، الكافي ١ : ١٨٥ / ١ (باب فيه : ذكر الصحيفة والجفر والجامعة . . .) .

(٢) بصائر الدرجات : ٣٤٤ / ١ ، الكافي ١ : ١٧٥ / ٤ (باب أَنَّ الْأَنْمَةَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَثُوا عِلْمَ النَّبِيِّ وَجَمِيعِ الْأَنْبِيَاءِ . . .) ، بحار الأنوار ١٧ : ١٣٢ / ٨ ، و٢٦ : ٦٠ / ١٣٥ .

(٣) بصائر الدرجات : ١٧٧ / ١٨ ، الكافي ١ : ١٨٦ / ٢ (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة . . .) ، بتفاوت يسير فيهما .

وفي رواية أبي عبيدة^(١) عنه عليه السلام أنّه قال في حكاية مصحف فاطمة : «إنّ جبرئيل كان يأتيها فيُحسن عزاءها على أبيها ، ويُطيب نفسها ، ويخبرها عن أبيها ومكانه ، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريّتها ، وكان عليّ عليه السلام يكتب ذلك»^(٢) .

وفي رواية أخرى رواها فضيل^(٣) عنه عليه السلام ، أنّه قال : «ليس من ملِكٍ يملك الأرض إلّا وهو مكتوب في مصحف فاطمة عليها السلام باسمه واسم أبيه»^(٤) الخبر .

وفي رواية زرارة وجمع : أنّ عبد الملك بن أعين^(٥) قال لأبي عبد الله عليه السلام : إنّ الزيدية والمعتزلة قد أطافوا بمحمّد بن عبد الله

-
- (١) لعنه زياد بن عيسى ، يكتي أبا عبيدة الحذاء ، كوفيّ ، ثقة ، كان من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام ، وكان حسن المنزلة عند آل محمد عليهم السلام ، له كتاب يرويه عليّ بن رثاب .
توفيّ في حياة أبي عبد الله عليه السلام .
- انظر : رجال النجاشي : ١٧٠ / ٤٤٩ ، رجال الطوسي : ١٣٥ / ١٤١٠ ، و ٢١١ / ٢٧٦٢ ، تنقيح المقال ١ : ٤٥٦ / ٤٣٤٩ .
- (٢) بصائر الدرجات : ١٧٣ / ٦ ، الكافي ١ : ١٨٧ / ٥ (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة . . .) .
- (٣) هو الفضيل بن سكرة الأسدي ، كوفيّ ، عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام .
انظر : رجال الطوسي : ٢٧٠ / ٣٨٨٠ ، تنقيح المقال ٢ : ١٣ / ٩٥٠١ ، من أبواب الفاء .
- (٤) بصائر الدرجات : ١٨٩ / ٣ ، الكافي ١ : ١٨٨ / ٨ (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة . . .) ، بتفاوت يسير فيهما .
- (٥) هو عبد الملك بن أعين الشيباني الكوفي تابعي يكتي أبا الضريس ، أخو زرارة ، عدّه الشيخ عليه السلام في رجاله من أصحاب الباقر والصادق عليهما السلام ، وروى الكشي روايات تدلّ على مدحه وجلالته .
انظر : رجال الكشي : ٢٥٠ / ٣٠٠ . ٣٠٢ ، رجال الطوسي : ١٣٩ / ١٤٨٠ ، و ٢٣٨ / ٣٢٥٣ ، تنقيح المقال ٢ : ٢٢٨ / ٧٤٩٠ .

بن الحسن^(١)، فهل له سلطان؟ فقال: «والله، إنَّ عندي لكتابين فيهما تسمية كلِّ نبيٍّ وكلِّ ملكٍ يملك الأرض، لا والله، ما محمد بن عبدالله في واحد منهما»^(٢).

وفي رواية الحسين بن أبي العلاء^(٣): أنَّ أبا عبدالله عليه السلام قال: «إنَّ عندي الجفر الأبيض والجفر الأحمر»، فقلت: فأَيُّ شيءٍ في الجفر الأبيض؟ قال: «زبور داود، وتوراة موسى، وإنجيل عيسى، وصحف إبراهيم عليه السلام والحلال والحرام، وفيه مصحف فاطمة عليها السلام، وفيه ما يحتاج الناس إلينا ولا نحتاج إلى أحد»، قلت: وأيُّ شيءٍ في الجفر الأحمر؟ قال: «السلاح». يعني: سلاح رسول الله ﷺ. ثمَّ قال: «وإنَّما يفتحه صاحب السيف منَّا للقتال». يعني به: صاحب الأمر عليه السلام. فقال عبدالله بن

(١) هو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام، الملقب بالمهدي، وبالنفس الزكيَّة، كان من أصحاب الصادق عليه السلام، وكان يقال له: صريح قريش؛ لأنَّ أمه وجدَّاته لم يكن فيهنَّ أمٌّ ولد، وكان من أفاضل أهل بيته، وأكابر أهل زمانه في علمه بكتاب الله وحفظه له، قتله عيسى بن موسى العبَّاسي، وبعث رأسه إلى المنصور.

استشهد سنة ١٤٥ هـ.

انظر: تنقيح المقال ٣: ١٤٠ / ١٠٩٥٣، مقاتل الطالبين: ٢٣٢، تاريخ الذهبي (١٤١-١٦٠):

٢٧١، شذرات الذهب ١: ٢١٣، الأعلام للزركلي ٦: ٢٢٠.

(٢) الكافي ١: ١٨٨ / ٧ (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة . . .).

(٣) هو الحسين بن أبي العلاء الخفاف، يكتبُ أبا علي الأعور مولى بني أسد، واسم أبيه خالد بن طهمان، عدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب الباقر والصادق عليه السلام، وأخواه عليّ وعبد الحميد روى عن أبي عبدالله عليه السلام، وكان الحسين بن أبي العلاء أوجههما.

انظر: رجال النجاشي: ٥٢ / ١١٧، رجال الطوسي: ١٣١ / ١٣٣٩، ١٨٢ / ٢٢٠٢،

الفهرست للطوسي: ٥٤ / ٢٠٤، تنقيح المقال ١: ٣١٧ / ٢٨١٨.

أبي يعفور^(١) : أيعرف هذا بنو الحسن ؟ فقال : «إي والله ، كما يعرفون الليل أنّه ليلٌ ، والنهار أنّه نهارٌ ، ولكنّهم يحملهم الحسد وطلب الدنيا على الجحود والإنكار»^(٢) ، الخبر .

وعن المفضّل ، وغيره ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام ، أنّه سئل عن معنى ما روي عن الصادق عليه السلام من أنّه قال : «إنّ مبلغ علمنا على ثلاثة وجوه : غابر» ، وفي رواية : «ماضي ، ومزبور وحادث» ، وفي رواية بدل وحادث : «ونكّت في القلوب ونقرّ في الأسماع ، وهو أفضل علمنا ولا نبيّ بعد نبينا» ، فقال عليه السلام : «أمّا الغابر» . يعني : الماضي . «فما تقدّم من علمنا ، وأمّا المزبور فما يأتينا ، وأمّا الحادث فقذف في القلوب ونقرّ في الأسماع» ، وفي الرواية الأخرى : «وأمّا النكّت في القلوب فالهام ، وأمّا النقر في الأسماع فأمر الملك»^(٣) .

وعن الصادق عليه السلام : أنّه قيل له : أخبرني عن علم عالمكم ؟ قال : «وراثه من رسول الله ﷺ ومن عليّ عليه السلام» ، ف قيل له : إنّنا نتحدّث أنّه يُقذف

(١) هو عبدالله بن أبي يعفور الكوفي . واسم أبي يعفور : واقد ، أو وفدان . يكتي أبا محمّد ثقة ثقة ، جليل في أصحابنا ، كريم عند أبي عبدالله عليه السلام ، كان قارئاً يقرئ في مسجد الكوفة ، وردت روايات في مدحه ، وجلالته ، وعظم شأنه ، له كتب يرويه عنها عدّة من أصحابنا .

توفي في حياة أبي عبدالله عليه السلام .

انظر : رجال النجاشي : ٢١٣ / ٥٥٦ ، رجال الطوسي : ٢٣١ / ٣١٢٦ ، الخلاصة : ١٠٧ / ٢٥ ، تنقيح المقال ٢ : ١٦٥ / ٦٧٣٠ .

(٢) بصائر الدرجات : ١٧٠ / ١ ، الكافي ١ : ١٨٧ / ٣ (باب فيه ذكر الصحيفة والجفر والجامعة...) ، بتفاوت يسير فيهما .

(٣) انظر : بصائر الدرجات : ٣٣٨ / ١ و ٢ ، الكافي ١ : ٢٠٦ و ٢٠٧ / ٣٠١ (باب جهات علوم الأئمة عليهم السلام) .

في قلوبكم ، ويُنتكت في آذانكم ؟ قال : «أو ذلك»^(١) .

وفي رواية محمد بن مسلم عن الباقر عليه السلام أنه قال في حديث له : «فلم يعلم والله ، رسول الله ﷺ حرفاً مما علّمه الله إلاّ وقد علّمه عليّاً عليه السلام ، ثم انتهى العلم إلينا» ، ثم وضع يده على صدره^(٢) .

وعن الباقر عليه السلام أنه قال لبعض أصحابه : «لو كانت لألستكم أوكية ، لحدّثتُ كلّ امرئ بما له وعليه»^(٣) .

وعن الصادق عليه السلام أنه قال في حديث له : «الله أكرم وأرحم وأرأف بعباده من أن يفرض طاعة عبدٍ على العباد ، ثمّ يحجب عنه خبر السماء صباحاً ومساءً ، (ويقطع عنه موادّ العلم فيما يرد عليه ممّا فيه قوام دينهم)»^(٤) .

وعن جمع من أصحاب الصادق عليه السلام أنّهم سمعوا الإمام عليه السلام يقول : «إني لأعلم ما في السماوات وما في الأرض ، وأعلم ما في الجنة ، وأعلم ما في النار ، وأعلم ما كان وما يكون» ، ثمّ قال : «علمتُ ذلك من كتاب الله عزّ وجلّ ، إنّ الله يقول : فيه تبيانٌ كلّ شيء»^(٥) .

(١) بصائر الدرجات : ٣ / ٣٤٦ ، و ٥ / ٣٤٧ ، الكافي ١ : ٢٠٧ / ٢ (باب جهات علوم الأئمة عليهم السلام) .

(٢) بصائر الدرجات : ٣ / ٣١٥ ، الكافي ١ : ٢٠٦ / ٣ (باب أنّ الله عزّ وجلّ لم يعلم نبيّه علماً . . .) .

(٣) الكافي ١ : ٢٠٧ / ١ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام لو ستر عليهم . . .) .

(٤) بصائر الدرجات : ١ / ١٤٤ ، الكافي ١ : ٢٠٤ / ٣ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان . . .) ، وما بين القوسين لم يرد فيهما ، بل ورد في رواية أخرى . انظر بصائر الدرجات : ١٤٤ / ٣ ، الكافي الحديث ٤ من الباب المذكور ، عن الباقر عليه السلام .

(٥) بصائر الدرجات : ١٤٧ - ١٤٨ / ٣ ، الكافي ١ : ٢٠٤ / ٢ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان . . .) ، وقوله عليه السلام : «فيه تبيان . . . » اقتباس من الآية ٨٩ من سورة النحل .

وفي رواية جماعة أخرى عنه عليه السلام أنه قال : «وربّ الكعبة وربّ البيت . ثلاث مرّات . لو كنتُ بين موسى والخضر عليهما السلام لأخبرتُهما أيّ أعلمُ منهما ، ولأنّأتهما بما ليس في أيديهما؛ لأنّ موسى والخضر أُعطيّا علم ما كان ولم يُعطيّا علم ما يكون وما هو كائن حتّى تقوم الساعة ، وقد ورثناه من رسول الله صلى الله عليه وآله وراثته» (١) .

وفي روايات عن الباقر عليه السلام ، وكذا عن أبي الحسن العسكري عليه السلام أنّهما قالّا : «اسم الله الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً كان عند آصف حرف فتكلّم به ، فحسف بالأرض بينه وبين سبأ فتناول عرش بلقيس حتّى صيرّه إلى سليمان ، وعادت الأرض كما كانت في أقلّ من طرفة عين ، وعندنا منه اثنان وسبعون حرفاً ، وحرف عند الله استأثر به في علم الغيب عنده» (٢) .

وعن الصادق عليه السلام أنه قال : «إنّ الله تعالى أعطى عيسى بن مريم عليه السلام حرفين كان يعمل بهما ، وأعطى موسى أربعة أحرف ، وأعطى إبراهيم ثمانية أحرف ، وأعطى نوحاً خمسة عشر حرفاً ، وأعطى آدم خمسة وعشرين حرفاً ، وإنّ الله عزّ وجلّ جمع ذلك كلّهُ لمحمّد صلى الله عليه وآله وسلم ، فإنّ الاسم الأعظم ثلاثة وسبعون حرفاً أعطى محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم اثنين وسبعين حرفاً وحجب عنه حرفاً واحداً» (٣) .

وفي روايات عن الصادق عليه السلام أنه قال : «إذا أراد الإمام أن يعلم شيئاً

(١) الكافي ١ : ٢٠٣ / ١ (باب أن الأئمة عليهم السلام يعلمون علم ما كان . . .) .

(٢) هذا النصّ ملقّق من روايتين ، انظر : بصائر الدرجات : ٢٢٨ / ١ ، و ٢٣١ / ٣ ، الكافي ١ : ١٧٩ / ١

و ١٨٠ / ٣ (باب ما أُعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم) .

(٣) بصائر الدرجات : ٢٢٨ / ٢ ، الكافي ١ : ١٧٩ / ٢ (باب ما أُعطي الأئمة عليهم السلام من اسم الله الأعظم)

، بتفاوت يسير فيهما .

أعلمه الله ذلك»^(١)، حتّى في رواية عمّار أنّه قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الإمام يعلم الغيب ؟ فقال : « لا ، ولكن إذا أراد أن يعلم الشيء أعلمه الله ذلك »^(٢) .

وروى جمع بأسانيد عن الباقر والصادق والكاظم عليه السلام أنّهم قالوا : « إنّ الله عزّ وجلّ علمين علماً أظهر عليه ملائكته وأنبياءه ورسله ، فما أظهر عليه هؤلاء فقد علّمناه »^(٣) . وفي رواية : « وليس من شيء تعلمه الملائكة والرسول إلّا نحن نعلمه »^(٤) . « . . . وعلماً استأثر به (لا يعلمه إلّا هو) فإذا بدا لله في شيء منه أعلمنا ذلك ، وعرض على الأئمة الذين كانوا من قبلنا »^(٥) .

وفي رواية : « فهو الذي عنده في أمّ الكتاب »^(٦) .

وعن معمر بن خلّاد^(٧) قال : سأل أبا الحسن عليه السلام رجل من أهل فارس ، فقال له : أتعلمون الغيب ؟ فقال : « قال أبو جعفر عليه السلام : يُيسط لنا

(١) بصائر الدرجات : ٣٣٥ / ٥ ، الكافي ١ : ٢٠١ / ٣ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام إذا شأؤوا . . .) .

(٢) بصائر الدرجات : ٣٣٥ / ٤ ، الكافي ١ : ٢٠١ / ٤ (باب نادر فيه ذكر الغيب) .

(٣) بصائر الدرجات : ٤١٤ / ٦ و ٩ ، الكافي ١ : ١٩٩ / ٣ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم . . .) ، بتفاوت يسير فيهما .

(٤) بصائر الدرجات : ١٣١ / ١١ ، الكافي ١ : ١٩٩ / ٣ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم . . .) .

(٥) بصائر الدرجات : ٤١٤ / ٦ و ٩ و ١٠ ، الكافي ١ : ١٩٩ / ١ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم . . .) ، وما بين القوسين لم يرد فيهما .

(٦) بصائر الدرجات : ١٢٩ / ٣ ، الكافي ١ : ١٩٩ / ٣ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام يعلمون جميع العلوم . . .) .

(٧) هو معمر بن خلّاد بن أبي خلّاد ، ثقة ، كان من أصحاب الرضا عليه السلام وله كتاب الزهد رواه جماعة .

انظر : رجال النجاشي : ٤٢١ / ١١٢٨ ، الفهرست للطوسي : ١٧٠ / ٧٦١ ، رجال الطوسي :

٣٦٦ / ٤٥٣٣ ، تنقيح المقال ٣ : ٢٣٤ / ١٢٠٠٩ .

العلم فنعلم ، ويُقبض عَنَّا فلا نعلم» ، وقال : «سَرَّ الله عَزَّجَكَ أَسْرَهُ إِلَى جِبْرِئِيلَ ، وَأَسْرَهُ جِبْرِئِيلَ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ وَأَسْرَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ إِلَى مَنْ شَاءَ اللهُ» (١) .

وفي رواية حمران : أَنَّ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لَهُ : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿فَلَا يُظْهَرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنْ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ﴾» (٢) ، وَكَانَ وَاللَّهِ ، مُحَمَّدٌ ﷺ مِمَّنْ ارْتَضَاهُ» (٣) ، الْخَيْرُ .

أقول : خلاصة المعنى في جميع هذه الأخبار عند ملاحظة بعضها مع بعض : أَنَّ الْإِمَامَ لَا يَعْلَمُ الْغَيْبَ ، أَي : جَمِيعَ ذَلِكَ ، فَإِنَّهُ مَخْتَصُّ بِاللَّهِ عَزَّجَهُ ، كَمَا هُوَ ظَاهِرٌ ؛ لَكُونِهِ غَيْرَ مُتَنَاهٍ ، بَلْ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْإِمَامُ كَثِيرًا مِنْهُ بِتَعْلِيمِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ، وَالَّذِي لَا يَعْلَمُهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَعْلَمَ يُعَلِّمُهُ اللَّهُ تَعَالَى .

وعن مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ ، مِنْهُمْ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْهُمْ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، قَالَ : «إِنَّ عَلِيًّا كَانَ عَالِمًا وَالْعِلْمُ يَتَوَارَثُ . . .» (٤) .

وفي رواية : «وإِنَّ الْعِلْمَ الَّذِي نَزَلَ مَعَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يُرْفَعْ ، وَمَا مَاتَ عَالَمٌ فَذَهَبَ عِلْمُهُ» (٥) .

« . . . وَلَا يَمُوتُ عَالَمٌ إِلَّا وَتَرَكَ مِنْ بَعْدِهِ مِنْ عِلْمٍ مِثْلَ عِلْمِهِ أَوْ مَا

(١) الكافي ١ : ٢٠٠ / ١ (باب نادر فيه ذكر الغيب) .

(٢) سورة الجن ٧٢ : ٢٦ و ٢٧ .

(٣) بصائر الدرجات : ١٣٣ / ١ ، الكافي ١ : ٢٠٠ / ٢ (باب نادر فيه ذكر الغيب) ، بحار الأنوار ٢٦ : ١٦٦ / ٢٠ .

(٤) بصائر الدرجات : ١٣٨ / ٢ و ٣ و ٤ ، الكافي ١ : ١٧٣ و ١٧٤ / ١ و ٧ (باب أَنَّ الْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَرَثَةُ الْعِلْمِ . . .) .

(٥) بصائر الدرجات : ١٣٦ / ٧ و ١١ ، و ١٣٧ / ١٤ ، الكافي ١ : ١٧٣ / ٤ (باب أَنَّ الْأئِمَّةَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَرَثَةُ الْعِلْمِ . . .) .

شاء الله»^(١) .

« . . . والعلم يتوارث والأرض لا تبقى بغير علم»^(٢) .

وعن الباقر عليه السلام أنه قال في حديث له : «الناس يمصّون الثماد»^(٣) ويدعون النهر العظيم» .

قيل له : وما النهر العظيم ؟

قال : «رسول الله صلى الله عليه وآله ، والعلم الذي أعطاه الله ، إنّ الله عزّ وجلّ جمع لمحمد صلى الله عليه وآله سنن النبيّين من آدم عليه السلام وهلمّ جرّاً إلى محمد صلى الله عليه وآله» .

قيل : وما تلك السنن ؟

قال : «علم النبيّين بأسره ، وإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله صير ذلك كلّهُ عند أمير المؤمنين»^(٤) الخبر .

وفي رواية : «كان في عليّ عليه السلام سنة ألف نبيّ»^(٥) .

وفي رواية : «والعلم يتوارث . . .»^(٦) .

«ونحن ورثة رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام»^(٧) .

(١) بصائر الدرجات : ١٣٧ / ١ ، الكافي ١ : ١٧٤ / ١ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام ورثة العلم . . .) ، بتفاوت يسير فيهما .

(٢) انظر : بصائر الدرجات : ١٣٤ / ٢ .

(٣) في حاشية النسخ ورد بدله : «السماد» ، والتمد : الماء القليل الذي لا مادّة له . انظر : القاموس ١ : ٣٨٨ ، مادّة . تمّد . . والتماد الحفرة التي يجتمع فيها ماء المطر . تاج العروس ٤ : ٣٧٤ .

(٤) بصائر الدرجات : ١٣٧ / ١٢ ، الكافي ١ : ١٧٣ / ٤ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام ورثة العلم . . .) ، بحار الأنوار ١٧ : ١٣١ / ٦ .

(٥) بصائر الدرجات : ١٣٤ / ٢ ، وانظر : الكافي ١ : ١٧٣ / ٤ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام ورثة العلم . . .) .

(٦) انظر : هامش ٢ .

(٧) لم نعثر عليه .

وعن عبدالله بن جُنْدَب ^(١) أَنَّ أبا الحسن الرضا عليه السلام كتب إليه : «أما بعد ، فإنَّ مُحَمَّدًا صلَّى الله عليه وآله كان أمين الله في خلقه ، فلمَّا قُبِضَ صلَّى الله عليه وآله كنَّا أهل البيت ورثته ، فنحن أُمَنَاءُ الله في أرضه ، عندنا علمُ البَلَايا والمَنَايا ، وأنساب العرب ومولد الإسلام ، وإِنَّا لنعرف الرجل إذا رأيناه بحقيقة الإيمان وحقيقة النفاق» إلى أن قال : «ونحن أولى الناس بكتاب الله ، ونحن أولى [الناس] ^(٢) برسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلم ، ونحن الذين شرع الله لنا دينه ، فقال في كتابه : ﴿ شَرَعَ لَكُمْ ﴾ يا آل مُحَمَّد ، ﴿ مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا ﴾ وقد وصَّانا بما وصَّى به نُوحًا ﴿ وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ﴾ يا مُحَمَّد ﴿ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ﴾ ^(٣) فقد علَّمنا وبلَّغنا علم ما علَّمناه واستودعنا علمهم ، نحن ورثة أولي العزم من الرسل» ^(٤) الخبر .

وفي رواية عن أبي جعفر الجواد عليه السلام قال : «قال أبو عبدالله الصادق عليه السلام : بينا أبي يطوف بالكعبة إذا رجل معتجر فأخذ بيده فقطع عليه أسبوعه حتَّى أدخله إلى دار جنب الصفا فأرسل إليَّ فكُنَّا ثلاثة ، فقال : مرحباً بابن رسول الله ، ثمَّ وضع يده على رأسي وقال : بارك الله فيك :

(١) هو عبدالله بن جُنْدَب البجلي الكوفي ، ثقة ، عدّه الشيخ عليه السلام في رجاله من أصحاب الصادق والكاظم والرضا صلوات الله عليهم ، روى الكشي في مدحه روايات تدلّ على حسن حاله وكماله ، منها : قال عبدالله بن جُنْدَب لأبي الحسن عليه السلام : ألسنت عني راضياً ؟ قال : «إي والله ، ورسول الله عنك راضٍ» .

انظر رجال الكشي : ٦٢٤ - ٦٢٥ / ١٠٩٦ ، رجال الطوسي : ٢٣٢ / ٣١٤٣ ، و ٣٤٠ / ٥٠٥٩ ، و ٣٥٩ / ٥٣١٦ وتنقيح المقال ٢ : ١٧٥ / ٦٧٩٤ .

(٢) ما بين المعقوفين إضافة من المصدر .

(٣) سورة الشورى ٤٢ : ١٣ .

(٤) بصائر الدرجات : ١٣٩ / ٣ ، الكافي ١ : ١٧٤ / ١ (باب أنَّ الأئمّة عليهم السلام ورثوا علم النبي وجميع الأنبياء عليهم السلام . . .) ، بتفاوت يسير فيهما .

يا أمين الله بعد آبائه ، ثم قال لأبي : يا أبا جعفر إن شئت فأخبرني ، وإن شئت فأخبرتكَ ، وإن شئت سلني ، وإن شئت سألتكَ ؟ قال : كل ذلك أشاء ، قال : فيأياك أن ينطق لسانك عند مسألي بأمرٍ تُضمر لي غيره .

قال أبي : إنما يفعل ذلك من في قلبه علمان يخالف أحدهما صاحبه ، وإن الله عزَّ وجلَّ أبا أن يكون له علم فيه اختلاف ، قال : هذه مسألي وقد فسرت طرفاً منها ، أخبرني عن هذا العلم الذي ليس فيه اختلاف من يعلمه ؟

فقال أبي : أمّا جملة العلم فعند الله عزَّ وجلَّ ، وأمّا ما لا بدَّ للعباد منه فعند الأوصياء ، قال الصادق عليه السلام : ففتح الرجل عجيرته واستوى جالساً وتَهَلَّل وجهه ، وقال : هذه أردتُ ، زعمتُ أن علم ما لا اختلاف فيه من العلم عند الأوصياء فكيف يعلمونه ؟

قال : كما كان رسول الله ﷺ يعلمه ، إلا أنهم لا يرون ما كان رسول الله ﷺ يرى ؛ لأنّه كان نبياً وهم محدثون ، وإنّه كان يفد إلى الله فيسمع الوحي وهم لا يسمعون . فقال : صدقت يا ابن رسول الله ، أخبرني عن هذا العلم ما له لا يظهر كما كان يظهر مع رسول الله ﷺ ؟

قال : فضحك أبي ، وقال : أباي الله أن يُطلّع على علمه إلاّ ممتحناً للإيمان به ، كما قضى على رسول الله ﷺ أن يصبر على أذى قومه ولا يجاهدكم إلاّ بأمره ، فكم من اكتتام قد اكتتم به حتّى قيل له : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴾ ^(١) ، وأيم الله ، لو صدع قبل ذلك لكان

(١) سورة الحجر ١٥ : ٩٤ .

أمناء ، ولكنه إنما نظر في الطاعة وخاف الخلاف فلذلك كفّ ، فوددت أنّ عينك تكون مع مهديّ هذه الأئمة ، والملائكة بسيوف آل داؤد بين السماء والأرض تعذب أرواح الكفرة من الأموات وتلحق بهم أرواح أشباههم من الأحياء ، فأخرج الرجل سيفاً ، وقال : ها إنّ هذا منها ، فقال أبي : إي والذي اصطفى محمداً على البشر ، قال الصادق عليه السلام : فردّ الرجل اعتجاره وقال : أنا إلياس ، ما سألتك عن أمرك وبني منه جهالة غير أنّي أحببت أن يكون هذا الحديث قوّة لأصحابك»^(١) الخبر .

وهو طويل أخذنا منه موضع الحاجة ، وقد مرّ خلاصة مضمونه تماماً في سابع أحاديث فاتحة هذا الكتاب .

وعن جماعة منهم المفضل ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مُرخي عليه ستره ، فقال : «إنّ الله تعالى جعل في النبيّ صلى الله عليه وآله خمسة أرواح : روح الحياة فيه دبّ ودرج ، وروح القوة فيه نحض وجاهد ، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتّى النساء من الحلال ، وروح الإيمان فيه آمن وعدل ، وروح القدس فيه حمل النبوة (وبه عرف ما تحت العرش إلى ما تحت الثرى) فلما قبض ، انتقل روح القدس فصار إلى الإمام» الخبر ، إلى أن قال : «وروح القدس كان يرى به»^(٢) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾^(٣) الآية ، قال : «خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل ،

(١) الكافي ١ : ١٨٨ / ١ (باب في شأن إنّ أنزلناه في ليلة القدر وتفسيرها) .

(٢) بصائر الدرجات : ٤٧٤ / ١٣ ، الكافي ١ : ٢١٤ / ٣ (باب فيه ذكر الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام) ، مختصر البصائر : ٤٧ / ٤ ، وما بين القوسين لم يرد فيها .

(٣) سورة الشورى ٤٢ : ٥٢ .

كان مع رسول الله ﷺ يُخبره ويسدّده ، وهو مع الأئمة من بعده»^(١) .

وفي رواية : «إنّه منذ أنزل الله ذلك الروح على محمد ﷺ ما صعد إلى السماء وإنّه
لفي الأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد ، وإنّه لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد ﷺ ،
وهو مع الأئمة يسدّدهم ويعلمهم»^(٢) .

وفي رواية أبي حمزة ، قال : سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم أهو علم يتعلّمه العالم
من أفواه الرجال أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه ؟ فقال : «الأمر أعظم من ذلك
وأوجب ، أما سمعت قول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا﴾^(٣) وقرأ الآية ، وقال ، الخبر ،
إلى أن قال : «فلما أوحى الله إلى رسوله ﷺ هذه الروح التي ذكر في الكتاب علّم بها العلم
والفهم ، وهي الروح التي يُعطِيها الله من شاء فإذا أعطاهها عبداً علّمه الفهم»^(٤) .

وفي روايات عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «إذا ورد علينا شيء الذي ليس عندنا
تلقّنا به روح القدس»^(٥) .

أقول : الظاهر أنّ هذه الروح غير الخمسة الأرواح السابقة ، بل إنّما هي خلق من
الخلائق مثل الملائكة .

وفي الخبر : إنّها من الكروبين وهي كالمرّي للنبي ﷺ والإمام عليه السلام ،

(١) بصائر الدرجات : ٤٧٥ / ٢ ، الكافي ١ : ٢١٤ / ١ (باب الروح التي يسدّد الله تعالى بها الأئمة عليهم السلام)
، مختصر البصائر : ٤٨ / ٦ .

(٢) الكافي ١ : ٢١٥ / ٢ و ٤ (باب الروح التي يسدّد الله تعالى بها الأئمة عليهم السلام) ، مختصر البصائر : ٤٧٧ /
١٢ و ١٣ .

(٣) سورة الشورى ٤٢ : ٥٢ .

(٤) بصائر الدرجات : ٤٨٠ / ٥ ، الكافي ١ : ٢١٥ / ٥ (باب الروح التي يسدّد الله بها الأئمة عليهم السلام) ،
بتفاوت فيهما .

(٥) بصائر الدرجات : ٤٧١ / ٣ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٥٦ / ١٨ .

انظر : بصائر الدرجات : ٤٧٥ . ٤٨٤ (الباب ١٦ . ١٩) .

وسياقي مؤيد له في ذكر أحوال قائم آل محمد عجل الله تعالى فرجه .

وفي أخبار عديدة عنهم عليهم السلام أنهم قالوا : «يعرف الذي بعد الإمام جميع علوم من كان قبله في آخر دقيقة تبقى من روحه»^(١) ، ولها شواهد من الأخبار ، منها : ما ذكرناه فيما مرّ ، ويأتي من حكاية عليّ والنبيّ . صلوات الله عليهما . عند وفاته .

وفي روايات عديدة أنهم عليهم السلام يزدادون علماً في كلّ ليلة جمعة من طرف الله عزّوجلّ^(٢) ، وإنّ الله تعالى جعل عموداً من نور قبال وجه الإمام ممتداً من الأرض إلى السماء ، يرى منه كلّ شيء يصدر من الخلق على وجه الأرض^(٣) ، وإنّ الأرض تحدّث الإمام كلّ ليلة بما يفعل الناس فيها ، وإنّ جميع ذلك كان لرسول الله صلى الله عليه وآله ووصل إليهم وراثته ، من أراد التفصيل فليرجع إلى الأخبار التي وردت في بيان أحوال النبيّ صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام ، وقد مرّ ويأتي نبذ منها لاسيّما في أحاديث فاتحة هذا الكتاب^(٤) .

ثمّ إنّ الأخبار من هذا القبيل كثيرة جداً بحيث لا يمكن إنكارها رأساً ، وقد أشرنا إلى أنّه قد مرّ بعضها ويأتي بعض متفرّقاً لا سيّما في فاتحة هذا الكتاب سوى ما لم نذكره ؛ لكفاية ما ذكرناه لطالب الحقّ ، والله الهادي .

(١) بصائر الدرجات : ٤٩٧ / ١ ، الكافي ١ : ٢١٦ / ٢ (باب وقت ما يعلم الإمام جميع علم الإمام . . .) ، بتفاوت يسير فيهما .

(٢) انظر : بصائر الدرجات : ١٥٠ / ١ ، ١٥٢ / ٣ ، الكافي ١ : ١٩٨ / ٢ و ٣ (باب أنّ الأئمة عليهم السلام يزدادون في ليلة الجمعة) .

(٣) انظر : بصائر الدرجات : ٤٥١ . ٤٥٤ / ٢ و ٣ و ٦ و ٩ و ١١ .

(٤) انظر الجزء الأوّل ، فاتحة الكتاب .

الفصل الثاني

في بيان كون هؤلاء الأئمة الاثني عشر أعبد ، وأصلح ، وأزهد ، وأورع ، وأتقى ، وأصدق ، وأوثق ، وأعدل ، وأسخى ، وأشجع من كل جهة ، مسلمين في ذلك ، فائقين على غيرهم بذلك ، بحيث يُستفاد منه عصمتهم ، وفيه بيان نبذ من أدلة عصمتهم ، ففيه مطلبان :

الأول : في بيان ما يدل على وجود هذه الصفات فيهم .

إعلم أنّنا نذكر هاهنا نبذاً ممّا ورد بالنسبة إليهم على سبيل الإطلاق ، أو خصوص أشخاص منهم في الاتّصاف بما ذكر لا سيّما في عليّ عليه السلام ؛ لما مرّ ويأتي من أنّه هو الأصل والعمدة في ذلك ، والموجود في زمان النبي ﷺ ، وبنبوتها فيه يعلم ثبوتها في البقية أيضاً ، حيث إنّهم كنفس واحدة ، كما سيظهر .

وقد بيّنا أيضاً أنّه لا بدّ من اتّصاف الإمام والمعلّم بما ذكر هاهنا ، فمهما ظهر وجود ذلك في عليّ عليه السلام ظهر اتّصافهم أيضاً بذلك ؛ إذ ثبوت الإمامة لعليّ عليه السلام موجب للقول بإمامتهم ؛ للاشتراك في عمّة ما يدلّ على كونه إماماً ومعلّماً ، وعدم قائل بوجود أحد غيرهم بهذه المثابة .

ثمّ إنّنا نكتفي هاهنا بذكر نبذ من خصوص هذه الصفات ، فإنّ عمدة ما يدلّ على وجودها فيهم واتّصافهم بها ما سيأتي في الفصول الآتية لا سيّما الفصل المتّصل بهذا وما بعده ؛ ولهذا نحن نذكر هاهنا ما نريد ذكره سرّداً ، من غير ملاحظة ترتيب تامّ ولا مناسبة بعض مع بعض ، وكثيراً ما

نكتفي بالإشارة إلى موضع ذكر بعضها فيما سيأتي ، أو ما مرّ ولو استطراداً من حيث اشتغال الخبر المتضمن لذلك على شيء لا بدّ من ذكره في ذلك الموضع فلا تغفل .

وسيأتي في الفصل التاسع عند بيان قوله تعالى : ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصّٰدِقِينَ ﴾ ^(١) ، وقوله : ﴿ اُولٰٓئِكَ هُمُ الصّٰدِقُونَ ﴾ ^(٢) ، وقوله تعالى : ﴿ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(٣) ، وأمثالها أخبار كثيرة في أنّ المراد بذلك عليّ عليه السلام .

وسيأتي أيضاً في الفصل المذكور في آية المباهلة ^(٤) ما ينادي باختصاص عليّ وفاطمة والحسنين عليهم السلام من بين جميع أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وأزواجه وأقربائه بشراكة النبي صلى الله عليه وآله في الدعاء على الأعداء .

وكذا يأتي أمثاله فيه في ضمن آيات أخر ممّا يدلّ على كمال صلاحهم عند الله ، ومزيد رضاه عنهم ، فائقين بذلك على جميع من سواهم ، نحو آية التطهير ^(٥) ، وغيرها ^(٦) .

وسيأتي في المقام الأوّل من المطلب الأوّل من الفصل الخامس ، قول النبي صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام : «إِنَّ اللَّهَ زَيَّنَّكَ بِزِينَةٍ لَمْ يُزَيِّنْ الْعِبَادَ بِزِينَةٍ أَحَبَّ إِلَيْهِ

(١) سورة التوبة ٩ : ١١٩ .

(٢) سورة الحديد ٥٧ : ١٩ .

(٣) سورة التحريم ٦٦ : ٤ .

(٤) الآية ٦١ من سورة آل عمران ، وهي قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ . . . ﴾ .

(٥) الآية ٣٣ من سورة الأحزاب ، وهي قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

(٦) كالأية ٨ من سورة الإنسان ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ .

منها» ، إلى قوله : «الزهد في الدنيا جعلك لا ترزأ^(١) من الدنيا شيئاً ، ولا ترزأ الدنيا منك شيئاً»^(٢) الخبر .

وروى الحافظ أبو نعيم في الحلية : أنّ رسول الله ﷺ قال : «أخصمك يا عليّ بالنبوة فلا نبوة بعدي ، وتخصم الناس بسبع لا يحاجك فيها أحد من قريش ، أنت أولهم إيماناً بالله ، وأوفاهم بعهد الله ، وأقومهم بأمر الله ، وأقسمهم بالسوية ، وأعد لهم في الرعية ، وأبصرهم بالقضية ، وأعظمهم عند الله مزية»^(٣) .

وفي رواية مجاهد عن ابن عباس ، قال : قال النبي ﷺ وسلم : «من آذى عليّاً عليه السلام فقد آذاني ، إنّ عليّاً عليه السلام أولكم إيماناً ، وأوفاكم بعهد الله»^(٤) الخبر . وقال في الاستيعاب : وكان عليّ عليه السلام لا يترك في بيت المال إلا ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك .

ويقول : «يا دنيا ، غُريّ غيري» ، ولم يكن يستأثر من الفيء بشيء ولا يخصّ به حميماً ولا قريباً ، ولا يخصّ بالولايات إلا أهل الديانات والأمانات ، فإذا بلغت عن أحدهم خيانة كتب إليه : قد جاءكم موعظة من ربكم ، فأوفوا الكيل والميزان ، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ، ولا تعثوا في الأرض مفسدين ، بقيّة الله خير لكم إن كنتم مؤمنين ، وما أنا عليكم

(١) الرزء : المصيبة ، . . . إذا أصبت منه خيراً ما كان .

انظر : الصحاح ١ : ٥٣ ، القاموس ١ : ١٨ ، أقرب الموارد ١ : ٤٠١ ، مادة . رزأ . .

(٢) الأمالي للطوسي : ١٨١ / ٣٠٣ ، شرح الأخبار للقاضي نعمان ١ : ١٥١ / ٨٧ ، حلية الأولياء ١ : ٧١ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٦٦ ، ذخائر العقبى : ١٧٩ .

(٣) حلية الأولياء ١ : ٦٥ .

(٤) نهج الإيمان : ٤٥١ ، الصراط المستقيم ٢ : ٤٩ ، كشف اليقين : ٢٩٥ ، المناقب لابن المغازلي : ٥٢ / ٧٦ .

بحفيظ ، إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى نبعث إليك من يتسلمه منك ، ثم يرفع طرفه إلى السماء فيقول : «اللهم^(١) إئتك تعلم أني لم آمرهم بظلم خلقك ، ولا بترك حقك» .

ومواعظه ووصاياه من هذا القبيل كثيرة مشهورة .

ثم قال : وقد ثبت عن الحسن عليه السلام أنه قال : «لم يترك أبي إلا ثمانمائة درهم أو سبعمائة فضلت من عطائه ، كان يعدها لخدام يشتريه لأهله» .
ثم قال : وأما في لباسه ومطعمه فأشهر من هذا كله .

ثم روى بإسناده عن عبدالله بن أبي الهذيل^(٢) قال : رأيت علياً عليه السلام خرج وعليه قميص غليظ دارس^(٤) ، إذا مدّك قميصه بلغ إلى الظفر ، وإذا أرسله صار إلى نصف الساعد .

وإسناده آخر عن جرموز قال : رأيت علياً عليه السلام يخرج من مسجد الكوفة وعليه قطريّتان^(٤) مئزرًا بالواحدة مرتدياً بالأخرى ، وإزاره إلى نصف الساق ، وهو يطوف في الأسواق ، ومعه درّة ، يأمرهم بتقوى الله وصدق الحديث ، وحسن البيع ، والوفاء بالكيل والميزان .

(١) في الأصل : «الله» والأرجح ما أثبتناه من المصدر .

(٢) هو عبدالله بن أبي الهذيل ، يكنى أبا المغيرة العنزي ، روى عن علي عليه السلام ، وعبدالله ابن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وغيرهم ، وروى عنه : واصل الأحمد ، وإسماعيل ابن رجاء ، وعطاء بن السائب ، وغيرهم .
انظر : الطبقات لابن سعد ٦ : ١١٥ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ١٧٠ / ٦١ ، تهذيب التهذيب ٦ : ٥٧ / ١٢٢ .

(٣) في الأصل : «رازي» ، وما أثبتناه من المصدر .

(٤) هو ضرب من البرود فيه حمرة ، ولها أعلام فيها بعض الخشونة ، وقيل : هي خلل جياذ تحمل من قبل البحرين .

انظر : النهاية لابن الأثير ٤ : ٨٠ ، مادة . قطر . .

ثم روى أيضاً عن الثوري ، عن أبي حيان^(١) ، عن أبيه قال : رأيت علياً عليه السلام على المنبر يقول : «من يشتري متي سيفي هذا ؟ فلو كان عندي ثمن إزار ما بعته» ، فقام إليه رجل فقال : أنا أسلفك ثمن إزار ، قال الثوري : هذا مع أنّ الدنيا كانت كلّها بيده إلا ما كان من الشام .

قال : وكان يقسم بيت المال ويكنسه ويصلي فيه ركعتين رجاء أن يشهد له يوم القيامة .

ثم ذكر : أنّ مالاً أتى به من اصفهان فقسمه ، فوجد فيه رغيفاً فقسمه .

ثم روى بأسانيد عن الثوري ، عن حذيفة قال : قال رسول الله ﷺ : «إن ولّوا علياً عليه السلام وجدوه هادياً مهدياً» .

ثم روى أنّ النبي ﷺ قال : «عليّ مُحَشَّوْشٌ في ذات الله» ، ثم قال : وفضائله لا يحيط بها كتاب^(٢) . انتهى .

وفي رواية جمع ، منهم : حكيم بن جبير ، قال : قيل لحبة العُريّ : ألا تصف لنا علياً عليه السلام وأخلاقه ؟ قال : نعم ، فذكر صفاتاً كثيرة في حديث طويل قد ذكرنا نبذاً منها في أوائل الفصل الأوّل^(٤) ، ومنها : أنّه قال : كان والله ، بُشره في وجهه ، وحزنه في قلبه ، أوسع شيء صدرًا ، وأذلّ شيء

(١) هو يحيى بن سعيد بن حيان ، يكتنّى أبا حيان التيمي الكوفي ، صاحب الشعبي ، روى عن : أبيه سعيد بن حيان ، وعامر الشعبي ، وعكرمة ، وغيرهم ، وروى عنه : إبراهيم بن عيينة ، وسليمان الأعمش ، وسفيان الثوري ، وغيرهم .

مات سنة ١٤٥ هـ .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٦ : ٣٥٣ ، الثقات لابن حبان ٧ : ٥٩٢ ، تهذيب الكمال ٣١ : ٣٢٣ / ٦٨٣٢ ، ميزان الاعتدال ٤ : ٣٨٠ / ٩٥٢١ ، تهذيب التهذيب ١١ : ١٨٨ / ٣٥٧ .

(٢) انظر : الاستيعاب ٣ : ١١١١ . ١١١٥ .

(٣) تقدّم في ص ١٦١ .

نفساً ، لا حقود ولا حسود ، ولا وثاب ولا سباب ، ولا عياب ولا مغتاب ، وقوراً ، ذكوراً ، صبوراً ، شكوراً ، كان ضحكته تبسماً ، واستفهامه تعلماً ، لا ييخل ، ولا يسخر ، وصولاً في غير عنفٍ ، بذولاً في غير سرف ، عدلاً إن غضب ، رفيقاً إن طُلب ، وثيق العهد ، وفي الوعد ، مخالفاً لهواه ، صدوق اللسان ، قليل الشرّ ، كثير الخير ، إن سُئل أعطى ، وإن ظُلم عفا ، وإن قُطع وصل ، أماراً بالحقّ ، لهجاً بالصدق ، مسارعاً في أمر الله ، ناصراً لله عزّ وجلّ ، محامياً عن المؤمنين ، كهفاً للمسلمين ، قوَّالاً ، عمّالاً ، لا يقتفي أثر شرار الناس ، رضىّاً تقيّاً ، نقيّاً ، يقبل المَعذرة ، ويغفر الزلّة ، متشاعلاً بالغمّ ، لا يفيق لغير ربّه ، فريداً وحيداً ، يحبّ الله ويجاهد في مرضاته ، ولا ينتقم لنفسه ، استشعر الخوف ، وغلبه الحزن ، وأضمر اليقين ، وتجنّب الشكّ والشبهات ، وخلع من قلبه سراويل الشهوات ، لم يجد إلى الخير مسلماً إلاّ سلكه ، والناس عن صراطهم ناكبون ، وفي حيرتهم يعمهون^(١) ، الخير .

وقال ابن حجر : قال معاوية لخالد بن معمر^(٢) : لم أحببت عليّاً عليه السلام ؟ قال : على ثلاث خصال : على حلمه إذا غضب ، وعلى صدقه إذا قال ، وعلى عدله إذا حكم^(٣) .
وروى جماعة ، منهم : ابن عبد البرّ ، وابن حجر كلّ بإسناد له : أنّ معاوية قال لضرار بن ضمرة : صف لي عليّاً عليه السلام ، قال : أعفني ، فقال : أقسمت عليك لتصفته ، قال : أما إذ لابدّ من وصفه ، كان والله بعيد المدى ،

(١) الدرّ النظيم : ٢٣٦ - ٢٣٧ ، بتقديم وتأخير ، ولم نعثر عليه في غيره .

(٢) هو خالد بن معمر الذهلي ، عدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام .

انظر : رجال الطوسي : ٦٣ / ٥٥٤ ، قاموس الرجال ٤ : ١٤٠ / ٢٥٨٥ .

(٣) الصواعق المحرقة : ٢٠٤ ، الفصول المهمة : ١٢٩ .

شديد القوى ، يقول فصلاً ، ويحكم عدلاً ، ينفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه . وفي رواية : وتنطق الحكمة من لسانه . يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل ووحشته ، وكان غزير العبرة ، . وفي رواية : غزير الدمعة . طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، كان فينا كأحدنا ، يجيبنا إذا سألناه ، ويُبئنا إذا استبأناه . وفي رواية : يجيبنا إذا سألناه ، ويأتينا إذا دعواناه . ونحن والله ، مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلّمه هيبةً له ، يعظّم أهل الدين ، ويقرّب المساكين ، لا يطمع القويّ في باطله ، ولا يئأس الضعيف من عدله ، وأشهد لقد رأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم ، ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : «يا دنیا ، يا دنیا ، غُرِّي غيري أبي تعرّضت أم إليّ تشوّقت ؟ هيهات هيهات ، قد باينتك ثلاثاً لا رجعة فيها» . وفي رواية : «طلّقتك ثلاثاً» . «فعمرك قصير ، وخطرك حقير ، آه من قلة الزاد وبُعد السفر ، ووحشة الطريق» ، فبكى معاوية وقال : رحم الله أبا الحسن ، كان والله كذلك ، ثم قال له : فكيف حزنك عليه يا ضرار ؟ فقال : حزن من ذُبح واحدها في حجرها^(١) .

وروى ابن أبي الحديد وغيره أنّ عليّاً عليه السلام قال : «والله ، ما قلعتُ بابَ خير ، ودكدكتُ حصن اليهود بقوة جسمانية بل بقوة إلهية»^(٢) .

(١) الاستيعاب ٣ : ١١٠٧-١١٠٨ ، الصواعق المحرقة : ٢٠٣ ، كنز الفوائد ٢ : ١٦٠-١٦١ ، الدرّ النظيم : ٢٣٧-٢٣٨ ، كشف اليقين : ١١٦ ، مناقب أهل البيت عليه السلام للشرواني : ٢٢١-٢٢٢ ، مروج الذهب ٢ : ٤٢١ ، الأمالي للقالبي ٢ : ١٤٧ ، الفصول المهمة : ١٢٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠ : ٣١٦ / ٦٢٦ ، مناقب أهل البيت عليه السلام للشرواني : ٢٢٢ .

وروى الخوارزمي في مناقبه : أنَّ المشركين كانوا إذا أبصروا عليّاً عليه السلام في الحرب عهد بعضهم إلى بعض ^(١) .

ولا كلام لأحدٍ في أشجعية عليّ عليه السلام ، غير أنَّ الله حيث أعمى بصيرة صاحب الصواعق بالكليّة لانهماكه في العصبيّة الجاهليّة ، تكلم بما يدلّ على أنّه زعم كون أبي بكر أشجع ^(٢) ، كما سيأتي في فصل خدمات عليّ عليه السلام عند ذكر حكاية بدر ، والحمد لله الذي فضحه ، وأبرز ما في قلبه بسبب ذكره ما ذكره ، كما سيظهر في محله ، فلا تغفل .

وروى الخوارزمي وابن أبي الحديد عن الشعبي قال : دخلت الرّحبة بالكوفة وأنا غلام في غلمان فإذا أنا بعليّ عليه السلام قائماً على صُبرتين من ذهب وفُصّة ومعه مخفقة ^(٣) وهو يطرد الناس بمخففته ، ثمّ يرجع إلى المال فيقسّمه بين الناس حتّى لم يبق منه شيء ، ثمّ انصرف ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً ^(٤) .

ثمّ روى ابن أبي الحديد عن عنبسة العابد ^(٥) ، عن عبدالله بن الحسن

(١) نقله عنه الحلّي في كشف اليقين : ٨٤ ، وأورده ابن المغازلي في المناقب : ٧٢ / ١٠٦ .

(٢) انظر : الصواعق المحرقة : ٤٧ .

(٣) المخفقة : الدرة التي يضرب بها . انظر : الصحاح ٤ : ١٤٦٩ ، مادة . خفق . .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ١٩٨ ، مناقب أهل البيت عليه السلام للشرواني : ٢٢٤ ، نقلاً عن ابن أبي الحديد ، وأورده إبراهيم بن محمّد في الغارات ١ : ٥٤ ، ولم نثر عليه في المناقب للخوارزمي .

(٥) هو عنبسة بن نجاد العابد ، من أهل الكوفة ، يروي عن جعفر بن محمّد ، وجابر الجعفي ، وعبدالله بن الحسن ، وروى عنه : زيد بن الحباب ، وغيره .

انظر : التاريخ الكبير للبخاري ٧ : ٣٩ / ١٧٠ ، الجرح والتعديل ٦ : ٤٠٣ / ٢٢٥٣ ، الثقات لابن

حبّان ٨ : ٥١٤ .

ابن الحسن ^(١) أنه قال : أعتق عليّ عليه السلام في حياة النبي صلى الله عليه وآله ألف مملوك مما مجلت يدها وعرق جبينه ^(٢) .

ثمّ قال : وقد اعترف معاوية عدوّه ومبغضه . الذي كان يجتهد في وِصْمه وعيبه . بكثير من فضائله ، حتّى أنّه لما قال له مجفن بن أبي مجفن ^(٣) الضبّي : جئتكَ من عند أبخل الناس . وأراد عليّاً عليه السلام . قال له معاوية : ويحك ، كيف يكون أبخل الناس ؟ ولو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تين لأنفذ تبره قبل تينه ^(٤) .

وقال الشعبي : ما قال عليّ عليه السلام لسائل قطّ : لا ^(٥) .

وفي المناقب : عن محمد بن إسحاق ، قال : لما قتل عليّ عليه السلام عمرو ابن عبد ودّ احتزّ رأسه ، وأتى به إلى النبي صلى الله عليه وآله ، فألقاه بين يديه ، فقال له عمر : هالاً سلبته يا عليّ درعه ، فإنّه ليس يكون درعاً مثلها ؟ فقال عليّ عليه السلام : «إني استحييتُ أن أكشف عن سواقِ ابن عمّي» ^(٦) .

(١) لعنه عبدالله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب ، يكتي أبا محمد ، تابعي من أهل المدينة ، كان ذا هبة ولسان وشرف ، وكانت له منزلة عند عمر بن عبد العزيز ، ولما ظهر العبّاسيّون قدم مع جماعة من الطالبين على السّقاح . وهو بالأنبار . وعاد إلى المدينة ، ثمّ حبسه المنصور فيها . مات سنة ١٤٥ هـ .

انظر : مقاتل الطالبين : ١٧٩ ، تاريخ بغداد ٩ : ٤٣١ / ٥٠٤٩ .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢ : ٢٠٢ .

(٣) في «ن» : «محفن بن أبي محفن» ، وكذا في تاريخ مدينة دمشق ٥٧ : ٩٨ / ٧٢٤٤ .

(٤) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٢ ، مناقب أهل البيت عليهم السلام للشرواني : ٢٢٥ ، نقلاً عن ابن أبي الحديد .

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١ : ٢٢ ، بحار الأنوار ٤١ : ١٤٤ .

(٦) انظر : المناقب لابن شهرآشوب ٢ : ١٣٥ ، كشف الغمّة ١ : ٢٠٥ ، بحار الأنوار ٢٠ : ٢٥٧ . ٢٥٨ .

أقول : حكاية سخاوته وشجاعته لا تحتاج إلى البيان ، على أنه سيأتي كثيراً في مواضعه .

وفي كتاب المناقب وغيره ، عن الزمخشريّ ، وغيره : أنه جاء رجلان إلى عمر فقالا : ما ترى في طلاق الأمة ؟ فقام إلى حلقة فيها رجل أصلع ، فقال : ما ترى في طلاق الأمة ؟ فقال بإصبعه : اثنان ، فالتفت عمر إليهما فقال : اثنان ، فقال له أحدهما : جئناك وأنت أمير المؤمنين فسألناك فجئت إلى رجل فسألته ، فوالله ما كلمك بلسانه ، فقال عمر : ويلك ، أتدري من هذا ؟ هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «لو أن السماوات والأرض وُضعت في كفةٍ ووُزن مع إيمان عليّ عليه السلام لرجح إيمان عليّ عليه السلام» ^(١) .

وسياقي في فصل خدمات عليّ عليه السلام في الإسلام عن ربيعة السعدي أنه قال : أتيت حذيفة بن اليمان : فقلت يا أبا عبدالله ، إنّا لتحدث عن عليّ عليه السلام ومناقبه ، فيقول أهل البصرة : إنكم لتفترطون في عليّ عليه السلام ، فهل تحدّثني بحديث ؟

فقال حذيفة : والذي نفسي بيده ، لو وُضعت جميع أعمال أصحاب محمد صلى الله عليه وآله في كفة الميزان منذ بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله إلى يوم القيامة ووُضع عمل عليّ عليه السلام في الكفة الأخرى لرجح عمل عليّ عليه السلام على جميع أعمالهم .

فقال ربيعة : هذا الذي لا يُقام له ولا يُقعد .

(١) الأمالي للطوسي : ٥٧٥ / ١١٨٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤١٢ ، العمدة : ٣٧٠ / ٧٢٨ ، كشف الغمّة ١ : ٢٨٨ ، كشف اليقين : ١٠٩ - ١١٠ ، حلية الأبرار ١ : ٢٥٠ - ٢٥١ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٢٤٨ - ٢٤٩ ، المناقب لابن المغازلي : ٢٨٩ / ٣٣٠ ، المناقب للخوارزمي : ١٣٠ / ١٤٥ ، بتفاوت يسير فيها .

فقال حذيفة : يا لُكَّع ، وكيف لا يُحْمَل ؟ وأين كان حذيفة وأصحاب محمد ﷺ جميعهم يوم عمرو بن عبد ودّ وقد دعا إلى المبارزة ؟! فأحجم الناس كلّهم عنه ما خلاه ، فإنّه نزل إليه فقتله ، والذي نفسي بيده لَعَمَلُهُ ذلك اليوم وحده أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد ﷺ إلى يوم القيامة^(١) .

وسياقي أيضاً قول النبي ﷺ ذلك اليوم لما خرج عليّ رضي الله عنه إلى عمرو : «قد برز الإيمان كلّهُ إلى الكفر كلّهُ»^(٢) ، ويأتي أيضاً قوله ﷺ : «ضربة عليّ يوم الخندق تعدل^(٣) عبادة الثقلين»^(٤) .

وقد مرّ في أوّل الفصل الأوّل قول عمر في عليّ رضي الله عنه : والله ، لولا سيفه لما قام عمود الإسلام^(٥) ، الخبر .

ولا يخفى أنّه المفسّر الموضّح لما ذكرناه عن النبي ﷺ أخيراً ، بل لما ذكره حذيفة أيضاً ، فافهم .

وروى الشيرازيّ وأبو صالح في تفسيريهما عن مقاتل ، عن الضحّاك ، عن ابن عبّاس ، أنّه قال في قوله تعالى : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ﴾ يعني : القرآن ، وهو الذي وعد الله موسى وعيسى أنّه ينزّله على محمد ﷺ في آخر الزمان هو هذا ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ أي : لا شكّ فيه أنّه من عند الله

(١) الإرشاد للمفيد ١ : ١٠٣ ، إعلام الوري ١ : ٣٧٩ . ٣٨٠ ، إرشاد القلوب : ٢٤٥ ، كشف الغمّة ١ : ٢٠٥ ، شرح الأخبار للقاضي نعمان ١ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ / ٢٨٢ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٩ : ٦٠ .

(٢) ورد هذا الحديث بألفاظ مختلفة ، انظر : كنز الفوائد ١ : ٢٩٧ ، الطرائف ١ : ٨٣ / ٥٧ ، كشف الغمّة ١ : ٢٠٥ ، كشف اليقين : ١٣٢ ، بحار الأنوار ٣٩ : ١ / ١ .

(٣) في «ن» : «أفضل من» بدل «تعدل» .

(٤) وردت هذه الرواية بألفاظ مختلفة ، انظر : كشف المراد : ٣٨٣ ، إحقاق الحقّ ٣ : ٢٢٨ ، بحار الأنوار ٣٩ : ٣٠١ ، شرح التجريد للقوشجيّ : ٣٧٦ .

(٥) تقدّم تخرجه في ١٥٤ ، الهامش (٤) .

﴿هُدًى﴾ يعني : تبياناً ونوراً ونذيراً ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾^(١) يعني : عليّ بن أبي طالب ، الذي لم يشرك بالله طرفة عين ، وأخلص لله العبادة ، يبعث إلى الجنة بغير حساب هو وشيعته^(٢) .

وفي تفسير القطّان بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُخَشِ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾^(٣) قال : نزلت في عليّ عليه السلام^(٤) .

وستأتي أخبار في آيات مناسبة لهذا المقام في الفصل التاسع ، منها : آية التطهير .
وفي رواية ابن حنبل مرفوعاً عن زاذان ، قال : رأيت عليّاً عليه السلام يمسك الشسوع بيده ثم يمرّ في الأسواق فيناول الرجل الشسوع ويرشد الضالّ ، ويعين الحمال على الحموله ، ويقرأ هذه الآيات : ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾^(٥) ، ثم يقول : هذه (الآية نزلت)^(٦) في الولاية وذوي القدرة من الناس^(٧) .
وروى الطبراني في كتابه الكبير : أنّ عليّاً عليه السلام أتى يوم البصرة بذهب

(١) سورة البقرة ٢ : ٢ .

(٢) نقله عنهما ابن شهر آشوب في المناقب ٣ : ١٠٠ ، وأورده الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٦٧ / ١٠٦ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٥٢ .

(٤) أورده إبراهيم الكوفي في تفسيره : ٢٨٧ / ٣٨٨ ، والحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل ١ : ٤١١ / ٥٦٩ ، ولم نعره عليه في تفسير القطّان .

(٥) سورة القصص ٢٨ : ٨٣ .

(٦) ما بين القوسين لم يرد في «س» .

(٧) فضائل أمير المؤمنين عليه السلام لابن حنبل : ١٢٥ / ١٨٦ ، فضائل الصحابة لابن حنبل : ٢ : ٦٢١ / ١٠٦٤ .

وفضة ، فقال : «أبيضني وأصفرني ، غري غيري ، غري أهل الشام غداً إذا ظهوروا عليك»^(١)
الخير .

وقد مرّ في القسم الخامس من المقام الأول في الفصل الأول عن ابن حنبل وغيره : أنّ
النبي ﷺ قال في حديث له : «من أراد أن ينظر إلى إبراهيم عليه السلام في حلمه ، وإلى عيسى
عليه السلام في زهده . وفي رواية : وإلى يحيى في زهده ، وفي أخرى : وإلى عيسى عليه السلام في عبادته .
فليُنظر إلى عليّ بن أبي طالب»^(٢) .

وفي الاستيعاب . كما مرّ آنفاً . وكتاب عبد الرزاق ، وغيرهما عن النبي ﷺ أنّه قال :
«عليّ مُحْشَوْشٌ في ذات الله»^(٣) .

وسياقي في فصل الآيات من كتاب حلية الحافظ أبي نعيم ، وغيره عن ابن عباس ،
وغيره قول النبي ﷺ وسلم : «ما أنزل الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إِلَّا وَعَلَيَّ رَأْسُهَا
وأمرها»^(٤) .

وروى جمع ، منهم : كمال الدين ابن طلحة في كتاب «مطالب السؤل» وكذا غيره
عن بعض أصحاب عليّ عليه السلام من ثقيف قال : ولآني

(١) المعجم الأوسط ٤ : ٣٦٤ / ٣٩٣٤ ، كنز العمال ١٣ : ١٥٦ / ٣٦٤٨٣ .

(٢) كشف اليقين : ٥٢ ، ٥٣ ، شواهد التنزيل ١ : ٨٠ / ١١٧ ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١ : ٤٤ ،
المناقب للخوارزمي : ٨٣ / ٧٠ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٢٨٨ ، ٣١٣ ، مطالب السؤل : ٩٧ ، شرح نهج
البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ١٦٨ ، فرائد السمطين ١ : ١٧٠ / ١٣١ .

(٣) الاستيعاب ٣ : ١١١٤ ، مناقب أهل البيت عليه السلام للشرواني : ٩٥ و ٢٢٠ ، ذخائر العقبى : ٩٩ ، لم نعثر
عليه في كتاب المصنف لعبد الرزاق .

(٤) حلية الأولياء ١ : ٦٤ ، المعجم الكبير ١١ : ٢٦٤ / ١١٦٨٧ ، شواهد التنزيل ١ : ٥٠ / ٧١ ، ٥٢ /
٧٨ ، المناقب للخوارزمي : ٢٦٧ / ٢٤٩ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٣٦٣ ، مطالب السؤل : ٩٧ ، ذخائر
العقبى : ٨٩ ، مجمع الزوائد ٩ : ١١٢ .

عليّ عليه السلام على عكبرا^(١)، فقال لي : «إذا صليت الظهر غداً فعد إليّ» ، قال : فلمّا صليت الظهر غداً غدوت إليه فلم أجد عنده حاجباً يجسني دونه ، فدخلت فوجدته جالساً وعنده قدح وكوز ماء ، فدعا بوعاء مشدود عليه ختم ، فقلت في نفسي : لقد آماني حتّى يُخرج إليّ جوهرًا ولا أدري ما فيه ، فلمّا كسر الختم وحلّه فإذا فيه سويق ، فأخرج منه قبضةً وصبّه في القدح وصبّ عليه ماءً وشرب وسقاني ، فلم أصبر فقلت : يا أمير المؤمنين ، أتصنع هذا بالعراق وطعام العراق كثير ؟ فقال : «والله ، ما أختم عليه بخلاً ولكنتي أبتاع قدر ما يكفيني ، فأخاف أن ينقص فيوضع فيه من غيره ، وأنا أكره أن أدخل بطني إلّا طيباً ؛ فلذلك أحترز بما ترى ، فيأياك أن تنال^(٢) ما لا تعلم حلّه»^(٣) .

وقد روى حكاية الختم على جريشه من الشعر غير هذا أيضاً ، وفيه : أنّه عليه السلام قال : «وإنّما أختم عليه لئلاّ يؤدّمه الحسنان بزيتٍ أو غيره ؛ لما فيه من الخشونة ، شفقةً عليّ»^(٤) .

والظاهر أنّ كليهما كان السبب ، وإنّما ذكر عليه السلام لهذا الرجل الثقيّ الأوّل ليعظه بذلك ، حيث جعل له بعض الولاية ، فافهم .

وكذلك روى القوم ، ومنهم : كمال الدين ، عن عمرو بن يحيى ، عن

(١) عكبرا : . بضمّ أوّله ، وسكون ثانيه ، وفتح الباء الموحدة ، وقد يمدّ ويقصر . اسم بليدة من نواحي دُجيل قرب صريّفين وأوانا ، وبينها وبين بغداد عشرة فراسخ .

انظر : معجم البلدان ٤ : ١٤٢ .

(٢) في المصدر : «تناول» بدل «تنال» .

(٣) حلية الأولياء ١ : ٨٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٨٧ . ٤٨٨ ، صفة الصفوة ١ : ٣١٩ ، مطالب السؤول : ١٣٤ ، ذخائر العقبى : ١٨٩ .

(٤) انظر : إرشاد القلوب : ٢١٥ ، بحار الأنوار ٦٦ : ٣٢٢ / ١ ، نقلاً عن إرشاد القلوب .

أبيه قال : أهدي لعليّ عليه السلام زَقَان^(١) من عسل وسمن فتركهما ليرجع صاحبهما فيردّهما إليه ، فلمّا عاد من الصلاة وجدتهما قد نقصا فسأل عن ذلك ، فقيل له : بعثت أمّ كلثوم فأخذت منه ، فبعثت إلى المقومين فقوموا ما نقص بخمسة دراهم ، فبعثت إلى أمّ كلثوم ابعتني لي بخمسة دراهم ، فأضافها إليهما وأعادهما^(٢) .

وفي كتاب «العمدة» وغيره عن قبيصة بن جابر^(٣) ، قال : ما رأيت في الدنيا أزهد من عليّ بن أبي طالب ، كان قوته الشعر غير المأدوم ولم يشبع من البرّ ثلاثة أيّام^(٤) .
وعن عمر بن عبد العزيز ، قال : ما علمنا أنّ أحداً كان في هذه الأمة بعد النبيّ صلّى الله عليه وآله أزهد من عليّ عليه السلام^(٥) .

وفي مناقب الخوارزميّ ، وغيره عن عمّار قال : سمعت النبيّ صلّى الله عليه وآله

(١) في النسخ : «زقاقان» ، وما أثبتناه من المصدر .

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢ : ٤٧٩ ، صفة الصفوة ١ : ٣٢٠ ، مطالب السؤل : ١٣٥ ، تذكرة الخواصّ : ١٠٩ ، ذخائر العقبى : ١٩١ .

(٣) هو قبيصة بن جابر بن وهب بن مالك الأسديّ الكوفيّ ، يُعدّ في الطبقة الأولى من فقهاء أهل الكوفة بعد الصحابة ، وهو أخو معاوية من الرضاعة ، روى عن عمر ، وابن مسعود ، وطلحة ، وغيرهم ، وروى عنه الشعبي ، وعبد الملك بن عمير ، والعريان بن الهيثم .
مات سنة ٦٦ هـ .

انظر : الجرح والتعديل ٧ : ١٢٥ / ٧١٢ ، تهذيب التهذيب ٨ : ٣١٠ / ٦٢٨ ، الأعلام للزركليّ ٥ :

١٨٨ .

(٤) مقتل أمير المؤمنين عليه السلام لابن أبي الدنيا : ١٠٨ / ٩٨ ، المناقب للخوارزمي : ١٢٢ / ١٣٧ ، ولم نعر عليه في العمدة .

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ١٠٨-١٠٩ ، بحار الأنوار ٤٠ : ٣٣٠ / ١٣ ، المناقب للخوارزميّ : ١١٧ / ١٢٨ ، تذكرة الخواصّ : ١٠٥ .

يقول لعليّ : «يا عليّ ، إنّ الله تعالى زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بزينة هي أحبّ إليه منها ، زهدك في الدنيا ، وبغضها إليك ، وحبّ إليك الفقراء ، فرضيت بهم أتباعاً ، ورضوا بك إماماً ، طوبى لمن أحبّك وصدّق عليك»^(١) الخبر ، وقد مرّ^(٢) ويأتي غير مرّة من كتاب الخوارزمي ، وغيره .

وفي كتاب الخوارزمي ، بل غيره أيضاً أنّه بلغ عمر بن عبدالعزيز : أنّ قوماً تنقّصوا عليّ بن أبي طالب ، فصعد المنبر فحمد الله وصلى على النبي ﷺ وذكر عليّاً عليّاً وفضله وسابقته ، ثمّ قال : حدّثني عراك بن مالك الغفاريّ^(٣) عن أمّ سلمة ، قالت : بينا رسول الله ﷺ عندي إذ أتاه جبرائيل فناجاه ، فتبسّم رسول الله ﷺ ضاحكاً ، فلمّا سرى عنه ، قلت : بأبي أنت وأميّ ، ما أضحكك ؟ فقال : «أخبرني جبرائيل أنّه مرّ بعليّ عليّاً وهو يرمي ذوداً^(٤) له ، وهو نائم قد أبدى بعض جسده ، قال : فرددته عليه ثوبه فوجدت برد إيمانه قد وصل إلى قلبي»^(٥) .

(١) المناقب للخوارزمي : ١١٦ / ١٢٦ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ١٠٨ .

(٢) في ص : ٣٥٠ .

(٣) هو عراك بن مالك الغفاريّ المدنيّ ، أحد العلماء العاملين ، كان يحرّض عمر بن عبد العزيز على انتزاع ما بأيدي بني أميّة من الأموال والفيء وردّها ، فلمّا استخلف يزيد ابن عبد الملك نفاه إلى جزيرة دهلّك غرب اليمن . مات سنة ١٠٤ هـ ، أو قبلها .

انظر : الجرح والتعديل ٧ : ٣٨ / ٢٠٤ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٦٣ / ٢١ ، تهذيب التهذيب ٧ : ١٥٦ / ٣٤٠ .

(٤) الذود من الإبل : ما بين الثلاث إلى العشر ، وهي مؤنثة لا واحد لها من لفظها ، وجمعه أذواد .

انظر : مجمع البحرين ٣ : ٤٦ ، الصحاح ٢ : ٤٧١ . مادة ذود . .

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٢٦٩ ، كشف اليقين : ١١٠ ، المناقب للخوارزمي : ١٣٠ / ١٤٤ .

وروى الحاكم في مستدركه وصححه ، وكذا روى غيره أيضاً عن الخدرى ، قال :
اشتكى الناس علياً عليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله (١) .

وفي رواية : أنّ الجيش الذين أتوا معه من اليمن لما قربوا من مكة ، وسمعوا مجيء النبي صلى الله عليه وآله إليها للحج أخذوا من حلل (٢) بعض الغنائم التي كانت معهم ، ولبسوها ليدخلوا مكة بالزينة ، فلما رأى ذلك علي عليه السلام تكلم عليهم وعلى الذي كانت عنده وقال له : «لم تصرف فيها قبل وصولها إلى حضرة النبي صلى الله عليه وآله وبغير إذني؟» ، فقال : أخذوها عارية ليتزينوا بها في دخول مكة ، فأمرهم بنزعها وضبطها في العدول ، فلأجل هذا وجدوا على علي عليه السلام ، فلما دخلوا مكة كثرت شكايتهم منه عليه السلام ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله مناديه فنادى في الناس : «إرفعوا ألسنتكم عن علي بن أبي طالب عليه السلام ، فإنه خشن في ذات الله ، غير مدهن في دينه» . وفي رواية : في سبيل الله (٣) . فكف القوم عن ذكره ، وعلموا مكانه من الله ورسوله (٤) ، الخبر .

وقد نقل الفريقان ، واشتهر وشاع وذاع عن علي عليه السلام ، أنه كان يقول : «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً» (٥) .

وفي رواية الضحاك بن مزاحم ، قال : ذكر علي عليه السلام عند ابن عباس

(١) المستدرک للحاکم ٣ : ١٣٤ ، مسند أحمد ٣ : ٥٠٨ / ١١٤٠٨ ، ذخائر العقبى : ١٧٧ ، تهذيب الكمال ٣٥ : ١٨٧ / ٧٨٤٨ ، السيرة النبوية لابن كثير ٤ : ٤١٥ .

(٢) كلمة : «حلل» لم ترد في «ن» .

(٣) المستدرک للحاکم ٣ : ١٣٤ .

(٤) الإرشاد للمفيد ١ : ١٧٢ . ١٧٣ ، كشف الغمّة ١ : ٢٣٦ .

(٥) غرر الحكم ٢ : ١٤٢ / ١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٤٧ ، شرح المائة كلمة لابن ميثم : ٥٢ ، المناقب للخوارزمي : ٣٧٥ / ٣٩٥ ، مطلوب كل طالب : ٣ ، شرح المائة كلمة لعبد الوهاب : ٣ .

بعد وفاته ، فقال : وا أسفاه على أبي الحسن ، مضى والله ، ما غير وما بدّل ولا قصّر ولا جمع ولا ضيّع ولا أثر إلّا الله ، والله ، لقد كانت الدنيا أهون عليه من شسع نعله ، ليث في الوغى ، بحرّ في المجالس ، حكيم في الحكماء ، زاهد في الدنيا ، هيهات ، قد مضى إلى الدرجات العلى^(١) .

وفي رواية محمد بن جرير الطبري بإسناده عن الحسن البصري : أنّه بلغه أنّ زاعماً يزعم أنّه ينتقص عليّاً عليه السلام ، فقال في مجمع من الناس : أتزعمون أنّي أنتقص خير الناس بعد نبينا صلى الله عليه وآله ؟ ، ثم ذكر مناقب عليّ عليه السلام ، إلى أن قال : وطلق نفسه عن الشهوات ، وعمل لله في الخلوات والغفلات ، وأسبغ الطهور في السبرات ، وخشع لله في الصلوات ، وقطع نفسه عن اللذات ، مشمراً عن ساق ، طيب الأخلاق ، كريم الأعراق ، جاهد عن الله ورسوله صغيراً ، وقاتل مع نبي الله كبيراً ، يقتل الأقران ، وينازل الفرسان دون دين الله ، حتى مضى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنه راضٍ ، فاتّبع سنن نبيه واقتفى أثر وليّه ، فكيف أقول فيه ما يوبقني ؟ ! وما أحد أعلمه يجد فيه مقالاً ، فكفّوا عنا الأذى ، وتجنّبوا طريق الردى^(٢) . وسياقي هذا الخبر بتمامه في الفصل الخامس .

وفي رواية جمع ، منهم : سفيان عن هشام بن عروة^(٣) ، عن أبيه عروة بن الزبير ، قال : كنّا جلوساً في مسجد النبي صلى الله عليه وآله فتذاكرنا أعمال أهل

(١) الأمالي للصدوق : ٤٩٢ / ٦٧٠ ، الدرّ النظيم : ٢٤٠ ، بحار الأنوار ٤١ : ١٠٣ / ٣ .

(٢) نقله عنه يوسف بن حاتم الشامي في الدرّ النظيم : ١٤١ ، وأورده الصدوق في الأمالي : ٥١٩ / ٧٠٨ ، بتفاوت وتقديم وتأخير .

(٣) هو هشام بن عروة بن الزبير بن العوام القرشي المدني ، عدّه الشيخ رحمته الله في رجاله من أصحاب الصادق عليه السلام .

انظر : رجال الطوسي : ٣١٨ / ٤٧٤٧ ، تنقيح المقال ٣ : ٣٠٣ / ١٢٨٦٨ .

بدر وبيعة الرضوان ، فقال أبو الدرداء : يا قوم ، ألا أخبركم بأقلّ القوم مالاً ، وأكثرهم ورعاً ، وأشدّهم اجتهاداً في العبادة ؟ قالوا : من هو ؟ قال : عليّ بن أبي طالب ، قال عروة : فوالله ، إن كان في جماعة أهل المسجد إلّا مُعرِض عنه بوجهه ! ثمّ انتدب له رجل من الأنصار ، فقال له : يا عُومِر ، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد مذ أتيت بها .

فقال أبو الدرداء : يا قوم ، إنّي قائل ما رأيت ، وليقل كل قوم منكم ما (رأوا) ، شهدتُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام بشويحات^(١) بني النجّار ، وقد اعتزل عن مواليه واختفى ممّن يليه ، فافتقدته وقربت منه ، فإذا أنا بصوت حزين ونغمة شجيّ وهو يقول ، ثمّ نقل بعض كلماته في المناجاة ، إلى أن قال : فاستترت له ، وأخملت الحركة ، فركع ركعات في جوف الليل ، ثمّ شرع في الدعاء والبكاء والمناجاة ، وذكر بعض كلماته ، إلى أن قال : ثمّ إنّه قال : «آه من نارٍ تُنضج الأكباد والكلى ، آه من نارٍ نزاعةٍ للشوى ، آه من غمرةٍ من لهبات لظى» .

قال : ثمّ أنعم في البكاء ، فلم أسمع له حسّاً ولا حركةً ، فقلت : غلب عليه النوم لطول السهر ، فأتيته لأوقظه لصلاة الفجر ، فإذا هو كالحشبة الملقاة فحرّكته فلم يتحرّك وزوّيته فلم ينزو ، فقلت : إنّ الله وإنّا إليه راجعون ، مات والله ، عليّ بن أبي طالب ، قال : فأتيته منزله مبادراً أنعاه إليهم ، فقالت فاطمة : « . . . هي والله ، العشيّة التي تأخذه من خشية الله » ، ثمّ أتوه بماء فنضحوه على وجهه فأفاق ونظر إليّ وأنا أبكي ، فقال لي : «وممّ بكأوك ؟» فقلت : ممّا أراه تُنزله بنفسك ، فقال : «فكيف ؟ ولو رأيته وقد

(١) كذا في النسخ ، والصحيح : «بشويحات» ، كما في المصدر ، وهو شجر يتخذ منه القسي . انظر : بحار الأنوار ٤١ : ١٢ .

دُعي بي إلى الحساب ، وأيقن أهل الجرائم بالعذاب» ، الخبر ، إلى أن قال لهم أبو الدرداء : فوالله ، ما رأيت ذلك لأحد من أصحاب رسول الله سواه ، فسكت القوم ^(١) .

أقول : ومن العجائب أن عروة بن الزبير من المنحرفين عن عليّ عليه السلام جداً ومع هذا أجرى الله هذا الاعتراف على لسانه ليكون حجةً عليه وعلى أمثاله .

وفي رواية جماعة من الإمامية ، وغيرهم عن الباقر عليه السلام أنه قال : «والله ، إن كان عليّ بن أبي طالب ليأكل أكل العبد ، ويجلس جلسة العبد ، وإن كان ليشتري القميصين السنبلايين فيعطي غلامه خيرهما ، ثم يلبس الآخر ، فإذا جاز أصابعه قطعه ، وإذا جاز كعبه خذفه ، ولقد ولي خمس سنين ما وضع آجرةً على آجرة ، ولا لبنَةً على لبنَةٍ ، ولا قطع قطيعاً ، ولا أورث بيضاء ولا حمراء ، وإن كان ليُطعم الناس خبز البر واللحم ، وينصرف إلى منزله فيأكل خبز الشعير والزيت والحلّ ، وما ورد عليه أمران كلاهما لله رضا إلا أخذ بأشدهما على بدنه ، ولقد أعتق ألف مملوك من كدّ يديه ، تربت منه يداه ، وعرق فيه جبينه ووجهه ، وما أطاق عمله أحد من الناس ، وإن كان ليُصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة ، وإن كان أقرب الناس شبهاً به عليّ بن الحسين ما أطاق عمله أحد من الناس بعده» ^(٢) .

وفي رواية بعض التابعين أنه قال : سمعت أنس بن مالك يقول :

(١) الأمالي للصدوق : ١٣٧ / ١٣٦ ، روضة الواعظين ١ : ١١١ ، تنبيه الخواطر ٢ : ١٥٦ - ١٥٧ ، الدرّ النظيم : ٢٤١ - ٢٤٣ ، بحار الأنوار ٤١ : ١١ / ١ ، نقلاً عن أمالي الصدوق ، بتفاوت يسير فيها .

(٢) الأمالي للصدوق : ٣٥٦ / ٤٣٧ ، روضة الواعظين ١ : ١١٦ - ١١٧ ، الدرّ النظيم : ٢٤٤ ، بحار الأنوار ٤١ : ١٠٢ / ١ .

أنزلت هذه الآية في عليّ بن أبي طالب : ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ
الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ ^(١) ^(٢) ، الآية .

وروى ابن حجر وابن عساكر في كتابيهما ، وكذا غيرهما : أنَّ عقيلاً سأل عليّاً عليه السلام ، فقال : إني محتاج وإني فقير فأعطني ، فقال : «اصبر حتى يخرج عطاؤك مع المسلمين ، فأعطيك معهم» ، فألح عليه ، فقال لرجل : «خذ بيده فانطلق به إلى حوانيت أهل السوق» ، وقال لعقيل : «دقّ أقفال تلك الحوانيت وخذ ما فيها» ، فقال عقيل : تريد أن تتخذني سارقاً ؟ قال : «وأنت تريد أن تتخذني سارقاً ؟ آخذ أموال المسلمين فأعطيكها دونهم» ، فقال : لآتين معاوية ، قال : «أنت وذاك» ^(٣) .

وفي بعض الروايات: أنَّ عقيلاً لم يكن يقنع بعطائه ، ولذا كان يلحّ على عليّ عليه السلام بالتوسعة ، فأحى عليّ عليه السلام ذات يوم حديدةً وقربها من خدّ عقيل وهو غافل ، فتأوّه ، فقال عليّ عليه السلام : «تجزع من هذه وتعرضني لنار جهنّم» ، فقال له بعد أيام: أن لا صبر لي على الضيق فلو أتيت معاوية ، فقال : «أنت وذاك» ^(٤) .

ثمّ في جميع الأخبار : أنّه ذهب إلى معاوية فأعطاه مائة ألف ، ثمّ قال له : اصعد المنبر واذكر ما أولاك عليّ وما أوليتك ، فصعد وحمد الله ، ثمّ قال : أيّها الناس ، إني أخبركم أنّي أردت عليّاً على دينه فاختر دينه ،

(١) سورة الزمر ٣٩ : ٩ .

(٢) الأمالي للصدوق : ٣٥٦ / ٤٣٨ ، روضة الواعظين ١ : ١١٧ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ١٤٢ ، الدرّ النظيم : ٢٤٤ .

(٣) الصواعق المحرقة : ٢٠٣ . ٢٠٤ ، تاريخ مدينة دمشق ٤١ : ٢١ . ٢٢ ، تاريخ الإسلام (حوادث ٤١ . ٦٠) : ٨٥ .

(٤) الدرجات الرفيعة : ١٥٨ ، الصواعق المحرقة : ٢٠٣ .

وأردت معاوية على دينه فاختراني على دينه^(١).

وفي رواية: أنّ معاوية قال يوماً في مجلسه بمحضر عقيل : لولا علم عقيل بأني خير له من أخيه ما أقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : أخي خير لي في ديني وأنت خير لي في دنياي ، وقد آثرت دنياي على آخري وأسأل الله خاتمة خير^(٢) ، الخير .

وفي نهج البلاغة من أقوال أمير المؤمنين عليه السلام ، أنّه قال : «والله ، لأن أبيت على حسك السعدان مُسَهِّداً ، وأجّر في الأغلال مصقّداً أحبُّ إليّ من أن ألقى الله ورسوله صلى الله عليه وآله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد ، أو غاصباً لشيء من الخُطام» ، إلى آخر كلامه . وقال أيضاً : «لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في غلة أسلبها جُلب شعيرة ما فعلت ، وإنّ دنياكم عندي أهون من ورقة في فم جرادة تَقْضُمُها ، ما لعلني ونعيم يفنى ، ولذة لا تبقى»^(٣).

وقال أيضاً : «والله ، إنّ لدنياكم في عيني أهون من عراق خنزير في يد مجذوم»^(٤).

وقال أيضاً : «دنياكم عندي لأهون من عَفْطَة عنز»^(٥).

وقد نُقل من بعض أشعاره أنّه قال :

دُنْيَا تُحَادِثُنِي كَأَنِّي لَسْتُ أَعْرِفُ حَالَهَا
مَدَّتْ إِلَيَّ يَمِينَهَا فَرَدَدْتُهَا وَشِمَاهَا

(١) انظر : الهامش السابق .

(٢) الاستيعاب ٣ : ١٠٧٩ ، الصواعق المحرقة : ٢٠٣ .

(٣) نهج البلاغة : ٣٤٦-٣٤٧ ، الخطبة ٢٢٤ .

(٤) نهج البلاغة : ٥١٠ ، الحكمة ٢٣٦ .

(٥) نهج البلاغة : ٥٠ ، ضمن الخطبة ٣ .

وَرَأَيْتُهُ _____ مُتَحَاجِجَةً _____ فَوَهَّبْتُ جُمْلَتَهَا هَـ (١)

وقد روي : أنَّ رجلاً جاء إليه عليه السلام فقال له : أبشر يا أمير المؤمنين ،
فقد ظهرت عين ماء غزير في أرض لك ، فقال : «بشّر الوارث» ، ثم قال :
«اشهدوا أنني وقفتها والأرض في سبيل الله» (٢) .

أقول : إن أردنا أن نذكر عشرًا من أعشار ما نُقل فيه من أمثال هذه الصفات لخرجنا
عن بيان المقصود من هذا الكتاب ، مع أنه يكفي ما ذكرناه هاهنا وفيما مرّ ويأتي قريباً لمن
أراد تبيان الحق من أولي الأبواب ، فلنذكر فيما بعد نبذاً مما نُقل من هذه الصفات في بقيّة
الأئمة الاثني عشر صلوات الله عليهم ، سوى ما مرّ ويأتي ، سيّما في فصل ذكر أحوالهم .

روى صاحب المناقب، وغيره عن الصادق عليه السلام قال : «حدّثني أبي عن أبيه عليه السلام
: أنَّ الحسن عليه السلام كان أعبدَ الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم ، فكان إذا حجّ حجّ ماشياً
، ورَبَّما مشى حافياً ، وكان إذا ذكر الموت بكى ، وإذا ذكر القبر بكى ، وإذا ذكر البعث
والنشور بكى ، وإذا ذكر الممرّ على الصراط بكى ، وإذا ذكر العرض على الله بكى ، وشهق
شهقةً يغشى عليه منها ، وكان إذا قام إلى الصلاة ترتعد فرائضه بين يدي ربّه عزّ وجلّ ، وكان
إذا ذكر الجنّة والنار اضطرب اضطراب السليم ، وسأل الله الجنّة وتعوّذ به من النار ، وكان لا
يقرأ من كتاب الله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلّا قال : لبيك اللهم لبيك ، ولم ير في شيء
من أحواله إلّا ذاكراً لله سبحانه ، وكان أصدق

(١) لم نعره عليه في ديوانه عليه السلام ، وانظر : أنوار العقول للكيدريّ : ٣٢٦-٣٢٧ ، الصراط المستقيم ١ : ١٦٣ .

(٢) انظر : الكافي ٧ : ٥٤ / ٩ (كتاب الوصايا) ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤ : ١١٠ .

الناس لهجةً وأفصحهم منطقاً»^(١).

وفي روضة الواعظين : أنّ الحسن بن عليّ عليه السلام كان إذا توضّأ ارتعدت مفاصله واصفرّ لونه ، ف قيل له في ذلك ، فقال : «حقّ على كلّ من وقف بين يدي ربّ العرش أن يصفرّ لونه وترتعد مفاصله» ، وكان يخرج كلّ ليلةٍ إذا انتصف الليل حتى يأتي المسجد فيصلّي ويدعو ويتضرّع إلى الله تعالى ، فلحقه بعض مواليه ليلة ، قال : فلمّا بلغ الحسن باب المسجد رمى بطرفه نحو السماء ثمّ قال : «اللّهمّ ، غلّقت الملوك أبوابها وقام عليها حرّاسها ، وبابك مفتوح لمن دعاك» ، ثمّ دخل المسجد^(٢) ، الخبر .

وفي كتاب المناقب ، وكتاب نزهة الأبصار ، عن ابن مهديّ^(٣) ، وكتاب الفنون ، عن أحمد المؤيد^(٤) : أنّ الحسن عليه السلام مرّ على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها ، فقالوا له : هلّمّ يا بن رسول الله إلى الغداء ، فنزل وقال : «إنّ الله لا يحبّ المستكبرين» ، وجعل يأكل معهم حتّى اكتفوا والزاد على حاله ببركته عليه السلام ، ثمّ دعاهم إلى ضيافته فأطعمهم وكساهم^(٥).

(١) الأمالي للصدوق : ٢٤٤ / ٢٦٢ ، فلاح السائل : ٤٦٩ / ٣١٨ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٣١ / ١ .

(٢) انظر : المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ١٧ ، نقلاً عن روضة الواعظين ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٣٩ / ١٣ .

(٣) هو عليّ بن مهديّ الحسنيّ المامطيريّ ، فقيه ، وجه ، لم يُذكر له ترجمة أكثر من هذا .

انظر : الفهرست للشيخ منتجب الدين الرازيّ : ١٢٥ / ٢٧١ .

(٤) في «ل» نسخة بدل : «المؤيد» بدل «المؤيد» .

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٢٧ ، نقلاً عن نزهة الأبصار ، وكتاب الفنون ، وفيه : عن أحمد بن المؤدّب .

وفي بعض كتب المناقب المعتبرة بإسناده عن نجيح قال : رأيت الحسن بن عليّ . وفي رواية الحسين عليه السلام . يأكل وبين يديه كلب ، كلّما أكل لقمة طرح للكلب مثلها ، فقلت له : يا بن رسول الله ، ألا أرجم هذا الكلب عن طعامك ؟ قال : «دعه فيائي لأستحيي من الله عزّ وجلّ أن يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا آكل ثمّ لا أطعمه»^(١) .

وشتمه مروان بن الحكم يوماً ، فقال له لما فرغ من شتمه : «إني والله ، لا أحو عنك شيئاً ولكن تركتك إلى الله تعالى فلئن كنت صادقاً فجزاك الله بصدقك ، ولئن كنت كاذباً فجزاك الله بكذبك ، والله أشدّ نقمةً مني»^(٢) .

وروى ابن عون^(٣) عن عُمير بن إسحاق^(٤) ، قال : ما سمعت من الحسن بن عليّ عليه السلام كلمة فحش قطّ^(٥) .

(١) بحار الأنوار ٤٣ : ٣٥٢ / ٢٩ ، المقتل للخوارزمي ١ : ١٠٢ .

(٢) بحار الأنوار ٤٣ : ٣٥٢ / ٢٩ ، المقتل للخوارزمي ١ : ١٣١ .

(٣) هو عبدالله بن عون بن أرتبان المزنيّ ، من علماء العاقّة ، حدّث عن الشعبي ، والحسن ، وعُمير بن إسحاق ، وغيرهم ، وروى عنه : سفيان ، وشعبة ، وابن المبارك ، وغيرهم .

مات سنة ١٥١ هـ ، وقيل : سنة ١٥٢ هـ .

انظر : تهذيب الكمال ١٥ : ٣٩٤ / ٣٤٦٩ ، سير أعلام النبلاء ٦ : ٣٦٤ / ١٥٦ ، تاريخ الإسلام

(حوادث ١٤١ . ١٦٠) : ٤٦٠ ، تهذيب التهذيب ٥ : ٣٠٣ / ٦٠٠ .

(٤) هو عُمير بن إسحاق القرشي ، يكنى أبا محمّد ، كان من أهل المدينة فتحول إلى البصرة .

روى عن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، وسعيد بن العاص الأمويّ ، والمقداد بن الأسود ، وغيرهم ، وروى عنه : عبدالله بن عون ، وغيره .

انظر : الطبقات الكبرى لابن سعد ٧ : ٢٢٠ ، الثقات لابن حبان ٥ : ٢٥٤ ، تهذيب الكمال ٢٢ :

٣٦٩ / ٤٥١٢ ، تهذيب التهذيب ٨ : ١٢٧ / ٢٥٦ .

(٥) الدرّ النظيم : ٤٩١ ، العدد القويّة : ٢٩ / ١٧ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٣٥٨ / ٣٦ ، تاريخ

وسياتي ذكر نُبذ من سائر صفاته الكريمة من الزهد ، والكرم ، والصدق ، والحلم ،
وسائر لوازم العصمة في ذكر أحواله ومعجزاته ، وتشابحه مع الأنبياء ، وغير ذلك ممّا مرّ
ويأتي في سائر الفصول وغيرها ، فلا حاجة إلى تكرار الذكر هاهنا ، وهكذا نفعل بالنسبة
إلى سائر الأئمة عليهم السلام أيضاً فلا تغفل .

وروى جماعة من الفريقين : أنّ مروان بن الحكم كان والياً بالمدينة في زمان الحسين
عليه السلام فوشى به إلى معاوية وكتب إليه أنّه يريد الخروج عليك ، فكتب معاوية الحسين عليه السلام
بعض الكلام في ذلك ، فكتب الحسين عليه السلام في جوابه بأشياء وبّخه بها وعاب بها عليه ،
وعتقه على ذلك ، فأشار يزيد وعمرو بن العاص وغيرهما عليه ، وقالوا له : ما يمنعك أن
تجيبه بما يصغر إليه نفسه ؟ فقال معاوية : وما عسيت أن أعيب حسيناً ، ووالله ، ما أرى
للعب فيه موضعاً^(١) ، الخبر .

وروى ابن عبد ربّه^(٢) في كتاب العقد الفريد : أنّه قيل لعليّ بن الحسين عليهما السلام : ما
أقلّ ولد أبيك ؟ فقال : «العجب كيف ولدت ؟ وكان

مدينة دمشق ٣ : ٢٥٢ ، تهذيب الكمال ٦ : ٢٣٥ ، البداية والنهاية ٨ : ٣٩ ، تاريخ الخلفاء للسيوطي :
١٥٠ .

(١) انظر : رجال الكشي : ١٢٠ / ٩٧-٩٩ ، الاحتجاج ٢ : ٨٩-٩٣ ، بحار الأنوار ٤٤ : ٢١٢-٢١٤ ،
ولم نثر عليه في كتب العامة .

(٢) هو أحمد بن محمد بن عبد ربّه ، يكتب أبا عُمر ، كان من أهل الأدب والشعر ، ومن العلماء الكثيرين من
المحفوظات ، والاطّلاع على أخبار الناس ، له كتب منها : العقد الفريد ، مقسّم على عدّة فنون .
مات سنة ٣٢٨ هـ .

انظر : معجم الأدباء ٤ : ٢١١ / ٤٢ ، وفيات الأعيان ١ : ١١٠ / ٤٦ ، سير أعلام النبلاء ١٥ :
٢٨٣ / ١٢٦ ، بغية الوعاة ١ : ٣٧١ / ٧٢٧ .

يُصَلِّي أَبِي فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَلْفَ رَكْعَةٍ»^(١) .

وروى جماعة ، منهم : الطبري عن طاووس اليماني : أَنَّ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا قَعَدَ فِي الْمَكَانِ الْمَظْلَمِ يُهْتَدَى إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَبَيَاضِ جَبِينِهِ وَنَحْرِهِ ، وَكَثِيرًا كَانَ تَقْبِيلُ النَّبِيِّ ﷺ إِيَّاهَا^(٢) .
وروي : أَنَّهُ قِيلَ لَهُ : مَا أَعْظَمَ خَوْفَكَ مِنْ رَبِّكَ ؟ فَقَالَ : «لَا يُؤْمِنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ خَافَ اللَّهَ فِي الدُّنْيَا»^(٣) .

وفي كتاب عيون المجالس^(٤) عن أنس قال : سَأَلْتُ الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَكَّةَ فَأَتَى قَبْرَ خَدِيجَةَ فَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : «أَذْهَبْ عَنِّي» ، قَالَ أَنَسُ : فَاسْتَخْفَيْتَ عَنْهُ ، فَلَمَّا طَالَ وَقُوفُهُ فِي الصَّلَاةِ سَمِعْتَهُ قَائِلًا :

يَا ذَا الْمَعَالِي عَلَيكَ مُعْتَمِدِي	طَوْبِي لِمَنْ كُنْتُ أَنْتَ مَوْلَاهُ
طَوْبِي لِمَنْ كَانَ خَادِمًا أَرْقَا	يَشْكُو إِلَى ذِي الْجَلَالِ بَلَوَاهُ
وَمَا بِهِ عِلَّةٌ وَلَا سُقْمٌ	أَكْثَرُ مِنْ حُبِّهِ لِمَوْلَاهُ
إِذَا اشْتَكَى بَثُّهُ وَعُصْرَتُهُ	أَجَابَهُ اللَّهُ ثُمَّ لَبَّاهُ

إلى أن قال أنس : فنودي :

لَبَّيْكَ عَبْدِي وَأَنْتَ فِي كَنَفِي	وَكُلُّ مَا قُلْتَ قَدْ عَلِمْنَاهُ
صَوْتُكَ تَشْتَاقُهُ مَلَائِكَتِي	فَحَسْبُكَ الصَّوْتُ قَدْ سَمِعْنَاهُ ^(٥)

(١) العقد الفريد ٤ : ٣٨٤ .

(٢) نقله عن الطبري الطبري في المنتخب : ٢٠٤ ، والمجلسي في بحار الأنوار ٤٤ : ١٨٧ ، والبحراني في مدينة المعاجز ٤ : ٤٦ / ١٢٩ ، بتفاوت .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٧٦ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١٩٢ .

(٤) كذا في النسخ ، وفي المناقب وفي الذريعة وبحار الأنوار : «عيون المحاسن» بدل «عيون المجالس» .

(٥) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٧٦ . ٧٧ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١٩٣ .

الخبر .

وقد روى السيّد^(١) في كتاب عيون المعجزات ، وغيره في كتب عديدة ، عن جمع ، عن الصادق عليه السلام وعن غيره أيضاً : «إنَّ أهل الكوفة جاءوا إلى عليّ عليه السلام فشكوا إليه إمساك المطر ، وطلبوا منه الاستسقاء لهم ، فقال عليه السلام للحسين عليه السلام : قُمْ واستسق ، فقام وحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي وآله ، ثم قال : اللهم معطي الخيرات ، ومنزل البركات ، أرسل السماء علينا مدراراً ، واسقنا غيثاً مغزراً ، واسعاً ، غدقاً ، مجللاً سحاً ، سفوحاً ، ثجاجاً^(٢) تنقّس به الضعيف من عبادك ، وتحيي به الميت من بلادك ، إلى آخر الدعاء ، قالوا : فما فرغ عليه السلام من دعائه حتّى غاث الله غيثاً بغتةً ، وأقبل أعرابيٌّ من بعض نواحي الكوفة فقال : تركت الأودية والآكام يموج بعضها في بعض^(٣) .

وما نُقل من استجابة دعائه فوراً لاسيّما يوم الطفّ ، كثير جداً .

وفي المناقب : عن شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي أنّه قال : وُجد على ظهر الحسين عليه السلام يوم الطفّ أثر فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك ، فقال : «هذا ممّا كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى

(١) هو الحسين بن عبد الوهاب ، كان من أجلّة العلماء المعاصرين للسيّد المرتضى والرضي ، ويشاركهما في بعض مشايخه ، وكان بصيراً بالأخبار وناقداً للأحاديث ، له كتب ، منها : الهداية إلى الحقّ ، والبيان في وجوه الحقّ في الإمامة .

انظر : رياض العلماء ٢ : ١٢٣ .

(٢) ما أثبتناه من نسخة بدل في «ل» و«عيون المعجزات» ، وفي باقي النسخ : «فجاجا» بدل «ثجاجا» .

(٣) عيون المعجزات : ٦٤ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١٨٧ / ١٦ ، وانظر : قرب الإسناد : ١٥٦ / ٥٧٦ ، الفقيه ١ : ٥٣٥ / ١٥٠٤ .

والمساكين»^(١) .

وعن أنس قال : كنت عند الحسين عليه السلام فدخلت عليه جارية له فحيته بطاقة ريحان ، فقال لها : «أنت حرّة لوجه الله» ، فقلت : تحييك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها ؟ فقال : «هكذا أدبنا الله ، قال الله عزّ وجلّ : ﴿وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوها﴾»^(٢) ، وكان أحسن منها عتقها»^(٣) .

وروى في المناقب عن عبيدالله بن عبدالله المدني يذكر عن أبيه ، عن جدّه وكان مولى للحسين عليه السلام : أنّ سائلاً خرج ذات ليلة فتخطى أزقة المدينة حتّى أتى باب الحسين عليه السلام وقرع الباب وأنشأ يقول :

لَمْ يَحِبِّ الْآنَ مَنْ رَجَاكَ وَمَنْ حَرَّكَ مِنْ خَلْفِ^(٤) بَابِكَ الْخَلْقَةَ
أَنْتَ جَوَادٌ وَأَنْتَ مُعْتَمَدٌ أَبُوكَ قَدْ كَانَ قَبْلَكَ^(٥) قَاتِلُ الْفُسَقَةِ
لَوْلَا الَّذِي كَانَ مِنْ أَوَائِلِكُمْ كَانَتْ عَلَيْنَا الْجَحِيمُ مُنْطَبِقَةً
وكان الحسين عليه السلام واقفاً في محرابه يصلي فأوجز في صلاته ، وأقبل إلى الباب فإذا هو بسائل عريان ، فقال له : «مكانك حتّى أعود إليك» ، ودعا مولى له ، فقال : «يا غلام ، أملكك شيء ؟» قال : معي ألفا درهم أعطيتنيها بالأمس ، أفرقها على أهلِكَ ومواليك ، قال : «اثني بها فقد جاء من أحقّ بها منّا» ، فأخذها وكان عليه بُردتان يمانيتان فنزعهما وشدّ الألفين في إحدى البُردتين فجاء إلى الباب وأخرج يده من شقّ الباب حياءً من السائل ودفع الجميع إليه وأنشأ يقول :

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٧٣ .

(٢) سورة النساء ٤ : ٨٦ .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٢١ ، كشف الغمّة ٢ : ٣١ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١٩٥ / ٨ .

(٤) كذا في «س» ، وفي البحار وياقي النسخ : «دون» بدل «خلف» .

(٥) كلمة «قبلك» لم ترد في «ل» .

خُذْهَا فَإِنِّي إِلَيْكَ مُعْتَزِرٌ وَأَعْلَمُ بِأَنِّي عَلَيْكَ ذُو شَفَقَةٍ
إلى آخر الأبيات في الاعتذار ، فأخذها السائل وبكى ، فقال له : «لعلك استقلت
ما أعطيناك ؟» قال : لا ، ولكن كيف يأكل التراب جودك ، وأنشأ يقول :
مُطَهَّرُونَ نَقِيَّاتٌ تِيَابِجُهُمْ تَجْرِي الصَّلَاةُ عَلَيْهِمْ أَيْنَمَا ذُكِرُوا
وَأَنْتُمْ السَّادَةُ الْأَعْلَوْنَ عِنْدَكُمْ عِلْمُ الْكِتَابِ وَمَا جَاءَتْ بِهِ السُّورُ ^(١)
إلى آخر الأبيات .

والأخبار في كرمه فوق الاستفاضة .

وقال الفرزدق ^(٢) : لقيني الحسين عليه السلام في منصرفه إلى الكوفة وأنا آتٍ منها ، فقال :
«ما وراؤك يا أبا فراس ؟» قلت : أصدقك ؟ قال : «الصدق أريد» ، قلت : أما القلوب
فمعك ، وأما السيوف فمع بني أمية ، والنصر من عند الله ، فقال : «ما أراك إلا صدقت ،
الناس عبيد المال ، والدين لعق ^(٣) على ألسنتهم يحوطونه ما درّت به معاشهم ، فإذا مُحْصُوا
بالبلاء قلّ الديانون» ^(٤) .

وفي حلية الأولياء عن محمد بن الحسن : أنه لما نزل القوم

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٧٣ ، الدرّ النظيم : ٥٢٧ . ٥٢٨ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١٩٠ ، تاريخ مدينة
دمشق ١٤ : ١٨٤ . ١٨٥ .

(٢) هو همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية ، يكنى أبا فراس ، لقّب بالفرزدق ، وهو معروف بلقبه ، الشاعر
المشهور ، من أهل البصرة ، عظيم الأثر في اللغة ، كان يقال : لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب ، وكان
غالب أبوه جواداً شريفاً ، له ديوان .
مات سنة ١١٠ هـ .

انظر : الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٣١٠ ، معجم الشعراء للمرزباني : ٤٦٥ ، معجم الأدباء ١٩ :
٢٩٧ / ١١٧ ، سير أعلام النبلاء ٤ : ٥٩٠ / ٢٢٦ .

(٣) في «ل» و«س» : «لغو» بدل «لعق» .

(٤) كشف الغمّة ٢ : ٣٢ ، بحار الأنوار ٤٤ : ١٩٥ / ٩ .

بالحسين عليه السلام وأيقن أنهم قاتلوه ، قال لأصحابه : «قد نزل بنا^(١) ما ترون من الأمر ، إن^(٢) الدنيا قد تنكّرت وتغيّرت وأدبر معروفها» ، إلى أن قال : «ألا ترون الحق لا يعمل به ، والباطل لا يتناهى عنه ؟ فليرغب المؤمن في لقاء الله ، وإني لا أرى الموت إلا سعادةً والحياة مع الظالمين إلا برماً» ، وأنشأ متمثلاً :

سَأْمُضِي وَمَا بِالْمَوْتِ عَارٌ عَلَى الْفَتَى إِذَا مَا نَوَى خَيْراً^(٣) وَجَاهَدَ مُسْلِماً
وَوَاسَى الرِّجَالَ الصَّالِحِينَ بِنَفْسِهِ وَفَارَقَ مَذْمُوماً وَخَالَفَ مُجْرِماً^(٤)^(٥)

إلى آخر الأبيات .

وروي : أنه قيل له يوم الطّف : أنزل على حكم الأمير ، فقال : «لا والله ، لا أعطيكم يدي إعطاء الذليل ولا أفرّ فرار العبيد» ثم نادى : «يا عباد الله ، إني عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ» ، ثم أنشأ يقول :

الْمَوْتُ أَوَّلَى مِنْ رُكُوبِ الْعَارِ وَالْعَارُ أَوَّلَى مِنْ دُخُولِ النَّارِ

إلى آخر أبياته .

وقد روى جماعة في شجاعته وجده عليه السلام في جهاد أعداء الله : أنه حمل يوم الطفّ على صفوف الأعداء وهو في غاية العطش حتى شقّ صفوفهم

(١) كلمة : «بنا» لم ترد في «ل» و«س» .

(٢) في «ل» و«س» : «وإن» بدل «إن» ؟؟؟

(٣) كلمة : «خيراً» لم ترد في «س» ، وفي «ل» : «حقاً» بدل «خيراً» .

(٤) الفتوح لابن الأعمش ٥ : ٨٩ ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١ : ٢٣٣ .

(٥) حلية الأولياء ٢ : ٣٩ ، المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٧٦ .

(٦) في «ل» و«س» : «خير» بدل «أولى» .

(٧) المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٧٥ . ٧٦ .

جميعاً ثم كَرَّ راجعاً يشقّ الصفوف ويقتل بهم حتّى رجع إلى موضعه ، وقد قتل منهم في تلك الحملة ما يزيد على ألفي نفس سوى المجروحين (١) .

ونقل جمع ممّن حضر الواقعة : أنّه ﷺ كان قد يترك أحياناً بعض من يقع تحت سيفه فلا يقتله ويقتل غيره ، فسئل عليّ بن الحسين ﷺ عن وجه ذلك ، فقال : «إنّه يعلم من علومه التي أعطاهها الله عزّ وجلّ من كان في صلبه نطفة يولد منها مؤمن فلم يقتله لكي لا يضيع ذلك» (٢) .

ومن عجيب كرامته وهبته وبركاته الفائقة وسعيه في الخيرات ما روي أنّه قال يوماً : «سمعت جدّي رسول الله ﷺ يقول : أفضل الأعمال بعد الصلاة إدخال السرور في قلب المؤمن بما لا إثم فيه ، وإنيّ رأيت غلاماً يواكلُ كلباً ، فقلت له في ذلك ، فقال : يا بن رسول الله ، إنيّ مغموم أطلب سروراً بسروره ؛ لأنّ صاحبي يهوديّ أريد أفارقه» قال الراوي : فأتى الحسين ﷺ إلى صاحبه بمائتي دينار ثمناً له ، فقال اليهوديّ : لك الغلام فداءً لحظاك وهذا البستان له وقد رددت عليك المال .

فقال ﷺ : «وأنا قد وهبت لك المال» ، قال : قبلت المال ووهبته للغلام .
فقال ﷺ : «أنا أعتقت الغلام ووهبته له جميعاً» ، فقالت امرأة اليهوديّ : قد أسلمت ووهبت زوجي مهري ، فقال اليهوديّ : وأنا أيضاً أسلمت وأعطيتها هذه الدار (٣) .
وأمثال هذه الخصال الجليلة زهداً وورعاً وصلاحاً وعبادةً وسخاءً

(١) انظر : المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ١٢٠ .

(٢) انظر : معالي السبطين ٢ : ٣١ ، نقلاً عن الكبيريت الأحمر .

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٨٣ .

وشجاعةً وحلماً وعلماً وغيرها كثيرة جداً ، يكفي ما ذكرناه لصاحب البصيرة سوى ما مرّ
ويأتي في ذكر أحواله وغيره قريباً ، ما عدا ما ذكره أهل السير وأرباب الحديث ممّا لم نذكره ،
فلا تغفل .

وسياقي في فصل ذكر أحوال عليّ بن الحسين عليه السلام ممّا يدلّ صريحاً على زهده
وصلاحه وعباداته وسائر مكارم خصاله وفضائله ما لا نحتاج معه إلى ذكر شيء منها هاهنا
، بل كفى في الجزم بذلك كونه مسلماً عند الصديق والعدوّ في الصلاح والزهد والعبادة؛
بحيث لقّب عند الكلّ بزین العابدين وسید الساجدين .

وقد روى جماعة من الرواة : أنّ فتىً من قریش كان جالساً عند سعيد ابن المسيّب ،
فطلع عليّ بن الحسين عليه السلام ، فقال القرشيّ لابن المسيّب : من هذا يا أبا محمّد؟ قال :
هذا زين ^(١) العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ ابن أبي طالب ^(٢) .

بل الحقّ الثابت قطعاً عند الصديق والعدوّ ، أنّه كما أنّ أعلميّة جميع الأئمّة الاثني
عشر مسلّمة لا قادح لها ولا منكر . كما مرّ بيانه . كذلك صلاحهم ، وزهدهم ، وعبادتهم ،
وصدقهم ، ووفائهم ، وسخاؤهم وأمثال ذلك كلّها مسلّمة؛ بحيث لم نجد أحداً أنكر شيئاً
من ذلك في أحد منهم ، ولم يذكر أحدٌ في أحدٍ منهم عيباً سهلاً قطّ فضلاً عن الكذب
 وأمثاله ، كما سيتبيّن . فيما سيأتي . في ذكر أحوالهم إلّا أنّنا نذكر شيئاً قليلاً من أمثال هذه
الصفات فيهم تيمناً وتبرّكاً سوى ما مرّ ويأتي .

(١) في «س» و«ل» : «سید» بدل «زين» .

(٢) الإرشاد للمفيد ٢ : ١٤٥ ، كشف الغمّة ٢ : ٨٦ ، شرح الأخبار للقاضي النعمان ٣ : ٢٧٣ / ١١٨١ ،
الفصول المهمّة لابن الصبّاغ : ٢٠٣ .

قد روى الطبري ، والكليني ، وغيرهما عن جابر الجعفي ، قال : دخلت على أبي جعفر الباقر عليه السلام ، فقال : «يا جابر ، والله ، إني لمحزون وإني لمشغول القلب» ، قلت : جعلت فداك وما شغلك وما حزن قلبك ؟ فقال : «يا جابر ، إنّه من دخل قلبه صافي خالص دين الله شغل قلبه عمّا سواه ، يا جابر ، ما الدنيا وما عسى أن تكون الدنيا ؟ هل هي إلّا طعام أكلته ، أو ثوب لبسته ، أو امرأة أصبتها ؟ يا جابر ، إنّ المؤمنين لم يطمئثوا إلى الدنيا ببقائهم فيها ، ولم يأمنوا قدومهم الآخرة ، يا جابر ، الآخرة دار القرار ، والدنيا دار فناء وزوال ، ولكن أهل الدنيا أهل غفلة وإن المؤمنين هم الفقهاء الذين هم أهل فكرة وعبرة ، لم يُصمّمهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا بأذانهم ، ولم يُعمّمهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة ، كما فازوا بذلك العلم» ^(١) الخبر .

وعن جابر أيضاً ، قال : قال أبو جعفر عليه السلام : «يا جابر ، يكفي من يتحل التشيّع أن يقول : يحبّنا ^(٢) أهل البيت ؟ ! فوالله ، ما شيعتنا إلّا من تبعنا في تقوى الله وطاعته ، وما كانوا يعرفون يا جابر إلّا بالتواضع ، والتخشّع ، والأمانة ، وكثرة ذكر الله ، والصوم ، والصلاة ، والبرّ بالوالدين ، والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة ، والغارمين ، والأيتام ، وصدق الحديث ، وتلاوة القرآن ، وكفّ الألسن عن الناس إلّا من خير ، وكانوا أمناء عشائريهم في الأشياء» . قال جابر : فقلت : يابن رسول الله ، ما نعرف اليوم أحداً بهذه

(١) الكافي ٢ : ١٠٧ / ١٦ (باب ذمّ الدنيا والزهد فيها) ، تنبيه الخواطر ٢ : ١٩٣ ، كشف الغمّة ٢ : ١٢١ ، بحار الأنوار ٧٣ : ٣٦ / ١٧ ، حلية الأولياء ٣ : ١٨٢ ، تاريخ مدينة دمشق ٥٤ : ٢٨٠ - ٢٨٤ ، مطالب السؤول : ٢٧٧ ، تذكرة الخواصّ : ٣٠٤ ، الفصول المهمة : ٢١٢ .

(٢) في «ل» نسخة بدل : «يحبّنا» بدل «يحبّنا» .

الصفة ، فقال : «يا جابر ، لا تذهبن بك المذاهب ، أفحسب الرجل أن يقول : أحب علياً وأتولاه ثم لا يكون مع ذلك فعالاً ؟ فلو قال : إني أحب رسول الله ﷺ ، فرسول الله خير من علي ، ثم لا يتبع سيرته ، ولا يعمل بسنته ، ما نفعه حبه إياه شيئاً ، فاتقوا الله واعملوا لما عند الله ، ليس بين الله وبين أحد قرابة . . . وما معنا براءة من النار ، ولا على الله حجة لأحد ، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي . . . ولا تنال ولايتنا إلا باتباعنا في العمل والتقوى »^(١).

وعن محمد بن المنكدر^(٢) من علماء العامة أنه كان يقول : ما كنت أرى أن مثل علي بن الحسين يدع خلفاً ، لفضل علي بن الحسين ، حتى رأيت ابنه محمد بن علي فأردت أن أعظه فوعظني .

فقال له أصحابه : بأي شيء وعظك ؟ قال : خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة ، فلقيت محمد بن علي عليه السلام وكان رجلاً بديناً وهو متكئ على غلامين له أسودين ، فقلت في نفسي : شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا ! أشهد لأعظته ، فدنوت منه فسلمت عليه ، فسلم علي بنهر وقد تصبب عرقاً ، فقلت : أصلحك الله ،

(١) الأمالي للصدوق : ٧٢٤ / ٩٩١ ، الكافي ٢ : ٦٠ / ٣ (باب الطاعة والتقوى) ، الأمالي للطوسي : ٧٣٥ / ١٥٣٥ ، روضة الواعظين ٢ : ٢٩٤ ، مشكاة الأنوار : ١٢١ / ٢٨٤ ، تنبيه الخواطر ٢ : ١٨٥ .
(٢) هو محمد بن المنكدر بن عبدالله بن الهدير القرشي المدني ، كنيته أبو عبدالله ، وقيل : أبو بكر ، كان من سادات القراء ، لا يتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ ، روى عن : النبي ﷺ بالواسطة ، وعن سلمان ، وأبي رافع ، وغيرهم ، وروى عنه : عمرو بن دينار ، والزهرى ، وهشام بن عروة ، وخلق كثير .
مات سنة ١٣٠ هـ ، وقيل : ١٣١ هـ .

انظر : المعارف لابن قتيبة : ٤٦١ ، الثقات لابن حبان ٥ : ٣٥٠ ، سير أعلام النبلاء ٥ : ٣٥٣ / ١٦٣ ، تهذيب التهذيب ٩ : ٤١٧ / ٧٦٩ .

شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة ؟ قال : فخلّى الغلامين من يده وتساند ، وقال : «والله ، لو جاءني الموت في هذه الحالة جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله ، أكفُّ بها عن نفسي وعن الناس ، وإِنَّمَا كُنْتُ أخاف الموت لو جاءني وأنا على معصية من معاصي الله» ، فقلت : يرحمك الله ، أردت أن أعظك فوعظتني ^(١) .

وعن الحسن بن كثير ^(٢) قال : شكوت إلى أبي جعفر عليه السلام الحاجة وجفاء الإخوان ، فقال لي : «بئس الأخ أخٌ يركاك غنيّاً ويقطعك فقيراً» ، ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمائة درهم وقال : «استنفق هذه فإذا نفدت فأعلمني» ^(٣) .

وروي : أنه كان يعطي كثيراً ، وكان لا يملّ من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمليه وراجيه ^(٤) .

وكان يقول : «أشدّ الأعمال ثلاثة : مواساة الإخوان في المال ، وإنصاف الناس من نفسك ، وذكرُ الله على كلّ حال» ^(٥) .

وكان كلّما سكت عن الكلام ماشياً كان أو غيره يذكر الله تعالى ويتكلّم به : «لا إله إلاّ الله» ، وكان هذا شغله في سكوته .

-
- (١) الكافي ٥ : ٧٣ / ١ (باب ما يجب من الاقتداء بالأئمة عليهم السلام في التعرّض للرزق) ، الإرشاد للمفيد ٢ : ١٦١ ، التهذيب ٦ : ٣٢٥ / ٨٩٤ ، إعلام الوري ١ : ٥٠٧ ، كشف الغمّة ٢ : ١٢٥ ، شرح الأخبار للقاضي نعمان ٣ : ٢٨٢ / ١١٩٢ .
- (٢) هو الحسن بن كثير الكوفيّ البجليّ ، عدّه الشيخ عليه السلام من أصحاب الصادق عليه السلام ، وكان ممدوحاً . انظر : رجال الطوسي : ١٨٠ / ٢١٥٧ ، تنقيح المقال ١ : ٣٠٣ / ٢٧٠٤ .
- (٣) الإرشاد للمفيد ٢ : ١٦٦ ، المناقب لابن شهرآشوب ٤ : ٢٢٤ ، كشف الغمّة ٢ : ١٢٧ ، شرح الأخبار للقاضي نعمان ٣ : ٢٨٣ / ١١٩٤ .
- (٤ و ٥) الإرشاد للمفيد ٢ : ١٦٧ ، كشف الغمّة ٢ : ١٢٧ .

وروى جمع أيضاً عن سيف بن عميرة^(١)، قال : كنت عند المنصور فقال لي ابتداءً منه : يا سيف ، لابدَّ من منادٍ يُنادي من السماء باسم رجلٍ من ولدِ أبي طالب ، فقلت : . . . تروي هذا ؟ فقال : إي والله ، لسماع أُذني ، فقلت : أنا ما سمعت بهذا الحديث قبل وقتي هذا ! فقال : يا سيفُ ، إنَّه لحقُّ ، وإنَّه لرجل من بني عمِّنا ، قلت : من ولد فاطمة ؟ قال : نعم يا سيف ، لولا أنَّي سمعتُ أبا جعفر محمد بن عليٍّ يُحدِّثني به ، وحدَّثني به أهل الأرض كلَّهم ما قبلت منهم ، ولكنَّه محمد بن عليٍّ^(٢) .

وعن يونس بن يعقوب ، قال : نظر أبو عبدالله عليه السلام إلى رجلٍ من أهل المدينة قد اشترى لعياله شيئاً وهو يحمله فلمَّا رآه الرجل استحي منه ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : «اشتريتَ لعيالك وحملته إليهم ؟ أما والله ، لولا أهل المدينة لأحببتُ أن أشتري لعيالي الشيء ثمَّ أحمله إليهم»^(٣) .

وعن حفص بن أبي عائشة^(٤) قال : بعث أبو عبدالله عليه السلام غلاماً له في حاجة فأبطأ ، فخرج أبو عبدالله عليه السلام على أثره لما أبطأ ، فوجده نائماً ، فجلس عند رأسه يروِّحُه حتَّى انتبه ، فلمَّا انتبه قال له أبو عبدالله عليه السلام :

(١) هو سيف بن عميرة النخعي الكوفي ، ثقة ، عدّه الشيخ رحمه الله في رجاله من أصحاب الصادق والكاظم عليه السلام ، وكان من فقهاء الشيعة ، له كتاب .

انظر : رجال النجاشي : ١٨٩ / ٥٠٤ ، رجال الطوسي : ٢٢٢ / ٢٩٧١ ، و ٣٣٧ / ٥٠٢٠ ، تنقيح المقال ٢ : ٧٩ / ٥٤٦٠ .

(٢) الكافي ٨ : ٢٠٩ / ٢٥٥ (حديث الصحيحة) ، الإرشاد للمفيد ٢ : ٣٧٠ ، الغيبة للطوسي : ٤٣٣ ، كشف الغمّة ٢ : ٤٥٨ ، الصراط المستقيم ٢ : ٢٤٨ ، عقد الدرر : ١٤٩ ، بتفاوت فيها .

(٣) الكافي ٢ : ١٠٠ / ١ (باب التواضع) .

(٤) هو حفص بن أبي عائشة المنقري الكوفي ، عدّه الشيخ رحمه الله من أصحاب الصادق عليه السلام .

انظر : رجال الطوسي : ١٨٩ / ٢٣٣٢ ، جامع الرواة ١ : ٢٦٠ ، منهج المقال : ١١٩ .

«يا فلان ، والله ما ذلك لك ، تنام الليل والنهار ، لك الليل ولنا منك النهار»^(١) .
 وقال بعض أصحابه عليه السلام : كنت معه في طريق مكة ، فصدر من غلام له أمر
 غضب عليه أبو عبدالله عليه السلام ، فقال له : «والله ، لأضربنك في المنزل» ، فلما وصلنا ونزلنا
 لم أره تعرّض للغلام بشيء ، فقلت له : أما حلفت في ضرب الغلام فجعلت فداك ؟ فقال :
 «أما سمعت الله يقول : ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾^(٢) »^(٣) .

وعن حنّان بن سدير^(٤) ، قال : قال أبو الصباح الكناني^(٥) لأبي عبدالله عليه السلام : ما
 تلقى من الناس فيك ؟ فقال أبو عبدالله عليه السلام : «وما الذي تلقى من الناس فيّ ؟» فقال :
 لا يزال يكون بيننا وبين الرجل الكلام فيقول : جعفري خبيث ، فقال : «يعيّرکم الناس بي
 ؟» فقال أبو الصباح : نعم ، قال : فقال عليه السلام : «ما أقلّ والله من يتبع جعفرًا منكم . إنّ
 أصحابي من

(١) الكافي ٢ : ٩٢ / ٧ (باب الحلم) .

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٣٧ .

(٣) الكافي ٧ : ٤٦٠ / ٤ (باب النوادر) ، التهذيب ٨ : ٢٩٠ / ١٠٧٣ ، وفيهما عن الباقر عليه السلام .

(٤) هو حنّان بن سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي ، الكوفي ، كنيته أبو الفضل ، كان من أصحاب الصادق عليه السلام والكاظم عليه السلام .

انظر رجال النجاشي : ١٤٦ / ٣٧٨ ، رجال الطوسي : ١٩٣ / ٢٤٠٤ ، نقد الرجال ٢ : ١٧٤ /
 ١٧٣٠ ، مجمع الرجال ٢ : ٢٤٧ ، منتهى المقال ٣ : ١٤٥ / ١٠٢٨ ، تنقيح المقال ١ : ٣٨٠ / ٣٤٣٣ .
 (٥) هو إبراهيم بن نعيم العبدي ، كنيته أبو الصباح ، من أصحاب الباقر والصادق عليه السلام ، كان من أعيان
 الفضلاء وأفاضل الفقهاء ، وكان أبو عبدالله عليه السلام يسميه الميزان؛ لثقلته .
 توفي سنة ١٧٠ هـ .

انظر : رجال النجاشي : ١٩ / ٢٤ ، رجال الطوسي : ١٥٦ / ١٧٢٩ ، رجال ابن داود : ٣٤ / ٤٢ ،
 نقد الرجال ١ : ٩٢ / ١٥٥ ، منتهى المقال ١ : ٢١١ / ٩٠ ، تنقيح المقال ١ : ٣٨ / ٢٢٣ . وفي «ن» :
 أبو الصلاح ، وأيضاً فيما يأتي .

أشدّ ورعه ، وعمل لخالقه ، ورجا ثوابه ، وخاف عقابه ، هؤلاء أصحابي»^(١) .
وعن محمد بن عذافر^(٢) ، عن أبيه^(٣) ، قال : قال لي أبو عبدالله عليه السلام : يا عذافر^(٤)
، بُنيت أنّك تعامل أبا أيّوب والربيع ، فما حالك إذا تُودي بك في أعوان الظالمين ؟ قال
محمد : فوجم^(٥) أبي ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : «أي عذافر ، إنّما
خوّفتك بما خوّفني الله به»^(٦) ، الخبر .
وعن إبراهيم بن أبي البلاد^(٧) قال : أوصى إسحاق بن عمر عند وفاته بجوارٍ له
مغنيّات أن يُباع ويُحمل ثمنهنّ إلى أبي عبدالله عليه السلام ، قال إبراهيم : فبعث الجوّاري بثلاثمائة
ألف درهم وحملت الثمن إليه ، وحكى له الحال ، فقال : «لا حاجة لي فيه»^(٨) الخبر .
وعن أبي جعفر الفزاريّ ، قال : دعا أبو عبدالله عليه السلام مولاه فقال له :

-
- (١) الكافي ٢ : ٦٢ / ٦ (باب الورع) ، بتفاوت يسير .
(٢) لعنه الله محمد بن عذافر الخزاعيّ الصيرفيّ الكوفيّ ، كان من أصحاب الصادق عليه السلام ، ولم يُذكر له ترجمة أكثر
من هذا .
انظر : تنقيح المقال ٣ : ١٥٠ / ١١٠٦١ .
(٣) في «م» : «أميّة» بدل «أبيه» .
(٤) كلمة «يا عذافر» لم ترد في «م» .
(٥) الواجم : الذي اشتدّ حزنه حتّى أمسك عن الكلام .
انظر : مجمع البحرين ٦ : ١٨٢ ، الصحاح ٥ : ٢٠٤٩ ، النهاية ٥ : ١٥٧ ، مادة . وجم . .
(٦) الكافي ٥ : ١٠٥ / ١ (باب عمل السلطان وجوائزهم) .
(٧) هو إبراهيم بن أبي البلاد . واسم أبي البلاد يحيى بن سليم . كوفيّ ، ثقة من أصحاب الصادق والكاظم
والرضا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، أثنى عليه الرضا عليه السلام في رسالةٍ إليه .
انظر : رجال النجاشيّ : ٢٢ / ٣٢ ، رجال الطوسيّ : ١٥٨ / ١٧٥٦ ، و٣٣١ / ٤٩٢٦ ، و٣٥٢
/ ٥٢١٢ ، تنقيح المقال ١ : ١٠ / ٤١ .
(٨) الكافي ٥ : ١٢٠ / ٧ (باب كسب المغنيّة وشرائها) .

مصادف^(١) فأعطاه ألف دينار وقال له : «تجهّز حتّى تخرج إلى مصر ، فإنّ عيالي قد كثروا» .
قال : فتجهّز بمتاعٍ وخرج مع التجّار إلى مصر ، فلمّا دنوا إلى مصر استقبلتهم قافلة
خارجة من مصر ، فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله ؟ فأخبروهم أنّه ليس بمصر منه
شيء فتحالفوا وتعاهدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً ، فلمّا قبضوا
أموالهم انصرفوا إلى المدينة ،

فدخل مصادف على أبي عبدالله عليه السلام ومعه كيسان في كلّ واحد ألف دينار ، فقال
: جعلت فداك هذا رأس المال ، وهذا الآخر ربح ، فقال : «إنّ هذا الربح كثير ، فما صنعتم
في المتاع ؟» فحدّثه كيف صنعوا ، فقال : «سبحان الله ، تحلفون على قوم مسلمين أن لا
تبيعوهم إلّا بربح الدينار ديناراً ؟ !» ثمّ أخذ أحد الكيسين ، فقال : «هذا رأس مالي ولا
حاجة لي في هذا الربح» ، ثمّ قال : «يا مصادف ، مجالدة^(٢) السيوف أهون من طلب
الحلال»^(٣) .

وروى البيهقي بإسناد له [. . .] عن الرضا عليه السلام : «أنّ جعفر بن محمد كان يقول
: إنّ الرجل ليسألني الحاجة فأبادر بقضائها ، مخافة أن يستغني عنها فلا يجد لها موضعاً إذا
جاءته»^(٤) .

وروى الخوارزمي في مناقبه عن سفيان الثوريّ قال : والله ، رأيت

(١) هو مولى أبي عبدالله عليه السلام ، عدّه الشيخ عليه السلام في رجاله من أصحاب الصادق والكاظم عليهما السلام .

انظر : رجال الطوسي : ٣١٢ / ٤٦٢٤ ، و ٣٤٢ / ٥١٠٤ ، تنقيح المقال ٣ : ٢١٧ / ١١٨٢٢ .

(٢) في «ل» و«س» : «مجالد» بدل «مجالدة» .

(٣) الكافي ٥ : ١٦١ / ١ (باب الحلف في الشراء والبيع) ، بتفاوت يسير ، بحار الأنوار ٤٧ : ٥٩ / ١١١ .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٧٩ / ٢ ، بحار الأنوار ٧٤ : ٢٨٦ / ٩ .

جعفر بن محمد ولم أر حاجاً وقف بالمشاعر واجتهد بالتضرع والابتهاال مثله ، قال : فلمّا وصل إلى عرفات أخذ من الناس جانباً واجتهد في الدعاء في الموقف ، ثمّ نزل عليه عنب من السماء فأخذ يأكل ، ثمّ قال : «يا سفيان ، ادن وكُل» ولم يكن وقت عنب ، ثمّ قال : «يا سفيان ، أتدري كم الحاجّ؟» قلت : الله وابن رسوله أعلم ، فقال : «يا سفيان ، أربعمئة ألف حاجّ ، وإنّه لا حجّ مقبول صحيح إلّا لأربعة نفر ، وإنّ الله يقبل حجّ الجميع لأجل قبول حجّ الأربعة»^(١) الخبر .

وروى جمع من المخالف والمؤالف بعض أخبار ، خلاصة ما في الجميع هكذا ، قالوا : كان يحيى بن خالد البرمكي^(٢) يحسد جعفر بن محمد ابن الأشعث^(٣) لما حصل له من القرب عند الرشيد ، وكان جعفر من شيعة الكاظم عليه السلام ويقول بالإمامة ، فاحتال يحيى عليه بلزوم صحبته بحيث كان يُكثر غشيانه في منزله فيقف على سرائر أمره ويرفعه إلى الرشيد ، ويزيد عليه في ذلك بما يقدح في قلبه ، فكان من حيّله أنّه أرسل إلى محمد بن

(١) نقله عنه الحلبي في كشف اليقين : ٣٢٩ . ٣٣٠ .

(٢) هو يحيى بن خالد بن برمك ، كنيته أبو عليّ ، وزير هارون الرشيد ، سيّد بني برمك وأفضلهم ، وهو مؤدّب الرشيد ومعلّمه ومربيّه ، فلمّا استخلف هارون الرشيد عرف ليحيى حقّه ، وكان يعظّمه ، ثمّ غضب عليه ، وخلّده في الحبس إلى أن مات في سنة ١٩٠ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٤ : ١٢٨ / ٧٤٥٩ ، المنتظم ٩ : ١٨٨ / ١٠٤٢ ، وفيات الأعيان ٦ : ٢١٩ / ٨٠٦ ، الأعلام للزركلي ٨ : ١٤٤ .

(٣) هو جعفر بن محمد بن الأشعث الكوفيّ ، كان من أصحاب الصادق عليه السلام ، وله قضايا في تشييعه وكماله وجّهه إلى موسى بن جعفر عليه السلام ، وذللّ من سعى به إلى هارون الرشيد .

انظر : رجال الطوسي : ١٧٥ / ٢٠٦٦ ، نقد الرجال ١ : ٣٥٥ / ١٠٠٣ ، منتهى المقال ٢ : ٢٦٣ / ٥٧٧ ، تنقيح المقال ١ : ٢٢٢ / ١٨٤٥ .

إسماعيل^(١) بن الصادق عليه السلام وأمله إنّه إن أتاه وصاحبه ، جعله صاحب الرشيد وأعطاه مالا جزياً ، ورغبه في قرب الرشيد ، فعزم محمد على الخروج إلى بغداد ، فدعاه الكاظم عليه السلام ، وسأله عن سبب إرادته ، فقال : عليّ ديون وأنا مُملقٌ ، فقال له موسى عليه السلام : «أنا أقضي دينك وأفعل بك وأصنع» ، وكان عليه السلام يعطيه أيضاً من قبل كثيراً فلم يفعل ، فلما قرب وقت خروجه وهياً للمسير دخل على عمّه عليّ بن جعفر وأخذه معه وجاء إلى موسى عليه السلام ليودّعه ، فقال له موسى عليه السلام ثلاث مرّات : «أتق الله في دمي» وكان محمد يتأبّى في كلّ مرّة ، ويدعو على كلّ من أراد فيه سوءاً ، فلما ذهب ، قال عليه السلام لعليّ بن جعفر : «فوالله ، ليسعى هذا في دمي» ، الخبر ، إلى أن قال : فأعطاه الإمام ذلك اليوم مبالغ عظيمة ، فقال له أخوه عليّ بن جعفر : أنت تعلم من حاله ما قلت وتصله مثل هذه الصلة ؟ فقال : «إني أريد أن أصله بعد قطعه لي حتّى لا أكون على قصور عند الله ، ولا أكون قاطعاً ، فإذا قطعتني هو قطعه الله عزّ وجلّ » .

قالوا : فخرج محمد حتّى أتى يحيى بن خالد ، فتعرّف منه خبر الكاظم عليه السلام ثمّ رفعه إلى الرشيد وزاد عليه ، ثمّ أوصله إلى الرشيد فسأله عن عمّه فسعى به إليه ، حتّى قال له : إنّ الأموال تُحمل إليه من المغرب و^(٢) المشرق ، وأمثال هذا ممّا تأثّر في قلب الرشيد ، فأمر له بمائتي ألف درهم ، فرماه الله بالذبح حتّى مات من فوره ، فما نظر منها إلى درهم وما مسّه . وخرج الرشيد تلك السنة إلى الحجّ ، فبدأ بالمدينة فقبض فيها على

(١) في بعض المصادر : «عليّ بن إسماعيل» .

(٢) في النسخ : «إلى» بدل «و» ، وما أثبتناه من المصدر .

أبي الحسن موسى عليه السلام فقيده ، واستدعى قُبَّتَيْن فجعله في إحداها على بغلٍ ، وجعل القُبَّةَ الأخرى على بغلٍ ، وخرج البغلان من داره عليهما القُبَّتَان مستورتان ، ومع كلِّ واحدةٍ منهما خيل ، فافتَرقت الخَيْل فمضى بعضها مع إحدى القُبَّتَيْن على طريق البصرة والأخرى على طريق الكوفة ، وكان عليه السلام في القُبَّة التي مُضِيَ بها على طريق البصرة ، وإنما فعل ذلك لِيُعَمِّيَ على الناس الأمرَ في باب أبي الحسن عليه السلام .

وأمر العسكر الذين كانوا مع أبي الحسن عليه السلام أن يسلموه إلى عيسى ابن جعفر بن المنصور . وكان على البصرة حينئذٍ . فسُلم إليه ، فحبسه عنده سَنَةً ، ثم كتب إليه الرشيد في دمه ، فكتب إليه عيسى بمشاورة بعض أصحابه أنه قد طال أمر موسى عليه السلام ومقامه في حبسي ، وقد اختبرْتُ حاله ووضعتُ عليه العيون طول هذه المدة ، فما وجدته يفتَر عن العبادة ، وما دعا عليك ولا علي ولا ذَكَرنا بسوء ، وما يدعو لنفسه إلا بالمغفرة والرحمة ، فإن أنت نَقَذت إليَّ من يتسلمه مِنِّي وإلا خَلَيْتُ سبيله فإني متحرِّجٌ من ^(١) حبس مثل هذا الرجل ^(٢) .

وقد روى بعضهم أنَّ بعضَ عيون عيسى أخبره أنه سمع موسى عليه السلام وهو يدعو في الحبس فيقول : «اللَّهُمَّ ، إِنَّكَ تَعْلَمُ أَيَّ كُنْتُ أَسْأَلُكَ أَنْ تُفَرِّغَنِي لِعِبَادَتِكَ ، اللَّهُمَّ وَقَدْ فَعَلْتَ فَلَكَ الْحَمْدُ» .

فوجَّه الرشيد إلى عيسى من تسلمه منه ، وذهب به إلى بغداد ، فسُلم

(١) في «م» و«ن» : «في» بدل «من» .

(٢) انظر : الإرشاد للمفيد ٢ : ٢٣٧ ، الغيبة للطوسي : ٢٧ ، روضة الواعظين ١ : ٢١٨ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٣٥٢ ، كشف الغمّة ٢ : ٢٣٠ ، مقاتل الطالبين : ٥٠١ .

إلى الفضل بن الربيع^(١) فبقي عنده مدّةً مديدةً ، فأراد الرّشيد على شيء من أمره فأبى وأخبره بما فيه من الزهد والعبادة والتقوى ، فأمره الرّشيد أن يُسلّمه إلى الفضل بن يحيى^(٢) ، فتسلّمه منه وجعله في بعض حُجر دوره ووضع عليه الرصد ، وكان عَلَيْهِ السَّلَام مشغولاً بالعبادة ، يُحيي الليل كلّ صلاةً وقراءةً للقرآن ودعاءً واجتهاداً ، ويصوم النهار في أكثر الأيام ، ولا يصرف وجهه عن المحراب ، فوسّع عليه الفضل وأكرمه ، فوصل ذلك إلى الرّشيد وهو بالرقّة^(٣) فاغتاظ وكتب إلى العباس بن محمّد^(٤) أن يضرب الفضل مائة

(١) هو الفضل بن الربيع بن يونس ، يكنّى أبا العباس ، من أحفاد أبي فروة مولى عثمان بن عفّان ، وليّ الوزارة في خلافة هارون الرّشيد ، ولما أفضت الخلافة إلى الأمين أقرّه في وزارته ، وعندما ظفر المأمون على أخيه استتر الفضل ، ثمّ عفا عنه المأمون .

مات سنة ٢٠٨ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٣ / ٦٧٨٥ ، المنتظم ١٠ : ١٨٥ / ١١٦٢ ، وفيات الأعيان ٤ : ٣٧ / ٥٢٨ ، مرآة الجنان ٢ : ٣٢ ، مفتاح السعادة ٢ : ٢٧٦ ، الأعلام للزركليّ ٥ : ١٤٨ .
(٢) هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكيّ ، كان رضيعَ هارون الرّشيد ووزيره مدّة قصيرة ، ثمّ ولّاه خراسان ، ولما غضب هارون الرّشيد على البرامكة ، وقتل جعفرًا ، وكان جعفرُ أخا الفضل . خلّد الفضل في الحبس مع أبيه يحيى ، فلم يزلًا محبوسين حتّى ماتا في حبسه بالرقّة .

مات سنة ١٩٣ هـ .

انظر : تاريخ بغداد ١٢ : ٣٣٤ / ٦٧٨٢ ، وفيات الأعيان ٤ : ٢٧ / ٥٢٧ ، الأعلام للزركليّ ٥ : ١٥١ .

(٣) الرّقّة : . بفتح أوّله وثانيه وتشديده . مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حرّان ثلاثة أيّام ، وهي معدودة في بلاد الجزيرة ؛ لأنّها من جانب الفرات الشرقيّ .

انظر : معجم البلدان ٣ : ٥٨ . ٥٩ .

(٤) لعنّه العباس بن محمّد بن عليّ بن عبدالله ، يكنّى أبا الفضل ، وليّ إمارة الجزيرة

سوط ، وأن يسلم الإمام عليه السلام إلى السندي بن شاهك^(١) ، الخبر .

وقد روى بعضهم أنه قال : كنت عند الفضل فحكى حكاية عبادة موسى بن جعفر عليه السلام ، فقال : إذا أصبح صلى صلاة الغداة ، ثم عتب إلى طلوع الشمس فشرع يقرأ القرآن إلى الضحى ، ثم يسجد إلى الظهر ، فإذا زالت الشمس شرع في النوافل وفرض الظهر ، ونوافل العصر وفرضه ، والتعقيب إلى أن يسجد سجدة الشكر ، فلا يرفع رأسه إلى أن يقوم فيتهيأ للمغرب ، فإذا صلى المغرب ونوافلها أفطر ، ثم صلى العشاء وعتب وسجد ، ثم آوى إلى فراشه إلى نصف الليل ، فقام واشتغل بالتهجد والتضرع والبكاء إلى الفجر ، وهذه عادته دائماً ما دام عندي^(٢) .

وقد روى جمع : أنه كان يقرأ القرآن بحزن وبكاء كأنه يتكلم مع الله عز وجل ، حتى كان السقاؤون بالمدينة إذا مروا على باب داره وقفوا يستمعون ، وربما غشي على بعض منهم .
وروى جمع ، منهم : البيهقي بإسناد له عن ابن عباد أنه قال : كان جلوس الرضا عليه السلام في الصيف على حصير ، وفي الشتاء على مسح^(٣) ،

في أيام الرشيد ، وصار إلى الرقة فأمر الرشيد أن يفرش له في قصر الإمارة ، ونُسب إليه العباسية .

مات سنة ١٨٦ هـ ، وصلى عليه الأمين .

انظر : تاريخ بغداد ١٢ : ١٢٤ / ٦٥٨٠ ، المنتظم ٩ : ١٢٤ / ١٠١٧ ، الأعلام للزركلي ٣ : ٢٦٤ .

(١) انظر : الإرشاد للمفيد ٢ : ٢٤٠ - ٢٤١ ، روضة الواعظين ١ : ٢١٩ ، كشف الغمّة ٢ : ٢٣٣ ، مقاتل الطالبين : ٥٠٢ - ٥٠٣ .

(٢) انظر : عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١٠٦ / ١٠ .

(٣) المسح : . بالكسر فالسكون واحد : المسوح . ويعبر عنه بالبلاس ، وهو كساء معروف .

انظر : مجمع البحرين ٢ : ٤١٤ ، مادة . مسح . .

ولبسه الغليظ من الثياب حتى إذا برز للناس تزيّ لهم^(١).

وروا أيضاً عن إبراهيم بن العباس^(٢) أنه قال في حديث له في صفات الرضا عليه السلام :
إنّه كان يختم القرآن في كلّ ثلاث ويقول : «لو أردت أن أختمه في أقرب من ثلاث لختمته
ولكنّي ما مررت بآية قطّ إلّا تفكّرت فيها ، وفي أيّ شيء نُزلت ، فلذلك صرْتُ أختم في
كلّ ثلاثة أيّام»^(٣).

قال : وكان من كلامه وموعظته : «إنّ الصغائر من الذنوب طرق إلى الكبائر ، ومن
لم يخف الله في القليل لم يخفه في الكثير ، ولو لم يخف الله الناس بجنّة ونار لكان الواجب
عليهم أن يطيعوه ولا يعصوه ؛ لفضله عليهم وإحسانه إليهم ، وما بدأهم من إنعامه الذي ما
استحقّوه»^(٤).

وعن إبراهيم بن العباس أيضاً أنّه قال : ما رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام جفا أحداً
بكلامه قطّ ، ولا رأيت قطّ على أحد كلامه حتى يفرغ منه ، وما ردّ أحداً عن حاجةٍ يقدر
عليها ، ولا مدّ رجله بين يدي جليس له قطّ ، ولا اتكأ بين يدي جليس له قطّ ، ولا رأيت
شتم أحداً من مواليه ومماليكه قطّ ، ولا رأيت يقهقه في ضحكه قطّ ، بل كان ضحكه التبسّم
، وكان إذا خلا ونصب مائدته

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٧٨ / ١ ، إعلام الوري ٢ : ٦٤ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٣٨٩ ،
كشف الغمّة ٢ : ٣١٦ .

(٢) هو إبراهيم بن العباس الصوّليّ ، من أصحاب الرضا عليه السلام ، روى عنه أبو ذكوان ، وله مدائح كثيرة لمولانا
الرضا عليه السلام أظهرها ، ثم اضطرّ إلى سترها ، وعلة كتمانها وستره كانت خوفاً من المتوكل .
توفيّ سنة ٢٤٣ هـ ، وقيل : سنة ٢٤٧ هـ .

انظر : تنقيح المقال ١ : ٢١ / ١٣٣ .

(٣) الأمالي للصدوق : ٧٥٨ / ١٠٢٣ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٨٠ / ٤ ، إعلام الوري ٢ : ٦٣ ،
كشف الغمّة ٢ : ٣١٦ ، بحار الأنوار ٤٩ : ٩٠ / ٣ .

(٤) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٨٠ / ٤ ، في ذيل الحديث .

أجلس معه على مائدته ممالئكة ومواليه حتى البوّاب والسائس ، وكان عليه السلام قليل النوم بالليل ، كثير السهر ، يحيي أكثر لياليه من أولها إلى الصبح ، وكان كثير الصيام ، ولا يفوته صيام ثلاثة أيام في الشهر ، ويقول : «ذلك صوم الدهر» ، وكان عليه السلام كثير المعروف والصدقة في السرّ ، وأكثر ذلك يكون منه في الليالي المظلمة ، قال : فمن زعم أنّه رأى مثله في فضله فلا تصدّقه^(١) .

وقال جمع ، منهم : عبدالسلام بن صالح^(٢) : إنّهُ [عليه السلام] كان في الحبس بسرّخس مدّةً ، فكان حيث كان فارغاً من دخول الناس عليه ربّما يصلّي في يومه وليلته ألف ركعة ، وإنّما كان يفتل من صلاته ساعة في النهار وقبل الزوال ، وعند اصفرار الشمس ، وهو في هذه الأوقات قاعد في مصلاه يناجي ربّه^(٣) .

وفي رواية مشهورة رواها جماعة عن رجاء بن أبي الضحّاك^(٤)

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٨٤ / ٧ ، إعلام الوري ٢ : ٦٣ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٣٨٩ ، كشف الغمّة ٢ : ٣١٦ .

(٢) هو عبد السلام بن صالح الهرويّ ، يكتفى أبا الصلت ، ولا خلاف بين الخاصّة عدى الجعفي منهم في وثاقته وصدق حديثه ، وهو ممّن يعتمد الرضا عليه السلام ، وصاحب سرّه وخاصّته ، وأنّ من نسبه بالعاقبة ، كانت نسبته من سهو القلم .
توفيّ سنة ٢٣٦ هـ .

انظر : رجال الكشي : ٦٥١ / ١١٤٨ . ١١٤٩ ، رجال النجاشي : ٢٤٥ / ٦٤٣ ، رجال الطوسي : ٣٦٠ / ٥٣٢٨ ، نقد الرجال ٣ : ٥٩ / ٢٩١٢ ، تاريخ بغداد ١١ : ٤٦ / ٥٧٢٨ ، سير أعلام النبلاء ١١ : ٤٤٦ / ١٠٣ .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ١٨٣ / ٦ ، حلية الأبرار ٢ : ٣٠٨ ، بحار الأنوار ٤٩ : ١٧٠ / ٧ .
(٤) هو رجاء بن أبي الضحّاك محبوب ، من أهل جرجرايا . من بلاد النهروان . وهو والد الحسن بن رجاء ، ويّ ديوان الخراج على عهد المأمون ، وخراج دمشق على عهد المعتصم والواثق .

. وهي رواية طويلة نقل فيها جميع أحوال الرضا عليه السلام ، ونحن نذكر خلاصة ما ينفعنا في هذا المقام . قال : بعثني المأمون في إشخاص عليّ بن موسى الرضا من المدينة وأمرني أن آخذ به على طريق البصرة والأهواز وفارس ، وأمرني أن أحفظه بنفسه في الليل والنهار حتى أقدم به عليه ، فكنث معه من المدينة إلى مرو ، فوالله ، ما رأيت رجلاً أتقى لله عزّ وجلّ ، ولا أكثر ذكراً له في جميع أوقاته منه ، ولا أشدّ خوفاً لله منه .

كان إذا أصبح صلى الغداة ، فإذا سلّم جلس في مصلاه يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلّله ويصلي على محمد وآله ويدعو حتى تطلع الشمس ، ثمّ سجد سجدة بقي فيها حتى تعالى النهار ، ثمّ أقبل على الناس يحدثهم ويعظهم إلى قرب الزوال ، ثمّ جدّد وضوءه وعاد إلى مصلاه ، فإذا زالت الشمس قام فصلي ، فذكر مفصل كفيّة صلاتيه الظهر والعصر ونافلتهما وذكره في تعقيبهما ، إلى أن قال : فإذا غابت الشمس توضّأ وصلي المغرب ، ثمّ ذكر تفصيل كفيّة صلاة المغرب ونافلتها وإفطاره بعد الفراغ من التعقيب ، ثمّ ذكر : فإذا كان يمضي من الليل قريب من الثلث قام إلى صلاة العشاء ، وذكر كفيّتها وسائر ما يتعلّق بها ، إلى أن قال : ثمّ كان يأوي إلى فراشه فإذا كان الثلث الأخير من الليل قام من فراشه بالتسبيح والتحميد والاستغفار ، ثمّ استاك وتوضّأ ، ثمّ قام إلى صلاة الليل ، ثمّ ذكر كفيّة صلاته في السحر ، وفيها : إنّه كان يصلي أربع ركعات منها بصلاة جعفر ، إلى أن ذكر تفصيل صلاة الوتر وركعتي الفجر ، إلى أن قال : فإذا طلع الفجر قام

قُتل سنة ٢٢٦ هـ ، وصُلِب بباب دمشق .

انظر : تاريخ مدينة دمشق ١٨ : ١٢٢ / ٢١٦٦ ، تهذيب تاريخ دمشق ٥ : ٣١٩ ، الوافي بالوفيات

١٤ : ١٠٤ / ١٢٦ .

فصلّى الغداة ، وهكذا في سائر الأيام والليالي ، قال : وكان يكثر بالليل في فراشه من تلاوة القرآن ، فإذا مرّ بآية فيها ذكر الجنة والنار بكى ، وسأل الله الجنة وتعوذ بالله من النار . وبالجملّة : ذكر تفصيل آداب عبادته ﷺ إلى أن قال : وكان لا ينزل بلداً إلاّ قصده الناس يستفتونه في معالم دينهم ، فيجيبهم ، ويحدّثهم كثيراً عن آبائه عن عليّ ﷺ عن رسول الله ﷺ ، قال : فلمّا وردت به على المأمون سألتني عن حاله في طريقه فأخبرته بما شاهدتُ منه في ليله ونهاره وطمعه وإقامته ، فقال لي : يا بن أبي الضحّاك ، هو خير أهل الأرض وأعلمهم وأعبدهم ، فلا تخبر أحداً بما شاهدتُ منه لئلاّ يظهر فضله إلاّ على لساني (١) .

وفي رواية بعضٍ عن الحسين المكارى ، قال : دخلت على أبي جعفر ﷺ في بغداد وهو على ما كان من أمره ، فقلت في نفسي : هذا الرجل لا يرجع إلى موطنه أبداً وأنا أعرف مطعمه ، قال : فأطرق ﷺ رأسه ثم رفعه وقد اصفرّ لونه ، فقال : «يا حسين ، خبز شعير وملح جريش في حرم رسول الله ﷺ أحبّ إليّ ممّا تراني فيه» (٢) . وروى محمد بن سنان ، قال : دخلت على أبي الحسن الهادي ﷺ ، فقال : «يا محمد ، حدث بآل فرج حدث؟» . قلت : مات عمر (٣) .

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢ : ١٨٠ / ٥ ، بحار الأنوار ٤٩ : ٩١ / ٧ .

(٢) الخرائج والجرائح ١ : ٣٨٣ / ١١ ، الصراط المستقيم ٢ : ٢٠٠ / ٧ ، مدينة المعاجز ٧ : ٣٧٦ / ٧٦ .

(٣) هو عمر بن الفرج ، استعمله المتوكل على المدينة ومكة ، فمنع آل أبي طالب من التعرّض لمسألة الناس ، ومنع الناس من برّهم ، سخط عليه المتوكل في سنة

فقال : « الحمد لله على ذلك » مكرراً حتى أحصيت له أربعاً وعشرين مرة ، ثم قال :
« أو لا تدري ما قال لعنه الله لأبي جعفر والدي ؟ » .

قلت : لا .

قال : « خاطبه في شيء ، فقال : أظنك سكران ، فقال أبي : اللهم ، إن كنت تعلم
أني أمسيث لك صائماً فأذقه طعم الحرب وذلل الأسر ، فوالله ، إن ذهب الأيام حتى حرب
ماله وما كان له ، ثم أخذ أسيراً فهو ذا ، مات لا رحمه الله » ^(١) الخبر .

وعن محمد بن الريان بن الصلت ^(٢) قال : احتال المأمون على أبي جعفر عليه السلام بكل
حيلة فلم يمكنه فيه شيء ، فلما عجز وأراد أن يبيني عليه ابنته دفع إلى مائتي وصيفة من أجل
ما يكن ، إلى كل واحدة منهنّ جاماً فيه جوهر ، يستقبلن أبا جعفر عليه السلام إذا قعد موضع
الأخيار ^(٣) فلم يلتفت إليهنّ ، وكان رجل يقال له : مخارق صاحب صوتٍ وعودٍ وضربٍ ،
طويل اللحية ، فدعاه المأمون ، وأراد منه الحيلة في غنائته وصوته ، فقال :

٢٣٣ هـ ، وأخذ منه مالاً وجوهرًا نحو مائة ألف وعشرين ألف دينار ، ويدلّ على خبث سيرته ما ورد في الحديث .

انظر : مقاتل الطالبين : ٥٩٩ ، مروج الذهب ٤ : ١٩ .

(١) الكافي ١ : ٤١٥ / ٩ (باب مولد أبي جعفر محمد بن عليّ الثاني عليه السلام) ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ :
٤٢٨ ، بحار الأنوار ٥٠ : ٦٢ / ٣٨ .

(٢) هو من أصحاب أبي الحسن المهدي عليه السلام ، ثقة ، وكذا أبوه وأخوه عليّ بن الريان بن الصلت ثقتان بلا
خلاف ، عدّه النجاشي من أصحاب العسكري عليه السلام ، وهو من سهو القلم ، كما أشار إليه المامقاني في رجاله .

انظر : رجال النجاشي : ٣٧٠ / ١٠٠٩ ، رجال الطوسي : ٣٩١ / ٥٧٦٤ ، تنقيح المقال ٣ : ١١٦

/ ١٠٧٠٥ .

(٣) في «س» و«ل» و«ن» : «الأجناد» بدل «الأخيار» .

يا أمير المؤمنين ، إن كان . يعني : أبا جعفر عليه السلام . في شيء من أمر الدنيا فأنا أكفيك أمره ، فقع بين يدي أبي جعفر عليه السلام فشقق مخارق شهقةً اجتمع عليه أهل الدار ، وجعل يضرب بعوده ويغني حتى فعل ساعةً ، وإذا أبو جعفر عليه السلام لا يلتفت إليه لا يميناً ولا شمالاً ، ثم رفع رأسه فقال : «أتق الله ياذا العُثنون»^(١) ، قال : فسقط المضارب من يده والعود ، فلم ينتفع بيديه إلى أن مات . قال : فسأله المأمون عن حاله ، قال : لما صاح بي فزعتُ فزعةً لا أفيق منها أبداً^(٢) .

وروى جمع من الخاصة وغيرهم كلُّ بإسناد له عن أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، قال : «دخلت على رسول الله صلى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب» ، وذكر الخبر . وهو طويل . في بيان النبي صلى الله عليه وآله أسماء الأئمة من نسل الحسين عليه السلام ، وفيه : إن النبي صلى الله عليه وآله قال بعد ذكر الرضا عليه السلام : «وإن الله عزَّ وجلَّ ركب في صلبه نطفةً مباركةً ، طيبةً ، زكيةً ، مرضيةً وسمَّها عنده محمد بن عليٍّ ، فهو شفيع شيعته ، ووارث علم جدّه وفضائله وزهده وصلاحه ، له علامة بيّنة ، وحجة ظاهرة ، إذا ولد يقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ويقول في دعائه : يا من لا شبيه له ولا مثال ، أنت الله لا إله إلا أنت ، ولا خالق إلا أنت ، تفني المخلوقين وتبقى أنت ، حلمت عمّن عصاك ، وفي المغفرة رضاك»^(٣) الخبر .

(١) العُثنون : شعيرات طوال تحت حنك البعير .

انظر : مجمع البحرين ٦ : ٢٨٠ ، القاموس ٤ : ٢٤٣ ، مادة . عثن . .

(٢) الكافي ١ : ٤١٣ / ٤ (باب مولد أبي جعفر محمد بن عليٍّ الثاني عليه السلام) ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ :

٤٢٧ ، بحار الأنوار ٥٠ : ٦١ / ٣٧ ، بتفاوت يسير فيها .

(٣) كمال الدين : ٢٦٤ / ١١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٥٩ / ٢٩ ، وفيهما ضمن الحديث .

وفي رواية محمد بن العلاء^(١) أنه قال : رأيت محمد بن عليّ الرضا عليه السلام يحجّ بلا زاد ولا راحلة من ليلته ويرجع ، وكان لي أخ بمكة لي عنده خاتم ، فقلت له عليه السلام : إنه يأخذه لي منه ليكون علامة لي ، فرجع من ليلته ومعه الخاتم^(٢) .

وسياقي في ذكر أحواله وغير ذلك بعض ما ورد في عبادته وصلاحه وسائر كمالاته ، حتّى إنّه قد كفى في الدليل على ذلك أنّه لُقّب بالتقيّ والجواد .

ومن كلامه عليه السلام : «إني أوصي أهل الإجابة بتقوى الله الذي جعل لمن اتّقه المخرج من مكروهه» ثمّ ذمّ جماعة ينتحلون الدين ومودة الأئمة عليهم السلام على غير عمل ولا يقين ، إلى أن قال في مدح الصالحين : «ولم يؤثروا دُنياً حقيرةً على آخرةٍ مؤبّدةٍ» ، ثمّ قال : «فأين يذهب المبطلون ؟ سوف يأتي عليهم يوم يضمحلّ عنهم فيه الباطل . . . وذلك يوم الحسرة»^(٣) الخبر .

وسياقي في ذكر أحوال أبي الحسن الهادي عليه السلام ، وفي فصول ذكر معجزاته وفضائله وفي غيرهما من الفصول أيضاً ما ينادي بكونه مسلّم الثبوت في الصدق والصلاح والزهد والورع والعبادة والسخاء والتقوى ، وأمثال ذلك عند الصديق والعدو ؛ بحيث لم يكن في زمانه من ينكر ذلك ، ولا من يدّعي أنّه مثله .

وكفى في هذا تلقيباً بالهادي وأمثاله ، فلا حاجة إلى تكرار الذكر ،

(١) في النسخ : محمد بن أبي العلاء ، وما أثبتناه من المصدر ، وهو محمد بن العلاء الجرجانيّ من أصحاب الرضا عليه السلام ، رأى وروى معجزته وحسن حاله ، وكذا روى معجزة الجواد عليه السلام .

انظر : مستدركات علم رجال الحديث ٧ : ٢١٠ / ١٣٩٠١ .

(٢) دلائل الإمامة : ٣٩٩ / ٣٥٢ ، مدينة المعاجز ٧ : ٣٢١ / ٢٣٥٧ .

(٣) الدرّ النظيم : ٧١٥ .

حتى إنّ في مواعظه الشافية وكلماته الوافية ما ينادي بأنّه لم يتكلّم إلّا بما كان عاملاً به ، كما هو ظاهر .

فمن كلامه عليه السلام : «مخالطة الأشرار تدلّ على شرّ مخالطهم ، والكفر للنعم أمانة البطر وسبب للتغيير»^(١) .

ومن كلامه عليه السلام : «الحسد ماحق الحسنيات ، والعجب صارف عن طلب العلم ، داعٍ إلى التقصّر في الجهل ، والبخل أذمّ الأخلاق»^(٢) .

وقال عليه السلام لبعض أصحابه : «السهر ألذّ للنمّ ، والجوع أزيد في طيب الطعام»^(٣) .

وقال عليه السلام : «اذكر مصرعك بين يدي أهلك ، فلا طيب يمنعك ، ولا حبيب ينفعك»^(٤) .

وكتب عليه السلام إلى بعض أهل همدان : «ليس مع سوء الظنّ بنا إيمان»^(٥) .

ومن كلامه عليه السلام : «الأخلاق تتصفّحها المجالسة»^(٦) .

وقال عليه السلام لبعض مواليه : «ألقوا النعم بحسن مجاورتها ، والتمسوا الزيادة منها بالشكر عليها ، واعلموا أنّ النفس أقبل شيءٍ لما أعطيت وأمنع شيءٍ لما سُلبت ، فاحملوها على مطيّةٍ لا تُبْطئ إذا ركبت ، ولا تسبق إذا

(١) نزهة الناظر : ١٤٠ / ١٧ ، الدرّ النظيم : ٧٣٠ ، بتفاوت يسير فيهما .

(٢) نزهة الناظر : ١٤٠ / ١٦ ، الدرّ النظيم : ٧٣٠ ، بتفاوت يسير فيهما .

(٣) نزهة الناظر : ١٤١ / ١٨ ، الدرّ النظيم : ٧٣٠ ، أعلام الدين : ٣١١ ، الدرّة الباهرة : ٤٢ ، بحار الأنوار : ٧٨ : ٣٦٩ .

(٤) نزهة الناظر : ١٤١ / ١٩ ، الدرّ النظيم : ٧٣٠ ، أعلام الدين : ٣١١ ، بحار الأنوار : ٧٨ : ٣٧٠ .

(٥) الدرّ النظيم : ٧٣١ .

(٦) نزهة الناظر : ١٤١ / ٢٤ .

تقدّمت ، أدرك من سبق إلى الجنّة ، ونجا من هرب من النار»^(١) .

وقال عليّ عليه السلام : «الحكمة لا تنجع في الطباع الفاسدة»^(٢) .

وسأله رجل أن يعلمه دعوةً جامعةً للدنيا والآخرة ، فقال : «أكثر من الاستغفار والحمد ، فإنّك تدرك بذلك الخير كلّ»^(٣) .

وسأني في حديث سعيد . خادم المتوكّل . أنّه قال : لما سعى إلى المتوكّل البطحائيّ العلويّ بأنّ أموالاً تُحمل إلى الهادي عليّ عليه السلام وسلاحاً ، أمرني المتوكّل أن أهبم عليه بالليل في بيته ، وأخذ كلّ ما فيه من الأموال والأسلحة ، فأخذت سلماً معي وصعدت سطح داره ونزلت من الدرج في الظلمة فإذا بشمعة وهو بالبيت وعليه جبة صوف وقلنسوة منها وسجادة على حصير بين يديه ، فلم أشكّ أنّه كان يصليّ ، فقال لي : «دونك البيوت» ، ففتّشتها فلم أجد فيها شيئاً ممّا سعي به^(٤) ، الخبر .

وفيما مرّ آنفاً من حديث دخول الحسين عليّ عليه السلام على جدّه صلّى الله عليه وآله وعنده أبي بن كعب وذكر النبيّ صلّى الله عليه وآله أسماء الأئمة عليهم السلام ، إلى أن قال في أبي جعفر الجواد عليّ عليه السلام ما مرّ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله قال بعد ذكر الجواد عليّ عليه السلام : «وإنّ الله تعالى ركّب في صلبه نقطة بارّة ، مباركة ، طيبة ، طاهرة ، صالحة لا باغية ولا طاغية ، سمّاها عليّ بن محمّد ، فألبسها السكينة والوقار ، وأودعها

(١) نزهة الناظر : ١٤٣ / ٣١ ، الدرّ النظيم : ٧٣٣ ، أعلام الدين : ٣١٢ ، وفيه باختصار ، بحار الأنوار ٧٨ : ٣٧٠ .

(٢) نزهة الناظر : ١٤١ / ٢٣ ، الدرّ النظيم : ٧٣٣ ، أعلام الدين : ٣١١ .

(٣) الدرّ النظيم : ٧٣٢ .

(٤) الكافي ١ : ٤١٧ / ٤ (باب مولد أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام) ، الإرشاد للمفيد ٢ : ٣٠٣ ، إعلام الوريّ ٢ : ١٢٠ ، الخرائج والجرائح ٢ : ٦٧٧ / ٨ ، الدعوات للراونديّ : ٢٠٢ ، بتفاوت فيها .

العلوم وكلّ سرّ مكتوم ، من لقيه وفي صدره شيء أخبره به وحذّره من عدوّه ، ويقول في دعائه : يا ربّ ، أكفني شرّ الشرور ، وآفات الدهور ، وأسألك النجاة يوم ينفخ في الصور» الخبر ، إلى أن قال عليه السلام أيضاً : «وإنّ الله تعالى قد ركّب في صلبه . يعني : عليّ بن محمّد عليه السلام . نطفة طيّبة ، طاهرة ، سالحة ، مباركة ، وسمّاها عنده الحسن ، فجعله نوراً في بلاده ، وخليفةً في أرضه ، وعزّاً لأمة جدّه ، وهادياً لشيعته ، ونقمةً لمن خالفه ، وحجّةً لمن والاه ، تقيّاً ، نقيّاً ، مرضيّاً ، يقول في دعائه : يا عزيز العزّ في عزّه ، يا عزيز ، أعزّني بعزّك ، وأيدني بنصرك ، وأبعد عني همزات الشياطين ، واجعلني من خيار خلقك»^(١) الخبر .

وروى محمّد بن هارون بن موسى^(٢) ، قال : حدّثني أبي قال : كنت في دهليزٍ لأبي عليّ محمّد بن همام عليه السلام^(٣) على دكّةٍ . وصفها . إذ مرّ بنا شيخ كبير عليه درّاعة فسلم على أبي عليّ ، فردّ عليه السلام ، فمضى ، فقال لي أبو عليّ : هذا شاكري^(٤) لمولانا أبي محمّد عليه السلام ، ناديه حتّى نسمع منه بعض أحاديثه عنه عليه السلام ، فناديناه فجاء وجلس وسألناه عمّا رأى منه عليه السلام ،

(١) تقدّم ترجمته في ص ٤٠٠ هامش (٢) .

(٢) هو محمّد بن هارون بن موسى ، يكنّى أبا الحسين ، كان إمامياً مرضياً ، ولم يُذكر له ترجمة أكثر من هذا .

انظر : تنقيح المقال ٣ : ١٩٨ / ١١٤٧٦ .

(٣) هو محمّد بن همام بن سهل ، يكنّى أبا عليّ البغداديّ ، ثقة ، وله منزلة عظيمة ، وكان كثير الحديث ، جليل القدر .

مات سنة ٣٣٦ هـ .

انظر : الرجال لابن داؤد : ١٨٥ / ١٥٢٣ ، الخلاصة : ١٤٥ / ٣٨ ، تنقيح المقال ٣ : ١٩٨ /

١١٤٩ .

(٤) الشاكريّ : الأجير والمستخدم .

انظر : القاموس ٢ : ١٣٢ ، مادة . شكر . .

فقال : كان أستاذي صالحاً من بين العلويين لم أر مثله في الزهد والورع والعبادة والهيبة والجلالة ، وكان يركب في كل اثنين وخميس إلى دار الخلافة بسر من رأى ، وكان يوم النوبة يحضر من الناس خلق كثير عظيم ، وتغصّ المشارع بالدواب والناس والضجة ، فلا يكون لأحد موضع يمشي ، قال : فإذا جاء أستاذي سكنت الضجة وهدأ صهيل الخيل ونُهاق الحمير وتفرّق الناس حتّى يصير الطريق واسعاً لا نحتاج أن نتوقّى من الدواب وغيرها^(١) ، الخير .

وقال أبو هاشم الجعفري^(٢) : سمعت أبا محمد الحسن عليه السلام يقول : «الذنوب التي لا تُغفر : قول الرجل : ليتني لا أؤخذ إلا بهذا» .

فقلت في نفسي : إنّ هذا هو التدقيق ، وينبغي للرجل أن يتفكّد من نفسه كلّ شيء . فقال عليه السلام : «معجزة . من غير أن أقول له شيئاً . صدقت يا أبا هاشم ، إلزم ما حدّثتك به نفسك ، فإنّ الشرك في الناس أخفى من ديب الذرّ على الصفا في الليلة الظلماء»^(٣) .

(١) دلائل الإمامة : ٤٢٨ . ٤٣٠ / ٣٩٥ ، الغيبة للطوسي : ٢١٥ / ١٧٩ ، المناقب لابن شهر آشوب : ٤ : ٤٦٦ ، حلية الأبرار : ٢ : ٥٠٠ .

(٢) هو داؤد بن القاسم بن إسحاق بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، يكنى أبا هاشم ، من أهل بغداد ، وكان عظيم المنزلة وجيليل القدر عند الأئمة عليهم السلام ، شاهد الرضا والجواد والهادي والعسكري عليهم السلام .

انظر : رجال النجاشي : ١٥٦ / ٤١١ ، الفهرست للطوسي : ٦٧ / ٢٧٦ ، رجال الطوسي : ٣٥٧ / ٥٢٩٠ ، و ٣٧٥ / ٥٥٥٣ ، و ٣٨٦ / ٥٦٨٩ ، و ٣٩٩ / ٥٨٤٧ ، كتاب الرجال لابن داؤد : ٩١ / ٥٩٣ ، الخلاصة : ٦٨ / ٣ ، تنقيح المقال : ١ : ٤١٢ / ٣٨٦٠ .

(٣) الغيبة للطوسي : ٢٠٧ / ١٧٦ ، الثاقب في المناقب : ٥٦٧ / ٥٠٩ ، إعلام الوری : ٢ : ١٤٣ ، الخرائج والجرائح : ٢ : ٦٨٨ / ١١ ، تنبيه الخواطر : ٢ : ٧ ، كشف الغمّة : ٢ : ٤٢٠ ، إثبات الوصيّة : ٢١٢ ، الفصول المهمة : ٢٨٥ .

وسياتي في ذكر أحواله وفي غير ذلك ذكر كثير مما يدل على عبادته ، وزهده ، وصلاحه ، وسخائه ، وعطائه ، واستجابة دعائه ، حتى باعتراف أعدائه ، وممرت بعض كلماته في المواعظ الصريحة في كونه عاملاً بذلك ، في فصل العلم ، وكان من مناجاته عليه السلام في كل ليلة : «اللهم ، إن كان وجهي قد أخلق عندك بكثرة ذنوبي فبجدة وجهك اعف عني»^(١) .

وسياتي في رواية صالح بن وصيف^(٢) . الذي حُبس أبو محمد عليه السلام عنده . اعتراف صريح منه بأنه يصوم النهار ويقوم الليل كله ، لا يتكلم ولا يتشاغل بغير العبادة . قال صالح وأتباعه : إنه كان إذا نظر إلينا ارتعدت فرائصنا وداخلنا ما لا نملكه من أنفسنا^(٣) ، الخبر ، ويأتي غيره أيضاً .

وفي روايات الفريقين : أنّ الإمام عليه السلام لما توفيّ وذاع خبر وفاته صارت سرّ من رأى صيحة واحدة وعُطّلت الأسواق ، وركب بنو هاشم من العلوية ، والعباسية والقواد ، والكتّاب ، والمعدّلون ، والعلماء ، والقضاة وسائر الناس ، وحضر الجميع إلى جنازته حتى صارت سرّ من رأى يومئذٍ شبيهاً بالقيامة ، كلّ ذلك لعلمه ، وصلاحه ، وجلالة حاله عند الصغير والكبير^(٤) .

أقول : وسياتي في ذكر أحوال القائم عليه السلام أيضاً ما هو نافع في هذا المقام ، بل الحقّ الذي لا ينكره إلّا المتعصّب الناصب العنود الجاحد

(١) الدرّ النظيم : ٧٤٦ .

(٢) هو رئيس الأمراء في خلافة المهدي ، قُتل سنة ٢٥٦ هـ .

انظر : المنتظم ١٢ : ٧٩ ، ودول الإسلام للذهبي : ١٤١ .

(٣) الكافي ١ : ٤٢٩ / ٢٣ (باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام) ، الإرشاد للمفيد ٢ : ٣٣٤ ، إعلام الوري ٢ : ١٥٠ ، المناقب لابن شهر آشوب ٤ : ٤٦٢ .

(٤) انظر : الكافي ١ : ٤٢١ / ١ (باب مولد أبي محمد الحسن بن علي عليه السلام) ، الإرشاد للمفيد ٢ : ٣٢٤ ، إعلام الوري ٢ : ١٤٧ ، الفصول المهمة : ٢٨٩ ، نور الأبصار : ١٨٥ .

للبديهيّات والمتواترات والمسلّمات عند كلّ أحد من الخواصّ والعوامّ ، أنّ كلّ من لاحظ ما ذكره الناس من أهل السير ، ونقله الأخبار من كلّ طائفة في أحوال هؤلاء الأئمّة عليهم السلام المعلومين ، لم يبق له شكٌّ ولا شبهة في أنّ كلّ واحد منهم كان فائقاً على سائر أهل زمانه كلّهم في العلم والعمل ، زهداً ، وعبادةً ، وورعاً ، وفي صدق القول ، وحُسن العشرة والمسلّك ، والسخاوة والكرم ، وسائر الأخلاق الحسنة ، لا سيّما الورع والتقوى والاجتهاد في طاعة الله عزّ وجلّ ، من بدء عمره إلى حين الوفاة ، بحيث لم يُنقل حتّى الذي كان عدوّاً لهم منقصة عن واحد منهم ولو في شيءٍ حقير سهل مع كثرة نقلهم أشياء عن سائر العلماء والخلفاء والأعيان ، كما مرّ نبذ من ذلك في المقدّمة ، وظاهر أنّ هذا أدلّ دليل بل نصّ قاطع على كونهم منزّهين عن العيوب ، مطهّرين من الذنوب ، لم يكن لهم شبه بسائر الناس . وكفى في حصول الجرم بما ذكرناه تتبّع ما نقلناه في هذا الكتاب من أحوالهم في كلّ فصل ومقال ؛ ضرورة استحالة تكذيب جميع ذلك كلّّه حتّى المقرون باعتراف المخالفين ونقلهم ، بل نقل المنحرفين عنهم ، هذا كلّّه ، مع إضافة ما مرّ ويأتي . لا سيّما في الفصل الحادي عشر من هذه المقالة . من الأخبار المتواترة المتظافرة التي نقلها حفاظ الحديث ، لا سيّما من علماء المخالفين عن جماعة من الصحابة عن النبيّ صلى الله عليه وآله ، المشتملة على شهادته صلى الله عليه وآله بكون هؤلاء كلّهم أفضل الناس علماً وعملاً وتقوىً وصدقاً وكمالاً من كلّ جهة ، مع أنّه يكفي في ذلك حديث واحد ثابت عنه صلى الله عليه وآله ، وأيضاً قد ورد^(١) عن أكثر هؤلاء الأئمّة لا سيّما أمير المؤمنين عليه السلام ما هو صريح في الشهادة بحسن حال كلّهم وجلالة شأن جميعهم ،

(١) في «ن» : «روي» بدل «ورد» .

وتساويهم في العلم وسائر الكمالات الجليلة .

ومن البين استحالة قدح جميع تلك المرويات عن النبي ﷺ وهؤلاء وغيرهم ، وكذا كفر القدح في شهادة النبي وعلي عليه السلام ، على أنه لا مجال للنزاع في ثبوت كون من اشتهر حاله من هؤلاء الأئمة عند عامة الفرق ، مثل : علي عليه السلام والحسين وزين العابدين والباقر والصادق والكاظم والرضا ، لا سيما الباقرين والرضا عليه السلام مسلمين كمالاتهم عند كل أحد علماً وعملاً ، ولم ينقل أحد عن البقية قدحاً ، بل دلت الأخبار والقرائن والآثار على كونهم جميعاً على روية واحدة ، والاشتراك في الحال والكمال ، فيلزم حينئذ الحكم بصلاح البقية أيضاً .

ثم إنه إذا تبين لزوم كون الإمام متصفاً بكمال العلم والصدق والصلاح ، وتواتر أيضاً أن لا بد في هذه الأمة من اثني عشر إماماً هادياً مهدياً وأن أولهم علي عليه السلام وآخرهم المهدي ، المتصفان جزماً بما هو لازم من وصف الإمامة ، وأن في الأواسط أيضاً كان من هو مثل هؤلاء في العلم والعمل ، كالصادق وغيره ممن ذكرناه ، وتبين أيضاً أن مبنى إمامة كل منهم بالنص والوصية ، فيجب أن يكون الجميع على هذه الأوصاف .

هذا كله ، مع وفور ما يدل على وجود العلم والصدق والصلاح في كل واحد منهم ، بحيث لا يمكن إنكاره لا سيما من اطلع على أحوالهم بتتبع نقل الصديق والعدو كما تبين مراراً ، بل إنما ذكرنا هذه الوجوه إظهاراً (لكثرة طرق إثبات) ^(١) كمالاتهم ، وإلا فالحق أن لا نزاع لأحد في وجود جميع ^(٢) صفات الكمال فيهم علماً وعملاً ، فافهم ذلك واحفظه حتى لا تنزل

(١) بدل ما بين القوسين في «ن» هكذا : «لإثبات طرق» .

(٢) كلمة : «جميع» لم ترد في «ن» .

بشكوك الجاهلين ، والله الهادي .

المطلب الثاني :

في بيان نبد من أدلة عصمتهم عن الخطأ وغيره بنحو ما كان النبي ﷺ معصوماً .
إعلم أنّ أكثر ما سيأتي في الفصول الآتية من الروايات ، والآيات ، والفضائل ،
والصفات ، بل ما مضى أيضاً لا سيّما في المطلب السابق وفي الأخبار التي ذكرناها في فاتحة
كتابنا هذا ، تدلّ على عصمتهم .

فمنها : كثير من الآيات التي تأتي في الفصل التاسع لا سيّما آية التطهير ، والمباهلة ،
وسورة هل أتى ، وأكثر الآيات التي تأتي في المطلب الخامس منه ، مع جمّة من الآيات التي
تأتي في المطلب السادس منه ، وسندكر في كلّ آية منها دلالتها على هذا المطلب مع وجه
الدلالة .

ومنها : ما سيأتي في الفصل الثالث من اتّصافهم بصفات مختصّة بالنبيّ وأكابر الأنبياء
المعصومين ، بل دالة بعضها على كون ذلك الاختصاص لعصمتهم ، كما سنشير إلى الدلالة
ووجهها في بعض منها .

ومنها : ما سيظهر ممّا يأتي في الفصل الرابع والخامس من تشريف الله إيّاهم بمزايا ،
وخواصّ ، وعطايا لم يُنعم بها بعض الأنبياء المعصومين ، بل كثيراً منهم فضلاً عن المذنبين ؛
إذ أيّ سفيه يقبل فضلاً عن النبيه أن يشرف الله بجميع هذه المكارم والنعم من يخالفه
ويعصيه ؟ وقد قال : ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾ ^(١) ، فلا أقلّ هاهنا من القول بأقلّ
مراتب العصمة

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣ .

إن لم نقل جهلاً لا^(١) تجاهلاً بثبوت أعلى مراتبها ، هذا مع أنّ في بعض ما سيأتي فيهما ما يدلّ على لزوم كونهم معصومين ، لا سيّما عن الخطأ والكذب من غير هذا الوجه أيضاً ، فافهم .

ومنها : ما سيأتي في الفصل السادس من إثبات الوصاية التي كانت سابقاً في الذين نقول بعصمتهم .

ومنها : ما يظهر ممّا سيأتي في الفصل السابع من استلزام دوام كونهم مع الحقّ والقرآن عدم صدور الخطأ منهم مطلقاً ، وهو معنى العصمة .

ومنها : بعض ما سيأتي في بقيّة الفصول وفي الختام بل في غيرها أيضاً ممّا مرّ ويأتي ، كما سنشير إلى دلالة كلّ واحد في محله ، حتّى إنّ في الفصل الحادي عشر أخباراً صريحة في المطلوب ؛ ولهذا نذكر هاهنا ممّا سوى تلك الأدلّة والشواهد والقرائن ما يكون نصّاً وارداً في خصوص هذا المطلب ، أو دليلاً له بخصوصه ولو في حقّ بعض منهم ، كعليّ عليه السلام مثلاً ؛ لعدم قائل بالفرق ، كما هو ظاهر .

ثمّ لا يخفى أنّ فيما نذكره هاهنا ما يدلّ على لزوم العصمة في مطلق النبيّ والإمام أيضاً ، كما بيّناه في المقالة الخامسة الماضية ، فلا تغفل .

وها نحن نذكر هاهنا ما نريد ذكره في مقامين ، نذكر في أحدهما ما ورد في ذلك من خصوص النصوص ، وفي الثاني سائر الأدلّة .

فالمقام الأوّل : في بيان ما روي عن الله ورسوله والأئمّة عليهم السلام وغيرهم في خصوص عصمتهم عليهم السلام ولو كان ورود بعضها في بعضهم لا سيّما عليّ عليه السلام ، أو في مطلق كون الإمام كذلك ، وإنّما نذكر هاهنا ما روي

(١) في «ل» و«س» : «أو» بدل «لا» .

عن الأئمة عليهم السلام أيضاً ولو بنقل أصحابنا ؛ لاتّفاق المخالف والمؤلف مع دلالة الأدلة لا سيما الآتية على كونهم صادقين مصدّقين ، غير مقدّوحين في أقوالهم وأخبارهم ، مطّلعين على أحوال آبائهم ، وما لا بدّ منه في الإمامة ، مع كون روايات الشيعة عنهم هاهنا مقرونة بقرائن الصحة ، التي هي سائر دلائل العصمة .

هذا ، مع كفاية كثرتها جدّاً وموافقتها لما رواه المخالف أيضاً ، ونصّ المخالفين على توثيق بعض روايتها في كونها حجةً .

روى الخوارزمي في مناقبه عن جابر بن عبد الله الأنصاري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «إنّ ملكي عليّ بن أبي طالب يفتخران على سائر الملائك بكونهما مع عليّ بن أبي طالب ؛ لأنّهما لا يصعدان إلى الله بشيءٍ يسخطه»^(١) .

وروى مثله ابن المغازلي في مناقبه عن جابر وغيره^(٢) ، كما سيأتي بعدّة طرق .

وروى . . . الورّاق في كتابه بإسناد له عن الأصبع بن نباتة ، عن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول : «أنا وعليّ والحسن والحسين وتسعة من ولد الحسين عليهم السلام مطهّرون معصومون»^(٣) .

وسيأتي في الفصل الحادي عشر ما يزيد على عشرة أحاديث مشتملة . مثل هذا الخبر . على صريح عصمتهم جميعاً ، فلا تغفل ، فإنّا اكتفينا بذكرها ثمّة عن ذكرها هاهنا حذراً عن التكرار .

(١) المناقب للخوارزمي : ٣١٥ / ٣١٥ ، بسند آخر مع تفاوت .

(٢) المناقب لابن المغازلي : ١٢٧ / ١٦٧ ، و ١٢٨ / ١٦٨ .

(٣) إكمال الدين : ٢٨٠ / ٢٨ ، فرائد السمطين ٢ : ١٣٢ / ٤٣٠ ، و ٣١٣ / ٥٦٣ .

وفي الفردوس عن عليّ عليه السلام قال : «قال النبي صلى الله عليه وآله : إنا أهل بيت قد أذهب الله عنا الفواحش ما ظهر منها وما بطن» (١) .

ووجه دلالته بعد ملاحظة آية التطهير (٢) ظاهر ؛ لكونه إشارة إليها ، مع أنّ الظاهر أنّ المراد مطلق الذنب ، وإلا فلا فخر في ترك الكبائر مع كون كثير من المؤمنين كذلك .
وفي تفسير وكيع : حدّثنا سفيان بن مّرّة الهمداني عن عبد خير ، قال : سألت عليّاً عليه السلام عن قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ (٣) ، فقال : «والله ، ما عمل بهذا غيرنا أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله ، نحن ذكرنا الله فلا ننساه ، ونحن شكرناه فلا نكفره ، ونحن أطعناه فلا نعصيه» ، وقال : «لما نزلت هذه الآية ، قالت الصحابة : لا نطبق ذلك ، فأنزل الله : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ (٤) » قال وكيع : يعني ما أطقتم (٥) .
وفي تاريخ الخطيب البغداديّ ، ومناقب ابن المغازليّ من ثلاثة طرق عن عمّار بن ياسر ، وذكره جماعة ، منهم : ابن المغازلي أيضاً (٦) بطرق كثيرة عن بريدة الأسلمي ، قال : إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال : «قال لي جبرئيل : يا محمد ، إنّ حفظة عليّ بن أبي طالب عليه السلام تفتخر على الملائكة أنّها لم تكتب على

(١) فردوس الأخبار ١ : ٨٧ / ١٤٧ .

(٢) سورة الأحزاب ٣٣ : ٣٣ ، وهي : ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ .

(٣) سورة آل عمران ٣ : ١٠٢ .

(٤) سورة التغابن ٦٤ : ١٦ .

(٥) نقله عنه ابن شهر آشوب في مناقبه ٢ : ٢٠٢ ، والمجلسي في بحار الأنوار ٣٨ : ٦٣ .

(٦) في «م» : «مبيناً» بدل «أيضاً» .

عليّ خطيئةً منذ صحبتته»^(١) ، وقد مرّ مثله آنفاً عن جابر^(٢) .

وفي روايات أصحابنا عن الصادق عليه السلام أنّه قال : «أقبل رسول الله ﷺ يوماً واضعاً يده على كتف العباس ، فاستقبله عليّ عليه السلام فعانقه رسول الله ﷺ ، وقبّل بين عينيه ، ثمّ سلّم العباس على عليّ عليه السلام فردّ عليه خفياً ، فغضب العباس ، فقال : يا رسول الله ، لا يدع عليّ زهوه ! فقال رسول الله : يا عباس ، لا تقل ذلك في عليّ عليه السلام ، فإني لقيت جبرئيل آنفاً ، فقال : لقيني الملكان الموكلان بعليّ الساعة فقالا : ما كتبنا عليه ذنباً منذ يوم ولد إلى هذا اليوم»^(٣) .

ومن جملة روايات بريدة ما ذكره جمع ، منهم : صاحب المناقب ، من أنّ بريدة لما شكّا عليّاً عليه السلام إلى النبي ﷺ في أمر الجارية التي أخذها عليّ عليه السلام من الغنيمة . كما سيأتي حديثه المشهور في بحث حكاية الغدير وغيره . قال رسول الله ﷺ بعد أن غضب وتكلّم على بريدة ، وذكر كون عليّ عليه السلام على الصواب في ذلك : «يا بريدة ، أنت أعلم أم الله عزّ وجلّ ؟ أنت أعلم أم قرّاء اللوح المحفوظ ؟ أنت أعلم أم ملك الأرحام؟» .

قال بريدة : بل الله أعلم ، وقرّاء اللوح أعلم ، وملك الأرحام أعلم .

قال رسول الله ﷺ : «فأنت أعلم أم حفظة عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟» .

قال : بل حفظة عليّ عليه السلام ، فقال رسول الله ﷺ : «فكيف تحطّئه

(١) انظر : تاريخ بغداد ١٤ : ٤٩ / ٧٣٩١ ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٢٠٤ ، عن جماعة نصّاً ، بحار

الأنوار ٣٨ : ٦٤ - ٦٥ ، وفي المناقب لابن المغازلي ما تقدّم نقله في ص ٤٠٨ - ٤٠٩ .

(٢) تقدّم في ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ويأتي ص ٤١١ .

(٣) تفسير القميّ ١ : ٣٦٤ - ٣٦٥ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٦٥ / ٢ .

وتلومه وتوبّخه وتشنع عليه في فعله ، وهذا جبرئيل أخبرني عن حفظة عليّ عليه السلام أنّهم ما كتبوا عليه قطّ خطيئة منذ ولد ، وهذا ملك الأرحام حدّثني أنّهم كتبوا قبل أن يولد ، حين استحكم في بطن أمّه ، أنّه لا يكون منه خطيئة أبداً ، وهؤلاء قراء اللوح المحفوظ أخبروني ليلة أُسري بي أنّهم وجدوا في اللوح المحفوظ : عليّ المعصوم من كلّ خطأ وزلّة ، فكيف تخطئه أنت يا بريدة؟! وقد صوّبه ربّ العالمين والملائكة المقربون؟»^(١) الخبر ، وهو طويل أخذنا منه موضع الحاجة .

وفي رواية ذكرها المخالف والمؤلف : أنّ رجلاً اعترف عند عليّ عليه السلام أنّه قد زنى مرة بعد مرة ، وكان محصناً ، فكان عليّ عليه السلام يتجاهل حتّى اعترف أربع مرّات ، فأمر بحبسه ، ثمّ نادى في الناس ، ثمّ أخرجته إلى البرّ ، وحفر حفيرة ووضعها فيها ، ثمّ نادى : «أيّها الناس ، إنّ هذه حقوق الله لا يطلبها من كان عليه مثله» ، فانصرف الناس ما خلا عليّ وابنيه الحسن والحسين^(٢) ، حتّى إنّ في رواية : أنّ محمّد بن الحنفية كان ممّن رجع^(٣) ، الخبر .

أقول : من البين أنّ مراد عليّ عليه السلام من كلامه هذا لم يكن خصوص حقّ الله في الزنا ، ضرورة أنّه لم يكن يرجع حينئذٍ سائر الناس جميعاً حتّى ابن الحنفية ، فوجب أن يكون مراده مطلقاً اقتراح الذنب الذي لم يكن غير المعصوم سالماً منه ، ولهذا بقي معه الحسن والحسين فقط ، فافهم .

وفي تفسير القطّان وغيره عن قتادة عن الحسن البصريّ ، قال : اجتمع عليّ ،

(١) تفسير الإمام العسكري عليه السلام : ١٣٦ / ٧٠ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٦٦ / ٦ ، وانظر : المناقب لابن شهر آشوب ٣ : ٢٤٤ .

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٢٠٢ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٦٣ .

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٢٠٢ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٦٣ - ٦٤ .

وعثمان بن مظعون^(١) ، وأبو طلحة^(٢) ، وأبو دجانة^(٣) ، وغيرهم في منزل سعد بن أبي وقاص ، فأكلوا شيئاً ، ثم قَدِمَ إليهم شيئاً من الفضيخ . وكان ذلك قبل نزول تحريم الخمر . فقام عليّ عليه السلام من بينهم وخرج ، فقال عثمان في ذلك ، فقال عليّ عليه السلام : «لعن الله الخمر ، والله ، لا أشرب شيئاً يذهب بعقلي ويضحك بي من رأني ، وأزوّج كريمي من لا أريد» ، فخرج وأتى المسجد ، فهبط جبرئيل بآية تحريم الخمر^(٤) ، فقال عليّ عليه السلام :

(١) هو عثمان بن مظعون بن حبيب بن وهب ، يكنى أبا السائب ، وأمه سخيلا ، أسلم بعد ثلاثة عشر رجلاً ، وهاجر المهاجرين ، وشهد بدرًا ، وهو أول رجل مات بالمدينة من المهاجرين بعدما رجع من بدر . مات سنة ٢ هـ ، وقيل : مات على رأس ثلاثين شهراً من الهجرة . انظر : الاستيعاب ٣ : ١٠٥٣ / ١٧٧٩ ، أسد الغابة ٣ : ٤٩٤ / ٣٥٨٨ ، سير أعلام النبلاء ١ : ١٥٣ / ٩ .

(٢) هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام الخزرجي ، يكنى أبا طلحة الأنصاري ، أمه تسمى عبادة ، وهو مشهور بكنيته ، عقي ، بدري ، أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة الجراح ، وكان أحد الشجعان والرماة ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : «صوت أبي طلحة في الجيش خير من فئة» . اختلف في سنة موته ، فقيل : مات سنة ٣١ هـ ، وقيل : سنة ٣٤ هـ ، وقيل : سنة ٥١ هـ . انظر : الاستيعاب ٢ : ٥٥٣ / ٨٥٠ ، أسد الغابة ٢ : ١٣٧ / ١٨٤٣ ، و٥ : ١٨١ / ٦٠٢٩ ، تهذيب الكمال ٣٣ : ٤٤٠ ، سير أعلام النبلاء ٢ : ٢٧ / ٥ .

(٣) هو سيماك بن خرشة ، وقيل : سيماك بن أوس بن خرشة ، يكنى أبا دجانة الأنصاري ، وهو مشهور بكنيته ، وكان من أكابر الصحابة ، شهد بدرًا وأحدًا وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أحد الشجعان ، له مقامات محمودة في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم . انظر : الاستيعاب ٢ : ٦٥١ / ١٠٦٠ ، أسد الغابة ٢ : ٢٩٩ / ٢٢٣٥ ، سير أعلام النبلاء ١ : ٢٤٣ / ٣٩ .

(٤) سورة المائدة ٥ : ٩٠ ، وهي : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ . . . ﴾ .

«تَبَّأَ لَهَا ، وَاللَّهِ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَقَدْ كَانَ بَصْرِي فِيهَا نَافِذاً مَنْذُ كُنْتُ صَغِيرًا»^(١) .

أقول : لا يخفى أنَّ هذا ممَّا يدلُّ على أنَّ عصمته كانت بحيث لم تكن نفسه تميل إلى ما لم يكن فيه رضا الله سبحانه وإن لم ينزل بعدُ تحريره ، أو لم يكن حراماً ، كما ينادي بذلك ما مرَّ من تركه الدنيا رأساً ، وهذه مرتبة فوق العصمة ، وأعلى مقامات المقرَّبين .

وقد روى جماعة من الإمامية عن المفضل بن عمر ، قال : قلت لأبي عبد الله عليه السلام : جُعلت فداك ، من غسَّل فاطمة عليها السلام ؟

قال : « ذاك أمير المؤمنين عليه السلام » .

قال : فكأنِّي استعظمت ذلك من قوله ، فقال : « كأنَّك ضقت ممَّا أخبرتُك به ؟ » .

قلت : قد كان ذلك جُعلت فداك .

قال : « لا تضيقنَّ ، فإنَّها صديقة لا يغسلها إلَّا صديق ، أما علمت أنَّ مريم لم يغسلها إلَّا عيسى عليه السلام ؟ »^(٢) .

وروى الخوارزمي عن عليِّ عليه السلام أنَّه قال : « وجعت وجعاً فأتيت النبيَّ صلى الله عليه وآله فأنامني في مكانه وقام يصلي ، فألقى عليَّ طرف ثوبه ، فصلَّى ما شاء الله ، ثمَّ قال : يا عليُّ ، قد برأت فلا بأس عليك ، ما سألت شيئاً إلَّا سألت لك مثله ، ولا سألت الله شيئاً إلَّا أعطاني إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي »^(٣) .

أقول : قوله عليه السلام : « إلَّا أنَّه لا نبيَّ بعدي » ينادي بأنَّ سائر الخصال كلَّها

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٢٠٣ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٦٤ .

(٢) علل الشرائع : ١٨٤ / ١ باب ١٤٨ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٢٠٦ / ٣٢ .

(٣) المناقب للخوارزمي : ١١٠ / ١١٧ ، تهذيب الخصائص للنسائي : ١٠٧ / ١٤٢ ، المناقب لابن المغازلي : ١٣٥ / ١٧٨ .

ما سوى النبوة طلبها النبي ﷺ لعلِّي عليّاً وأعطاه الله ، وظاهر أنّ التوفيق لترك ما يخالف رضا الله سبحانه رأساً . الذي هو المراد بالعصمة . من أجل الخصال ، وأهم المطالب ، فلا محالة يكون داخلاً أيضاً ، سيما على ما هو المشهور بين المخالفين أيضاً من كون النبي ﷺ معصوماً .

وروى الجعابي في كتابه بإسناد له عن جابر ، قال : خرج النبي ﷺ علينا آخذاً بيد الحسن والحسين عليهما السلام ، فقال : «إنّ ابني هذين ربيتهما صغيرين ، ودعوت لهما كبيرين ، وسألت الله لهما ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة ، سألت الله لهما أن يجعلهما طاهرين مطهرين ، زكّيين ، فأجابني إلى ذلك»^(١) الخبر ، ويأتي تمامه في ذكر أحوالهما .

وفي كتاب النصوص بإسناده عن طارق بن شهاب ، قال : قال عليّ عليّاً السلام «للحسن والحسين عليهما السلام : «أنتما إمامان بعقي ، وسيّدا شباب أهل الجنة ، والمعصومان ، حفظكما الله ، ولعنة الله على من عاداكما»^(٢) .

وروى . . . الثقفيّ عن ابن أخت الواقديّ ، عن قتادة ، عن الحضرميّ ، عن سعيد بن المسيّب ، عن ابن عباس ، قال : إنّ رسول الله ﷺ كان جالساً يوماً وعنده عليّ وفاطمة والحسن والحسين عليهما السلام ، فقال : «اللهم ، إنّك تعلم أنّ هؤلاء أهل بيتي ، وأكرم الناس عليّ ، فأحبّ من يُحبّهم ، وأبغض من يُبغضهم ، ووال من والاهم ، وعاد من عاداهم ، وأعن من أعانهم ، واجعلهم مطهرين من كلّ رجس ، معصومين من كلّ ذنب ، وأيدهم بروح القدس منك»^(٣) الخبر .

(١) الأمالي للمفيد: ٧٨ / ٣ ، بحار الأنوار ٤٣ : ٢٧٦ / ٤٧ .

(٢) كفاية الأثر : ٢٢١ و ٢٢٢ .

(٣) بشارة المصطفى : ٢٧٤ / ٨٩ ، بحار الأنوار ٣٧ : ٨٤ / ٥٢ .

وروى ابن بابويه ، والورّاق ، وغيرهما عن عبد الجبار بن كثير التميمي اليماني ، قال : سمعت محمد بن حرب الهالبي^(١) أمير المدينة يقول : سألت جعفر بن محمد عليه السلام ، فقلت : يا ابن رسول الله ، في قلبي مسألة أريد أن أسألك عنها .

فقال : «إن شئت أخبرتك بما قبل أن تسألني» .

قال : فقلت له : وبأي شيء تعرف ما في نفسي قبل سؤالني؟

فقال : «بالتوسّم وبالتفرّس ، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ : ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ

لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾^(٢) وقول رسول الله ﷺ : «اتّقوا فراسة المؤمن فإنّه ينظر بنور الله؟»^(٣) .

قال : فقلت له : فأخبرني يا ابن رسول الله .

فقال : «أردت أن تسأل عن الحكمة التي دعت إلى أن حمل رسول الله ﷺ عليّاً

عليه السلام في كسر الأصنام دون العكس» .

قال : فقلت له : نعم هذا مرادي ، ثمّ ذكر الحديث طويلاً مشتملاً على حكم

عديدة ، منها أنّه قال : ثمّ قال عليه السلام : «إنّ النبيّ ﷺ احتمله ليُعلم بذلك أنّه احتمله ،

وما حمله إلّا لأنّه معصوم لا يحمل وزراً ، فتكون أفعاله عند الناس حكمةً وصواباً ، وقد قال

النبيّ ﷺ لعلّي : يا عليّ ، إنّ الله تعالى حمّلي ذنوب شيعتك ثمّ غفرها لي وذلك قوله

عزّ وجلّ : ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ

(١) هو من أصحاب الصادق عليه السلام ، صدوق وكان أمير المدينة .

انظر : مستدركات علم رجال الحديث ٧ : ١٧ / ١٢٩٥٩ .

(٢) سورة الحجر ١٥ : ٧٥ .

(٣) بصائر الدرجات : ٣٧٥ / ٤ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢ : ٢٠٠ / ١ ، الاختصاص للمفيد : ١٤٣ ،

كنز العمال ١١ : ٨٨ / ٣٠٧٣٠ .

مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكُمْ وَمَا تَأَخَّرَ ﴿١﴾ ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : وَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَهُ : ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾ ﴿٢﴾ ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : أَيُّهَا النَّاسُ ، عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مِنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ ، وَعَلَى نَفْسِي وَأَخِي ، أَطِيعُوا عَلِيًّا فَإِنَّهُ مَطَهَّرَ مَعْصُومٍ لَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ، ثُمَّ تَلَا قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ ﴿٣﴾ «(٤) ، وَالْخَبَرُ طَوِيلٌ أَخَذْنَا مِنْهُ مَوْضِعَ الْحَاجَةِ .

وَرَوَى جَمَاعَةٌ ، مِنْهُمْ الْقَمِّيُّ ، وَالْكَلِينِيُّ ، وَابْنُ بَابُوِيَه ، وَغَيْرُهُمْ عَنْ سَدِيرِ الصَّيرِيِّ (٥) ، قَالَ : قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ قَوْمًا يَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ آلهَةٌ ، يَتْلُونَ عَلَيْنَا بِذَلِكَ قِرَاءَةً ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾ (٦) .

فَقَالَ : «يَا سَدِيرُ ، سَمْعِي ، وَبَصْرِي ، وَبَشْرِي ، وَلَحْمِي ، وَدَمِي ، وَشَعْرِي مِنْ هَؤُلَاءِ بَرِيءٌ وَبَرِيءُ اللَّهِ مِنْهُمْ ، مَا هَؤُلَاءِ عَلَى دِينِي ، وَلَا عَلَى دِينِ آبَائِي ، وَاللَّهِ ، لَا يَجْمَعُنِي اللَّهُ وَإِيَّاهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْهِمْ» .

قَالَ : قُلْتُ : وَعِنْدَنَا قَوْمٌ يَزْعُمُونَ أَنَّكُمْ رُسُلٌ يَقْرَأُونَ بِذَلِكَ عَلَيْنَا

(١) سورة الفتح ٤٨ : ٢ .

(٢) سورة المائدة ٥ : ١٠٥ .

(٣) سورة النور ٢٤ : ٥٤ .

(٤) معاني الأخبار : ٣٥٠ / ١ ، علل الشرائع : ١٧٣ / ١٣٩ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٧٩ .

(٥) هو سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي ، يكتب أبا الفضل ، عدّه الشيخ رحمه الله من أصحاب السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام .

انظر : رجال الطوسي ١١٤ / ١١٣٤ ، و ١٣٧ / ١٤٤٢ ، و ٢٢٣ / ٢٩٩٤ .

(٦) سورة الزخرف ٤٣ : ٨٤ .

﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (١) .

فقال : « يا سدير ، سمعي ، وبصري ، وشعري ، وبشري ، ولحمي ، ودمي من هؤلاء بريء وبرئ الله منهم ورسوله ، ما هؤلاء على ديني ولا على دين آبائي ، والله ، لا يجمعني الله وإياهم يوم القيامة إلا وهو ساخط عليهم » .

قال : قلت : فما أنتم؟

قال : « نحن حُزَّان علم الله ، نحن تراجمة أمر الله ، نحن قوم معصومون ، أمر الله تعالى بطاعتنا ونهى عن معصيتنا ، نحن الحجّة البالغة على من دون السماء وفوق الأرض » (٢) .

وفي رواية أخرى لهم عن محمد بن مسلم قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : « الأئمة منا بمنزلة رسول الله ﷺ إلا أنهم ليسوا بأنبياء ، ولا يحلّ لهم من النساء ما كان يحلّ للنبي ﷺ ، فأما ما خلا ذلك فهم فيه بمنزلة رسول الله ﷺ » (٣) .

وفي رواية طويلة ذكرها جماعة من الأصحاب عن الرضا عليه السلام ، ذكرنا خلاصة منها في أحاديث فاتحة كتابنا هذا ، وفي أواخرها قوله عليه السلام : « وإنّ الله إذا اختار عبداً له لأُمُور عباده ، شرح صدره لذلك ، وأودع قلبه ينابيع

(١) سورة المؤمنون ٢٣ : ٥١ .

(٢) الكافي ١ : ٢١١ / ٦ (باب في أنّ الأئمة عليهم السلام بمن يشبهون ممّن مضى . . .) ، رجال الكشي : ٣٠٦ / ٥٥١ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٢٩٨ / ٦٢ ، ولم نعثر على ما رواه القمي والصدوق في كتبهما .

(٣) الكافي ١ : ٢١٢ / ٧ (باب في أنّ الأئمة عليهم السلام بمن يشبهون ممّن مضى . . .) .

الحكمة ، وألهمه العلم إلهاماً ، فلم يَغَيِّ بعده بجواب ، ولا تحيّر فيه عن الصواب ، فهو معصوم ، مؤيّد ، موفّق ، مسدّد ، قد أمن من الخطأ والزلل والعتار ، يخصّه الله بذلك ليكون حجّته على عباده ، وشاهده على خلقه ، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء»^(١) ، الخبر .

وفي رواية أخرى لهم عن إسحاق بن غالب ، قال : قال أبو عبد الله عليه السلام في خطبة له يذكّر فيها حال الأئمة وصفاتهم ، وذكر الخطبة إلى أن قال في أواخرها : «لم يزل الإمام مرعياً بعين الله . . . مطروداً عنه حبائل إبليس وجنوده . . . مصروفاً عنه قوارف السوء . . . معصوماً من الفواحش كلّها ، معروفاً بالحلم والبرّ في يفاعه ، منسوباً إلى العفاف والعلم والفضل عند انتهائه»^(٢) ، الخبر .

وروى جماعة ، منهم : الكلينيّ ، والعيّاشيّ ، وغيرهما عن سليم بن قيس . وهو موجود أيضاً في نسخة كتابه ، التي عندنا . عن أمير المؤمنين عليه السلام ، أنّه قال : «إنّ الله تبارك وتعالى طهّرنا ، وعصّمانا ، وجعلنا شهداء على خلقه وحجّته في أرضه»^(٣) ، الخبر .

وقد روى جماعة من أرباب النصوص من الإماميّة بأسانيد عديدة

(١) الكافي ١ : ١٥٤ / ١ (باب نادر جامع في فضل الإمام عليه السلام وصفاته) ، معاني الأخبار : ١٠١ / ٢ ، كمال الدين : ٦٨٠ / ٣١ ، عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢٢١ / ١ ، الأمالي للصدوق : ٧٧٨ / ١٠٤٩ ، بحار الأنوار ٢٥ : ١٢٠ / ٤ .

(٢) الغيبة للنعمانيّ : ٢٢٤ / ٧ ، الكافي ١ : ١٥٨ / ٢ (باب نادر جامع في فضل الإمام عليه السلام وصفاته) ، بحار الأنوار ٢٥ : ١٥٢ / ٢٥ .

(٣) كتاب سليم بن قيس ٢ : ٦٠٦ ، بصائر الدرجات : ١٠٣ / ٦ ، الكافي ١ : ١٤٧ / ٥ (باب في أنّ الأئمة عليهم السلام شهداء الله عزّ وجلّ على خلقه) ، كمال الدين : ٢٤٠ / ٦٣ ، بحار الأنوار ٢٦ : ٢٥٠ / ٢٠ .

وطرق كثيرة عن أكثر أئمتنا عليهم السلام ما هو صريح في أنّ النبي صلى الله عليه وآله والإمام إنما يكون عالماً ، معصوماً بما جعل الله فيه من روح القدس ، ولنذكر خلاصة ما روي من ذلك عن المفضل ، عن جابر ، عن الباقر عليه السلام والصادق عليه السلام ، قال : قال : «إنّ الله عزّ وجلّ جعل في الأنبياء والأوصياء خمسة أرواح فأيدهم بروح القدس ، وروح الإيمان ، وروح القوّة ، وروح الشهوة ، وروح الحياة» . وفي رواية : «روح المدرج» . «فبروح القدس عرفوا ما تحت العرش إلى ما تحت الشرى وهي لا تصيبها الحداث ، فإنّها لا تنام ، ولا تغفل ، ولا تزهو ، ولا تلهو ، ولا تلعب» . وفي رواية : «فبها «حمل النبوة والإمامة» . وبروح الإيمان خافوا الله وآمنوا وعدلوا ، وبروح القوّة قدروا على طاعة الله ، وعلى النهوض والجهاد ، وبروح الشهوة اشتبهوا طاعة الله وكرهوا معصيته ، وأكلوا وشربوا ، وأتوا النساء من الحلال ، وبروح الحياة . يعني : التي يقال لها : روح المدرج أيضاً . يذهب الناس ويحيئون» .

وفي رواية : «وبها دبّوا ودرجوا» .

وفي رواية جابر : «إنّ هذه الأرواح الأربعة يصيبها الحداث» .

وفي رواية : «فإنّها تنام ، وتغفل ، وتلهو ، وتزهو» .

وفي رواية : «وهؤلاء الذين فيهم هذه الخمسة أرواح هم الذين قال الله تعالى فيهم :

﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ ^(١) وهم رسل الله وخاصّة الله من خلقه ،

وجعل في المؤمنين أصحاب الميمنة روح الإيمان التي بها يخافون الله تعالى ويؤمنون به ، وروح

القوّة ، وروح

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ١٠ و ١١ .

الشهوة ، وروح المدرج»^(١) الخبر .

ولا يخفى أنّ المراد أنّ العصمة لروح القدس ، كما هو مفاد العبارة أيضاً ، فافهم .

وروى جمع ، منهم : القاضي أبو الفرج عن أنس ، ورواه جابر الجعفي وغيره ، عن أبي أيوب ، ورواه الحسين بن سعيد عن جابر الأنصاري ، قالوا : إنّ النبي ﷺ قال لعليّ عليه السلام : «أنا خير الأنبياء وأنت خير الأوصياء ، وسبطاي خير الأسباط ، ومن صلبهما تخرج الأئمة التسعة مطهرون ، معصومون ، قوامون بالقسط»^(٢) الخبر .

وفي رواية عن الحسن بن علي الرازي ، عن زيد بن ثابت : أنّ النبي ﷺ قال في حديث له : «إنّه ليخرج من صلب الحسين أئمة أبرار معصومون»^(٣) الخبر .

وفي رواية عن زيد بن أرقم^(٤) : أنّ النبي ﷺ خطب الناس وزهدهم في الدنيا وقال : «أوصيكم بعترتي وهم الأئمة المعصومون بعدي»^(٥) .

(١) بصائر الدرجات : ٤٦٥ / ٦٠١ ، الكافي ١ : ٢١٣ / ٣٠١ ، (باب فيه : ذكر الأرواح التي في الأئمة عليهم السلام) .

(٢) كفاية الأثر : ٧٦ ، الصراط المستقيم ٢ : ١١٣ .

(٣) كفاية الأثر : ٩٨ . ٩٩ ، الصراط المستقيم ٢ : ١١٥ . ١١٦ .

(٤) هو زيد بن أرقم بن زيد بن قيس الخزرجي الأنصاري ، كنيته أبو عمر ، وقيل : أبو عامر ، وقيل : أبو سعيد ، صحابي ، غزا مع رسول الله ﷺ سبع عشرة غزوة ، وشهد صفين مع علي عليه السلام . مات سنة ٦٨ هـ بالكوفة .

انظر : الاستيعاب ٢ : ٥٣٥ / ٨٣٧ ، أسد الغابة ٢ : ١٢٤ / ١٨١٩ ، سير أعلام النبلاء ٣ :

١٦٥ / ٢٧ ، تهذيب التهذيب ٣ : ٣٤٠ / ٧٢٧ ، الأعلام ٣ : ٥٦ .

(٥) كفاية الأثر : ١٠٣ . ١٠٤ ، الصراط المستقيم ٢ : ١١٦ .

وفي رواية محمد بن وهبان^(١) بإسناده عن سعد بن مالك : أنَّ النبي ﷺ قال لعليّ
عليه السلام : «حبك إيمان وبغضك نفاق ولقد نبأني العليم الخبير أنَّه يخرج من صلب الحسين
تسعة من الأئمة معصومون مطهرون»^(٢) الخبر .

وروى صاحب مراصد العرفان وغيره عن زيد بن حارثة أنَّ النبي ﷺ قال : «عليّ
كنفسي لا فرق بيني وبينه إلا النبوة ، فمن شك فقد كفر»^(٣) .

أقول : استثناء النبوة وحدها صريح في الشراكة في العصمة أيضاً ، والأخبار الصريحة
في عصمتهم كثيرة جداً ، وقد ذكرنا أنَّه مرَّ ويأتي لا سيَّما في فصل الآيات نبذ من الروايات
، وكفى ما ذكرناه لصاحب البصيرة ، والله الهادي .

المقام الثاني : في بيان نبذ من سائر دلائل العصمة ، التي لم نذكرها سابقاً ولا لاحقاً ،
عقلية كانت أو نقلية ، صريحة كانت أم لا ، سواء كانت دالة على خصوص عصمة أحد
من الأئمة أو كلهم عليهم السلام ، أو على لزوم كون الإمام كالنبي معصوماً .
إعلم أنَّ الذي ينادي به ما أشرنا إليه في أوَّل هذا المطلب ، وما ذكرناه في المقام
السابق أنَّ شركة هؤلاء ، حتَّى فاطمة عليها السلام مع النبي ﷺ في

(١) هو محمد بن وهبان بن محمد بن حماد ، يكتب أبا عبدالله الذبيلي ، ثقة ، من أصحابنا ، سكن البصرة ،
واضح الرواية ، قليل التخليط ، له كتب ، منها : كتاب الصلاة ، أخبار الصادق عليه السلام مع المنصور ، بشارات
المؤمنين عند الموت ، وغيرها .

انظر : رجال النجاشي : ٣٩٦ / ١٠٦٠ .

(٢) كفاية الأثر : ١٣٤ . ١٣٥ ، الصراط المستقيم ٢ : ١١٧ .

(٣) نقله عنه البيضاوي في الصراط المستقيم ١ : ٢٥٢ .

الاتّصاف بالعصمة وكمال الوثوق بهم ممّا لا يمكن التشكيك فيه ، ولا يتطرّق إليه الإنكار ، حتّى ولو فُرض محالاً عدم لزوم العصمة في النبوة والإمامة ؛ إذ من الواضحات عند كلّ بصير منصف متأمّل في تفصيل ما أشرنا إليه ، لا سيّما في حقّ عليّ عليه السلام أنّ اجتماع جميع تلك المزايا الفاضلة ، والكمالات العالية ، والمراتب الجليلة التي لم يدرك كثيراً منها أكثر الأنبياء عليهم السلام ممّا لا يتصوّر ، بل لا يصلح إلّا لمن لا يصدر منه ترك الأولى أيضاً أصلاً فضلاً عن غيره ، وظاهر أنّ هذا فوق مرتبة العصمة المعهودة ، فلا أقلّ حينئذٍ من القول بعصمتهم ؛ ولهذا التجأ جمع من مخالفينا القائلين بعدم اشتراط العصمة في الإمامة إلى القول بعصمة عليّ عليه السلام .

قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة : نصّ ابن متّويه^(١) في كتاب الكفاية على أنّ عليّاً عليه السلام معصوم وإن لم يكن واجب العصمة ، ولا العصمة شرطاً في الإمامة ؛ لأنّ أدلّة النصوص قد دلّت على عصمته ، والقطع على باطنه ومغيبه ، وأنّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصحابة ، قال : والفرق ظاهر بين قولنا : زيد معصوم ، وقولنا : زيد واجب العصمة لأتّه إمام ، ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً ، فالاعتبار الأوّل مذهبننا ، والاعتبار الثاني مذهب الإماميّة^(٢) . انتهى .

على أنّ لنا أن نقول على سبيل المسامحة والمساهلة : إنّه قد دلّ أصل دليلنا . كما بيّناه مفصّلاً في المقالة الخامسة . على لزوم كون المعلّم في كلّ زمان مأموناً موثقاً به من كلّ جهة ، وأنّه لأجل هذا كان النبيّ ﷺ كذلك ،

(١) هو أبو محمّد ابن متّويه ، ولم نعثر على ترجمة له ، وفي حاشية نسخة «ن» : «مردويه» .

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦ : ٣٧٦ . ٣٧٧ .

بل سائر الأنبياء وأوصيائهم أيضاً ، فإذا ظهر عياناً ممّا أشرنا إليه هاهنا من الدلائل التي فصلنا كلّ واحد منها في محله أنّ هؤلاء الأئمة كانوا متّصّفين مثل النبي ﷺ بتلك الصفات المستلزمة لكمال الوثوق بهم ، بل مختصّين بذلك من بين سائر الأئمة ، كفانا ذلك في الحكم بوجوب كونهم أئمة دون غيرهم ، سواء سمّي هذا عصمة أم لا .

فعلى هذا كلّّه ، لا حاجة لنا إلى ذكر سائر الأدلّة التي ذكرها المتكلّمون في إثبات عصمة الأنبياء والأئمة ، ولا إلى ذكر خلاف المخالفين في ذلك ، كما هو ظاهر ، إلّا أنّي أذكر هاهنا نبذاً من منتخباتها توضيحاً للحال ، وتبياناً لما مرّ في المقالة الخامسة .

فمنها : أنّ وجه الحاجة إلى الإمام جواز خطأ الرعيّة ، فلو جاز خطؤه أيضاً جاز إلزامه المكلفين بالخطأ حينئذٍ ، فلا يرتفع وجه الحاجة إذن ، بل يزيد ، بل وفي نصبه مفسدة ؛ لأنّ غير الإمام لا يمكنه الإلزام بالخطأ بخلاف الإمام ، فإذا لم يكن معصوماً وألزم الرعيّة بالخطأ لاشتتهر وكثر وزاد الفساد ، لا سيّما بعد ظهور ما بيّناه في المقدّمة من ميل أكثر الناس إلى الباطل دون الحقّ ، وما هو معلوم من تجربة أحوال أهل كلّ زمان ، ألا ترى أنّ معاوية حارب عليّاً عليه السلام ، فاجتمع إليه ألوف ، وأمر بسبّه فسبّ دهرًا ، وأمر بترك نقل فضائله في الأقطار ، فتركه رواة الأخبار حتّى إنهم وضعوا أخباراً في عكسه ، وتظاهر ابنه يزيد الملعون المشبور بشرب الخمر ، وإكثار الفجور ، وأمر بقتل الحسين عليه السلام ، ونهب بنات رسول الله ﷺ ، وتخريب البيت ، ونهب المدينة ، وأمثال ذلك فأطاعوه ، حتّى زعم جمع إلى الآن جواز كثير من تلك الفضائح ، وهلمّ جرّاً ما صدر من سائر أمراء الجور ، وأئمة الضلالة ،

من المشاهير : أنّ الناس على دين ملوكهم^(١) ، حتّى إنّ حكاية فذك أيضاً من هذا القبيل عند الملاحظة الصافية عن التعصّب لأبي بكر ، وقس على هذا حكاية منع المتعتين ، وسائر بدائع خلفاء بني أميّة وبني العباس .

وأيضاً خطؤ المكلّف على غيره أشدّ في المفسدة من خطئه على نفسه ، والإمام إذا لم يكن معصوماً يكون خطؤه على نفسه وغيره ، كما عرفت ، فتركه بغير إمام أشدّ محذوراً ، وهو غير لائق من الحكيم ، بل لا يناسب حكمة تعيين الإمام .

وهكذا بعينه الكلام في الإمام الذي يُعيّن عليه ، فلا محالة ينتهي الأمر إلى التزام وجوب وجود إمام معصوم حتّى تقطع مادّة المفسدة ، فافهم حتّى تعلم عدم إمكان التشبّث حينئذٍ بجواز كفاية بعض أهل النصّح والخير والعلم بالمعروف .

إذ لا فرق أولاً : بينه وبين الإمام إذا لم يكن معصوماً في جواز الخطأ عليه ولو أحياناً .
وثانياً : لو كفى ذلك لما شاع وذاع أكثر ما ذكرناه وأمثاله .

ومنها : أنّ شغل الإمام أن يقرب من الطاعة ويبعد من المعصية ، وغير المعصوم يمكن فيه عكس ذلك ، فلا يصدر نصبه من الحكيم ، ولا من إجماع الأمة ؛ لأنّه ضلال .
وبعبارة أخرى : الإمام متبوع فيما يفعل ويأمر ، وغير المعصوم غير

(١) مجمع الأمثال للميداني ٣ : ٤١٧ ، المقاصد الحسنة : ٥١٧ / ١٢٣٥ ، الغمّاز على اللّماز : ٢٢٣ / ٣٠٩ ، الشذرة في الأحاديث المشتهرة ٢ : ٢١٥ / ١٠٦٣ ، أسنى المطالب : ٣٣٣ / ١٦٢٦ .

متبوع فيهما ؛ لأنّه لا يؤمن الخطأ والأمر به ، بل ما يوجب الارتداد أيضاً ، فلا يجوز حينئذٍ تكليف الرعيّة بالتّباع من يحتمل معه هلاكها ، واحتمال وجوب اتّباعه فيما علّم من الشرع حسنه لا مطلقاً غير موجّه من وجوه :

منها : لزوم الدور إن علّم منه حسنه ، وإلّا لم يكن هو الإمام في ذلك ، ولم يمكن الاعتماد عليه فيما يُجهل شرعيّته ، فافهم .

وأيضاً نصب الحدود واجب إجماعاً لدفع المعاصي ، ولا يقيمها إلّا الإمام بالاتّفاق ، فلو لم يكن معصوماً لأمكن أن يتركها ولو أحياناً ، فيكون ذلك تناقضاً ؛ ولهذا دفع عمر الحدّ عن المغيرة بن شعبه بحكم الهوى وكان كلّما لقيه يقول : قد خفت أن يرميني الله بحجارة من السماء^(١) .

وأيضاً في اتّباع غير المعصوم ظنّ الضرر ؛ لجواز أن يدعو إلى مقتضى شهوته ، وفي ترك اتّباعه أيضاً ظنّ الضرر ؛ لأنّه منصوب للإرشاد ، فيلزم حينئذٍ جمع النقيضين ، أو الخلوّ عنهما .

وأيضاً مخالف غير المعصوم له على الله الحجّة بكونه معذوراً ؛ لعدم عصمته وجواز خطئه ، والإمام هو الذي لا يُعذر الناس في مخالفته ، فوجب أن يكون معصوماً .
وأيضاً قول الإمام وفعله دليل ، وكلّ دليل يمتنع معه نقيض المدلول ، وإلّا لم يكن دليلاً ، فقول الإمام وفعله يمتنع نقيضه ، وذلك هو معنى العصمة ، فافهم .
ومنها : أن رسول الله ﷺ أخبر في خبره المتواتر عنه : «أنّ أمّته

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٢٢ ، الأغاني ١٦ : ٩٩ ، وفيه نحوه ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٢ : ٢٣٨ .

تفترق بضعة وسبعين فرقة ، واحدة منها ناجية ، والباقون هالكون»^(١) ومن أهل النار ، ومن المعلوم أنّ الهلاكة إنّما تكون لخطئهم ووقوعهم في الضلالة بذلك ، ولا ريب في أنّ المراد ليس أنّهم مخطئون في كلّ شيء ؛ ضرورة أنّ الفرق كلّها مشتركة في أمور عديدة هي صحيحة حقّة ، كالتوحيد والنبوة والصلاة والزكاة وغير ذلك ، فلا محالة يكون المراد خطأهم في الجملة ولو في بعض الأشياء لا سيّما إذا كان من الأمور العظام ، فالناجية إذن هي التي تكون سالمة عن مثل ذلك ، ومن الواضحات أنّ إمامهم إذا لم يكن معصوماً عالماً بجميع الأشياء من الله ورسوله . كما بيّناه سابقاً . لم يحصل العلم بتلك السلامة ، بل لم توجد تلك السلامة ، كما ينادي به اختلاف جميع أهل الرأي علمائهم وأمرائهم ، فثبت إذن لزوم كون الإمام معصوماً ؛ لينجو بمتابعته كلّ من تمسك به ، وحيث دلّ الحديث وغيره على وجود الفرقة الناجية في كلّ زمان ، وعدم اجتماع كلّ الأئمة على ضلالة ، لزم وجود الإمام المعصوم في كلّ زمان ، كما مرّ مفصلاً .

ومنه يظهر انحصار الفرقة الناجية في الإماميّة ، وانحصار الإمامة في الأئمة الاثني عشر المعلومين ؛ لعدم قائل بالعصمة فيغيرهم .

ومنه يظهر أيضاً حكمة الأمر بالتمسك بالثقلين فقط ، وكونه نصّاً في إمامة عليّ وذريّته الأئمة المعلومين عليهم السلام ، وبطلان قول المنكرين للنصّ مطلقاً ، فافهم .
ومنها : أن يقال : كلّ من ليس بمعصوم يمكن كونه ظالماً ، ولا شيء من الإمام بظالم بالضرورة ، فلا شيء من غير المعصوم بإمام بالضرورة .

(١) كفاية الأثر : ١٥٥ ، وانظر : بحار الأنوار ٢٨ : ٥٠٣ / ٥٠١ ، و ١٢ / ١٩ ، و ١٣ / ٢٠ .

وتوضيحه : أنَّ الإمام إذا لم يكن معصوماً لم يكن سالماً من أن يصدر منه ما يكون خلاف حكم الله ورسوله ولو على سبيل التوهم والخطأ ، بل لم يمكن احتمال خلوّه عن صدور شيء من ذلك ، كما هو معلوم من استمرار عادة الطباع البشريّة ، وظاهر من تجربة سلوك سائر أصحاب الحكم والإمارة ، حتّى الذين هم عند المخالفين من الخلفاء الراشدين ، ألا ترى إلى الثاني من خلفائهم الذي هو عندهم خير من البواقى علماً ، وعملاً ، وزهداً ، وعدلاً ، كيف منع عن حجّ التمتع^(١) الذي هو صريح نصّ الكتاب^(٢) وأمر النبي ﷺ^(٣) ، وفعل الصحابة مستمراً إلى زمانه ؟ بمحض رأي استحسّنه ، وتوهم استند إليه ، حيث تمسك بتقديم الحجّ في قوله تعالى : ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ ﴾^(٤) ؛ ولهذا ردّه ابن عباس بأنّ الله تعالى قال أيضاً : ﴿ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينٍ ﴾^(٥) ، مع وضوح كون الدّين مقدّماً على الوصيّة^(٦) .

وقد صدر منه أمثال هذا كثيراً ، كما هو مذكورة في محله ، حتّى إنّ في صحيح مسلم . الذي هو عندهم تالي كتاب الله في صحّة ما فيه . عن ابن عباس أنّه قال : كان الطلاق في عهد رسول الله ﷺ وفي خلافة

-
- (١) أحكام القرآن للجصاص ٢ : ١٥٢ ، السنن الكبرى للبيهقي ٧ : ٢٠٦ ، بداية المجتهد ١ : ٣٣٣ ، التفسير الكبير للرازي ١٠ : ٥٢-٥٣ .
- (٢) سورة البقرة ٢ : ١٩٦ .
- (٣) انظر : السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢٦٨ ، الدرّ المنثور ١ : ٥٠٣ .
- (٤) انظر : صحيح البخاري ٢ : ١٧٣ ، صحيح مسلم ٢ : ٨٩٥ / ١٥٥ .
- (٥) سورة النساء ٤ : ١١ .
- (٦) صحيح مسلم ١ : ٩٠٠ / ١٧٢ و ١٧٣ .
- (٧) انظر : السنن الكبرى للبيهقي ٦ : ٢٦٨ ، الدرّ المنثور ١ : ٥٠٣ .

أبي بكر وستين من خلافة عمر الثالث على واحدة ، فصعد عمر المنبر ، وقال : إنّ الناس قد أكثروا في الطلاق فلو أمضينا عليهم ، فأمضى عليهم ، يعني : أنّ الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاث طلاقات في مجلسٍ لم يكن يحسب^(١) عليه إلاّ واحداً ، كما هو صريح نصّ القرآن ، فلمّا رأى عمر أنّ الناس يطلقون كثيراً فأمضى عليهم^(٢) الثلاث ؛ لأنّهم مهما علموا أن لا يمكنهم الرجوع تابوا عن ذلك .

ولا يخفى أنّ هذا حكم صريح بخلاف ما أنزل الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بمحض الرأي والاستحسان ، بل هو عين التعدي عن حدود الله صريحاً ، كما نصّ به عزّ شأنه في قوله تعالى بعد ذكره طريقة الطلاق : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٣) ثمّ إنّ سيأتي . في الفصل الخامس عند ذكر أحوال فاطمة عليها السلام . ما يدلّ على أنّ حكاية فذك أيضاً كانت من هذا القبيل ، بل سيأتي في موضعه ما ينادي بكثرة وقوع الخطأ في الأحكام من أبي بكر الذي هو عندهم خير من عمر ، حتّى إنّ قد روى أحمد بن حنبل في مسنده ، وكذا ابن راهويه ، وكذا الهروي^(٤) في جامعه ما خلاصته : أنّ أبا بكر قال على

(١) في «س» و «م» : «يحاسب» بدل «يحسب» .

(٢) أنظر : صحيح مسلم ٢ : ١٠٩٩ / ١٤٧٢ .

(٣) سورة البقرة ٢ : ٢٢٩ .

(٤) هو عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن غفير ، يكتفى أبا ذر الأنصاري الهروي ، كان من الحفاظ ، ومن فقهاء المالكية ، ويقال له : ابن سَمَاك ، له كتب ، منها : تفسير القرآن ، والسنة والصفات . مات سنة ٤٣٤ هـ .

انظر : كشف الظنون ١ : ٤٤١ ، و ٢ : ١٦٧٢-١٦٧٣ ، الأعلام للزركلي ٣ : ٢٦٩ .

المنبر : أفتظنون أيّ عمل فيكم بسنة رسول الله ﷺ ؟ إذن لا أقوم لها ، ولئن أخذتموني بسنة نبيكم ما أطيقها ، إنّه كان لمعصوماً من الشيطان ، وكان لينزل عليه الوحي ، وإنّ لي شيطاناً يعتريني^(١) ، الخبر ، وقد مرّ ويأتي أيضاً ، فإذا كان مثل هذين عندهم لم يسلموا عن ارتكاب صريح المخالفة فغيرهما بالطريق الأولى ، بل لو أردنا أن نذكر سائر ما صدر منهما ومن غيرهما لطال الكلام فوق الحدّ ، وستأتي نبذ من ذلك مهما ناسبه .

وبالجملة : غير المعصوم كما بيّنا . غير سالم عن ارتكاب خلاف حكم الله ورسوله ، الذي هو عين الضلال ، والوقوع في الظلم والوبال ، فإذا كان إماماً كان ذلك أكثر شراً وضلالاً ، وأعظم وزراً ووبالاً ؛ ضرورة سرايته حينئذٍ في الناس ، ووصول شرّه إلى نفسه وإليهم ، وأيّ ظلم أشدّ من إيقاع الناس في الضلالة والهلاك؟ مع أنّ الله تعالى قد قال في كتابه العزيز : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾^(٢) ، وفي آية أخرى : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾^(٣) وفي ثالثة : ﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٤) ، وكثرة الآيات في كون المتعدّي حدود الله ظالماً غير خفيّة ، منها ما مرّ آنفاً في أمر الطلاق الذي كان صريحاً في كون الثاني ظالماً بذلك ، حتّى إنّ منها : قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴾^(٥) .

(١) انظر : مسند أحمد ١ : ٢٤ / ٨١ ، جامع الأحاديث للسيوطي ١٣ : ٧٨ / ٢٨٦ و ٧٩ / ٢٩٠ ، وفيه : حكايته عن جميعهم .

(٢) سورة المائدة ٥ : ٤٥ .

(٣) سورة المائدة ٥ : ٤٧ .

(٤) سورة المائدة ٥ : ٤٤ .

(٥) سورة النساء ٤ : ١٤ .

والآيات والروايات في كون الظالم ولو على نفسه مذموماً ، مخذولاً لاسيما في كون من سرى ظلمه إلى غيره ، وأوقع الناس في الضلالة والهلاك ، ضالاً مضلاً ولو بالنسبة إلى ذلك الشيء ، بل في كونه بذلك تائهاً ، هالكاً ، مخذولاً عند الله ورسوله ، مستحقاً لما ذكره الله له في كتابه ، حتى اللعنة والخلود في النار أكثر من أن تحصى ، فكيف يصح أن يكون مثل هذا قابلاً للإمامة الموضوعة للهداية إلى كل خير وحق ، والنجاة عن كل شر وضلالة؟ هذا ، مع ما سيأتي في الفصل التاسع من توضيح ما يدل عليه قوله تعالى : ﴿ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ ^(١) ، وقد بينّا في أبواب المقدمة لاسيما الباب الرابع بطلان ما ذهب إليه المخالفون من جواز الاعتماد على محض الرأي والعمل بمقتضاه ، وعدم بأس فيه وإن كان مؤداه خطأ واقعاً ^(٢) ، وأوضحنا أنّ ذلك بدعة خلاف الكتاب والسنة ، وأن لا دليل لهم على ذلك سوى الملققات من عند أنفسهم ، غصباً عليهم ؛ حيث تمسكوا بغير أهل البيت من أئمتهم الجهال المخطئين ، حتى إنهم حكموا بثواب المخطئ أيضاً بمحض خبر واحد ضعيف مخالف لصريح نصوص الكتاب ! حتى إنه ممّا تفرّد به عمرو بن العاص ، بل وضعه ؛ لأجل تصحيح أفعال معاوية ، كما كان دأبه ودأب أصحابه .

وأما ما ذكره بعض النواصب من دعوى توهم عليّ عليه السلام في بعض الجزئيات ^(٣) فهو محض افتراء عليه ، كيف لا ؟ وسيأتي في فصل حديث الثقلين ما هو متواتر صحيح النقل عن النبي ﷺ باتفاق المخالف والمؤلف

(١) سورة البقرة ٢ : ١٢٤ .

(٢) في «ن» : «واضحاً» بدل «واقعاً» .

(٣) انظر : الفصول المختارة : ٢١٢ وما بعدها (ضمن مصنفات الشيخ المفيد ، ج ٢) .

من قوله ﷺ مراراً وكراراً : «إِنَّ الْحَقَّ لَمْ يَزَلْ يَدُورُ مَعَ عَلِيٍّ حَيْثُمَا دَارَ وَلَا يَفْتَرِقَانِ أَبَدًا»^(١) .
وقد سبق أَنَّهُ كَانَ مِثْلَ النَّبِيِّ ﷺ أَعْلَمَ النَّاسَ جَمِيعاً ، عَالِماً بِجَمِيعِ مَا فِي كِتَابِ اللَّهِ
وَتَمَامِ أَحْكَامِهِ ، فَكَيْفَ يَجُوزُ مَعَ هَذَا تَجْوِيزُ صَحَّةِ تَوَهُّمِهِ وَلَوْ فِي الْجَزْئِيِّ ، سَيِّمًا إِذَا كَانَ مِنْ
نَقْلِ أَعَادِيهِ ! ؟ عَلَى أَنَّ مِنْ جُمْلَةِ ذَلِكَ مَا ذَكَرَهُ النَّاصِبُ مِنْ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْقَدَ نَاراً فَأَحْرَقَ
بِدَخَانِهَا بَعْضَ الْعَلَاءِ ، ثُمَّ نَدِمَ لَمَّا بَلَغَهُ كَلَامُ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي ذَلِكَ ، وَأَنَّهُ يَرُوي الْمَنَعَ عَنِ التَّحْرِيقِ
(٢) . وَمِنْ الْوَاضِحَاتِ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَفْتَخِرُ بِكَوْنِهِ تَلْمِيزاً لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ (٣) وَلَمْ يَنْقُلْ عَنْهُ
أَحَدَ الْخِلَافِ مِنْهُ لِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصَلاً إِلَّا فِي مَالِ الْبَصْرَةِ ، حَيْثُ تَصَرَّفَ فِيهِ لَمَّا جَعَلَهُ عَلِيٌّ
عليه السلام عاملاً فيها (٤) ، وَفِي كَوْنِ لَيْلَةِ الْقَدَرِ فِي كُلِّ سَنَةٍ (٥) ، وَكِلَاهُمَا عَلَى نَقْلِ بَعْضِ الرِّوَاةِ ،
مَعَ تَنْدَمِهِ عَنِ ذَلِكَ أَيْضاً ، بِحَيْثُ بَكَى حَتَّى صَارَ أَعْمَى .

هَذَا ، مَعَ أَنَّ الَّذِي ذَكَرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ حُكَايَةِ الْحَرْقِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عَنْ أَبِيهِ ، عَنْ
جَدِّهِ ، عَنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنَادِي بِخِلَافِ ذَلِكَ الَّذِي ذَكَرَهُ

(١) لَمْ نَعُثِرْ عَلَى نَصِّهِ ، بَلْ وَرَدَ هَذَا الْحَدِيثُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ وَأَسَانِيدٍ مُتَكَثِرَةٍ ، انْظُرْ : الْخِصَالُ : ٤٩٦ / ٥ ،
الْأَمَالِيُّ لِلصَّدُوقِ : ١٥٠ / ١٤٦ ، الْفُصُولُ الْمُخْتَارَةُ (ضَمَّنَ مُصَنَّفَاتِ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ ، ج ٢) : ٢١١ ، سَنَنِ
الْتَرْمِذِيِّ ٥ : ٦٣٣ / ٣٧١٤ ، الْمُسْتَدْرَكُ لِلْحَاكِمِ ٣ : ١٢٤ ، ١٢٥ ، تَارِيخُ بَغْدَادَ ١٤ : ٣٢١ / ٧٦٤٣ ،
فَرَايِدُ السَّمَطَيْنِ ١ : ١٧٧ ، بِتَفَاوُتٍ .

(٢) انْظُرْ : الْفُصُولُ الْمُخْتَارَةُ (ضَمَّنَ مُصَنَّفَاتِ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ ، ج ٢) : ٢١٤ . ٢١٥ ، الصَّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ ١ :
١٤٤ .

(٣) انْظُرْ : الْأَمَالِيُّ لِلطُّوسِيِّ : ١٢ / ١٤ .

(٤) انْظُرْ : رِجَالُ الْكَشَّيْ : ١٣٢ / ١٠٩ ، ١١٠ .

(٥) انْظُرْ : الْكَافِي ١ : ١٩١ / ٢ (بَابُ فِي شَأْنِ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدَرِ وَتَفْسِيرُهَا) .

الناصب ، بل يصرّح بكمال علمه عليه السلام ، وصحّة فعله هذا ، وتحريف ما ذكره أعداؤه وكذبهم ، فإنّهما قالوا في هذه الحكاية : «إنّ عليّاً عليه السلام لما فعل فعله هذا اشتهر ذلك في البلاد ، فأتاه رجل من أكابر علماء اليهود مع عدّة من أهل بيته ، فوقفوا على باب المسجد وطلبوا عليّاً عليه السلام ، فخرج إليهم وهو يقول : سيدخلون ويتسابقون باليمين ، فقال لهم : ما حاجتكم؟ فقال له عظيمهم : يابن أبي طالب ، ما هذه البدعة التي أحدثت في دين محمّد؟ فقال : وأيّة بدعة؟

فقال له اليهودي : قتلك أولئك القوم بالدخان .

فقال له عليّ عليه السلام : فنشدتك بالتسع آيات التي أنزلت على موسى عليه السلام بطور سينا ، وبحقّ الكنائس الخمس القدس ، وبحقّ الصمد الديان ، هل تعلم أنّ يوشع بن نون وصيّ موسى عليه السلام أتى بعد موسى بقوم قالوا بمقالة هؤلاء فقتلهم بمثل هذه القتلة ؟ فقال اليهودي : نعم ، أشهد أنّك ناموس موسى ، ثمّ أخرج من قبائه كتاباً سريانيّاً فدفعه إلى عليّ عليه السلام فقرأه عليّ عليه السلام وبكى ، وأخبره بأنّ فيه اسمه ، حتّى قال له : هذا اسمي مثبت فيه ، فأسلم اليهودي ، وشهد له بالوصاية ، وأسلم كلّ من معه وبايعوا عليّاً عليه السلام ودخلوا المسجد» (١) الخبر .

على أنّ تحقيق الحال إنّ فعل عليّ عليه السلام ذلك كان لأجل أنّ ذلك كان من جملة حدود الله التي كان قد قرّرها على أهل المعاصي ، فهو في الحقيقة حقّ الله وفعله ، وأنّه الذي كان أوجبه على عليّ عليه السلام بالنسبة إلى صاحب تلك المعصية المخصوصة ، فلم يكن ذلك واقعاً فعل غيره حتّى

(١) الكافي ٤ : ١٨١ / ٧ (باب النوادر) ، المناقب لابن شهر آشوب ٢ : ٢٩٠ ، بحار الأنوار ٣٨ : ٦٠ / ١٣ ، و٤٠ : ٢٨٧ / ٦٤ ، فيها بتفاوت ، ولم يذكر عن الحسين عليه السلام .

يكون منافياً لقول النبي ﷺ : «لا يحرق بالنار إلا رب النار»^(١) ، ألا ترى أنّ من جملة حدود اللواط بإجماع أئمة أهل البيت عليه السلام أن يقتل الفاعل والمفعول ثم يحرق بالنار ؟ حتى إنّه ورد في الحديث أنّ لوطياً أتى به إلى عمر في خلافته فسأل عليّاً عليه السلام عن حدّه فأمره أن يضرب عنقه ويحرقه بالنار ، ففعل^(٢) ، وكذا من أوامر الله أن تحرق البهيمة التي يطؤها إنسان^(٣) ، وأمثال هذه عديدة ، لكن الجاهل الذي لا يعلم الأحكام ، ولا يفهم كلام رسول الأنام ، وفي قلبه مرض من عداوة الإمام لا يبالي بأن يعترض على مثل ذلك العالم ولو بكلّ سخيف من الكلام ، فافهم حتى تعلم أنّ سائر ما تشبّث به الجاهلون . الذين أنكروا حقّ أصفياء الله وأمناء دينه . من الشُّبه التي موهوا بها على أمثالهم ؛ ليُنزلوا أولئك الأجلّة عن مرتبة العصمة ، حتى يستروا بذلك معائب أئمتهم ، كلّها من هذا القبيل ، سواء كان ذلك محض فرية في النقل عنهم ، أو تحريف في اللفظ ، أو المعنى ، كالتفسير بغير ما هو الواقع والمراد ، وسواء كان ذلك بالنسبة إلى عليّ عليه السلام أو النبي ﷺ ، أو سائر الأنبياء والأوصياء ، وقد أشرنا في المقالة الخامسة إلى مجمل ما يندفع به ما زعموه في تخطئة الأنبياء ، وذكر تفصيل الشُّبه وأجوبتها سيّدنا المرتضى علم الهدى في كتاب «تنزيه الأنبياء» ، من أراد ذلك فليرجع إليه ، والله الهادي .

ومنها : أنّه سيأتي في بحث الإجماع . أعني : المقالة الأولى من المقصد الثاني . ما هو المسلمّ الثابت عند كلّ الفرق من قول النبي ﷺ :

(١) سنن البيهقي ٩ : ٧٢ ، شرح الأزهاري ٤ : ٥٤١ .

(٢) انظر : الكافي ٧ : ١٩٩ / ٥ (باب الحدّ في اللواط) ، التهذيب ١٠ : ٥٢ / ١٩٥ .

(٣) الكافي ٧ : ٢٠٧ / ١ و ٣ (باب الحدّ على من يأتي البهيمة) .

«لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم خذلان من خذلهم»^(١) الخبر ، وأتته لأجل هذا لا كلام لأحد في كون ما أجمعت عليه جميع فرق الإسلام حقاً ؛ لدخول تلك الطائفة فيهم حينئذٍ لا محالة ، وسيتبين هناك أيضاً أن لا يستقيم معناه إلا أن يكون مراده ﷺ طائفة مخصوصة ، مختصة بهذه الصفة دائماً ، لا أن تكون طائفة محقة في شطر من المسائل مثلاً وأخرى في شطر آخر وهكذا ، كما ينادي به أيضاً ما مر من كون الناجية فرقة واحدة .

وظاهر أن هذا إنما يكون إذا كانوا سالمين عن الخطأ رأساً كما هو الظاهر من العبارة ، وبيّناه آنفاً أيضاً عند الاستدلال بالفرقة الناجية ، وحينئذٍ نقول : إن ذلك إما لعصمة إمامهم ومتابعة الباقيين له ، أو لعصمة بعض منهم وإن كان واحداً ولم يكن إماماً ، أو لعصمة كل واحد منهم ، أو لعصمة مجموعهم من حيث المجموع ، وعلى أي التقادير يلزم القول بعصمة إمامهم .

أما على الأول ، فظاهر واضح ، بل إنما هو عين المقصود بلا شبهة ولا كلام ، وكذلك الثالث ، كما هو ظاهر ، مع أن فرضه مما لا حاجة إليه ولا فائدة فيه ؛ ضرورة أن بعد قبول عصمة إمامهم لا حاجة إلى التزام عصمة غيره ، مع ظهور عدم وجدان طائفة كذلك ، وعدم ادعاء أحد ذلك ، إذ لا أقل من وجود أهل المعاصي في كل طائفة .
وأما على الثاني ؛ فلأن ذلك البعض إن لم يكن مطاعاً عند تلك الفرقة مطلقاً ، أو في بعض الأشياء فكيف يصح الحكم بكون تلك الفرقة محقة

(١) الصراط المستقيم ٣ : ٨٧ ، سنن الترمذي ٤ : ٥٠٤ / ٢٢٢٩ ، مشكاة المصابيح ٢ : ٣٤٨ / ٥٤٠٦ ، بتفاوت يسير فيها .

لاسيما دائماً ؟ ضرورة كون المفروض عدم متابعتها له ولو في الجملة .

وذلك يدل على خطئها وضالالتها فيما خالفوه ، حتى في أصل تركه ومتابعة غيره ، كما قال سبحانه : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ ﴾ (١) فلا يصدق إذن إنَّها لا تزال على الحق ، وإن كان مطاعاً وجب أن يكون هو الإمام ، للآية وغيرها ، بل لا محالة هو الإمام واقعاً ؛ ضرورة كونه حينئذٍ مرجعاً لإمامهم أيضاً ، وإمام الإمام إمام لهم ، حتى إنَّه لو فرض عدم إطاعة إمامهم له لزم أن يكون ضالاً ، مضلاً ، غير قابل للإمامة ، كما تبين مراراً ، وقد مرَّ آنفاً في الاستدلال بالفرقة المحققة ما ينفع في هذا المقام .

وأما على الرابع ؛ فلائنه أولاً : من الواضحات أن ليس المراد في الحديث بيان حقيقتهم في خصوص حال اجتماعهم ، والمسائل المجمع عليها بينهم ، بل إنَّما المراد كونهم محقّين مطلقاً وفي جميع الأحوال ، وظاهر كما مرَّ أن ذلك إنَّما يتصوّر بإطاعة المعصوم دائماً ، كما هو مذهب أصحابنا الإمامية .

وثانياً : الحق . كما سيأتي في بحث الإجماع أيضاً . أن دعوى مدخليّة مطلق الهيئة الاجتماعية في العصمة محض ادّعاء ناشٍ من الخطأ في فهم الحديث النبوي ، موجب لمفاسد عديدة ، سيأتي ذكرها في البحث المذكور ، بحيث لا يمكن التفصّي عن جميع ذلك إلا بعد التزام أن الهيئة الاجتماعية إنَّما تعتبر مهما علم وجود المعصوم فيها ، فعصمتها لأجل ذلك . وثالثاً : لا شبهة في أن فرض كون محض الهيئة الاجتماعية سبباً

(١) سورة يونس ١٠ : ٣٥ .

للعصمة يستلزم أن يكون كذلك كلّ جماعة اجتمعوا في أمرٍ ، فلا معنى حينئذٍ لحصر ذلك في طائفة واحدة ، إلا أن يلتزم كون المراد بها الإمامية ، للوجه الذي سنذكره .

ولا يخفى أنّهم قائلون جميعاً بعصمة الإمام ، ولا يمكن تأويل الطائفة في هذا الخبر بأن يقال : إنّ المراد بها كلّ أهل إجماع حال إجماعهم ؛ لأنّ ذلك مع كونه خلاف مفاد العبارة والتبادر ، وصريح القرائن الحالية والمقالية ، كما يظهر في بحث الإجماع ، ونقل حديثه منافع للآيات الدالة على ذمّ الكثرة وضلالة الأكثر ، بل يوجب انحصار الحقّ حينئذٍ في اجتماع كلّ جماعة ، وهو واضح البطلان ؛ ضرورة بطلان كثير من الاجتماعات ، ولا أقلّ من اجتماع الخوارج على كفر عليّ عليه السلام ، وأهل الشام وأشباههم على حربه وسبّه ، ولوضوح صحّة قول رجل واحد موافق للكتاب والسنة ولو كان في مقابل قول جماعة من الناس ، وكفى قوله صلى الله عليه وآله : «عليّ يدور مع الحقّ والحقّ يدور معه»^(١) ، ومع هذا ، لا يستقيم هذا الحمل مع حديث : «افتراق الأمة بضعة وسبعين فرقة ، وكون الناجية واحدة»^(٢) ؛ ضرورة أنّ كلّ فرقة لها مسائل عديدة قد أجمعت هي عليها ، فلا وجه لاختصاص النجاة حينئذٍ بواحدة ، مع أنّه لم توجد فرقة ولا طائفة تكون جميع مسائلها إجماعية حتّى تكون هي المرادة ، ويصدق عليها أيضاً أنّها لا تزال على الحقّ بهذا المعنى ما سوى الفرقة الإمامية ، حيث إنّهم . كما مرّ في باب بيان

(١) الفصول المختارة (ضمن مصنفات الشيخ المفيد ، ج ٢) : ١٣٥ ، الأمالي للطوسي : ٥٤٨ / ١١٦٨ ، إعلام الوري ١ : ٣١٦ ، الصراط المستقيم ١ : ١١٤ ، المناقب للخوارزمي : ٢٢٣ ، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٩ : ٨٨ .

(٢) الخصال : ٥٨٥ / ١١ ، معاني الأخبار : ٣٢٣ / ١ ، بحار الأنوار ٢٨ : ٤ / ٥٠٣ .

مذهبهم . مجمعون كافة على وفق إجماع أئمتهم جميعاً المأخوذ كلامهم من النبي ﷺ ، من الله عزّ وجلّ ، كما ثبت في محله ، على أنّه لا يجوز الاعتقاد ولا العمل إلّا بما يكون وارداً من الله عزّ وجلّ فقط دون غير ذلك بأيّ نحو كان ، سواء كان وصول ذلك إليهم من لفظ النبي ﷺ أو الإمام المعصوم عليهما السلام من أهل بيته المنصوب من طرفه ، وأنّ كلام كلّ واحد من الأئمة من كلام النبي ﷺ الذي هو من كلام الله ، المستلزم لكون كلام كلّ واحد منهم كلام المجموع المأخوذ من الله بلا خلاف ولا اختلاف .

وظاهر أنّه بناءً على هذا يصدق على كلّ واحد من أحكامهم أنّهم مجمعون عليه ، وأنّه حكم الله بالإجماع الذي ذكرناه ، ولا شكّ ولا كلام في أن لا فرقة من سائر الفرق كذلك ، كما تبين من نقل مذاهبهم ، فإذا ينحصر مصداق الحديث في هؤلاء على هذا الحمل أيضاً ، وإجماعهم أيضاً على عصمة الإمام ظاهر ، فيجب أن يكون ذلك أيضاً حقّاً على مضمون هذا الخبر ، حتّى على هذا المحل ، وإذا قد ظهر ما حرّره تبين أنّه على هذا كلّ يلزم لا محالة وعلى أيّ تقدير أن يكون المراد من الحديث المذكور أنّ دوام حقيقة تلك الطائفة لأجل عصمة إمامهم ، وحينئذٍ يظهر منه لزوم عصمة الإمام .

ومنه يظهر أيضاً انحصار الطائفة الناجية المحقّة على الدوام في الإماميّة ؛ لتمسّكهم أولاً بعليّ عليهما السلام الذي ورد فيه : إنّ الحقّ يدور معه ، ولا يفارقه ، ورأس الثقلين ، إلى غير ذلك ممّا يدلّ على عصمته ودوام حقيقته ، ثمّ بعده بمن نصّ هو على إمامته ، الدالّ على أنّه مثله في صفات الإمامة ، وهكذا هلّمّ جرّاً لا سيّما إذا أضيف إلى هذا سائر ما يدلّ على أنّ العصمة وعدم صدور الباطل عنهم أوّل مراتبهم ، على أنّه لا قائل بالفصل

أيضاً ، حيث إنّ كلّ من شرط عصمة الإمام قال بإمامة هؤلاء لا غير ، ولم يدّع أحد العصمة لغيرهم ، فافهم ، حتّى تعلم أنّه يمكن الاستدلال بالحديث المذكور على وجه آخر أيضاً ، بل هو الأخصر بأن يقال : متن هذا الحديث صريح في كون طائفة من الأئمة على الحقّ دائماً معصومين عن الباطل أبداً ، وقد ورد أيضاً : إنّ عليّاً عليه السلام مع الحقّ دائماً ، فلا محالة يكون هو من الطائفة المذكورة ، ومعصوماً عن الباطل أبداً ، وقد ادّعى هو الإمامة لنفسه ، واختصاصه بها ما دام حيّاً ، فوجب أن تكون إمامته حقّاً ، فمن تبعه في كلّ شيء كان من الطائفة المذكورة قطعاً .

فظهر من هذا أنّ الطائفة التي يتحقّق القطع بكونها على الوصف المذكور بعد النبيّ ﷺ إنّما هي عليّ عليه السلام وأتباعه الذين قالوا بإمامته ، ووجوب اتّباعه في كلّ شيء ، وأنّ مناط اتّصافهم بذلك إنّما هو عصمة إمامهم .

وهذا ينادي بأنّه مهما يكون الإمام معصوماً يكون هو وأتباعه على الحقّ في كلّ شيء ، فوجب كون الإمام معصوماً في كلّ زمان لاسيّما إذا لوحظ أيضاً أنّ عليّاً عليه السلام قرّر حتّى بأمر النبيّ ﷺ لما بعده ابنه الحسن عليه السلام الذي كان مثله في الصفات والكمالات ، وهلمّ جرّاً إلى آخر الأئمة الاثني عشر الذين لا مجال للإنكار في أنّ المعصوم إن كان بعد النبيّ ﷺ فهو هؤلاء خاصّة ، ومّا يوضّح هذا غاية الاتّضاح ما تبين بل بيّن واضح من أنّ مفاد صريح الحديث : أنّ الصفة المذكورة إنّما تكون لطائفة واحدة طول الزمان لا تنتقل منها إلى غيرها .

وقد تبين أنّها كانت في الابتداء في عليّ عليه السلام وأتباعه المذكورين ،

فوجب أن يكون كذلك أبداً كل من هو على هذا المسلك ، ولا شك أن ليس على هذا المسلك من جميع الجهات إلا الإمامية ، كما هو ظاهر ، ووضح أيضاً ممّا ذكرناه في بحث ذكر المذاهب ، فهم المراد إذن بالطائفة المذكورة في الحديث ، وهم الفرقة الناجية أيضاً . وقولهم بعصمة الإمام واضح ، ويوافقهم سائر ما مرّ ويأتي من دلائل لزوم وجود المعلم العالم من الله ، الموصوف بسائر ما ذكر من الصفات في كل عصر ، وما ورد في التمسك بالثقلين ، وفي كون الأئمة الهداة اثني عشر ، وأمثالها من الآيات والروايات ، مع اتفاق كافة الناس على اجتماع جميع الفضائل علماً ، وصدقاً ، وصلاحاً ، وطهاراً ، ونجابةً ، وغيرها في الأئمة الاثني عشر المعلومين ، بحيث كل من يُجَوِّز وجود المعصوم بعد النبي ﷺ فلا محالة يقول : إنه هم .

هذا ، مع ما سيأتي أيضاً من ادّعاءهم الإمامة لأنفسهم^(١) ، واتفاقهم على لزوم عصمة الإمام ، فافهم .

ومنها : ما يمكن أن يجعل أيضاً وجهاً ثالثاً للاستدلال بالخبر المذكور آنفاً ، وهو إنّ لما رأينا إخبار النبي ﷺ بأن طائفة من أئمة لا تزال على الحق أبداً ، عرفنا أنّ أئمة لا تخلو أبداً عن أناس معصومين عن الباطل والضلال ، سالمين عن الخطأ والزلل ، وحيث لم نجد فرقة من فرق الإسلام تكون بأجمعها على هذا الوصف ، كما هو ظاهر ، عرفنا أنّ ذلك إنّما يكون في بعضها ، وأنّ نجاة الفرقة الناجية التي وردت في حديث : «تفرّق الأمة بضعة وسبعين» ، إنّما هو لأجل وجود تلك الطائفة في تلك الفرقة ، وموافقة بقيّة

(١) كلمة : «لأنفسهم» لم ترد في «ن» .

تلك الفرقة لتلك الطائفة .

ولما رأينا أنّ النبي ﷺ أمر من أراد السلامة من الضلالة مطلقاً بالتمسك بالثقلين اللّذين أحدهما أهل بيته ، الذين لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم ، عرفنا أنّ مراده بالطائفة المذكورة أهل بيته ، وأنّ بقيّة الفرقة الناجية إنّما هي كلّ من تمسك بهم ، وجعلهم أئمة يقتدي بهم في جميع أموره ، كما ينادي به لفظة «التمسك» وسياق الحديث ، وحيث وجدنا في ذرّيته من ليس متّصفاً بكونه مع القرآن دائماً ، بل فيهم من يفارقه علماً وعملاً ولو أحياناً ، عرفنا أن ليس مراده جميع المعدودين من أهل بيته ، بل إنّما مراده بعضهم المتّصفون بكونهم مع الحقّ والقرآن دائماً ، فلمّا رأينا قول النبي ﷺ : «إنّ عليّاً مع الحقّ والقرآن...»^(١) أبداً ، علمنا أنّه أوّلهم وأنّه الإمام المعصوم بعد النبي ﷺ لاسيّما مع ادّعائه ذلك ، وظهور ما يدلّ على اتّصافه بالوصف المذكور فيه ، بل مع الشواهد الأخر الكثيرة .

ثمّ لما رأينا أنّ الحسنين عليهما السلام أيضاً مثل والدهما في ظهور وجود الوصف المذكور فيهما ، لاسيّما مع ادّعائهما الإمامة ، وورود ما ورد من جدّهما وأبيهما فيهما ، حتّى التصريح بالإمامة والوصاية ، علمنا أنّهما أيضاً بعد والدهما إمامان معصومان ، وأنّ كلّ من تبعهما وتمسك بهما أيضاً من الفرقة الناجية .

ثمّ لما رأينا أنّ كلّ واحد من الأئمة التسعة الباقية مثل هؤلاء أيضاً في ظهور الوصف المذكور فيهم ، لا سيّما مع ما ورد من آبائهم حتّى النبي ﷺ في حقّهم عموماً وخصوصاً ، حتّى التصريح بإمامتهم ووصايتهم ، وكون

(١) فرائد السمطين ١ : ١٧٧ / ١٤٠ .

الأئمة الهداة اثني عشر ومع ادعائهم ذلك ، ومع اتفاق الناس على صدقهم وجلالة شأنهم عند الله تعالى ، وأنهم أعلم الناس وأصدقهم وأتقاهم حتى من جميع سائر أهل بيتهم ، علمنا أنهم أيضاً هم الأئمة المعصومون ، وأن من تبعهم هو من الفرقة الناجية ، وأنهم هم الطائفة المحقة ، حتى إن من الشواهد أيضاً تنمّة حديث الطائفة حيث قال النبي ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق ، أو ظاهرين على الحق ، لا يضرهم خذلان من خذلهم »^(١) ، ضرورة أن هؤلاء هم الذين . مع اعتراف كافة الناس بما ذكرنا فيهم . خذلهم وقتلوهم وشردهم في البلاد ولم ينصروهم ، حتى إن أكثر الناس اتبعوا غيرهم من أئمة الجور والضلالة ، بل أعانواهم على هؤلاء .

ثم إنه لا يضرّ عدم ظهور بعض أحوال بعض منهم على عامة الناس ، مثل الظهور في بعض آخر بسبب شدة التقية والخوف ، مثل العسكريين عليه السلام . مثلاً . بالنسبة إلى الباقر والصادق عليه السلام ؛ لأنّ التقصير من الذي ترك التفحص والتجسس ، وإلا فأحوال كلّهم كالشمس في رابعة النهار ، من جدّ وجد . هذا ، مع أن لا قائل بالفصل ، فإنّ كلّ من قال بإمامة عليّ عليه السلام لعصمته قال بإمامة هؤلاء وعصمتهم إلى قائمتهم وإن توهم بعضهم في شخص القائم كالواقفية وأشباههم .

وكلّ من اعترف بوجود المعصوم بعد النبي ﷺ قال ولو بلسان الحال : إنه هو هؤلاء ولم يدّع أحد العصمة لغيرهم أصلاً .

ثم لا يخفى أنّ هذا الذي ذكرناه من التقرير صريح أيضاً في لزوم كون الثاني عشر منهم . أعني : الحجة بن الحسن . هو القائم المهدي عليه السلام ،

(١) تقدّم في ص ٤٣٤ .

وكونه موجوداً ، وكونه الذي يظهر ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً ، كما هو ظاهر ، فافهم هذا واحفظه ، فإنّه دليل واضح تامّ نافع في عصمة الأئمة عليهم السلام وإمامتهم ، ووجود قائمهم المهدي عليه السلام ، وفي كونهم وأتباعهم الطائفة المحقّة والفرقة الناجية ، شافٍ كافٍ في إلزام الخصم ؛ بحيث لا مجال لمخالفٍ إنكار شيء منه ، والله الهادي .

ومنها : أنّه لو جاز كون الإمام غير معصوم لزم وجوب إطاعة الشيطان وأتباع خطواته ، ومتابعة النفس والهوى ، بل الشرك بالرحمن ولو في بعض الأحيان ، وكلّ ذلك واضح البطلان ؛ لصراحة نصوص القرآن في تحريم جميع ذلك مطلقاً في جميع الأحيان وكلّ زمان ، حتّى ورد أمر كلّ إنسان بالاستعاذة من الشيطان ، ومن شرّ وسواسه في جميع الأوان ، وباتّخاذ عدوّاً ، والحذر عن غروره وسائر تلبيساته الموقعة في الخطأ والعصيان .

بيان ذلك : أنّ الإمام إذا كان واجب الإطاعة مثل الله ورسوله صلّى الله عليه وآله بآية ﴿ **أُولَئِكَ** ﴾ ^(١) ، وجب إطاعته في كلّ ما أمر ونهى ، ومتابعته في جميع ما قال وفعل ، كما كان إطاعة النبي صلّى الله عليه وآله كذلك ، ولا شكّ في أنّ غير المعصوم ليس بسالم عن شيءٍ ممّا ذكر في متابعة الشيطان والنفس والهوى ، حتّى الشرك الخفيّ الذي من لوازم تلك المتابعة ؛ ضرورة أنّ كلّ من أطاع أحداً فقد عبده ؛ ولهذا قال سبحانه : ﴿ **لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ** ﴾ ^(٢) وقال : ﴿ **اتَّخِذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ** ﴾ ^(٣) وأمثالهما من

(١) سورة النساء ٤ : ٥٩ .

(٢) سورة يس ٣٦ : ٦٠ .

(٣) سورة التوبة ٩ : ٣١ .

الآيات الدالة على أنّ إطاعة غير الله بمنزلة الشرك بالله ، وكيف يكون غير المعصوم سالماً ؟
وقد قال عَجَلٌ حكاية عن قول بعض الأنبياء : ﴿ وَمَا أُبْرِيْ نَفْسِيْ إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي ﴾^(١) ؛ ضرورة أنّه إذا لم يقدر المعصوم على تبرئ نفسه إلاّ برحمة ربّه ، التي هي فيه العصمة ، فغيره بالطريق الأولى .

وقد قال أيضاً حكاية عن قول الشيطان : ﴿ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴾^(٢) ألا ترى أنّه لم يستثن أحداً سوى المتّصف بوصفٍ لا مصداق له حقيقة إلاّ المعصوم ؟

وأيضاً من ذا الذي رأى أو سمع حاكماً في عصر من الأعصار كان خالياً عن الخطأ والزلل والأوزار ما سوى الأنبياء وأوصيائهم عَلَيْهِ السَّلَام ؟ لمنعهم عن ذلك عصمتهم .
وكفى في هذا ما مرّ من قول أبي بكر الذي هو خير الخلفاء عند أتباعه : إنّ لي شيطاناً يعتريني فإن زغت فقوموني^(٣) ، بل الحقّ أنّ ركض الشيطان خلف الرؤساء أكثر ؛ لسراية شرّه حينئذٍ إلى الغير أيضاً ، كما هو ظاهر .

ثمّ من المعلوم أنّ تابع التابع تابع ، فعلى هذا كلّ من يوجب إطاعة إمام غير معصوم يلزمه أن يقول بعموم وجوب متابعة الإمام الذي يطيع غير الله من الشيطان والنفس والهوى ولو أحياناً ، واستلزام ذلك وجوب متابعة

(١) سورة يوسف ١٢ : ٥٣ .

(٢) سورة ص ٣٨ : ٨٢ و ٨٣ .

(٣) تقريب المعارف : ٣١٧ ، تاريخ الطبري ٣ : ٢٢٤ ، تهذيب الأوائل للباقلاني : ٤٩٢ - ٤٩٣ ، بتفاوت فيهما ، تاريخ الخلفاء للسيوطي : ٥٤ .

الشیطان ولو فی بعض الأحيان واضح .

وقد مرّ سابقاً بیان عدم إمكان التشبّث بتخصیص وجوب الإطاعة بما إذا علم من الشرع حسنه لا مطلقاً ، فافهم ، حتّى یظهر لك عدم إمكان التشبّث أيضاً بالتزام عدم لزوم متابعتة إذا ظهر سوء فعله وخطؤه فی أمره ، وبكفاية ردع الناصحين إیّاه من العلماء الخیرین ، فإنّ بعد الإغماض عن استلزام ذلك صرّف الآية عن ظاهرها المفید لعموم طاعة أولی الأمر ، المفهوم من مقارنة طاعتهم بطاعة الله ورسوله ﷺ ، وعن لزوم ارتكاب التخصیص أيضاً فی الإجماع الثابت على إطلاق وجوب إطاعة الإمام ، وعمّا بیّنناه فیما مضى مفصّلاً من دلالة الدلیل على وجوب وجود معلّم فی كلّ زمان ، نائب للنبي ﷺ فی كلّ شيء ، المستلزم للزوم كون الإمام مثل النبي ﷺ فی كونه معلّماً لا متعلّماً ، مطاعاً لا جائز المخالفة ، يرده صريحاً أنّ المحذور لا یندفع بما ذكرتم ؛ لبقاء وجوب متابعتة فیما جهل شرعیته ، ولعدم استحالة تحقّق عصر أو وجود ثغر لا يكون فیهِ عالم رادع ، ومع هذا فی أيّ عصر من الأعصار منع الناس حتّى أهل علمهم أمراءهم وأهل الحكم علیهم عن سوء أفعالهم وفضائح أعمالهم فضلاً عن غيرها ؟ لم یمنع الجَمّ الغفیر الذین كانوا بالكوفة ابن مرجانة وابن سعد عن قتل قرة عین رسولهم ، وسبي بناته ، ولا أقلّ من امتناعهم عن مقاتلته ؟ ولم یمنع أهل الشام یزید عن ذلك وعن شرب الخمر وأمثاله من الكبائر العظيمة حتّى تخرب المدينة ؟

ولم یمنع العالم العظیم الذین كانوا فی الشام وغيره من الصحابة والتابعین وغيرهم معاوية وسائر أمراء بني أمیّة عن سبّ عليّ ؑ الذي هو عین سبّ النبي ﷺ ؟ بل لم یمنعهم عن ذلك لما أمرهم بذلك

أمرؤهم ، حتّى سبّه علماؤهم وخطباؤهم على المنابر ؟

وقس على هذا سائر القبائح والمحرمات الصريحة التي صدرت من كلّ واحد من خلفاء بني أميّة ، وبني العبّاس ، وغيرهم ، حتّى القبائح التي صدرت من أكابر علمائهم وأصحاب فتاويهم ، كما ذكرنا نبذاً من ذلك في بعض أبواب المقدّمة ، ويأتي غيرها أيضاً .

ثمّ إنّ أيّ أمير ارتدّع عن كلّ ما منعه الناصح ، أو اعترف بخطئه كلّما وعظه الرادع ؟ وكفى مكابرة عثمان عن قبول نصائح عليّ عليه السلام وغيره من خيار الصحابة والأعيان حتّى صار عليه ما صار .

ولمّ لم يرتدّع أبو بكر عن حكاية فذك عند شهادة عليّ عليه السلام ونصحه إيّاه في ذلك ؟ مع أنّه كان يعلم من نفسه ، كما كان معترفاً بأنّه قد يعتريه الشيطان فيزيغ عن حكم الرحمن ، وكان معلوماً عنده بنصّ النبيّ صلى الله عليه وآله : «إنّ عليّاً عليه السلام لا يفارق الحقّ ولا يفارقه الحقّ أبداً» ^(١) ، وأنّه أحد الثقلين اللّذين أوجب الله التمسكّ بهما ، وإنّ فاطمة عليها السلام هي التي رضاها رضى الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وأذاها أذى الله ورسوله صلى الله عليه وآله ، وإنّ الخبر المتشابه المخالف للقرآن الذي تفرّد هو بنقله ليس بقابل لطرح هذه الأخبار المحكمة الثابتة لأجله ، وليت شعري أيّ مانع عن قبول لزوم عصمة الإمام الذي يستقيم به صريح الآية والإجماع وغيرهما ؟ ولا يلزم منه مفسدة ، ولا يحتاج إلى التوجيهات الركيكة الفاسدة التي ظهر حالها سوى الانحراف عن إطاعة هؤلاء العلماء من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله إلى متابعة الآباء والأسلاف ، كما بيّنا مفصّلاً في المقدّمة ، فتأمّل ، والله الهادي .

(١) انظر : تاريخ بغداد ١٤ : ٣٢١ / ٧٦٤٥ ، فضائل الخمسة ٢ : ١٢٢ و ١٢٣ .

ومنها : ما ذكره بعض الأفاضل من أنّه لو جاز صدور المعصية من الإمام لانحطّ بمعصيته عن درجة أقلّ الناس والعوامّ ، فلا يصلح للإمامة ؛ لأنّ الصغيرة من الكبير كبيرة ، كما قيل : حسنات الأبرار سيئات المقربين^(١) ، وقال عَجَل : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾^{(٢) (٣)} .

وكفى في هذا ما عاتب الله به الأنبياء في تركهم الأولى ، حتّى عدّه عليهم معصية كما بيّن في محلّه ، وأيضاً إذا عصى الإمام في حال فإن عصى فيه كلّ واحد من الأمة لزم إجماعهم على الخطأ ، وإن بقي فيهم غير عاصٍ فهو أفضل وأكرم عند الله في تلك الحال من الإمام وأولى منه بالمتابعة ، فهو أحقّ بالإمامة حينئذٍ ، ثمّ إذا فرض معصية الثاني ومخالفة آخر ، لزم كون الآخر كذلك ، وهلمّ جرّاً ، فلا تستقرّ الإمامة لواحد ، وهو باطل .

وأيضاً إذا كان إجماع الأمة حقّاً والإمام سيّدها فلا ينعقد بدونه إجماع ؛ لوجوب اتّباعه عليها ، فقلّبه وفعله بمنزلة قولها ، فإن كانت هي حال الاجتماع معصومة فهو أولى بالعصمة منها لا سيّما من حيث كون المفروض أنّ عصمتها لا تتحقّق إلّا به ، ولأنّه إمّا واجب الخطأ فحاله أسوأ من حالها ، وإمّا جائز الخطأ فلا رجحان له عليها ، وحينئذٍ في الفرضين لا حاجة إلى إيجاب مدخليّته في انعقاد الإجماع ؛ ضرورة إمكان تحقّق العصمة بدونه أيضاً ، كما هو ظاهر ، وإمّا ممتنع الخطأ ، وهل المراد بالعصمة إلّا هذا ؟

(١) كشف الغمّة ٢ : ٢٥٤ ، الأربعين للشيخ البهائيّ : ٣١٣ ، بحار الأنوار ٢٥ : ٢٠٥ ، و٧٣ : ٣١٦ ، تاريخ بغداد ٤ : ٢٧٧ / ٢٠٢٥ ، المقاصد الحسنة : ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، الشذرة في الأحاديث المشتهرة ١ : ٢٥٤ / ٣٥٧ ، تذكرة الموضوعات : ١٨٨ .

(٢) سورة الزمر ٣٩ : ٩ .

(٣) الصراط المستقيم ١ : ١١٨ .

وأيضاً إمّا كل واحد من الناس معصوم ، وهو باطل بالضرورة ، وإمّا شيء منهم بمعصوم ، وهو باطل أيضاً ؛ لقوله تعالى : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ ^(١) الآية ، ولوجود عباد الله المخلصين وأمثالهم ، كما هو صريح القرآن ^(٥) ، ولقوله ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتي على الحق » ^(٢) وأمثال ذلك ، مع وجدان جماعة معصومين قطعاً كالنبي ﷺ وعليّ عليه السلام ، وأمثالهما من الأنبياء والأوصياء الذين ينادي نقل صفاتهم بعصمتهم ، فتعين عصمة البعض ، فهو إمّا غير الإمام وهو أيضاً باطل ؛ لقوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي ﴾ ^(٣) الآية ، وأمثالها ، ولأنّ الاحتياج إلى عصمة الإمام أكثر كما هو ظاهر ، ولا أقلّ من تأثيرها فيه وفي غيره ، بخلاف عصمة غيره ، فبقي أن يكون المعصوم هو الإمام وحده ، أو هو مع غيره ، وفيهما المطلوب من عصمته .

وأيضاً الإمام إذا لم يكن معصوماً فإمّا أن يكون عاميّاً ، أو عالماً مجتهداً ، وعلى التقديرين لا يجب على غيره من العلماء والمجتهدين متابعتة وهو ظاهر ، ولا على العوام أيضاً ؛ ضرورة قبح متابعة العامي للعامي سيّما مع وجود العلماء ، ووضوح اختيار العامي عند تعدّد العلماء في متابعة من أراد ، سيّما إذا كان غير الإمام أعلم ، فلا فائدة إذن في نصبه ، بل يضّر ؛ لاحتمال وقوع الاختلاف والفساد ، فافهم .

واعلم أنّ كثرة أدلّة العصمة سوى ما ذكرناه هاهنا وما مرّ ويأتي ،

(١) سورة الحجر ١٥ : ٤٢ .

(٢) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الحجر ١٥ : ٤٠ ، وسورة الصافات ٣٧ : ٤٠ و ٧٤ و ١٢٨ و ١٦٠ و ١٦٩ .

(٣) تقدّم تخريجه في ٤٣٤ .

(٤) سورة يونس ١٠ : ٣٥ .

بحيث إن أردنا ذكرها وجب أن نضع كتاباً على حدة لذلك .
وقد ذكر كثيراً منها العلامة في كتاب الألفين مع أنّ مجموع الذي ذكرناه في هذا
الكتاب أزيد من سبعين دليلاً صريحاً نصّاً لا تتطرق إليه الشبهة فضلاً عما لم يكن بهذه
المثابة ، فإنّها ممّا لا تخصّى ؛ ولهذا اكتفينا بهذا ؛ لأنّ من أراد فهم الحقّ كفاه هذا ، لا سيّما
مع سائر ما ذكرناه ونذكر ، والمعاند لا يفيد الألف ، والله الهادي .

فهرس المحتويات

مقدمة المجلد الثاني وتقسيمه إلى اثنتي عشرة مقالة ٥

المقصد الأول

المقالة الأولى

- ٧..... ضرورة طاعة الله على النحو الذي كلف به
- ٨..... ذكر نبذ من الآيات الدالة على وجوب الطاعة كما كلف الله به
- ١٠..... تعليق المصنف قدس سره على مفاد بعض الآيات المذكورة
- ١٤..... ذكر نبذ من الآيات الناهية عن الأخذ بالآراء والأهواء
- ١٧..... ذكر نبذ من الأحاديث الآمرة بوجوب الأخذ عن الله ورسوله لا غير

المقالة الثانية

- ٢٢..... وجوب معرفة أوامر الله ونواهيه وطرق التعبد
- ٢٣..... ذكر نبذ من الآيات والأحاديث الدالة على وجوب معرفة أحكام الله
- ٢٥..... ذكر بعض الأخبار الدالة على وجوب طلب العلم من أهله والعمل به
- ٢٩..... بيان للمصنف في مفاد بعض الآيات والروايات المتقدمة

المقالة الثالثة

- ٣١..... وجوب التعليم ولزوم وجود المعلم المرشد إلى ما كلف الله به العباد
- ٣٢..... ذكر نبذ من الآيات والروايات الدالة على وجوب التعليم

المقالة الرابعة

- ٤٠..... لزوم كون المعلم عالماً بكلّ ما يحتاج إليه المتعلم
- ٤٢..... ذكر نبذ من الآيات الدالة على لزوم علم المعلم بحاجة المتعلم
- ٤٤..... ذكر الأسباب التي جرّت المخالفين إلى ارتكاسهم في الضلال

المقالة الخامسة

- ٤٦..... ضرورة كون المعلم صادقاً مأموناً بالكذب والعتار
- ٤٨..... الاستدلال على عدم كون غير المعصوم مأموناً بالكذب والعتار
- ٥٣..... ذكر نبذ من الآيات الآمرة باتباع الصادقين وعدم الاعتماد على غيرهم

المقالة السادسة

- لزوم كون أصل التعليم في الأصول والفروع من الله تعالى ٥٧
ذكر نبذ من الآيات في الاستدلال على لزوم كون أصل التعليم من الله تعالى ٥٧
ذكر نبذ من الأحاديث الدالة على كون أصل التعليم من الله تعالى ٦٠

المقالة السابعة

- إتمام الحجة من قبل الله تعالى على المكلفين بتعليم الواسطة وحصرها بالنبي وآله ٦٣
عدم رضا الله تعالى بالعمل بالقياس وأمثاله ٦٣
ذكر نبذ من الآيات الدالة على حصر الواسطة بالنبي وآله وتعليمهم ما يحتاج العباد إليه ٦٥
ذكر نبذ من الآيات في الاستدلال على تبيان الله تعالى لكل شيء ٦٧
بيان المصنف قدس سره للمراد من تبيان كل شيء ٦٩
ذكر نبذ من الآيات والأحاديث في المراد من تبيان كل شيء ٧٢
ذكر نبذ من الأحاديث من طرق العامة في المراد من تبيان كل شيء ٧٨

المقالة الثامنة

- بيان كون القرآن والنبي ﷺ واسطتين ثابتتين وحجتين من الله تعالى ٨٥
ذكر نبذ من الآيات في الاستدلال على كون القرآن والنبي ﷺ حجة ثابتة من الله تعالى ٨٧
ذكر بعض الأحاديث من طرق العامة في الاستدلال المزبور ٨٨
ضرورة اطاعة النبي ﷺ لكونه معلم القرآن وقيمه ودليله ٩١

المقالة التاسعة

- الاستدلال على أن النبي ﷺ عالماً من الله تعالى بتفسير القرآن وأسراره ٩٣
ذكر نبذ من الآيات الدالة على كون النبي ﷺ عالماً بأسرار الكتاب ٩٥
ذكر بعض الأحاديث من طرق العامة الدالة على كون أسرار القرآن عند الرسول ﷺ ٩٨

المقالة العاشرة

الفصل الأول:

- غزارة علم رسول الله ﷺ وأنه عالم بجميع الأشياء علماً يقينياً ١٠١
عدم حاجة رسول الله ﷺ إلى أحدٍ في وضع أحكام شريعته الغراء ١٠٢

الفصل الثاني:

أن رسول الله ﷺ صادق دائماً ومسدد في جميع الأحوال ١٠٧

الفصل الثالث:

ذكر نبذ من فضائل رسول الله ﷺ وعلو منزلته عند الله تعالى ١١٧

ذكر ما ظهر له ﷺ من الكرامات والمعاجز في صغره ١١٩

ذكر ما جاء في صحف الانبياء السابقين من التبشير به ﷺ ١٢٣

مناظرة الامام الرضا عليه السلام مع الجاثليق ورأس الجالوت ١٢٥

ما صدر من علماء النصارى ورهبانهم من التبشير والتعظيم له ﷺ ١٢٨

المقالة الحادية عشرة

ضرورة ارشاد النبي ﷺ لمن ينوبه في تعليم الأحكام وعدم جواز الأخذ من غيره ١٣٣

اجتماع صفات النيابة عنه ﷺ في خصوص الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ١٣٦

ذكر نبذ من الآيات والأحاديث الدالة على انحصار صفات النيابة فيهم عليهم السلام ١٣٧

المقالة الثانية عشرة

انحصار الخلافة والأمامة في علي عليه السلام وولده الأحد عشر عليهم السلام ١٥٠

الفصل الأول:

كون الأئمة عليهم السلام أعلم الناس بسائر العلوم معاداً ومعاشاً ١٥٢

المبحث الأول: في ذكر نبذ من اعتراف المخالفين بكونهم عليهم السلام أعلم الناس ١٥٢

ذكر بعض ما ورد عن أئمة العامة سيما عمر ومعاوية من فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ١٥٢

شهادة الجاحظ وصاحب الصواعق بفضائل علي عليه السلام ١٦٣

انتهاء جميع العلوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام باعتراف أئمة المخالفين ١٦٩

اتفاق الجميع على حفظه عليه السلام وحده للقرآن وجمعه له ١٧٢

اطباق خصوم أمير المؤمنين عليه السلام جميعاً على احاطته بجميع العلوم والكمالات ١٧٣

ذكر بعض ما ورد من طرق المخالفين في أفضلية الحسن والحسين بعد ابيهما عليهم السلام ١٧٦

الاشارة الى علم وكرم سيدي شباب أهل الجنة واعتراف اعدائهما به ١٧٦

ما ورد من طرق العامة في إمامة زين العابدين عليه السلام وأفضليته ١٨٨

اعتراف المخالفين بأفضلية الإمام الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام ١٨١

الاشارة إلى أفضلية الإمام الرضا وابنه الجواد عليهم السلام ١٨٣

مناظرة المأمون مع العباسيين في فضل الإمام الجواد عليه السلام ١٨٥

الاشارة الى بعض أقوال الامامين العسكريين عليهما السلام ١٨٦

المبحث الثاني: المقام الأول

القسم الأول: ذكر النصوص على أعلمية الأئمة عليهم السلام وإمامتهم ١٨٦

بيان كون علي عليه السلام اقضى الأمة اللازم لكونه عليه السلام أعلمهم ١٨٧

ذكر بعض قضايا أمير المؤمنين عليه السلام الغامضة في القضاء ١٩٠

القسم الثاني: ذكر ما دل على أن أمير المؤمنين عليه السلام باب مدينة علم رسول

الله ﷺ ١٩٣

تفسير المخالفين لقول رسول الله ﷺ أنا مدينة العلم وعلي بها ١٩٨

بيان المصنف قدس سره وتعليقه على تفسيرهم لقول رسول الله ﷺ أنا... الخ ١٩٩

ذكر بعض سخافات العامة وما أحقوه بهذا الحديث ٢٠٠

القسم الثالث: اختصاص أمير المؤمنين عليه السلام بعلوم جمة من رسول الله ﷺ ٢٠٢

القسم الرابع: ما ورد صريحاً من طرق العامة في أن أمير المؤمنين عليه السلام أعلم

الخلائق ٢١٦

استدلال المصنف على أعلمية أمير المؤمنين عليه السلام ٢٢١

بيان جهل ابن حجر وتعصبه في ادعاء الأعلمية لأبي بكر ٢٢٢

القسم الخامس: بيان سائر النصوص الدالة على أعلمية الإمام علي عليه السلام ٢٢٦

ارشاد عمر وفد اليهود إلى علي عليه السلام بعد عجزه عن حواجم ٢٣٦

حسم أمير المؤمنين دعوى صاحب الأرغفة بغريب القضاء ٢٤١

قول أبي بكر أقيلوني بعد عجزه عن جواب من جاءه من اليهود ٢٤٢

قدوم وفد النصارى على أبي بكر وافحامهم له ورجوعهم إلى الإمام علي عليه السلام ٢٤٦

مجيء جماعة من اليهود إلى علي عليه السلام وطلبهم الارشاد إلى موضع الصخرة ٢٤٨

إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن عدد زوار النبي ﷺ من الملائكة ٢٤٩

إخبار أمير المؤمنين عليه السلام عن عدد القادمين لنصرته من الكوفة ٢٥٠

إخبار أمير المؤمنين عليه السلام لأويس القرني بمقالة رسول الله ﷺ له ٢٥٠

وصية أمير المؤمنين عليه السلام لابنه الإمام الحسن عليه السلام ٢٥٢

بيان بلاغة أمير المؤمنين عليه السلام وذكر بعض خطبه ٢٥٦

ذكر نبذ من قضاءه عليه السلام المحير للعقول	٢٥٧
ذكر محاكمته للنفر الذين قتلوا صاحبهم وانكروا فعلهم	٢٥٨
ذكر حله عليه السلام لما أشكل من القضايا والمسائل	٢٦٢
بيان أمير المؤمنين عليه السلام لمعنى القضاء والقدر للرجل الشامي	٢٦٤
كشف أمير المؤمنين عليه السلام لبعض الأسرار	٢٦٦
ذكر لجملة من أجوبته وقضاياه النادرة في القضاء	٢٦٨
المقام الثاني : ذكر النصوص الواردة في أعلمية الأئمة عليهم السلام	٢٧٠
تأكيد الإمام الصادق عليه السلام على انحصار علم رسول الله ﷺ في أهل بيته عليه السلام ..	٢٧٤
كلام للمصنف قدس سره في المقام	٢٧٦
ذكر ما صدر من الإمام الحسن عليه السلام من غامض العلم والإنباء بالغيب	٢٧٧
ذكر ما ورد من طرق العامة من استماع الإمام الحسن عليه السلام للوحي	٢٨٠
ذكر أجوبة الإمام الحسن عليه السلام لابن عباس	٢٨١
ذكر جواب الإمام الحسن عليه السلام لما عجز عنه أبو بكر	٢٨٢
ذكر جواب الإمام الحسن وحله لمشكلة واستحسان أمير المؤمنين عليه السلام له	٢٨٣
مكاتبة الحسن البصري إلى الإمام الحسن عليه السلام وجوابه عليه السلام له	٢٨٣
جواب الإمام الحسن عليه السلام لمسائل ملك الروم	٢٨٤
سؤال أمير المؤمنين عليه السلام ولده الإمام الحسين عليه السلام عن معاني بعض المفردات	٢٨٧
موعظة الإمام الحسين عليه السلام لمن سأله الموعظة بحرفين	٢٨٩
اعتراف معاوية ببلاغة الإمام الحسين عليه السلام	٢٨٩
الإلماع إلى بلاغة وغزارة علم الإمام الحسين عليه السلام	٢٩١
سؤال قاضي الكوفة الإمام علي بن الحسين عليه السلام عن تفسير غامض القرآن	٢٩٢
تبكيك الإمام زين العابدين للحسن البصري وافحامه له	٢٩٣
تقسيم الإمام السجاد عليه السلام للصوم إلى أربعين وجهاً	٢٩٤
إفحام الإمام الباقر عليه السلام لابن الأزرق	٢٩٧
محاورة الإمام الصادق لأحد الأطباء وتعجب الطبيب من علمه عليه السلام	٢٩٨
اقامة الإمام الكاظم عليه السلام الحجة على جاثليق النصارى وإسلامه	٣٠٠
احتجاج الامام الرضا عليه السلام على علماء اليهود والنصارى وغيرهم	٣٠٢

٣٠٥	افحام الإمام الجواد عليه السلام لابن الأَکثم وبيان غزارة علمه عليه السلام
٣٠٦	ذكر فقرات من مواعظ الإمام الجواد عليه السلام وحكمه
٣٠٨	بيان الإمام الجواد عليه السلام لفضل العقيق والتختم به
٣٠٨	ذكر نبذ من فضائل الإمامين العسكريين عليه السلام
٣٠٩	جواب الإمام الهادي عليه السلام لمسائل يحيى بن الأَکثم
٣١٤	ذكر نبذ من طرائف الحكم المأثورة عن الإمام العسكري عليه السلام
٣١٦	ذكر كتاب الامام العسكري عليه السلام إلى بعض موالیه
٣١٧	کلام للمصنف قدس سره في المقام
	المبحث الثالث: بيان كون علوم الأئمة عليهم السلام من علم رسول الله ﷺ لا من الاجتهاد
٣٢١	وغيره
٣٢١	ذكر رسول الله ﷺ نبذ من الأحاديث الدالة على كون علم الأئمة عليهم السلام لدنياً
٣٢٦	ردع الأئمة عليهم السلام عن العمل بالرأي والقياس
٣٢٩	اختصاص الأئمة عليهم السلام بالجعفر والجامعة ومصحف فاطمة عليها السلام
٣٣٥	بيان الإمام الكاظم عليه السلام لمعنى «إنّ مبلغ علمنا...»
٣٣٧	ذكر ما عند الأئمة عليهم السلام من حروف الاسم الأعظم
٣٣٨	اطلاع الأئمة عليهم السلام على الغيب وبيان المصنف قدس سره لذلك
٣٤١	ذكر محاورة نبي الله الياس مع الإمام الباقر عليه السلام
٣٤٢	تأييد روح القدس وغيره من الملائكة للأئمة عليهم السلام
	الفصل الثاني:
٣٤٧	المطلب الأول: انحصار مزايا العصمة وشروط الإمامة في الأئمة عليهم السلام
٣٤٩	ذكر ما ورد من طرق العامة في حق أمير المؤمنين عليه السلام
٣٥١	ذكر ما ورد عن حبة الغرني من وصفه لأَمر المؤمنين عليه السلام
٣٥٢	وصف ضرار بن ضمرة أمير المؤمنين عليه السلام لمعاوية
٣٥٤	تمويه ابن حجر وذكره أشجعية ابو بكر
٣٥٥	شهادة معاوية وعمر بن العاص بتميّز أمير المؤمنين عليه السلام
٣٥٦	شهادة النبي ﷺ في أن عمل أمير المؤمنين يوم الخندق يعدل عبادة الثقلين
٣٥٧	ما نزل من القرآن في حق أمير المؤمنين عليه السلام بشهادة ابن حنبل وغيره

وصف النبي ﷺ لأمر المؤمنين ﷺ بأوصاف الانبياء ﷺ	٣٥٩
ما رواه صاحب مطالب السؤول في بيان زهد أمير المؤمنين ﷺ	٣٥٩
ما ذكره الخوارزمي وعبد العزيز الأموي من فضائل أمير المؤمنين ﷺ	٣٦١
رد رسول الله ﷺ الناس عند شكواهم أمير المؤمنين ﷺ	٣٦٣
ما ورد عن الحسن البصري في وصفه لأمر المؤمنين ﷺ	٣٦٤
ما ورد عن أبي الدرداء في فضل أمير المؤمنين ﷺ	٣٦٥
ما ورد عن الإمام الباقر ﷺ في مجمل أحوال أمير المؤمنين ﷺ	٣٦٦
ما ورد عن أنس بن مالك في نزول قوله تعالى ﴿أَمِنْ هُوَ قَانَتْ...﴾	٣٦٦
ما ذكره ابن حجر وغيره من طلب عقيل التوسعة من أمير المؤمنين ﷺ	٣٦٧
كلام أمير المؤمنين ﷺ في هوان الدنيا عنده	٣٦٨
اجتماع شرائط الإمامة في الإمام الحسن ﷺ وذكر بعض سجايه	٣٦٩
اجتماع وانحصار شرائط الإمامة في الإمام الحسين ﷺ وذكر بعض سجايه	٣٧٢
ذكر نبذ من صفات الإمام السجاد ﷺ المسلمة عند الفريقين	٣٧٩
ذكر بعض صفات الإمام أبي جعفر الباقر ﷺ وكلامه في وصف الشيعة والدنيا	٣٨٠
افحام الإمام الباقر ﷺ لابن المنكدر واذعان ابن المنكدر بفضل الإمام ﷺ	٣٨١
عطاء الإمام الباقر وصلته في الله تعالى	٣٨٢
الاشارة إلى بعض فضائل الإمام الصادق ﷺ	٣٨٣
موعظة الإمام الصادق أصحابه ونهيه عن معونة الظلمة	٣٨٤
ما رواه بعض علماء العامة من سجايه الإمام الصادق ﷺ	٣٨٦
الاشارة إلى نبذ من صفات الإمام الكاظم ﷺ	٣٨٧
ذكر نبذ من صفات الإمام الرضا ﷺ	٣٩٢
ما ذكره إبراهيم بن العباس من الصفات التي تميز بها الإمام الرضا ﷺ	٣٩٢
ما رواه ابن أبي الضحاك من عبادة وعلم الإمام الرضا ﷺ	٣٩٤
ذكر الإمام الجواد ﷺ وعظيم منزلته عند الله تعالى	٣٩٥
ذكر محاولات المأمون للحط من كرامة الإمام الجواد ﷺ	٣٩٦
نص النبي ﷺ على الإمام الجواد باسمه وذكر بعض مناقبه	٣٩٧
الاشارة إلى بعض صفات الإمام الهادي ﷺ	٣٩٩

- ذكر نبذ من غرر كلام الإمام الهادي عليه السلام ٣٩٩
- ذكر ما ورد من النص على الإمام الهادي والإمام العسكري عليهما السلام ٤٠١
- ذكر ما رواه أبو هاشم الجعفري من فضائل الإمام العسكري عليه السلام ٤٠٢
- ذكر صفات الإمام العسكري عليه السلام وهيبة أعدائه له ٤٠٣
- اعتراف خصوم أهل البيت عليهم السلام باتصافهم بصفات لم يتصف بها غيرهم ٤٠٤

المطلب الثاني

- ذكر نبذ من دلائل عصمة الأئمة عليهم السلام على نحو ما اتصف به رسول الله صلى الله عليه وآله ٤٠٦
- إشارة المصنف قدس سره إلى بعض المقدمات ٤٠٦
- المقام الأول: ذكر بعض ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله من دلائل عصمة الأئمة عليهم السلام ٤٠٨
- ذكر ما ورد عن المخالفين مما يدل صريحاً على عصمة الأئمة عليهم السلام ٤٠٨
- ما ذكره الخطيب وابن المغازلي من شهادة الملائكة بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام ٤١٠
- ما رواه بريده من إخبار النبي صلى الله عليه وآله بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام ٤١١
- ذكر الأخبار الدالة على عصمة أمير المؤمنين وعصمة الأئمة عليهم السلام ٤١٢
- ذكر ما رواه الفريقان من الأخبار الدالة على عصمة الأئمة عليهم السلام ٤١٤
- ما ورد عن أهل البيت عليهم السلام في لزوم كون الإمام معصوماً ٤١٥
- بيان كون الإمام عليه السلام مؤيداً من قبل الله تعالى بخمسة أرواح ٤١٩
- ما ورد من الفريقين في نص النبي صلى الله عليه وآله على الأئمة عليهم السلام ٤٢٠
- المقام الثاني: الاستدلال على عصمة الأئمة عليهم السلام عقلاً ونقلًا ٤٢٢
- ذكر ما اضطر إليه بعض علماء العامة من القول بعصمة أمير المؤمنين عليه السلام ٤٢٣
- ابطال المصنف لما ذهب إليه علماء العامة وإنكارهم عصمة الأئمة عليهم السلام ٤٢٣
- ذكر لبعض ما صدر من أبي بكر وعمر المخالف لصريح القرآن ٤٢٧
- بيان لاختلافهم حديث ثواب المخطيء برواية عمر بن العاص ٤٣٠
- ابطال دعوى بعض النواصب توهم أمير المؤمنين عليه السلام في بعض الجزئيات ٤٣١
- استدلال المصنف قدس سره على عصمة الأئمة عليهم السلام بحديث لا تزال طائفة... إلخ ٤٣٤
- استدلال المصنف قدس سره على ملازمة القول بعدم عصمة الإمام لطاعة الشيطان .. ٤٤٢
- ابطال ما ذكره من الدليل بعدم الحاجة إلى العصمة في الإمام ٤٤٤
- استدلال المصنف قدس سره على لزوم العصمة في الإمام من عدة طرق ٤٤٦
- فهرس المحتويات ٤٤٩